من عيون التراث العماني

الصحيفة القحطانية

تأليف

حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني

(١١٩٨-١٢٩١هـ/١٧٨٣-١٨٧٤م)

تحقيق وتقديم

د. محمود بن مبارك السليمي

أ. د. محمد حبيب صالح   أ. د. علاّل الصديق الغازي

الجزء الخامس

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

ص.ب:٦٦٨ الرمز البريدي:١١٣ مسقط

رقم الإيداع: ١٠/ ٢٠٠٩

[سالم بن غسان بن محمد الخروصي]:

وأما شعراء العمانية اليمنيين الذين اتصل بهم علمـــي، وأحـــاط بهـــم فهمـــي،فمن مشاهيرهم الشيخ الأديب الأريب الفصيح سالم بن غسان بن محمد بن راشـــد بـــن محمد بن أبي غسان (بن غسان) الملوحي الخروصـــي الـــشنوي الأزُدي العمـــاني الإباضي.قال الشيخ الثقة الزاهد خميس بن الشيخ العالم العامل الرئيس أبي نبهـــان جاعد بن خميس الخروصي، رحمه الله: سمعت والدي شفاهاً [يقول]، كفـــى أهـــل عُمان فخراً بالشعراء، حيث منهم الستالي، وابن غسان سالم، قـــال:وفـــي التقـــى والورع اشتهر سالم بن غسان،فمن شعره من الفصل الثاني رسالة لليلي الـــشريفة منوطة برسالة خير الأنام محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام قوله من السيرة:

متى بنا العـــيس يـــنكحن الـــسماليقا ... فتنـــتج الحَـــرم والحـــزم المخاريقـــا

تطوي بنا مهرق الهجل التنـــائف لا ... تألوا كما طـــوت الأيـــدي المهاريقـــا[1]

مهالكا ما بهـــا تلقـــى العـــسيس ولا ... أجـــلا وســـربا ولا غـــدقا مناعيقـــا

تخالهـــا وهـــي بالحربـــاء عاكفـــة ... تظـــن أقوازهـــا فيهـــا معاليقـــا

والشهب منها وفيها لا يـــزال بهـــا ... ليـــل التمـــام مغاريبـــاً مـــشاريقا

بهماء تسمع فيهـــا الجـــنّ عازفـــة ... والـــريح خافقـــة والـــصوت مخفوقـــا

والعيس مثل نبات الماء في لجـــجٍ ... مـــن الـــسراب تـــشق الآل تـــشقيقا

تظنها في لعـــاب الـــشمس ســـابحة ... راد الـــضحى فـــوق قـــاموس حـــداريقا

تبين طـــوراً وتخفـــى تـــارة فكمـــا ... في جـــدول تغـــسل الأيـــدي الأباريقـــا

تـــسوق أرجلهـــا بالوخـــد أيـــديها ... وشـــوق ليلـــى لليلـــى حثحـــث الـــشوقا

لها حنين إلى ليلـى هـوىً وجـوىً ... تظنهـا كلمـا حنـتّ مفاريقـا

والركب من ناعس في كورها لعبـاً ... ومـن مهيـنم فـوق الكـور تأريقـا

ما ورّدت حرضاً أو بالجفـان ومـن ... جـو ّ الـضبيعة أمّوهـا الجوانيقـا

ومن حنابى و مرّان وبئـر سـخيّ ... وأصـبحوها قبـا شـعراء تغبيقـا

وأنشجوها فمـن ذي ركيـة بركـاً ... قد صـفقتها ريـاح الـصيف تـصفيقا

مـوارد كمنـت أمواهها وسـنت ... فتحسب المـاء تحـت الأرض عيّوقـا

ولو يواردهـا الظئبـار نـوّح فـي ... أرجائهـا وبقـي حيـران زهليقـا

والـذئب يقتلـه ترسـيم قامتـه ... مـن خوفهـا وتخـال الظـن تحقيقـا

قالوا وباتوا عليهـا فـوق أرجلهـا ... مثـل البـرود بـأكوارٍ سـباريقا

تناشدوا شعر ليلـى كلمـا انتبهـوا ... ما كان في الشعر محزومـاً ومفروقـا

حتـى إذا فلـق الإصـباح فالقهـا ... والعيس قلقلت الربـداء تفليقـا [٧٤٨]

لاحت شوارع ليلـى والمنـابر والأ ... عـلام تحـسبها سـفناً مطاليقـا

فهلل الركـب تكبيـرًا ومـن فـرح ... بكت ويبكـي أخـو الأفـراح تـشويقا

ألقت عصاها بها في صحن أبطحهـا ... وأوضمت فـي الوصـامات الجواليقـا

وأقبلت تنتحي بـاب الـسلام ومـذ ... ليلـى بـدت لهـمّ ضـجّوا مواليقـا

وأقبلـو ولعمـري قبلـوا حجـراً ... في الـركن بـالعنبر العبّـاق مغبوقـا

وبعدّ طافوا سـبوعا كلمـا وصـلوا ... أركانهـا عـانقوه ثَـمَّ تعنيقـا

وأتبعوا العلّ مـن مـازمزم وعلـى ... أثبـاجهم مـا بقـي ألقـوه مهروقـا

ونحو باب الصفا لحوا لـه وسـعوا ... بـالمروتين دراريقـا دراريقـا

وفي منى ليلهم باتوا و حيـث بـدت ... شمس الضحى في رؤوس الشم تشريقـا

رقوا على عرفــات ثمــت ابتهلــوا وســـــاعلوا الله إخلاصـــــاً وتوفيقـــــا

وبالغروب إلى جمــع فقــد نزلــوا ليجمعــوا يزمعـــاً للرمـــي مفروقـــا

بالمشعرالصبح هم صلّوا وقد قصدوا رمـــي الجمـــار قبيـــل الـــدم ماريقـــا

وبعد ما حللــوا إحــرامهم قــصروا بعض الشعور وبعضاً صـــار محلوقـــاً

نـــــادى منـــــاديهم زوروا نبـــيّكم فـــأزمعوا وحـــدى حـــاديهم النوقـــا

مذ شارفوا طيبة المختار ما فانتخجوا ويممـــوا البـــاب للتـــسليم مطلوقـــا

حيّـــوا نبـــيّهم تلقـــاء كوكبـــةٍ وبعـــد حيّـــوا أبـــا بكـــر وفاروقـــا

صلى الإله عليه مــن نبــيّ هــدى وأقـــرب الخلـــق للخـــلاّق مخلوقـــا

محمد المصطفى المبعوث من مضرٍ ممـــزق الـــشرك بالإســـلام تمزيقـــا

محمـــد زينـــة الكـــونين ســـيّدها أزكـــى النبيـــبن مـــصداقاً وتـــصديقا

يا أيها المصطفى والمرتضى خلقـاً طبعـــاً مـــن الله لا كـــسباً وتخليقـــاً

يا محــسن لمــسيء جــاء معتــذراً وطالـــب الخيـــر لمـــا صـــار مملوقـــا

لعلّ نظــرة لطــف مــن شــفاعتكم يغدو بها الذنب يـــا مـــولاي مرهوقـــا

بك انتقــت أرجـــيّ فــضل عائــدةٍ وفـــك أســـريَ لمّـــا صـــرت موثوقـــا

ذنبـــي تملّكنـــي رقّـــاوَلي أمـــل مـــن الـــشفاعة أغـــدو منـــه معتوقـــا

صلى عليك الـــذي أعطـــاك موثقـــة أخلصت منها له منـــــك المواثيقـــا[1]

---

[1] الخروصي، سالم بن غسان اللواح: ديوان اللواح، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنةعمان، مسقط، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ج١، ص١٦٥–١٦٨. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة.

وله أيضاً رسالة لليلى الشريفة، ومدحاً لنبيّه، صلى الله عليه وسلم، ومتوسلاً به شعراً:

طيف لليلى على شحط النوى طرقا ... ليلاً وطرفي بـأمواج الكـرى غرقـا
أنّى اهتدى والدجى وحف غياهبـه ... يـشقّه ويجـوب المهمـه العرقـا
حتى أتاني فحيّـاني بهـا ولهـا ... نشر على الأفق من أنفاسها عبقا[٧٤٩]
فبـتُّ ألـثم خـدّيها وألزمهـا ... وأرشـف الـشّنب المعـسول مغتبقـا
ألقيت وضواضها عنـي وحلتهـا ... وبـتّ منهـا مكـان العقـد معتنقـا
حتى تهجّد عـصفور علـى علـم ... مبشرًا أن وجـه الـصبح قـد شـرقا
فقمت والدمع فوق الخـدّ منحـدر ... أجرُّ ذيلي علـى وجـه الثـرى ولقـا
فما قبضتُ من الطيف الملـم بهـا ... إلاّكمـن قبـضت أكفافـه الأفقـا
ما أكذب الطيف لولا طيب زورته ... لمـن يحـب ولا طيـف بـه صـدقا
رعياً لليلى ويـا سـقيا لأبطحهـا ... ويا سـقى الله خيـف الحّـي والبرقـا
متى متى العيسّ ينكحن الهجول بنا ... وتمـسح المعـج والايغـال والعنقـا
وتخـبط الآل بالأخفـاف تحـسبها ... بنات مـاء الغـوادي تخـبط الغـدقا
تخفى وتظهـر تـارات فتحـسبها ... أهلّةً فـي الـسحاب انـضم وافترقـا

إن هجرت روّحت أو أصلّت بكـرت ... وتوضح الليل بالإرقـال مـذ غـسقا
وعصبةٍ هـاجروا أوطـانهم وإلـى ... ليلى أجدّوا السُّرى واسـتعذبوا الأرقـا
باتوا وقـالوا علـى أكـوارهم فهـم ... مثـل البـزاة علـى أوكارهـا سـبقا
وتارة فـي بطـون العائمـات لهـا ... أزمّـة مـن وراهـا تحكـم العنقـا
لا روح فيها ولافيهـا جـرى نفـس ... فكلهـا جـسد قـد صـيغ متّفقـا

لا تشتكي لغباً في السير أو تعباً ... ولا بها الحس حتى تشتكي الشبقا
شرابها الصلّ إن تظمأ وإن سغبت ... فالقار تطعم لا القيصوم والسَّمقا
ريح القبول لها في اليم قائدة ... وساقها سايق الحدواء مصطفقا
بهم تشق عباب اليمّ قاصدة ... ليلى وقد جعلت شهب السما طرقا
تناشدوا الشعر في ليلى بمجلسها ... ما كان في الشعر مقبوضاً ومنطلقا
لا يرقدون سروراً من محبتها ... حتى أضاء منار الصبح مؤتلقا
لمّا أتو (جُدّةً) من بعد ما حرموا ... فقربوا اليعملات الذمّل العنقا
راحوا لليلى على حسب الرجاء بها ... يحدو بهم أخمش الساقين مخترقا
وعندما شارفوا ليلى وقد نظروا ... تلك المنائر في حافاتها السمقا
فهلل الركب تكبيراً ومن فرحٍ ... بكوا ويبكي أخو الأفراح مشتفقا
وبعد ما دخلوا باب السلام بها ... طافوا سبوعاً وما جّفوا بها عرقا
حتى أتوا زمزماً من مائها شربوا ... وما بقي فعلى اثباجهم هُرقا
ونحو باب الصفا قد أقبلوا ولقد ... بالمروتين سعوا في سعيهم دفقا
وفي منى ليلهم باتوا ومذ طلعت ... ذكا على عرفات كلّهم فرقا
دعوا به الله عتقاً من ذنوبهم ... يا فوز عبد بذاك اليوم قد عُتقا
وبالغروب إلى جمع فقد نزلوا ... ليجمعوا اليز مع المجموع مفترقا[٧٥٠]
بالمشعر الصبح هم صلوا وقد قصدوا ... رمي الجمار قبيل الشعر ما حلقا
وبعدما حللوا إحرامهم قصدوا ... قبر النبي فجابوا السملق الصلقا
مذ شارفوا طيبة المختار كلهم ... بدمعة من رسيس الشوق قد شرقا
وحيثما دخلوا باب السلام نحوا ... لقبره رفقا في السير لا رفقا

قاموا على الكوكب الأرضي كلّهم … قد زكّ من عبرات الشوق مختنقا

عليه مذ سلموا منه فقد طلبوا … شفاعةً أصدقت آمال من صدقا

وصاحبيه عليهم سلّموا فهُمُ … من بعده خير مخلوق به لحقا

عبداك هذا سعيد والشريف علي … زائراك العمانيان أهل تقا

هما فقد بغضا الأوطان مذ عشقا … لقاك فوز امرئٍ بالوصل قد عشقا

ومذ شغلت فقد أرسلت عندهما … لك السلام بمحض الحب قد عبقا

أنا العماني واسمي سالم وأبي … غسّان والأزدهم لي أصبحوا عمقا

وأنت حسبي ومولاي ومعتمدي … بعد الإله بكم ما زلت متّثقا

يا خاتم الأنبيا والرسل أولها … في الفضل أشرف عند الله من خلقا

يا خيرة الله في سرٍّ وفي علنٍ … يا طاهر الخيم يا زاكي الورى خلقا

يا من أدلته في الخلق قد شرقت … كالنور حيّاً وميتاً منه قد شرقا

يا من به نظر الأعمى وقد فصحت … نوق اليماني له لمّا لها رمقا

قالت بعثنا هديّات إليك فلا … تسمع مقال أبي جهلٍ وقد حمقا

والشاة قد حذرته سم ذابحها … من بعد ما غودرت فوق الطعام لُقا

وانشقّ في كُمه البدر المنير وفي … مدارج الفضل معراجاً سما ورقا

ونار فارس قد ماتت لمولده … ومنه إيوان كسرى انهدّ وانفلقا

وفي نخيلة وفد الجنّ وافقه … لمّا من الطائف الأعلى رأى الحنقا

وواعدوه فوافوه لليلته … في شعبة الجنّ حتى الأبطح اعتنقا

كان ابن مسعود يوم الوفد صاحبه … وقد رأى من شروط الجن ما زهقا

وفي حرا زاره جبريل أول ما ... وافاه حتى لمن خوف فقد صعقا

كقاب قوسين ذاك اليوم كان له ... أدنى وكان له مما يخاف وقا

أسرى به الله ليلاً والملائك إجلا ... لاً له كنفت من حوله حرقا

حتى أتى المسجد الأقصى وفاءَ إلى ... ليلى بليلته والصبح ما انفلقا

وفي حليمة برهان يؤيده ... مذ أرضعته فسال الدرُّ مندفقا

ويوم مال به جبريل شق له ... بطناً فقدس منه اللحم والعلقا

وكم له من دلالاتٍ به وضحت ... وضوح نور جبين الشمس إذ شرقا[٧٥١]

الله قال له في (نون) أنت على ... خلق عظيم نشا أكرم به خلقا

وقدم العفو من قبل العذاب له ... براءة آيها في حاله نطقا

ماذا أقول مديحاً والمديح له ... في الذكر قد جاء مجموعا ومفترقا

لكن وجدت طريق المدح متسعاً ... فيه وحبّي له محضاً فقد سبقا

وإنني بمديحي طالب صلةً ... شفاعة توسع الغفران والخلقا

مولاي مولى جميع الخلق كلّهم ... هبني بحبك في الكونين معتلقا

فاقبل مديحي وعذري لو نأت بلدي ... حبي لكم خالص لم يمزج الملقا

ولا تركت زياراتي لكم جنفاً ... ولكن لأمرٍ أحدث العوقا

وإن بقيت فمالي عن زيارتكم ... عذر إذا وفّق الباري وطال بقا

لو كنت من جلد خدي أحتذي لكم ... نعلاً وأجعل شسع المقلة الحدقا

حتى بقبرك أذري الدمع معتفراً ... بتربة فعسى أن أُطفىء الحرقا

لعلّ مولاي من بعد الإياب له ... يقول صفحاً عن العبد الذي أبقا

صلى عليك إله العرش ما نفس ... جرى وما الطرف من أجفانه رمقا

وصاحبيك ضجيعيك اللـذين همـا   لك الحياة وبعد المـوت قـد صـدقا[1]

وله من الفصل الثالث، في مدح سيد المرسلين محمد خاتم النبيين، صلى الله عليـه وسلم، شعر متغزّلاً بليلى الشريفة من بحر البسيط:

صبٌّ صبته إلـى ليلـى صـبابته   واسـتعذبت قلبـه الـصابي إصـابته
أسيان إن رجّع الحادي بكـى ولَهـاً   وفـي صـدوح حمـام الأيـك آفتـه
حتى كأن ولدت في ثـوب مولـده   كآبـــه قلبـــه الـــصابي كآبتـــه
نعى بوادي الحمى من قبل رؤيتـه   ومـــذ رآه بـــه زادت نعايتـــه
قالوا هوى الصبّ يؤذيه فقلت لهـم   دوام ذا الحـب مـا دامـت إذايتـه
وذو الصبابة إن كنت الجهـول بـه   فـي دمعـه حـين تلحـاه علامتـه
فكل قلب خفى سـرّ الهـوى فلـه   دمـع يفـتش مـا سـرّت حـشاشته
دعني فإن عذاب الحب يعـذب لـي   طعما و فـي مـذهبي عـز مهابتـه
مطال كـل حبيـب فـي مواعـده   وفاً و عندي هـي الحـسنى إسـاءته
يا ليت طرفي الذي يجني عليَّ غدت   إلاّ عليـه قـذى البـاقي جنايتـه
ما استحسن الطرف إلا صار معشقة   فالقلـب عـسكرهُ والحـب لامتـه
إن الهوى في لقى ليلـى ورؤيتهـا   قـد أثملتنـي وفـي البطحـا مدامتـه
يا عاذلي في هوى ليلى فدع عـذلي   عنها ففيهـا الهـوى حُلـو مرارتـه
هيهات ما لست بالنـاهي بـذي أذنٍ   فالشوق والحـب لـم تـدرك نهايتـه

---

[1] المراجع نفسه، ص ١٥٥ – ١٥٩. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيلت القصيدة .

يا قلب إن أثيل المجد غايته ... حب النبي الذي في الوحي آيته

محمد المصطفى المبعوث من مضر ... مَنْ طاعة الله في الكونين طاعته

من كان يطلب في الدارين راحته ... تلقى العصيّ به في ذاك راحته

هذا النبي الذي نصت فضائله ... وعمّت الخلق بالجدوى سماحته[٧٥٢]

وخاتم الرسل وهو الصدر أولها ... في الفضل ما أدركت في المجد غايته

توراة موسى على التفضيل شاهدة ... له وإنجيل عيسى وهو ناعته

وفي يغوث ونسر بل يعوق وقد ... تقطعت قطعاً قامت دلالته

وبصبص الأسد الضاري لهيبته ... و أفكلت حيّة الوادي مهابته

وبعض برهانه المشهور حيث أتت ... وشكاً لترضعه في الحي دايته

وكان قد أيبس الجدبُ الشطور ومُذ ... هم أرضعوه جرى بالرّسل مايته

وانهدّ إيوان كسرى يوم مولده ... ونار فارس أطفتها ولادته

وبير ساوة كانت أي معجزة ... والبدر شُق له والكم هالته

ويوم ما عطش الأ قوام وابتدرت ... للموت سالت بعذب الماء راحته

جاء البعير فحيّاه وكلّمه ... ظبي العرار شفاها لا يخافته

وظلّلته و شمس الصيف سافرة ... تشوي الوجوه ولا غيم غمامته

وثانيَ اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو فما شالت نعامته

وفارس الخيل حيث الخيل محجمة ... وتكشف الخائف الخافي فراسته

وكم وكم أبلست في يوم ذي جذل ... أهل الفصاحة من بهش وضاحته

سبحانه جلّ من أسرى به شرفاً ... ليلاً إلى موقف فيه سعادته

أرقاه في درج لم ترقها رسل ... من قبله فحوت مجداً رقايته

ففاز بالشرف الأعلى وقد محضت ... وأبلغت كل ذي روح رسالته

ياليلة باتها لله مقترباً ... كقاب قوسين أو أدنى شفاعته

وللملائك تسبيح يحفٌ به ... والنور قد ملأ القطرين باهته

وكم رأى من عجيبات الأمور بها ... وكم أفادته من فضل عنايته

وقد تحقق أن الله ناصره ... بالسيف أرغم شانيه وباهته

فأصبحت شهب الإسلام طالعة ... مرفوعة في لواء المجد رايته

والكفر أصبح ممحواً مقلّبه ... عن حالها لأولى الإسلام باحته

وبلّغ الثقلين الكلّ شرعته ... وأنقذتهم من الأهوا هدايته

فويل كل غوي في غوايته ... وويح من كان عن غيّ سلامته

ما مات إلاّ وفحل الدين قد خرست ... عنه شقا شق أفحال تصالته

صلى الإله عليه ما جرى نفس ... وأنفثته إلى صدرٍ محارته

وجملة الأنبيا والتابعين له ... والآل والصحب من عمّت ولايته

و هاك منّي رسول الله محمدةً ... بحيث أنت لمحض الحمد غايته

مصونة ما بها عيب ولا ثلبٌ ... والشيء لم يوقه إلاّ صيانته[٧٥٣]

يسعى بها لك من بعد أبٌ شفيق ... لاخيبت نيل ممدوح شفاعته؟

أزكى السلام من الباري عليك وقد ... عمت ضجيعيك بالحسنى سعادته

الناصريك وسيف الجور منصلت ... حتى استقرت بإسلام سلالته

مذ كنت حيّاً هما للدّين سيف هدى ... حتى إذا رُفعت للدين رايته[١]

---

[١] المرجع نفسه، ص ٢٤٣ – ٢٤٦. مع اختلاف في كثير من مفرادات أبيات القصيدة .

وقال بمدحه صلى الله عليه و سلم :

عذاب الهوى في قلب من رامه عذب   وجور حبيب النفس يستره الحبُ

ملامك للعشاق جور وضلة   فكل له داء ومِنْهُ له طِبُ

فلا تسأل العشاق عما بلوا به   وسلني فإني بالهوى عالم طبّ

فيا لجسم مني شاهد أثبت الهوى   وفي قلبي المعمود من_طبه طبٌ

فمن رام مني سلوة تنتج الهوى   ألا إنّ تبراً إذ بها أورق القلب

انكر على مثلي إذا انتابني الهوى   فكم فتنت قبلي بحكم الهوى الصبّ

فلا ساعد الله المحب فإنه   يلذّ لديه في بلوغ الهوى الصّعبُ

فيا لائمي لو ذقت لعقة شهوتي   دعاك إلى ما يكره العذّلَ الحبٌ

إذا كان في شرع الهوى تأسر الظبى   أسود الشرى حتى متى يرعوي الصبٌ

فإن صدق العذري فالعذر واضح   وما قالت العُذّال لو صدقوا كذبُ

فرعياً لليلات قضينا بها الصبى   ونحن بذات الشعب بين الهوى شعبُ

سمرنا بها والطيف حشو ثيابنا   يراقب منّا زورة زورها غبٌ

يوسّدنا أيدي المطايا حنينها   يقول لنا من سّر نومكم هبوا

ويعرب عن لفظ الهوى كل أخرس   إذا سمحت في وصلنا النهّد العربُ

وكم دلّنا للحتف والليل أليل   عبير يحيينا وقد غطغط الركبُ

وظبية إنس صيب العين وردها   ومسرحها من حيث ترعى به القلبُ

ترقرق ماء الحسن في وجناتها   كما رقرقت دمعًا به سحر اللُبُ

مخضبة الأطراف من فيض دمعها   بحيث جرى بيني و ما بينها العتب

تريناجبين الشمس من شرق وجهها   كما أنه يبدو على مرطها الغربُ

شكى ردفها نحف الوشاح كما شكى ... نوى العقد منها واشتكى ضيقه القلبُ

تطاعنني من قدّها سمهرية ... وجُرِّد لي منها و قد نظرت عضب

رحيبة حجل الساق ليلاً طرقتها ... وصدري على وقع القنا واسع رحبُ

أنا الرجل الضرب المهذب قلبه ... وأنّى فتى مثلي يقال له الضربُ

فلي لفظ سحبان وقدر أسامة ... وشيمة جسّاس إذا بعد الرّكب

وربُّ قوافٍ بين مدح ممجّد ... وبين نسيب عنده يقلب القلبُ

نوادر من سحر الكلام غرائب ... حوى الشرق منها ما حوى مثلها الغربُ

عرائس قد رقت فراقت حليلها ... أنيق معانيها وألفاظها الأتبُ

يود بلال لو تكون شعاره ... ويختار ما كانت حفيظته القضب

ولكنها عزّت بتعظيم ربها ... على أن مرقاها على المجتدى صعبُ

قواف فلا إقوى وإكفا يشينها ... وليس بها لحن وإحن ولا ثلبُ

نتائج طبّ بالقوافي لناظم ... لديه الكلام الحرُّ والمنطق الذربُ

أخير زمان وهو في الفضل أول ... ويعقوب سُمي حيثما أنه عقبُ

فحسبك أني من أُناس تقدموا ... إذا ذكرت أحسابهم فهم الحسبُ

بقية ذخر بالخزانات كامن ... فقل في فتى باق وقد رحل الركب

فآهاً لدهر عشت فيه شكوتهم ... وحلية سيفي اثر عينهم الحقب

كأني بقايا عصبة الكهف كلما ... طلعت على قوم بهم نزل الرعبُ

عذرت بني غبراء فيما تقوّلوا ... عليَّ فقبلي آل هارون قد سّبوا

وقد بان فضلي عند ألفاظ حاسدي ... كما بان عند الجمرة المندل الرّطب

وإن كان سيفي كلما سُلّ جارح ... فكل كهام من سيوف العدى عضبُ

وليست بداري لو حللت بها لهمْ ... ولكن لعمري ما علي بذا عتبُ
أهل يسع الليث الهصور وأرعنا ... أشمًّا وبحرا زاخراً أو علا ثقبُ
ولكن حوى الغار النبي و صهره ... وما كان إلا العنكبوت لهم حزبُ
تعاطت أياديها قريش لقتله ... وضمهم بيت لمستوره يعبوا
فلو أنها كانت كليلى هجرتها ... فلم تبك لي عين ولا رقٌّ لي قلبُ
ولو أنني في المال يحي بن خالد ... ولو أن أعمامي المغيرة أو حربّ
فقد هجر المختار قبلي مكة ... وليس لها إلا أنا أهلها ذنبُ
بلاد أبت إلاّ يداوى الذي بها ... من الحمق إلاّ الحشر من قبله الشحبُ
ألا إنه وادٍ به الحق منكر ... مشايخه تصبى.وشبانه تصبو
عسى أنه وادي الذباب وإنني ... عميت ولم توضح لنا دونه الدرب
وإني بحبل المصطفى متمسك ... فحاشا رسول الله أن يقع الجدبُ
لمدحي رسول الله في كل مشهد ... دعاني وأرجو في شفاعته الحبُّ
فلله دري حيث تقبل مدحتي ... لديه وعنيّ ينسخ الذنب والعتبُ
ولله دري يوم آتيه زائراً ... على كور حرف وخدة الرفع والنصبٌ
ولله دري يوم أبكي بقبره ... وألثم ترب القبر حبًّا وأنكبُ
فيا حسنها من ساعة صرت عندها ... إلى كوكب آضٍ إلى رأسه أحبوا
أُقلب خدّي فوق تربة قبره ... وقد ساعداني الدمع فانهلّ والقلبُ [٧٥٤]
ولم يشفني من غلّتي على غير وقفتي ... عليه و يبريني من تربيَ التربُ
أقول وقلبي طار خوفاً ورغبة ... ودمعي كمهراق الغروبة ينصبُ
ألا يا رسول الله جاهك باسط ... وعفوك مأمول ونورك لا يخبو

فهبني وهب لي رحمة إثر رحمـــة وقل يا أسيرَ الــذنب قــد مُحـــيَ الــذنبُ
وقابـــل ثنـــائي بـــالقبول وأجزنـــي جزى ابن زهيـــر إذا أتـــى بالثنـــا كعــبُ
بمدحك أرجو حجتي وهـــو حجتـــي غداً يرتضيها إن رضــــــــيتَ بها الرب
صلاة من الباري وأزكـــى ســـلامه عليـــك مـــدى هـــدب تلففـــه هـــدبُ
وعمت ضجيعيك ابن عثمان ذا الوفا وفاروق بل عُمت بألطافهـــا الــصحب[1]

وله من الفصل الرابع في المسائل الشرعية و فيها وعظ و حكمة من البحر البسيط:

الصبر من كـــرم الأخلاق فاصطبر يا نفس لو كان طعم الصبر كالــصبر
من ليس يرضى على الأقدار أرغمه على المكاره إرغامـــاً قـــضى القـــدرِ
من لم يعـــظ نفسه مـــن عقله عبـــر أمسى وأصـــبح كـــالأغراض للعبـــرِ
مـــن لـــم يدبّره فكـــر مثمـــر ونهى أمـــسى ولا ورق عـــوداً بـــلا ثمـــرِ
من لم يقس بالمواضـــي النازلات به لقي الخطوب على غيب مـــن النظـــر
من ليس هاديه عقـــل كامـــل صعُبت عليه طرق النجا واحتـــار لـــم يحـــر
من لا يرى غائبات الدهر حاضـــرة عليـــه أُمْهِـــنَ بـــالإذلال والـــصغر
من ملّك الحرص مهما عاش مقـــوده يقـــدُه للمـــورد المـــستوعر الـــصدرِ
مـــن لا تـــزوّد خيـــراً زاد عاقبـــةٍ رأى الهوان وشر الهون فـــي الـــسفرِ
من لم يكـــن عالـــماً بالموت أجهلـــه طرق النجاة ولـــيس العـــين كـــالخبرِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢٠١-٢٠٤. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

يا أيها الجاهل المغرور في زمن ... يريك طول البكا والحزن في الكبرِ
تسهو وتلهو وترجوا ما تؤمله ... هيهات لا ينظر المبصور ذو عورِ
تجمع المال بالاصار مؤتشباً ... لزوج زوجتك القاليك في البشرِ
وزوج ابنك أو زوج بنتك يا ... غرٌ وهم لك كالحيّات في العقرِ

لو كنت ذا فطنة أو كنت ذا بصر ... لم ترضَ ذلك لكن لست ذا بصر
أو كنت معتبراً بالسالفين لما ... رضيت ذلك لكن غير معتبرِ
أراك دينك ترضى طرتيه بها ... قذر وثوبك مغسول من القذرِ
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ... لا تنزل الشمس في برج من المدرِ
وتسأل الله أن تحظى بجنته ... وأنت تعمل ما يدنيك من سقرِ
وتدعي الحب للباري وأنت له ... أعدى أعاديه بالعصيان والخترِ
لو كان قولك صدقاً ما أطعت هوى ... إبليس والنفس في الدنيا أُولي الغررِ
أخلصت دينك للمغرور متقاً ... به وترجو رجاء القادةالغررِ
فأنت كالمتمني قبض مرتفع ... من النجوم فغار الكف في الدبرِ
ويل لمن عنده طابت صنائعه ... فعاش فيها وعنها غير معتبرِ

ليس العمى بعمى العينين أي عمى ... عمى القلوب عن المعقول والنظرِ
فالعقل صورّ من نور فإن لبست ... نياطه ظلمة الآصار لم يَنُرِ
ما نحن في هذه الدنيا نرود بها ... زيادة العين برقاً صادق النظرِ
وإنما هذه الدنيا رياض منى ... ونحن كالبهم ترعى أنجم الزهرِ
و الموت كالحابل القناص توقعنا ... منه الحبائلُ في ضيق من الحفرِ

موت الوعول وموت الأسد خادرة — إلاّ كموت ظباء الرملة العفرِ
و الحادثات عموم حكم موقعها — حتى على النيّرين الشمس والقمرِ
إلى ما نحن تمادينا بدار هوى — عن المتاب بحب الجامع النذّرِ
فالحبُّ قائدنا والموت سايقنا — عمن نحب من الأهلين والأثرِ
فسوف نتركها هماً تجمعه — عنها.مُنعنا ولو قلامة الظفرِ
فما جمعناه للدنيا فمفترق — وما عمرناه فيها غير معتمرِ
والمرء ما عاش أسر الحادثات به — وإن ثوى صار رهن الطين والحجرِ
وكل عاقبة إما إلى سقرٍ — أوجنة مع مليك جدّ مقتدرِ
يا سامعاً دعوات الآيبين له — إليك أبت فهبني الحط ما من وزري
لعل من نظرات اللطف تمحضني — مما بها في غد يقوى سنا نظري[١]

وله أيضاً:

لايدرك المجد من لم يجعل السبَّبا — جُرد المذاكي وسمر الخط والقضبا
ولا ينام قرير العين غير فتى — إذا رأى مركبا من كايد ركبا
من لا يروّي عليل القلب من ضغن — ويشرب الدّم من أعدائه شربا
من لا يرى الحزم عضّ الكف من ندم — وفاته سابقاً إدراك ما طلبا
من أوزم النفس إكراهاً على خطر — وحكّم الله فيما يقتضي غلبا
من كدَّ في مبلغ العلياء مهجته — عزّت فلم يخش إذلالاًولا نصبا[٢][٧٥٥]

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٢٩-٣٣١. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٦٩. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

وقال أيضاً في مدح الشيخ العالم أحمد بن مداد بن عبدالله بن مداد محمد بن مداد الناعبي الأزدي:

الرزء أفجع لو أطلت بكائي — والخطب أوجع لو شققت حشائي
من لائمي في لوعتي وتفجعي — وتوجعي وترجعي وأسائي
بصري وسمعي والفؤاد ومهجتي — ذهب الجميع وقد سُلبت عزائي
هذا هو النبأ الجليل الفرد في — الثقلين والغبراء والخضراء
ما خص فيها ناعب وقبيله — من دون أدوا جملة الحمراء
فالأرض ترجف والعشار تعطلت — فيه وتطوى منه كل سماءِ
وكأن إسرافيل قام مبادراً — للصور ينفخ في فنا الأحياءِ
لا قلب إلاّ في لظاه مقلب — لا مقلة إلاّ بكت بدماءِ
وكأن أملاك السموات العلى — قامت به في محشد العزّاءِ
يا ثلمة وقعت ولا جبّر لها — كتجبر الأعضاء بالأعضاءِ
من سّره أن المكارم والتقى — والعلم يذهبُ عن أذى الدنياءِ
فليـنعمنَّ فهكذا إذهابه — تحت الثرى عن دولة وثراءِ
عجباً لطول ثلاثة من أذرع — قبراً وعرض الشبر في الحصباء
وسع التقى والعلم طراً والحجى — والمكرمات وجوهر العلياء
يا بقعة ضمّت فضائل أحمد — في أحمد عن سائر الدّقعاء
فلك الفخار على البقاع كمثله — في العجم والعرب الذرى العرباء
أمسى وأصبح في الضريح وما درى — ما حل في صبح بنا ومساءِ

هو بيضة الإسلام بل هو حية ... الوادي وقطب جماهر العلماء
كان الهدى بعمان ثمَّت أصبحت ... من بعده في حندس الظلماء
وبه لقد كانت على رغم العدا ... مياسة كالغادة الغيداء
سلاّبة بجمالها وخلالها ... تختال في برد من العصراء
مذ كان ساتر بشرها بِردا النهي ... وجمالها بجلالها الحسناء
حتى قضى نحباً فهاهي أصبحت ... كالحيزبون الشوهة الغبراء
تبكي وتعلن بالصراخ لفقده ... وتقول يا ويلاه بيح حمائي
لا مانع عني ولا ذو حشمةٍ ... من بعد أحمد ساترٌ عوراني[1]

وهي قصيدة طويلة فوق ما قلته ستون بيتاً منها.

وقال أيضاً، يرثي السلطان أبا العرب بن أبي العرب بن صلت من بحر الطويل فقال:

هو الرزء حتى خصّ ريش القوادم ... وخص الخوافي من جناح المكارم
وأفقأ عين المجد حتى تغوّرت ... وأعمى قلوب الواجبات اللوازمِ
وهدّم بيت السؤدد البدر والعلى ... وحكم المنايا هادم أي هادمِ
و أثر في شهب السماء وفي الحصا ... وفي الأرض تأثير الرياح الصيّارمِ
بنفسي ميت غير ميّت وإن غدا ... غسيلاً بتوكيف الدموع السواجم

---

[1] الخروصي، سالم بن غسان اللواح: المرجع نفسه ج٢، ص ٩٧- ٩٨. مع اختلاف في الألفاظ.

فما مقلـــة شحّت عليــه بــدمعها ولا عاش قلب للأســى غيــر لازمِ
كوى حــزنه الأكباد كياً فلــم يــزل حريقــاً بأبيــار الحــشا والحيــازم
وما الفقد في كــل الملــوك كفقــده ففي الفقد هــمٌ منــه كفقــد البهــائم
أبا مالك مــن للمعــالي يــشــيدها خلافــك مــذ أثبتهــا بالـــدعائم
فما فقدت مذ كنــت أمــلاك حميــر ولا لسواك الحمد عنــد المواســمِ[1]

وهي قصيدة طويلة، جملتها أربعون بيتاً، تركتها طلباً للاختصار.

وقال يرثي الشيخ أبا الخرصين درويش بن سالم بن غسان:

حرائق حــزن فــي فــؤادي تجــدد وواكــف دمــع فــي الخــدود يخــدّدُ
ولــي زفرة في إثر أخرى تــصّعدت تكــاد بروحــي للخياشــيم تــصعدُ
ولي مقلة شــكرى وجــسم معــذّب كذاك فؤادي من لظى الحــزن مفــأد
وكادت ضــلوعي أن تقــدّ بزفرتـــي وطرفــي بــأطراف النجــوم مــسهّد
لئــن بكــت الورقــا هــديلاً فــإنني لأبكـــي فتـــى الخرصـــين لا أتفنّـــد
فما بعد درويش الأديــب بــن ســالم سُـــلُوّ ولا عنـــه عـــزاً وتجلّـــد
ألا بعد درويــش فــشــربي مكــدر وصبري كطعم الصبر والعيش أنكــد

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢٣٩. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

ولولا تقى الـرحمن سـاعة دفنـه تمنيت أني وهو فـي اللحـد نلحُـدُ
بدمعي عليه مـن حفـاظ غـسلته فيا ليـت قلبـي قبـره لـيس يبعـد
نعتهُ نُعـاتُ الحـيّ والليـل أكهـل فحا ذرت أنعى فيه والـصبح أمـرد
ومن لائمي فيه إذا بحـتّ بالأسـى وراح جميـل الـصبر عنـه يـشرّد
ومـا حرقـة إلاّ ويبـرد حرّهـا وحرقـة قلبـي بعـده لـيس تبـرد
لئن صار مدفوناً وحيـداً بقبـره فـإني بـأحزاني عليـه لأوحـد
وينظره قلبـي وتبكيـه أعينـي وينحـل جـسمي ذكـره والتوجّـد
تحملت حزناً فوق مـا هـو فوقـه عليه تراب قد أهيـل وجلمـد [٧٥٦]
لقد عرف التوحيد وهو ابـن ثديـه رضاعاً وهل أمثـال شـيخي يوجـد
ويسنـد أخباراً صـحاحاً وأين من كأمثالـه فـي سـنه وهـو يـسند
نباهته كانـت بعيـسى بـن مـريم وقد قال هزي الجـذع سـاعة يولـد
لئن بقيت عنـدي المـصيبة بعـده هو الفرط المدحور تبديه لـي غـد[١]
خلقنا وأوعدنا الفنـى بعـد خلقنـا ونلقى على العقبى الذي نحن نوعـد
فياشـرّ مغـرور بـدنيا دنيـة يحـل بّهـا مـا لا يحـل ويعقـد
فيا قلب صبراً إن أصلك قد مـضى وفرعـك قـدأودى أأنـت مخلـد
فلو عاش في الدنيا عليهـا معمـر لعاش بهـا الطهـر النبـي محمـد
عليه صلاة الله ما الركـب أيغلـت لليلى وما نـاح الحمـام المغـرّدُ[٢]

---

[١] في الديوان:

لـئن بقيـت عنـدي المـصيبةُ بعـده فـإني بهـا لله مـولاي أصـمدُ
سـأطلب فيـه الأجـر والـصبر بعـده هـو الفـرط المـدحور تبديـه لـي غـد

[٢] المرجع نفسه، ص ١٣٧-١٣٨. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

وله أيضاً رسالة لأهل نفوسه وجربة، وما وليهما من البلـدان والقـرى: بسـم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المتفرد بالدوام الأبدي والوحدانية، المنزه عن الحركـات والسكون، والآلات الجسمانية،المعبود باختلاف لغات المخلوقات العربية واليونانية، وسائر لغات الهوام والبهائم الحيوانية، خلق العباد من أصل أدمةٍ ترابيـة أدمانيـة، وقدّر لها الأقوات والأوقات المقدرة الأنانيّة، وفطر الأرض والـسماء مـن أصـل النجارة الدخانية ، وأجرى البحار من فيض هاتيك الزبدة الطوفانية، ووطد الأطواد من مثار خيالة تلك اللؤلؤة المرجانية، والأمواه على الغيم علـى الهـواء بالقـدرة الربانية، واستوت الأرض على الثور، والثور على الصخرة المرجانية، والأمـواه على الغيم بالقدرة الرحمانية، سبحانه العظيم المتفرد بعظمات السبحانية، المحـيط علماً بما كان، وبما يكون من التصاريف الإرادية، أحمده وهـو جـدير أن يحمـد سريرة وعلانية، وأُنزهه عن الضدّ والشكل والعوانّية، و أومن به إيمـان مخلـص بالعقيدة الترجمانية، وأشكره بما شكرته أمته المطهرة العمرانية، وأصلي على محمد المصطفى، من أطهر بيوت سروات العدنانية، مفخـر فخـر مفـاخر الهاشـمية والقحطانية، اللهم صلى عليه وعلى آله وعلى صحبه البررة الربانية.

أما بعد، فإنا نخدم بالتحية العاطرة الريحانية مطالعة المشايخ النفوسية الوهبانيـة، وأهل البنادر والثغور والجبال العلوانية، ومن سائر بلدانهم الدانيّة والقصوانيّة، من الراسبية الوهبية الظبهانية ، تحية إخوانهم المحبوبية العمانية،وشيع هذا النثر لهـم بنظمٍ. ومطلع القصيدة:

ما روضة بـــات ســـاريها يباركرهـــا وراح فيها مـــراح الـــشول ماطرهـــا
منـــه لعامـــل مـــاء المـــزن راكـــضة فـــالبرق نافرهـــا والرعـــد زاجرهـــا
فللرعـــود زجيـــر غيـــر منفـــصل وللبـــروق مخـــاريق تـــشاطرها
إذا البروق خبـــت هـــبّ النـــسيم لهـــا فراح يـــوري زنـــاد البـــرق زائرهـــا
أو الرعود ونت عـــن الجنـــوب فلـــن تـــزال تمـــلأ عبريهـــا هوادرهـــا
كأنما البـــرق فـــي حافاتهـــا رجفـــت عـــبس فـــصلّت بـــذبيان بواترهـــا
كأنما الرعد في أحـــضانـــها رزمـــت شول لعـــدس وقـــد زمّـــت مناخرهـــا
فـــسدّت الأفـــق طرفيـــه طوارفهـــا وحجرت محجـــر الجربـــا مجامرهـــا
فانحلّ منعقد القطرين منبجـــــــساً كأنمـــا الغيـــث للـــدنيا قطائرهـــا
كـــان منثورهـــا الهـــامي نفائـــسها من عقـــدها ويمـــين الرعـــد ناثرهـــا
كأنمـــا الروضـــة الغـــرّاء حاليـــة والحـــاملات معاطيفـــاً دوائرهـــا
حتى إذا مـــا كـــساها الغيـــث خلعتهـــا ذالت بِنَـــدّ الرضـــا منهـــا وزائرهـــا
نماشـــج النبـــت فيهـــا فهـــي رائقـــة بالحسن تـــصبي حواشـــيها أزاهرهـــا
من أبيض عبـــق أو أخـــضر نـــضر وأحمـــر قـــانئ ســـود غـــدايرها
ينافح الـــدوح وجـــه الأرض مائـــدها وظلّ يخطر كالنشنوان ناظرها [٧٥٧]
فالرنـــد منتـــصب والغـــض مـــنخفض والـــشيح يرفعـــه عنـــا ضـــنابرها
و المـــاء منـــصرف منـــه وممتنـــع والغدر تجمع حيـــث الجمـــع كاســـرها
والظل يسرق فـــوق الظـــل خطوتـــه كمثل ما ســـرق الأبـــصار ســـاحرها
والشمس تنظر من شـــطري حـــدائقها كمثل مـــا نظـــر الخـــدراء غايرهـــا
والـــسحب ســـافحة والغـــدر طافحـــة والـــورق صـــادحة بـــحّ حناجرهـــا

وللنسيم شذى مـــن نفـــح زهرتهـا … كفـــارة فـك عنهـا الخـتم تاجرهـا

ينضاع نـشر الخزامـى مـن تحيتنـا … وقـد أذاع بناهـا المحـض ناشـرها

حــــي بجربــة هـــم أعــلام ملتنـا … وهـــم قواعـــدها أسَّـــاً عوامرهـــا

وكم بقـــي علـم فيهـا هـدى علـم … تحـت الثـرى وتـراب الله سـاترُها

الباســطين التـــي أحــوت حفائرهــا … و الغـائبين التـي تحـوي حوايرهـا

فأحمــد القــصبي بــل عبـد خالقــه … سليل أحمـد زاكـي الـنفس قاهرهـا

وعـــصبة بمقـــام النـــوخ حلتهـــا … بنـــو علـــي بنـــوه هُـــمْ نجائرهـــا

ســليل يحـــي وعبـــد الــرب ســيدنا … وابنــه أحمــد الـــسامي ونادرهــا

إمامنـا أحمـد المهـدي فتـى عمـرٍ … وصــد غيــان فــإني الآن ذاكرهــا

والمقتـــدى صـــالح ســلمان أحمــده … فقيههـــا وهـــو مفتيهـــا وطاهرهـــا

والحبـــر داودنـــا الهـــوّار نـــسبته … بالعلم والحلـم أهـل الأرض هابرهـا

واخصــص بيخلف يحـي ثـم قـدوتنا … عيسى وعمرو رفيعُ الصيت عامرهـا

قلـــوع فاضـــد يرعـــى الله ســاكنها … من كان حيّاً ومـن ضـمّت مقابرهـا

وفي نفوســـة قد هاج الجـوى جبـل … بــه ديــار وليــت العبـد زائرهــا

لا لوت تيغيـت تيريـت لقـد سـلبت … لبــاب قلبــي و أنّــى لــي تزاورهــا

دارتبـــــنا أبــــو مــــرداس عقوتهـــا … حيّــاً وميتـــاً تبكيـــه مـــشاعرها

ســقياً لبغــداد وريــر و تيــرت بــل … كابوه واذكر فـرش الطـين ذاكرهـا

تلــك المنــازل أشــياخي بهــا نزلــوا … يــا أســعد الله مـسعودا يجاورهــا

وجــايز اشـــراوس حبـــذا بلـــد … وفـي مـسفّار قـد نـصّت سـفائرها

واربع بتقالة العليا المحل بها   نوح بن برهام هاديها وناصرها

واعطف بتقالة السفلى وراجي أو   بجن فطرس عبدالله نادرها

ومرّ ساون مسين و مسرح وقد   من عوده مرد إذ عزّ زاغرها

وفات مع تندباس يالها جللاً   حلت بقلبي وأحوالي مذاكرها

وقد صمدت لحناط نأت فلها   مشايخ لم يخفها قط ناظرها

داود بعد علي الذكر والده   أيوب بلقاسم المثنيّ زاخرها

و حين بالقاسم الزاكي يجود بها   برهام أرجان ما يسطو تناظرها

لم انس طرمة الطرمين حيث سمت   به ومهري فأنبتت مرائرها

و بين زاجي و مرسان قيل لنا   واد به جنة و الماء غامرها

ومسجد عندها كانت به إمرأة   تعبدت وصفت حباً ضمايرها

قد شاقني حبها في الله حيث زكت   منها وقد خلصت فيه سرايرها

ودار يفرن إبراهيم نجد تها   وابن جلدين بل عيسى وماهرها

وأحمد بن إبراهيم أحمد شما   خ هم القادة الزهرا بوادرها

هي الديار فكم فيها ثوى علم   زواخر العلم لم تنضب زواخرها

تفرست حذاها عاشر بلد   بساكنيهاجميل الصنع عاصرها

دار المواريث تلك القلعة انقلعت   عين المعادين عنها لا سكورها

محمد زكريا الخير والده   إن البوارين لابادت معايرها

و يوسف ثم أيوب بن خالدة   داود أحمد و ادجلان زائرها

نوان أحمد من تحيته طلعت   شمسُ أعيسى لها سعد مناظرهاْ

واذكر بني نور با بكر بن صالحة   أهل العفاف فلا أقوت منابرها

مليكة المرتــضى عيـسى المقــر ّلـــه في صنعة العلــم محبــوب وجابرهـــا
الواضـــح النـــور والبرهـــان تعرفـــه بفـــضله الجـــمّ باديهـــا وحاضـــرها
محمـــــد بـــن ســـعيد أحمـــد ولـــدا عبد العزيـــز بنـــو يـــسجن مغاورهـــا
غرداية المـصعبي إبـــراهيم عاضـــده محمُـــــد ابـــن منـــصور مناظرهـــا
بالقاسم المرتضى يحـــى أبـــوه و قـــل مـــحمـــد بـــن سليمـــان مشـــاطرهـــا
فتلـــــك حجـــــاج بيــــت الله أربعـــــة أهـــل المحـــار مثوبـــات جمايرهـــا
سقـــياً و رعياً لهاتيـــك الـــديار ومـــن فيها ومن لـــي بهـــا قربـــى يقاصـــرها
لا لذة فـــي البقـــى مـــالم أحـــل ّبهـــا احلالهـــا أهلهـــا لا مـــن يزاورهـــا
هـــي المحاريـــب عليـــين ثـــم ومـــن فيهـــا هـــم الـــشهدا والله ناظرهـــا
لا يفخـــــــرون بـــــأموال متلّـــــــدة مالم يكـــن برضـــى البـــاري مفاخرهـــا
بالراسبي بن وهب نــــــــص مذهبهم هي المآثر لا أعــــــــــــــفت مآثرها
دين الإباضـــي أضـــحى أبيـــضاً بهـــم إن كـــدّر الحلـــة البيـــضاء كادرهـــا
أديانهـــــم حملوهـــا عـــن نبيّهـــــم عن جبرائيـــل عـــن البـــاري أوامرهـــا
شـــرائعاً عـــذبت طعمـــا مواردهـــا وقد حمـــدن علـــى العقبـــى مـــصادرها
ها دعـــوة الله فيهـــم مثـــل أولهـــا مقدس الاســم والأفعــال أخرهـــا[٧٥٨]
لـــم يطلب الربح في الـــدنيا بهـــا أبـــداً غيـــر الرضـــا بقـــضاء الله تاجرهـــا
تلك النفـــوس التـــي لـــذّت مطالبهـــا في جمعهـــا العلـــم فاحلولـــت مرايرهـــا
في طاعة الله جافـــا النـــوم أعينهـــا وعـــسكرت فـــي مراضـــيه عـــساكرها
للرستميين كـــم مـــن وقعـــة وقعـــت عاش الوحوش بها ما اعتـــاش طايرهـــا
وأحمد وأبي الخطـــــاب ثـــــم أبـــــي سلام عبـــد العلـــي طابـــت عناصـــرها

وهـــم من البصرة الفيحاء قد حملـو ... جـــلّ العلـــوم تهـــديها بـــصايرها
أبـــو عبيـــدة عنـــه علمهـــم حملـــوا ... وكان في الظل خـــوف القتـــل ســـاترها
و عنـــد إزمـــاعهم للغـــرب أودعهـــم ... مـــسائلاً يـــبلس الـــداري تـــشاجرها
وأودعـــتهم ثلاثـــاً فـــي مواد عهـــا ... وهـــي الـــثلاث عفيفـــات مآزرهـــا
واستقبلوا الغـــرب لا تثنـــى أعنتهـــم ... ولا يبـــالون فيمـــا قـــال ســـاخرها
حتـــى استقـــر بجنـــاون أمـــرهم ... ومـــا يليهـــا ومنهـــا ســـار ســـائرها
فقابـــل الأمـــر بـــالإخلاص مؤمنهـــا ... وطـــاوع الأمـــر بالإذعـــان كافرهـــا
حتى مضوا رحمة الـرحمن تتعـشهم ... ودعـــوة الله فـــيهم قـــام ناصـــرها
فـــالأمر مـــنهم وفـــيهم لا تغيّـــره ... حتـــى القيامـــة أحـــداث تعاورهـــا
وهـــم إلـــى الآن لا ذلّـــت عـــصابتها ... ولا حبتهـــا علـــى رغـــم جبابرهـــا
ولا استطابت علـــى كـــسب شـــهاوتها ... وغيـــر طامعـــة فيهـــا نهابرهـــا
ستّـــيان عاذلهـــا فـــي ديـــن خالقهـــا ... وذاك حـــسن الرجـــا فيـــه و عاذرهـــا
يـــا غيبـــة الله لا زلـــتم بطاعتـــه ... مقّـــد ســـين وهـــا أنـــتم ســـرايرها
يـــا عـــصبة الله عـــين الله تكلؤكـــم ... حيـــث المحلّـــين لـــم تكلـــد نواظرهـــا
لا غيّرتكـــم مـــن الـــدنيا غوائرهـــا ... ولا اســـتغرتكم فيهـــا غرايرهـــا
أنتم إلـــى الـــدعوة الغـــرّا نواصـــرها ... بكـــم ســـمت فـــوق كيـــوان منايرهـــا
لا أمرقتكم صـــروف النائبـــات عـــن ... الطاعـــات أو بـــدلت عـــنكم دهائرهـــا
ولا دهـــتكم علـــى حـــال دهايتهـــا ... ولا هـــدتكم إلـــى الـــشحنا جرايرهـــا
ولا محنـــتم مـــن الأســـواء محنتنـــا ... ولا بلـــتكم بقيـــراط مقادرهـــا
علومنـــا يالهـــا والعـــاملون بهـــا ... تـــضمنتها فأبلتهـــا حفائرهـــا

لــم تبــق فينــا لهــم إلاّ دفاترهــا ومــن بقايــا هــمُ إلاّ ظواهرهــا

علــيكم بعــد بارينــا تعمدنــا لــم تنتهــك حرمــة أنــتم ســواترها

ولا تمــل ملّــة أنــتم عواملهــا أو تفتقــر عــصبة أنــتم ذخائرهــا

منّــا علــيكم تحيــات مرادفــة أقلامهــا بالثنــا تثنــي محابرهــا

بألا فــق يعبــق والغبــراء عاطرهــا بالشرق والغــرب لــم يفقــد مــسافرها

كأنها الخــضر مــا خــصت بــه بلــد أو الغزالــة لــم تــصفد جواهرهــا

قــد صــاغها ســالم اللــواح والــده غــسان مــن شــنوة والأزد شــاعرها

يرجــوا بهــا فــيكم إذا قلــصت مــن العبــاد غــدا خوفــا مــشافرها

لــه ذنــوب لقــد زادت صــغائرها علــى هــضاب حــرى أنــى كبايرهــا

لعلهــا دعــوة مــنكم تجــاب لــه ليغفــر الزلّــة العظمــاء غافرهــا

أرجــوا لحــرمتكم إنقــاذ دعــوتكم ســيّان واردهــا عــنكم وصــادرها

لا تحرمونــا دعــاء الليــل بيــنكم إن ســامر الليلــة الليــلاء ســامرها

وإثــرَ كــلّ صــلاةٍ مــن عبــادتكم ليــدفع الله أشــياء نحاذرهــا

وليهنكم مارضي البــاري هنــا معكــم في جنبــه فهــو مجــزيكم و شــاكرها

وخــاطر ابــن غريــب ثــم إخوتــه الــسّموألى بكــم طابــت خواطرهــا

فإننــا لكــم إذن لأمــركم تحيــة فــايح بالمــسك عاطرهــا

أجــل وعبدالالــه الخيــر قــدوتنا وابنــه أســد الاواه حاضــرها

هما يخصّان من منكــم يقابلهــا حــسن القبول وما منكم يناظرها[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان اللواح، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وما أحلى القصيدة التي ذكر فيها أئمة الأزد الخروصيين، وافتخر فيها بالدين والأئمة الإباضية ومطلعها:

دعاها كيف ما صنعت دعاها — ولا تلُما نها لهوى دعاها[1]

وفيها يقول:

من القوم الكرام بني خروص — وأزد شنوءة وهم ذراها
لنا البيت.المقدّس في زهيرٍ — إذا ما شاع في قوم حناها
ملوك الجاهلية أو لونا — وفي الإسلام مفخرنا تناها[2]

وفيها يقو ل:

ونحن حمى عمان من قديم — فسل هل غيرنا أحد حماها
فمّنا وارث والصلت منّا — ومنّا الخالدان توارثاها
وإبن تميم عزان ومنّا — محمد بن غسان ضياها
وغيرهم فلا أحصي عداداً — سنا الدنيا هم وهم غناها
لنا آل الرحيل هم قضاة — لكل سرية حملوا لواها
ونبهان بن عثمان فقاض — لنا بعمان سَيّاد علاها[3]

وهي قصيدة طويلة، أجاد فيها وأحسن، فلله دره من شاعر ماهر، وحبر عالم، بفهمه باهر [٧٥٩].

---

[1] الخروصي، سالم بن غسان اللواح: المرجع نفسه / ج٢، ص ٨٥.
[2] المرجع نفسه، ص ٨٧.
[3] المرجع نفسه، ص ٨٧.

قال الشيخ الثقة الزاهد الرئيس خميس بن الشيخ العالم العلامة المجتهد أبي نبهان جاعد بن خميس رحمه الله: وقد سمعت والدي رحمه الله شفاها يقول: كفى أهل عمان فخراً بالشعراء، حيث منهم الستالي وابن غسان سالم، قال: وأما في التقى والورع سالم بن غسان أشهر، انتهى مقاله هنا، قلت. وأما الشيخ أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي العماني، فلم يبن له نسبه الصريح أنه هو خروصي النسب، أو هو من سائر القحطانية، أو هو من العدنانية، فما أحببت أن أترجمه إذا بهم نسبة الصريح عليّ، وقد سألت جملة من المشائخ الخروصيين وغيرهم عن نسبه، وكان جوابهم إليّ على حدةٍ أنهم ما وقفوا على تاريخ نسبة له، وإنما قيل له الستالي نسبة إلى بلدة، وهي ستال، قرية من قرى بني خروص أهل وادي العليا، وقد نشأ منها جماعة من المشائخ والنبلاء الأفاضل الكرام، والشيخ أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي، قد نشأ في زمن بني نبهان بعمان، ومدح جملة من ملوكهم وأكابرهم، منهم أبو عبدالله محمد[١]، وأبو الحسن أحمد[٢]، وأبو محمد نبهان[٣]، وأبو عمر معمر[٤]، وأبو القاسم علي[٥]، وأبو الحسن ذهل[٦]، وأبو العرب يعرب بن ذهل[٧]، وديوانه موجود بعمان، وهو معدود من الشعراء البلغاء،ولو قلت: إنه هو أشعر من شعراء عمان المتقدمين والمتاخرين، إلى هذه الغاية سنة ١٢٤٠هـ، لم تبعد مقالتي التي أظن، والله أعلم بالصواب.

---

[١] أبو عبدالله محمد: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٢] أبو الحسن أحمد: ملك من ملوك النباهنة ، لم نعثر على ترجمة له.
[٣] أبو محمد نبهان: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٤] أبو عمر معمر: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٥] أبو القاسم علي: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٦] أبو الحسن ذهل: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٧] أبو العرب يعرب بن ذهل: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.

الشيخ الأديب الفصيح سعيد بن محمد بن راشد بن معمرّ بن بشير المعروف بالغشري الخروصي اليحمدي لأزدي الشاعر المشهور:

فمن شعره، على قافية الراء،وقد سلسل بالحديث من تعبد إبليس الأول النحيس في السماء إلى بيعة الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي[1]، أيام حرب العجم بمسقط، وهي قصيدة طويلة، منها يقول شعراً:

ولقد أتت لبني خروص دولة	نبوية حتى استتار الدارُ
فزمانهم عيد الزمان وعرسه	بل وجهه والسمع والأبصارُ
نسخ الزمان ضياء عدلهم إذاً	وبدا على وجه الأنام نضارُ
ولقد سما فوق السّماك فخارهم	ولهم على كل الأنام فخارُ
ساسوا الخلايق دهرهم فخلايق	مرضية طابت فطاب نجارُ
كادت بعدلهم تقوم شهادة	بين الورى الأحجار والأشجار
صلت بن مالك الأمام المرتضى	دانت له أمصارها وظفارُ
وابن ابنه وهو الخليل أحبّهُ	من عدله العبدان والأحرارُ
فثلاث عشرة بيعة مشهورة	لبني خروص جاءت الآثارُ
ما فيهم من مقسط أبدا ولا	في حكمهم بين البرية جاروا
واتى بن نور قايداً لجيوشه	لم تبق آثار ولا أنهارُ
قتل الإمام المرتضى عزاننا	ولرأسه قد كوفر الكفّارُ

[1] الإمام بلعرب بن حمير: الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي، بويع بالإمامة سنة ١٧٣٨ م، بعد وفاة سلطان بن مرشد اليعربي في صحار متأثراً بجراحه التي أصيب بها أثناء حربه للعجم، وبعد وفاة الإمام سيف بن سلطان الثاني في الحزم، والتف أنصاره حوله في نزوى فطلب منه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي بعدما طرد الفرس من السواحل العمانية التخلي عن الأمر، لكنه رفض، ووقعت بينهما معركة ضارية في بلدة فرق قرب نزوى، فقتل بلعرب ومعه عدد كبير من جيشه، وعقد العلامة الشيخ حبيب بن سالم بن سعيد آمبوسعيدي الإمامة للإمام أحمد ابن سعيد آلبوسعيدي. وبذلك يكون بلعرب بن حمير آخر أئمة اليعاربة، وكان مقتله سنة ١٧٤١ م. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين وزراة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.

وببركـــة الإســـلام حلّـــت نقمـــة بالقائـــد الـــسّفاك ثـــم شـــنار [٧٦٠]
أكلته نـــاره حـــين يكتـــب طرسـه لـــم تحمـــه الفرســـان والأوتـــارُ
وكذا المهنـــا عـــادل بـــين الـــورى ذو هيبـــة للمعتـــدي قهّـــارُ[١]

وقد تباريا، هو والشيخ القطب الرباني الرئيس أبو نبهـان جاعـد بـن خمـيس، فالمصراع الأول من هذه القصيدة روايته هنا لأبي نبهان، والثاني للـشيخ الأديـب سعيد بن محمد الغشري، المذكور آنفاً.

أئمتنـــا لهـــم كـــل الفـــضائل وإن لهـــم علـــى النـــاس الطوائـــل
وكـــل النـــاس كـــان لهـــم قـــديماً وقد كـــانوا جبـــالاً فـــي الـــزلازل
فمـــن لـــي مثـــل وارث بـــن كعـــب إمـــام عـــادل بطـــل حُلاحـــل
وصـــلت نجـــل مالـــك والمهنـــا لقد نـــشروا مـــن العـــدل العلائـــل
كـــذلك نجـــل شـــاذان خليـــل حمـــى ديـــن الإلـــه عـــن الأراذل
وصـــلت نجـــل قاســـم فهـــو عـــدل إمـــام لـــم يخـــف فـــي الله عـــاذل
وابـــن تمـــيم عـــزان فحـــسبي غداة الـــروع مـــن بطـــل مناضـــل
وصـــلت الخيـــر وهـــوفتى خمـــيس إمـــام فـــي الفـــرايض والرســـائل
وخاتمـــة الأئمـــة مـــن خـــروص فـــلا تنـــساه مـــن كـــرم الـــشمائل
فعـــامر نجـــل راشـــد ذو الأيـــادي إمـــام زاهـــد زاكـــي الخـــصائل
وغيـــرهم فـــلا يحـــصي نظـــامي مـــصابيح الـــدياجر فـــي المحافـــل
هـــم الأبطـــال والأبـــدال كـــانوا فما تركـــوا مـــن الفحـــشاء باطـــل
هـــم للمكرمـــات وللمعـــالي وهـــم وضـــحوا بـــراهين الـــدلائل
هـــم الراقـــون أعلـــى كـــل مجـــدٍ ترى فـــوق النجـــوم لهـــم منـــازل

---

[١] انظر نص القصيدة كاملة في ديوان الغشري، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمـان، مسقط، ص ١٥١ – ١٥٢.

هـم حـصن البرايـا فـي الزرايـا إذا ظلـم الأيـامى والأرامـل
هـم الـسادات حـسبك للبرايـا معاقـل فـي الـشدايد والنـوازل
وهـم غيـث الأنـام وهـم أسـود إذا اعتقلـوا الـصوارم والـذوابل
هـم الزاكون أخلاقـاً ودينـاً إذا في الغي قـد جمع الأسافـل

ففخـرهم سـما عـن كـل فخـر فلـيس البحـر تـشبهه الوشـائل
فهـل فـي النـاس مـثلهم فخـاراً فـلا فـي العـالمين لهـم مماثـل
فـإن أبـصرت مـثلهم فقـل لـي فحاشـا مـا الثّواقـب كالجنـادل
فـلا معـشار عـشرهم تـرى فـي المناقـب والمعـالي والفـضائل
فـصيّرنا الزمـان ولا عتـاب رعايـا بعـدما قـدنا الجحافـل
فـصبراً ثـم حمـداً ثـم شـكراً علـى زمـن أتانـا بالغوائـل
على المختـار خيـر الخلـق طـراً شـفيع للأواخـر والأوائـل[1][٧٦١].

وقال الشيخ سعيد بن محمد العشري أيضاً في الأيام وأحداثها وتضاربها، شعراً:

جـزى الله أيـامي بخيـر لأنهـا أرتنـي علـى تكـرارهنّ العجايبـا
وصرت بصيراً بعدما كنت جـاهلا لكثـرة إتيـاني بهـنّ التجاربـا
فليس عل الشيب الـشباب مفـضلاً حليمـاً ولا أيامـه صـرت نادبـا
تفاضـلت الأشـياء لكـن بونهـا تقاصر عـن بـون الرجـال مـذاهبا

---

[1] بعد البحث و التدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة بين أشعار العلامة الشيخ جاعد بن خميس الخروصي التي ما تزال مخطوطة. حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ومن قد خلا من ستة فهـو خامـل حياً أو يكن كـاس المنيّـة شـاربا
فعلم وزهـد والـشجاعة يـا فتـى ومال جزيـل فـي الـشبيبة كاسـبا
وهيبـة سـلطان قـويّ وناسـك عميم على العافين قد صـار سـاكبا
فدونك آلات الوجاهـة مـن يـرى قعوداً على كـور الوجاهـة راكبـا
وما كـالتقى مـن يبتغـي لوجاهـة بدنياه والأخرى فـلا يـألو راغبـا
ألا فـاطرح مـدح الأنـامِ وذمهّـم وكن للـذي يُرضـي إلهـك طالبـا
فإن كنت يوماً هكذا صـرت سـيداً مطاعاً وسـاميت النجـوم الثواقبـا
ألا فاصحب الأكياس والكأس خلّـه وأصـحابه والغانيـات الكواعبـا
وكـن حازمـاً ذاهمّـة متيقظـاً وأنشبْ إلى العليـاء منـك مخالبـا
عسى دونك الجوزا تكـون حفيظـة وللـزّمن الغـدّار تقهـر غالبـا[1]

وله أيضاً حكمة رائقة، وعظة فائقة، لمن كان به قلب وآله في سمع:

كفـى عظمـة للمـوقنين بـسايقٍ يسوق الورى حثّاً إلـى يـوم موعـدِ
كـذلك بـالقرآن للمهتـدي هـدى بزجـر عظـيم رادع وتّهـددِ
هو الموت ما عنه محيص وملجـأ لـسادة أمـلاك كـرام وأعبـدِ
فكم رشـقت سـهم المنيـة يافعـاً كـذلك أيـضاً عنـد شـيخ وأمـردِ
وكم وسدت تحت الثرى باختطافهـا من الكاعبـات النهـد العـين خـردِ
فلا تأمننّ المـوت طرفـة نـاظرٍ ولا تقطـع البيـدا بغيـر تـزوّدِ

---

[1] ديوان الغشري، ص ٤٨. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

أمولاي فارحم ضعف حيلي وقوتي ... ولا تأخذني بالذي كسبت يدي
عصيتك كالمقهور حين يقودني ... هوى النفس والشيطان خلع مشردي [٧٦٢]
فلا حجة هدي لديك وليس لي ... سوى باعترافي أنت ذو الطول واليدِ
فيا عجباً من ليس يدري قراره ... جنان العلي أو في عذاب مخلدِ
يكون غدا أنى تقر عيونه ... وينعم عيشاً أو يقر بمرقد
ولكنّ فالآمال فضل و نعمة ... بها الناس عاشوا في أمان مجدد
ولو لم يكن لم يهن نومٌ لعاقلٍ ... ولم يحلو عيش مع شراب مبرّدِ
فطوبى لعبدٍ راقب الله دهره ... وبالسادة الغرّ الميامين مقتدِ[١]

وقال أيضاً يمدح النبي محمد، صلى الله عليه وسلم:

خطرت تميس تبختراً وتأوُّدا ... فضحت بذاك الخطر بانا أملدا
جاءت تجرُّ الأتحمي وراءها ... والنشر مسك حين وافاه الندّا
خوف الرقيب تجردت من حليها ... ما الرأي في نشر علا وتبدّدا
هيفاء ناعمة رداح كاعب ... رياّ الخلاخل ذات فتك واعتدا
حوراء قد سحرت بطرفٍ أحورٍ ... كم أوردت من عاشق حتف الردى
وتريك وجهاً كالغزالة مشرقاً ... وأثيث فرعٍ كالعثاكل أجعدا
باتت تحدثني فتبسم تارة ... فرأيت ياقوتا ودراً قد بدا
وقد اجتمعنا ما احتواه إزارها ... حجر وحلٌ كل ما تحت الردّا
قد بتُّ أجني ما ألذُّ واشتهي ... ياليت هذا الليل ليلاً سرمدا

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

مـــا بـــين رمّـــان وورد يـــانعٍ ولذيـــذ نحـــلٍ أو نميـــر بُـــرّدا
فوصـــالها قلـــب الـــسليم مبـــرّد وحديثها يـــشفي العليـــل الأرمـــدا
فلعلها خرجت مـــن الفـــردوس مـــع أترابهـــا وأتـــت تـــزور الأســـعدا
جعلـــت تعـــاتبني لتعـــرف بـــاطني وتقول خنت وما وفيـــت الموعـــدا

فألنت قولي ثم قلـــتُ لهـــا اســـمعي مـــا مـــال قلبـــي عـــنكمُ وتـــرددا
إن كنت خنتك في المحبـــة طرفـــة فهجـــوت خيـــر العـــالمين محمـــداً
وجحدتـــه التوحيـــد فـــي أفـــضاله وزعمت أن لـــه شـــريكاً فـــي النّـــدا
وقرنتـــه فـــي العـــالمين بواحـــدٍ شـــرفاً وعليـــاءً تطـــول وســـؤددا
من كان في كتـــب الإلـــه مديحـــه طّراً وفـــي الـــذكر الحكـــيم ممجـــدا
هـــل نـــاطق بفـــمٍ يُطيـــقُ صـــفاته أو عـــشر معـــشار يكـــون مُعّـــددا
كّلا وحاشا وهـــو أفـــضل مرســـلٍ وطـــأ البـــسيطة والـــسماء ألابعـــدا
لـــولاه مـــا دنيـــا ولا أُخـــرى ولا وضح الصراط ليقتديه من اقتدا [٧٦٣]
لولاه ما ســـمك الـــسماء ولا بهـــا جعـــل النجـــوم بهـــنَّ لـــيلا يهتـــدا
لـــولاه مـــا بـــسط البـــسيطة ربنـــا ولها لقـــد أرســـى الجبـــال الجلمـــدا
لولاه ما الأفـــلاك دارت لـــم تـــزل كـــلاّ ولا شـــمس ولا قمـــرٌ بـــدا
لـــولاه مـــا صـــبح منيـــر لا ئـــح متلألـــيء نـــسخ الظـــلام الأســـودا
لولاه ما اختلـــف الريـــاح لواقحـــاً ونـــشا الـــسحاب بـــسرعة فتبـــددا
لولاه مـــا جـــاد الـــسحاب بمائـــه غـــدقاً ولا بـــرق ورعـــد أرعـــدا
لولاه ما البحـــر العظـــيم ترادفـــت أمواجـــه تتـــرى وأصـــبح مزبـــدا
لولاه ما أضـــحى المطيـــع بجنّـــةٍ والمـــشرك العاصـــي بنـــار خلّـــدا

لولاه مـــا إلا ســلام صـــار بعـــزّة		مترفعـــاً والكفـــر صـــار مـــشرّدا
لــــولاه مــــالتواب بعـــد عمائـــه		وضــــلاله نــــال النعـــيم الـــسرَّمدا
لــــولاه مــــا أمّ الحجـــيج ليثـــربِ		وبـــأثره حـــادي المطايـــا قـــد حـــدا

طابت بطيب الهاشمي وخيّم المعـــر		وف فـــــي ســــاحاتها وتمهــــدا
قد راودته الـــشم مـــن ذهـــب فمـــا		تاقـــت إليهـــا نفـــسه وتزهّـــدا
هو صفوة الرحمن بـــل هـــو حجّـــة		للّـــه وهـــو علـــى البريـــة أشـــهدا
فاختـــار فقـــراً زائـــلاً متكرّمـــا		واعـــتّم ســـربال القناعـــة وارتـــدا
وهو المجاهــد فــي الإلـــه بنفـــسه		وهو الـــذي بيـــت المفـــاخر شـــيّدا
والله أرســـــله بنـــــور رحمـــــةً		للعـــالمين بهـــا الأنـــام تغمّـــدا
وبحجّة حـــسم الـــضلال ضـــياؤها		فغـــدا الـــشقّيّ بريبـــه متـــردّدا
وهو الـــشفيع لمـــن حـــواه محـــشر		يـــوم الحـــساب وراق ذاك الموعـــدا
فالأنبيـــا والرســـل ثـــم ملايـــك		لا ذوا بــــه إذ عـــاينوا أمـــراً بـــدا
حسب النبـــي بمـــا حبـــاه إلا هُـــهُ		مجـــداً وتـــشريعاً يتـــوق الفرقـــدا
وبـــداه قبـــل عتابـــه بـــالعفو هـــل		أحـــد بعفـــو مـــا ســـواه يُبتـــدا
لم يدعه في الـــذكر يومـــا باســـمه		كدعائـــه للمرســـلين مـــع النـــدا
صـــلى عليـــه الله مـــع أصـــحابه		والتـــابعين ومـــن تمـــسّك واقتـــدا
بعداد ما يبـــرى ومـــا هـــو خـــالق		لا تنقضي موصولة عدا المـــــدا[1]

---

[1] انظر القصيدة في ديوان الغشري، ص ١٢٩-١٣١. مع اختلاف كثير في مفردات القصيدة .

وله أيضاً في عمان وعظم دائها، وعدم مداويها:

عمـــان تفـــشى داؤهـــا وتطـــوّرا ... فأين طبيب القـــوم يبـــري الحبـــوكرا
وأين الفتى النطيس يرجابـــه الـــشفا ... لـــداءٍ دفـــين فـــي القلـــوب تـــسرسرا
أيرجى شـــفاء والرجـــال تقاعـــسوا ... وحربانٍ صاروا في المدائن والقرى[٧٤٦]
فإمـــا ظلـــوم للفـــســـاد مـــشمرّ ... وإمـــا لبيـــتٍ بالخـــــمول تـــدثّرا
فيا شـــهداء الله فـــي الأرض هـــذه ... محجـــة ربـــي تـــستبين لمـــن درى
فيا حيـــرة هـــذا الكتـــاب أمـــامكم ... وهذي ســـيوف الهنـــد والـــدين يُـــسّرا
ويتلوه في وقت العشيات والـــضحى ... به الحـــق وضّـــاحٌ لمـــن قـــد تـــدثّرا
وأنـــتم بحمـــد الله ملـــح بـــلاده ... بكـــم يهتـــدي مـــن للرشـــاد تنـــوّرا
وديـــنكم ديـــن قـــويم ومـــا بـــه ... اعوجاج كمن للحـــق بالقلـــب أبـــصرا
ومـــا الحـــق إلا كامـــل بتمامـــه ... فلا يتحرى وهـــو للجـــور قـــد صَـــرَا
وحـــذَّركم مـــن خـــصلتين فإنهـــا ... هلاك وشـــؤم فعلهـــا صـــارع الـــورا
فمـــا طمعـــو ثـــم التـــداهن بيـــنكم ... ولله يبـــــدو كـــــلّ شـــــيء تـــــسترا
وإن سوقة يوماً عتت لـــم يـــضرنا ... وإن دخـــل الملـــح الفـــساد فمـــا ثـــرا
وليس عليكم فوق مبـــذول جهـــدكم ... ومـــن بـــذل المجهـــود يومـــا تعـــذرا
فمهما تواليتم علـــى نـــصر ديـــنكم ... تمـــوت أعـــاديكم بغـــيظٍ تحـــسّرا
وليس على الساعي يكـــون موفقـــاً ... ولله تقـــدير علـــى الخلـــق سُـــطراً
وهـــاكم إشـــارات لكـــل مهـــذّب ... بها الحقُّ يبـــدو ســـاطعا قـــد تفجـــراً
وصلى على المختار مـــولاي كلمـــاً ... هما صـــيّب وقـــت العـــشي وأمطـــرا
وما رنحت بـــان الغـــوير شـــمائل ... وهبّ صـــباً وقـــت الـــسُّحير مبـــشراً
وما طاف حول البيت للّـــه طـــائف ... وحـــــي على داع إلا له وكبـــــــراً[١]

---

[١] المرجع نفسه، ص ٢٠٥-٢٠٦. مع اختلاف كثير في مفردات القصيدة .

وقال أيضاً وعظاً وحكمة:

وقفـــتُ علــى الأطلال من بعد أهلهــا وساءلتُها عـــنهم فلـــم تـــستمع ركـــزا

أجابت صموتاً شــرّد القـــــوم حـــتفهم وهزّعليهم صــــارمات الــــرّدى هـــزّا

وألبسهم فـــــي التُّـــرب ثـــوب مذلّـــة وقد طال ما اعتمـــوا بأيـــامهم عـــزا

وقـــد جرّدوا سيف المظـــالم في الورى وازوا بسوط الجور كـــل الـــورى أزّا

فأين هم صـــــاروا وأيـــن جيادهـــم تفـــزُّ بهـــم فـــي كـــل حادثـــة فـــزّا

وأيـــــن غـــــوانيهم فعهـــــدي كأنهـــا شـــموس تَجـــر ّالأتحميَّـــة والخـــزّا

وولـــدانهم مثـــــل البـــدور تبـــادروا وقد وُشِّحُوا الإبريـــز واشـــتملوا قـــزّا

فمـــاتـــوا ولم يبق لهم غيـــر وزرهـــم كأن لم يكونوا أمـــسهم للحمـــى عـــزّا

ألا فافتِتَـــي إن كنـــت أبـــصـــر تـــاجر بضائع من تقوى و جزَّ الهـــوى جـــزّا

فـــربح بـــضاعات القيـــــامة جمّـــةٌ ولا تقتنـــي يومـــاً عقـــاراً ولا بـــزّاً

ولا تـــكُ ثرثـــاراً ضحوكا مشقشقـــــاً ولا تتعوّدن النميمـــة والغمـــزا [٧٦٥]

وكـــن خاشعـــاً بيـــن الورى متواضعـــاً تُعافى ولا تخشى مطـــالاً ولا وكـــزا

لعلك فـــي الجنـــات تحظـــى بحورهـــا ولم تخش في النيران كّيـــاً ولاكـــزّا[1]

وقال يمدح السادة الملوك من بني خروص:

شمس تـــراءت لنـــا أم نـــور مقبـــاس أم بـــدر تـــمّ بـــدا ميقـــات أغـــلاسِ

أم ظبية الإنس فـــي أترابهـــا بـــرزت مـــن كـــل فتّانـــة العينـــين ميّـــاسِ

رجراجه الـــرّدف لفَّـــاء إذا خطـــرت تصبي الحلـــيم برنَّـــاتٍ ووســـواسِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢١١. مع اختلاف كثير في مفردات القصيدة .

تريــــك درّاً ومرجانـــــاً إذا ابتــــسمت نــشر القرنفـــل يبــدو بــين أضـــراسِ

بها اصفرار بيــاض مــن تــضمُّخها بـــــــالزّعفران ومـــــــاورد وأوراس

تجرّ أذيال مرط فــي التــراب علــى لبأتهـــا عـــسجدٌ أمثـــال مقبـــاس

هيفــا كعــوبٍ لعــوب غــادة فتنــت نعيمـــة الجـــسم لكـــن قلبهـــا قاســـي

لطيفـــة القـــدّ لا طـــولٌ ولا قـــصرٌ صـــقيلة الخـــدّ لعـــساً ذات إينـــاسِ

تــسلي فــؤاد ضــجيع مــن بلابلــه ومن هموم ومــن بــؤس ومــن بــاسِ

كــم قانــتٍ ناســكٍ لمـــاّ تلمّحهـــا قادتــــه للّهــــو تكليفـــــاً بـــــأمراسِ

قل للمريض الذي طــال الثــواء بــه وصــــار فـــي حـــدّ إتـــلافٍ وإبـــلاسِ

مــن شـــف ريقتهـــا ترياــق علّتـــه بـــذاك قـــال الطبيـــب الحـــاذق الآســـي

يا حبــذا زمــن ربــع الــشباب بــه وتـــاج رونقـــه يبـــدو علـــى راســـي

دهر تــذكَّرت وصــل الغانيــات بــه تصاعدت عند ذكـــر الوصـــل أنفاســـي

وحبـــذا ليلـــة لَـــمَّ الحبيـــبُ بهــا زارت علـــى رغـــم نمّـــامٍ وجَـــساسِ

غازلتهـــا سَـــمَراً باتـــت تحـــدثني وتنثـــر الـــدرّ لـــم تخـــش لحـــرّاسِ

ثـــم انـــدرجنا بتـــذكار الملـــوك هـــمُ بنـــوخروص ملـــوك غيـــر أنكـــاسِ

كانوا شموس عمــان فـــي حنادســـها وغيثها في الطّوى بل طودهـــا الراســـيِ

هل مـــن ملـــوكهم نـــسل بقـــي لهـــم أم كلهـــم أودعـــوا أطبـــاق أرمـــاسِ

قالـــت نعـــم ولهـــم ســـيما بـــأوجههم وهمـــة ســـمكت فـــي ســـاعة البـــاس

عِرْقُ الكـــرام لهـــم قـــد دسّ مكرمـــة والعـــرق إن مـــرّ دهـــرٌ أيُّ دسّـــاس

مـــا فـــي نـــواديهم لغـــوٌ ولا هـــزل إلاّ الـــتلاوة مـــن صـــدر وكـــرّاسِ

ما ضعضع الدهر همّات لهم أبداً ... ولا استكانوا لفكّان وطهماسِ
الزاهدون ملوك لو ترى لهُمُ ... أسمال فقرٍ فلا تنظر للبّاسِ
يرجا الشفاءُ وإن طال الزمان بهم ... نبذاً لدعوة وسواس وخنّاس
ما ضرّ من عثر الدهر الخؤون به ... لّما توارى بآداب وأجناسِ
وبعد حمد إلهي فالصلاة على ... نبيّنا المرتقي عن كلّ أدناسِ[1]

وقال يمدح السابقين منهم، من الأئمة والسلاطين شعراً: [٧٦٦]

تريني صدوداً مالذي قد بدالكِ ... فعهدك قبل اليوم لست بفاركِ
أراعكِ مبيضّ المشيب بمفرقي ... فحوّل عمّا كان عهدي بحالكِ
ألم تريا أن الجديدين إن لم يزل ... يبّيض يوماً كل أسود حالكِ
أيبقى شباب يا ابنة القوم لامرئ ... سليل ملوك صار مثل الصعالكِ
إذا عظمت نفس الفتى في مرادها ... فما الجسم إلا واقع في المهالكِ
دعيني وتذكار الملوك الذين هم ... رقوا منزلاً فوق النجوم السوّامكِ
ملوك خروصٍ حين ينشر ذكرهم ... غدت كل أملاك الورى كالصعالك
فغيث الورى كانوا وكانوا غياثهم ... وكانوا شموساً في الليالي الحوالكِ
وتعجب من فرسانهم يوم عوتبٍ ... وأفعالهم عند القنا المتشابك
فما لعبت بين العزاوي جيادهم ... ولكنها لعّابة في المعاركِ
فلا ينسى أهل الفضل سابق مجدهم ... فما لهم في مجدهم من مشاركِ
لهم سيرة مشهورة نبوية ... بها كل ظلم عابس غير ضاحكِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢١٦-٢١٧. مع اختلاف في كثير من مفردات القصيدة .

فـــأملاكهم زيّ المـــساكين زيُّهـــم خشوعاً فما من مالك غيـــر ناســـك

هم الزاهدون المـــالكون نفوســـهم هم السالكون النهج خيـــر المـــسالكِ

هم عصمة الدنيا وأفـــلاك أهلهـــا هم الوفد للـــرحمن يـــوم الـــضنائكِ

فمن كان يوماً للمـــروءة حافظـــاً وللأدب الأسنا يـــرى غيـــر تـــاركِ

يضع لنسول القوم بـــاللين جانبـــاً وما وّطدوا أهل النهى غير هاتـــك[1]

وقال أيضاً يرثي الشيخ الرضي اللوذعي الوفي خميس بـــن مبـــارك بـــن يحـــي الخروصي[2]:

هو الخطب حتى صار كـــلُّ معظّـــم حقيراً وجـــادت مقلـــة العـــين بالـــدّمِ

لطود ثوى من آل أزد بـــه احتمـــت قبائـــل شـــتّى مـــن نـــزار وجـــرهمِ

خميس فـــنفس واحـــد غيـــر أنـــه به قد غنينـــا عـــن خمـــيس عرمـــرمِ

إذا شهرت أعـــداؤه الـــسمر والقنـــا كفـــى قلّـــم منـــه بخـــطٍ منمـــنمِ

لـــه ســـيف رأي لا تطيـــق لقـــاءه ثمـــانون ألفـــاً مـــن شـــجاعٍ مقّـــدمِ

لقد نـــال ســـلطاناً ولكنـــه اكتـــسى التواضـــع حتـــى كـــالفقير المعـــدمِ

وخـــوّل أمـــراً نافـــذاً غيـــر أنـــه تـــسربل بـــالحلم الـــرزين المخّـــيمِ

فمات وما ماتت أياديه فـــي الـــورى يعّـــددها الـــراوون فـــي كـــل مجـــثمِ

مصيبتَهُ ما خـــصّت الأزد وحـــدها ولكنهـــا عّمـــت علـــى كـــل مـــسلمِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢٨٥. مع اختلاف في كثير من مفردات القصيدة .

[2] خميس بن مبارك بن يحي الخروصي: لم نعثر على ترجمة له.

هـــي الأري جاءتنـــا بـــأمّ حبـــوكر مفتتـــة الأكبـــاد مـــع كـــل صـــلدمِ
ولكنـــــه حـــــتم قـــــضاء إلهنــــا على كـــل صـــعلوك وشـــيخ مكـــرَّمِ
رضـــينا بحكـــم الله فينـــا وعدلـــه تعالى إلهي من كريم ومـــنعم [٧٦٧]
ألايـــا بنـــي الـــدنيا فإنَّـــا وأنـــتمُ ســـكارى حيـــارى فـــي غرورمُـــدَهَّمِ
تكالَبْنـــا فيهـــا غـــرورٌ وباطـــلٌ على غيـــر شـــيء كالخيـــال المـــسلّمِ
ألا كلُّنــــا داء الجنـــــون برأســـــه سوى السّادة الزّهاد مـــن كـــل أشـــهمِ
أمـــا كـــل جمـــع زائـــل ومفـــرّق وهـــل كـــلُّ حـــيٍّ للثـــرى بمـــسلّمِ
ألا إن مـــن آمالنـــا قـــد تعجَّبـــت وأزرت بهـــا آجالنـــا حـــين ترتمـــي
فما طلب الدنيا فتـــى غيـــر جاهـــل وما نبـــذ الأخـــرى فتـــى ذو تفّهـــمِ
وصلى إله العرش ما عسعس الدجى على المصطفى الهادي النبي المكرّم[١]

وقال أيضاً في رسالة لجماعته وعمومته وفي وصف ديارهم:

ألاقل لبني شاري من الأزد يـــشكروا إلهـــاً علـــى دارٍ تعـــج نهورهـــا
بهـــا جنتـــان عـــن يمـــين ويـــسرة بهـــا اختلفـــت أشـــجارها وخمورهـــا
بها سور صخر سامك الطود بـــاذخ ألا اكرم بدار شـــمّخ الـــشّم ســـورها
إذا بعمان ليـــل خـــوف تعسعـــست حنـــاد ســـها لمّـــا تـــوارت بـــدورها
وفي أهلها نـــار الحـــروب توقـــدت إذاً وريـــاح الجـــور هَّبـــت دبورهـــا

---

[١] انظر القصيدة في ديوان الغشري، ص ٣٦٠-٣٦١. مع اختلاف فـــي كثيـــر مـــن مفـــردات القصيدة .

تطلعّ فجر العــدل فـــي عرصـــاتكم وهـــب نـــسيم الأمـــن ثـــم ســـرورها
سقى الله غاب الأسد من وابل الـــسما ملّثـــا متـــى دارت عِـــشًى وبكورهـــا
ســـتالا وعلياهـــا وبلـــدان بينهـــا كـــذلكم ســـونى وطـــاب هجيرهـــا
فمثل عمان فهـــي شـــخص مكـــرّم وسّـــــيد دنيانـــــا إذاً وأميرهـــــا
فـــواديكم وجـــه وعليـــاء عينـــه وظل عريش الحيـل منهـا بـصيرها
فهذا بعصري و الخطـوب شـريعة ولم أر مـــا العقبـــى يعـــود مـــصيرها
ألا يـــــالقومي نعمـــــة الله قيّـــدوا بإحـــــسانكم إن الـــــزوال كفورهـــــا
فأسلافكم كانوا ملوكاً على الـورى بإحـسانهم و العـدل للقـوم نورهـا
بإحـسانهم سـادوا ولمّـا يخـالفوا ودان لهم سـهل القـرى ووعورهـا
فكن محـسناً قـولاً وفعـلاً لتقتنـي عريـسك والأيـام وشـكا فرورهـا
وصلي على المختار مـولاي كلَّمـا هما صيّب وانهـلّ منهـا نميُرهـا[1]

وله خطبة في المأكولات والمشارب وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل نعمه التي لا تحصى، وليس لها غاية ولا أقصى، حمداً جزيلاً عدد ما خلق وبَرى، وما يخلق في المستعد إلى يوم الطامّة الكبرى، الـذي رزقنـا رطباً جنّياً وخبزاً مطوياً، ولحماً مشوياً، ومن بجامعة الألباب على الأنـام [٧٦٨] وجعلها من طيب المأكولات والطعام، وأحلّ من فضله لحوم الأنعام، نعمة جليلـة

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

تعرفها الأفهام، صنعة الأبازير، من شواء وضعيف وقدير، وجعل لنا الأرز من مكان سحيق نعمة جليلة بتحقيق، فكيف إذا أضيف الأرز باللحوم وكشط السمن والأبازير والشحوم، وأنضج بنار لينه، وأُترك ساعة هّينه، ونقل من القدور إلى الصحون، وتحقق للأكل المظنون، فرمقت إليه الأحداق، وامتدت إليه الأعناق، وترفقت على الصحون الرفاق، فحينئذ تسمع للحناجر وجيبا، وللأسنان صلصلة وقشيبا، فأدبرت عساكر الجوع مهزومة، حين رأت فرسان الشبع مزمومة، فيالها من وقعة يذهب منها البؤس، وتطيب منها الخواطر والنفوس، ومعركة ما بها من جريح ولا قتيل، ولا صياح ولا عويل، ثم جيء بالشنجال والحلاوات ألوان، وفواكه مختلفة ورمّان، فاستجرت رماح الأكل تارة،حتى وضع الحرب أو زاره، وردف بالأبلوج وملال الصّين، وصُبَّ عليه من ماء معين، فيالها من نعمة إن اعْلَتْها السُّكّر، ويالها استدراجات، إن من قرنها الكفر، وصلى الله على محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد صنع أبو محمد بن سعيد المذكور مقامات عدة على منوال مقامات الحريري، فمن هذه المقامة المسماة مقامة السُّونية، فقال: روى اليافث بن تمام، قال: أجدبت أرضنا ذات سنة، حتى منع الطوى من السَّنة، وأقوت من الأقوات الربوع و المرابع، فلذا تجافينا من الجفا عن المضاجع، وأمسكت السماء عن الرجع، والأرض عن الصّدع، ولم يبق وسنان يغطّ، ولا بعين يأط، وطالما استسقينا، فلم نسق ديمه، فحينئذ أزمعت الترحال إلى سوني القديمة، فلم أزل أنجد وأغور، وأقطع الدّمث والوعور، والصحاري والصخور إلى أن وافيت جنابها الرحيب، وروضها العشيب، وزهرها القشيب، فما لبث إلاَّ لمحة ناظر، أو كخطفة طائر، حتى رأيت الجماعة

ينقضّون، ولا انقضاض الشهب، ويوفضون، ولا الوفوض على النصب، فبـادرت مع الزمر، لا أعلم ما الخبر، فإذا بنادٍ رحيب، قد حوى الأحمق واللبيـب، وأهـل العرف والمعرفات، واجتمعوا، ولا الجمع بعرفات، فإذا بوسط الدّست كهل أعرج، متكيء على عصى أعوج، قد اكتسب خلة الزّهادة، وعليه سيما العبادة، وقد تلـثّم بطرته، وأظهر بعض غرّته، وهو ينادي بلسان سلق، وصوت صهـصلق: [٧٦٩] أيها الناس: ذهب الوفاء وغاض، وتفجّر الغدر وفاض، وضرّس الدهر بأنيابه على الكرام فعضّ، وأناخ عليهم بجرانه فرضّ، وقطع ريش جناحه فهض، وبـتّ منـه الخوافي فحض، وعصفت عواصف البخل فهبّت، وغمضت عيون البذل فما هبت، وتوقدت نار الباطل فشبّت، وتقاعست فتية الحق فما شبّت، وأنفـذ الحيـا فـذهب، وحُصن الرغيف ولا تحصين الذهب، ورفض الفقير، ولا رفض الكنيف، وصعرت عنه الخدود ولا تصعير المخيف، فهل من حرّ مغيث لأعرجٍ مستغيث، قد غـادره الدهر لقا، بعدالمملكة والارتقا، والحجبة والحجب، والكتايـب والكتـب، والكنـوز والبزّة، والجوائز والعزّة، والصوارم والـصواهل، والـذوابل والـذّلايل، والعلـم والأقلام، والقلع والأعلام، واليعملات والعمـال، والحمـول والأحمـال. والملـح والملاحة ، والصبوح والصّباحة، والحلايل والحلل، والخلاخل والخول، والراحـة والراح، والأسرّة والسماح، والحبور والمحابر، والصبرق والصنابر، وكان جميـع ذلك في هجعة، أو كسراب بقيعة، قال اليافث بن تمّام: فرّق الجماعـة لذلتـه بعـد عزّته، وحبوّه لبلاغته ورثةبزّته، فجعل يحمدل شكراً، ويشيد للجماعة ذكراً، وأسرع يتعارج ولا عرج، ويتراوغ ليجهل منه المخرج، فقفوتُ أثره متوارياً، حتى أحـرّ الرقيب الساعيا، ثم أجفل إجفال حماره، وانساب مسرعاً إلى غاره، فتماديـت فـي

السعي إليه، حتى ولجتّ سربةً عليه، فإذا عنده شادن أقمر، وبيـده كـأس أنـور، وحياله شطرنج ومرمر، وحوله صحائف وصحاف، ومن الأطعمة أصناف، وهـو طوراً ينقش العود، وطوراً يتناول بنت العنقود، ويغرّد بتلاحـين، و يـرقص و لا رقص المجانين، وينشد بصوت رخيم، ولفظ مستقيم، وقال:

باكر صبوحك بالصباح ... واردف براحك في الرواحْ

فالراح فيها راحة ... تجلو القلوب من التراحْ

بعض النعيم وكلّه ... رشف الثغور مع القداحْ[1]

فقلت له: أخزاك الله. أنسيت مولاك؟ ومن نعمه أولاك، ولم تراقب رقيبك، حتى نسيت من الله نصيبك، فقال: ذرني أتقلّب في النعمة، وربك الغفور ذو الرحمة، وأجن الثمر، وأستفد ودع العود ولا ضرم، وواسي نفسك ولا تبخل لخيرك، ولا يضرُك عبسة غيرك، ثم صمت موجماً، وأنشد مترنماً شعراً: [٧٧٠]

و لمّا رأيت المكر في الناس باديا ... تماكرت حتى قيل أنّي ماكرُ

وأنشبت أظفاري لأظفر بالذي ... تعاظم من أن تحتويه الأكابرُ

وعرّجت حتى إن رقيت مراقياً ... تعالت سُمُواً دونهن المنابرُ

فكم بنفيس بلّغتني بلاغتي ... وعدت فلم تخفى علّيَّ الدّخايرُ

وكم فرس ذللّتها بفراستي ... وجادت فلم تبخل عليّ العشاير،[2]

---

[1] بعد البحث و التدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] بعد البحث و التدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ثم قال: كن كأهل زمانك، وعلى أُسلوب إخوانك، فإنه زمن لهــو ولعــب،ومجون مضطرب، وهزل وكذب، وخدع ومكر، ونفاق وغدر، قد استوى فيه النبيه والبليه، والجاهل والفقيه، والعاقل والسفيه، فتغلّب وتقلّب، وتماكر لتباكر، وتزندق لتصدق، فإنما اللبيب محروم، والزنديق مكروم، ثم أمسك عن الكلام، وقال دونك النظام:

ألا فــــاخلط الحــــق بالباطـــــل	ألا واتـــرك الــــشّؤم للعاقـــلِ
وكــن خــــاملاً مــع فتــــى خامــلٍ	وكن صـــارم الحــدّ مــع باسـلِ
وأرضِ الجلـــــيس بمـــــا يـــــشتهي	مـــن ســـاهر الجـــدّ أو خامـــلِ
وكـــــن فــــي المحاريـــــب مفتــــيهم	وارقص لدى الملعــب الحافــلِ
وأبــــدي المجــون لأهـــــل المجــون	وخــلّ الفــضول مــع الفاضــلِ
خــــذ الحاضـــــر النــــزر لا تلغـــه	ولا تـــشتري الـــسلم بالحاصــلِ
ودع مـــــــا تعـــــــسّر مطلوبـــــــه	فـــإن الـــسلامة فـــي الـــسّاحلِ
ولــو نلـــــت مـــــن باقـــلٍ بقلـــةً	فـــأخرّ بـــسحبان عـــن باقـــلِ
وخـــــــادع ومـــــــاكر ولا تـــــستمع	مقـــــال الملّـــــوم والعـــــاذلِ
تـــشارك بنـــي الـــدهر فــــي مـــالهم	ويحبـــــوك بـــــالحظ والنائـــــلِ
وقدّم متـــــــابك عنـــــد الفنـــــــــا	لكي تجتني الخير في الآجـــلِ[١]

فقلتُ: ما أحسن بنيتك، وأقبح نيّتك، وأفصح لسانك، وأخف جنانك، وأكذب طعنـك الهازل، وأبطل سيفك الباطل، تعمل عمل الأشقياء، وترجو رجاء الأتقياء، أيمهلـك الحمام إذا قدم، كلاّ بل فيحلّ بك الويل والندم، فقلت لشادنه: عليك بالله من هذا الذي بمكره خدع، وبوعظه صدع، فما هو إلا يوســفي الجمــال، وهامــاني الأفعــال، وسحباني الفصاحة، وساساني الوقاحة، فقال: هل يجهل أبو عبيد الفلوجي الذي هو

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

أزرى على الشروجي، فحينئذ طمعت برجوعه إلى المحجّة، حين لم ينسبه [٧٧١] إلى الملل المعوجة ، فقلت له: هل لك أن تقلع إلى المتاب ؟ وترغب في المآب إلى التوّاب، وتجمع بين حسنك وحسناتك، و تدارك غوايتك قبل وفاتك ؟ فقال: أتيـت لتشرب البحر، أو ليكن الهجر، هيهات هيهات والمرجع، حتـى اسـتودع البلقـع، فعلمت أنه مصرّ، وهذا إصرار إبليس، وإنّه للضالين قائد ورئيس، فحينئذ أيست له من الرشاد، وقرأت ﴿ومن يضلل الله فماله من هاد﴾[1]، فأيمنت بالحسنات، وأشأمت بالسّيئات، وأخبرت الجماعة بما رأيت من عجابه، وغيّه وإعجابه، فعضوا أنـاملهم عليه لهفوته، وكادوا أن يتميّزوا من الغيظ لحبوته:

الشيخ الممجّد ناصر بن محمد الخروصي:

الشيخ اللبيب الأديب الأريب الممجّد: ناصر بن محمد بـن سـليمان الخروصـي. السمائلي الشاعر الماهر، كان واحد زمانه وفريد عصره وأوانه فـي علـم الأدب وصياغة الشعر، وقد استعمل في غالب زمانه، الصمت، ورفض هدر الكلام، وإذا نطق أتي بحكمة تجلّها جها بذة العلماء الأعلام، و إذا سامره ، أديب حاذق، انبعث إليه منه نثر رائق، ونظم فائق، واقتنص منه حِكَماً واصلية، وبراعـات بلاغـات غزالية، فهو يذود الكرى عن أعين السمّار بفواكه النظم والأشعار، وطالما سامرته أيام اخضرار عود الصبى و سجسج ريح أريحّيته النايبة عن الصبّا، وجالسته فـي ضياء نهار، و هو في الذوق السليم ألذ وأعذب من مياه الأنهار، فلم أرمنه إلاّ مـا تقرُّبه العين، وينشرح به الصدّر، ويسرّ الحشاشة والقلب، فسقى الله تلـك الليـالي والأيام بوابل رحمته، ودفع عنها ثرة إسخاطه ونقمته، وما نظم الشيخ ناصر بـن محمد المذكور قصيدة، إلاّ وكان كلّ بيت منها بيت قصيد، وفرند فريد، ولّما صنع

---

[1] سورة غافر، الآية ٣٣.

الشيخ الفاضل القاضي الأريحي الأديب أبو الأحوال سالم بن محمد الدرمكي القصيدة التي مدح فيها السيد المعظم الممجد حمد بن سعيد بن الأمام أحمد، ومطلعها شعراً:

ما بين بابي عين سعنة واليمن سوق تباع بها القلوب بلا ثمن[١]

تصدوا لمناضلته ومناظرته عدّة شعراءً، وسُموا بميسم الأدب، فحرنت بهم سلاهبهم في أول الميدان، ورأوا في آخره العنى لكلّ طيار العنان، ولمّا أجرى الشيخ الممجد ناصر بن محمد طرفه، في ذلك المضمار قالوا: له قصب السبق، وقصيدته هي شعر الأشعار، وللّه در درايته وأدبه حين قال في منظومته المحضرة الذكر شعراً:

أنا بلبل الشعراء إلاّ قائل (ما بين بابي عين سعنه واليمن)[٢].

فانظر إلى أدب هذا الشيخ الفاضل واحتشامه الكامل، مع علمه أنه هو السابق، لم يرض أن يقول هو إلاّ لاحق ، فاستعمل لاء النفي عن الإثبات، وتلا للشيخ الدرمكي (أيات ثناء بيّنات). وهكذا ينبغي لكل أديب و حاذق أريب لبيب. وسمعت عن الشيخ العالم العلاّمة [٧٧٢] الحبر الفهّامة قطب عمان وشمسها وبدرها الفاضل

---

[١] انظر القصيدة كاملة في: الدرمكي، سالم بن محمد بن سالم بن محمد: ديوان الدرمكي، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، سلطنة عمان، مسقط، الطبعة الأولي ٢٠٠٠ م، ص ٣٠٨-٣١٠.

[٢] لهذا البيت روايتان ذكرهما ابن رزيق ، هذه أولاهما ، و انظر الثانية في آخر القصيدة .

الكامل المجتهد أبي نبهان الرئيس جاعد بن خميس، كان يفضّل قصيدة الشيخ الخروصي ناصر بن محمد المذكور على قصيدة الشيخ الفصيح سالم بن محمد الدرمكي، وهي التي مدح فيها السيد المعظم الممّجد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد، وحسب من شهد له أبو نبهان بهذا الشأن. وقصيدة الشيخ ناصر بن محمد الخروصي التي وازن بها قصيدة الشيخ سالم بن محمد الدرمكي هي هذه شعراً:

إن الهنا وافاك يا هذا الزمن   أنعم به ما الليل فيك لنا سكن
والبس برود الفخر حتى يوم ما   بالفوز يُقضى بين أهلك والغبن
لّما أتى فيك الذي عن وصفه   تتقاصر الأوهام في الفعل الحسن
فهو الذي لولاه ما عرف الهنا   أهلوك فيك ولا استقرَّبهم وطن
كلاّ ولا منك استذل لراكب   صعب ولا قيد الشموس بلا رسن
رب المحامد و الندى مولى الورى   حمدٌ إذا لي قيل تعني أنت من؟
نجل الإمام السيد المولى سعيد   ابن الإمام القرم أحمد ذي المنن
ذو الفضل تنتسب الفضائل والعلى   منه وتلك إليه إذ بسواه لن
البوسعيدي الكميّ ومن له   خضعت نزار وقد أطاعته اليمن
العارف المعروف بالمعروف إذ   في الناس شبّ به ومنه قد شدن
ينميه من قبل الخؤلة تبّع   في الناس فخر فهو ذو فخر ومن
ألقى له صرف القضاء أزمّة   التدبير في ذا الخلق وهو المؤتمن
لو أنه لليل يمسي ناهياً   عن أن يكون لما أدلهّم ولا دجن

والشمس في إشراقها فـــي شــرقها لــم تأتـــه حـــى تـــراه لهـــا أذن

فكـــسا المُـــوالي والمُعـــادي حُلَّتَــيْ نفـــع وضـّــر للـــسلامة والكفـــن

لسني لـــه بالبدر إسماً ارتضـــــي إذ قد علا فوق النـــجوم وقد قطـــن

ترك اللّعـــين وكلمـــا يرضـــى بـــه ولربـــه أرضـــى وللتقـــوى ركـــن

طلعت لنا من عدله شـــمس الرخـــا ثـــم انجلـــى عّنـــا بهـــا ليـــل المحـــن

وصفا من الكـــدر الزمـــان بنـــوره وأصطحت الأيام من مرض الفتن[٧٧٣]

واخضرّت الغبـــراء لمـــا أصـــبحت ملكـــاً لـــه والكّـــل مـــن فيهـــا ســـكن

حتـــى كـــأنّ ســـهولها ووعورهـــا والبـــرّ ثـــم البحـــر خلـــد أو عـــدن

كـــم مـــشكلٍ وثقيـــل أمرٍمعـــضل قـــد حـــلّ ذلـــك عقلـــه ولـــه وزن

ولَكَـــم علـــى أموالـــه وعداتـــه لتـــشتت مـــن غـــارةٍ شـــعواء شـــن

ولَكَم على الأسل الطوال مثال مـــن مهج العـــدى لمّـــا بهـــم فـــيهم طعـــن

ومتـــى تفـــارق بيـــضُه أغمارهـــا حلّـــت مفـــارقهم وواصـــلت الـــوجن

يمحـــو كتـــائبهم بهـــنّ وينمحـــي من صـــدره حقـــد لهـــم فيـــه كمـــن

ومتـــى أتـــين قلالهـــم فتخالهـــا بلغـــت أســـافلهم بـــلا شـــرخ وســـن

يجدون أنـــواع الـــشقاء إذا اســـتوى فـــوق الأشـــق وباللجـــام لـــه أعـــن

يتزلزلـــون ونـــازل عنـــه يـــرى خوفـــاً فكيـــف إذا بـــه لهـــم صـــفن

لم تلقَ هاماً فوق جـــسم إن مـــضى ســـيفاً ولا روحـــاً تراهـــا فـــي بـــدن

للّه من قلـــب بـــه عـــشق الـــوغى فتـــراه إن مـــا آن حـــن ّ لـــه وأن

أفنـــت مواهبّـــه خـــزاين مالـــه ولنفـــسه جَمْـــعُ المعـــالي قـــد خـــزن

يعطي من الإبريز ما لم يحصه ... أحد بوزن مائين أو آلاف من
وإذا بأرضٍ حلّ عسكر جوده ... فترى خميس الجدب عنها قد ظعن
وعلى فراق كنوزه يوم العطا ... لعيونها من حولها أصوات زن
ما للحوادث من سبيل على الذي ... عنها بحضن أمانه وبه احتضن
يا ثالث العمرين عش غيثاً لنا ... إن شحَّ بالغيث السّما بخلاً وظن
وابقا أميراً لا يرام عُلاك ما ... قلب المؤمل منك بالجود اطمأن
تقضي بما في الشرع مشروعاً و ما ... فرض الإله و ما له المختار سن
مولاي لولا حُبُكم بي ما اتى ... ذا الشعر عنّي فيكم نعم الحسن
قد كان عنّى قبل مدحك درّة ... في معزل متوطن وطن الشطن
تخفى ظواهره عليّ وحين ما ... أنستُ مدحك شمت منه ما بطن
حتّى أتيت بكلّما لسماعه ... هوت النجوم تشوقاً والبدر حن [٧٧٤]
سمع الزمان به فجاء مغنياً ... بين الورى وملوكهم منه بِفن
طحنت رحى فهمي جواهره لكم ... حُباً وودّكُمُ له حتى عجن
لو أن من دُرٍّ يكون الدهر ما ... ساواه في قدر الذي ما قد أكن
فاليوم باع نفيسةً لك نفسه ... فاشروا إن قيو لكم خير الثمن
لي شعره ولك المديح وللعدى ... والحاسدين البؤس منه والظعن
تعنوا له الشعراء إلاّ قائلاً ... ما بين بابي عين سعنة واليمن
فليعلم المتشاعرون بأنهم ... من وبله وشل هُمُ لمّا هتن[١]

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في أعمال الشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وللشيخ الفصيح ناصر بن محمد الخروصي عدّة قصائد، وما رضي أن يدونها أيام حياته، فذهب أكثرها بعد وفاته، وما بقي منها إلاّ يسير عند ولد الشيخ الناسك محمد ابن ناصر، وقد زرته في سنة ست وخمسين ومائتين وألف في بلدة سمائل، فأخرج لي بعض المسوّدات من شعر أبيه الشيخ ناصر، فلما قرأتهن، رأيت فيهن نوراً ولؤلؤاً منثوراً. وقد رثيت الشيخ ناصر المذكور بعد وفاته بقصيدتين، الأولى عددها ثلاثون بيتاً وهي:

دقّ الفكر فالمصاب عظيم ... وذر العين بالدموع تعومُ

وارفض الصبر إن لحاك ملوم ... فاستماع الملام منه أليمُ

أترى تستطيع كل اصطبار ... وحشاياك كلهن كلوم

قد فشى الغمُ فالخصوص من الهمّ ... إلى كل ذي وداد عموم

يالها من رزية جهل الحلم ... بتبر يحها اللّبيب الحليمُ

وأرى من عظيمها كل عظمٍ ... قبل مصح الجسوم وهو رميمُ

وأرى الأفق مظلماً لم ترَ فيه ... بدوره ولا تضيء نجومُ

وأرى الشمس في حداد كسوفٍ ... يفجع الطرف لونها اليحمومُ

مخبري بالنعي إذ عرّض الرزء ... وألقى التصريح منه الحكيمُ

هل أراد استبهام شان شهدنا ... صبحنا فيه وهو ليل بهيمُ

حسبهُ شؤمُهُ الذي كلُّ شهمٍ ... همُّهُ منه في الزمان الهمومُ

وفهمنا إذ قال أودى فتى الجود ... قضى ناصر الأجلُّ الكريمُ [٧٧٥]

نجل طود العلى محمد والحمد ... له والثنا حديث قديمُ

ساكب الدمع إن صوت المحبين ... رعود وإن جفني غيومُ

فاحتـــــسبها رزيــــة يتحـــسى | بحمــيم منهـــا الـــسحر الحمـــيم
صاح إن القـــراح أضـحى أُجاجـاً | في القـرى والـصبا النسيم سـمومُ
ومصاب الشهم الخروصـي صـاب | لمـــرء عقلـــه صــحيح ســقيمُ
حـسبه الفخـر إنـه عـيلم العلـم | ومنــــه لنــــا تفـــيض العلـــومُ
إنمـا النثـر فهمنـا منـه والخـط | ومنــــه لنــــا القـــريض النظـــيمُ
والذي من عيوننـا احمَّـر وابـيضَّ | عليــــه منـــــه عقيــــق وبــــومُ
وإذا جــالس الفقيــه فهـــيم | حـــصل الرشـــد منــــه والتعلـــيمُ
وعلى صـيغة القيـاس هـو الـرو | ح نــــراه لنـــا ونحـــن الجـــسومُ
قد قضى مذ قضى القرى ومن الثكل | كبيــــر القـــرى صــــفير يتــــيمُ
وانتعاش الـورى انتقـاض إذا فـا | ض عليهم في الـدهر عـيش ذميـمُ
قل لمن يطلـب العلـوم ولا يثنيـه | عنهـــا صــــباحه والـــــصريمُ
من لكتـب البيـان إذ بـان عنهـا | شـــيخها والـــذي لـــهُ التفخـــيمُ
من إلى النثر من إلى صيغة الـنظم | ومــــن ذالـــــه بهـــــا التحكـــيمُ
فالإيـاس الإيـاس يـا أيهـا النـا | س فـــإن الربـــوعَ طُـــراً رُسُـــومُ
وتموت الـديار مـن غيـر جـدب | بفنـــى مـــن بكـــل علـــم علـــيمُ
وبه تحبـى وهـي واهيـة الحـال | رســـــوم ممــــصوحة وطـــــسومُ
والـــذي يلـــزم الحلـــيم إذا مـــا | ت حلــيم مـــن رزئـــه التحلـــيمُ
ومصاب النبـيّ يـسلي المـصابين | عليـــــه الـــــصّلاةُ والتـــــسليم
صـــاحبي قـــل لابنــه لا عـدمنا | هُ ولا فاتنـــا ســـــناهُ الوســـــيمُ
إن مرآتــه لـــى بغيـــر مـــراءٍ | والمحبـــين جنّـــة ونعـــــيمُ

كيف لا وهو في الذي نطق الحمد عليـــه لـــــه صـــراط قـــويمُ
فعليـــه بالـــصبر إذ مـــا خـــلا الله مـــن المـــستحيل حـــي يـــدومُ
وثنانـــا علـــى أبيـــه وإن بـــان بينـــاً ففـــي الزمـــان مقـــيمُ
ولنا ذكــره هــو الــروض والأز هـــار والقطـــر والـــشذا والنـــسيمُ
فـــسقى قبـــره الغمـــامُ وحيّـــا ه بإكرامـــه الـــرؤوف الـــرحيمُ[1]

والثانية مرثيتي إليه أربعة وأربعون بيتاً من بحر الكامل مطلعها:

ديمـــاً تحـــدّر دمعـــك المـــسجوم الله أكبـــر فالمـــصاب عظـــيمُ
أو ما ترى والأمـــر لـــيس بمـــبهم إن الصباح دُجا بذاك بهـــيمُ،[2] [٧٧٦]

وأخبرني بعض المحبيّن أن الشيخ ابن محمد في أيام صباه، أراد شراء خنجر له من بعض الناس، فنهاه والده محمد عن ذلك، فبعث لوالده هذه الأبيات شعراً:

فمالي إذا ما رمت أمـــراً نهيتنـــي وأثنيتني عـــن بغيتـــي وزجـــر تنـــي
وظنّـــي لمّـــا أن أردت شـــرائه تعالجني كي مـــا لمـــا شـــئت تـــأتني
فدىً لك روحي مع تليدي وطارفي فكيف بلبسي خنجراً مـــا أمرتنـــي[3]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابـــن رزيـــق الأدبيـــة والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه .

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذين البيتين غير موجودين في أعمـــال ابـــن رزيـــق الأدبيـــة والتاريخية، حفظهما لنا في مخطوطته هذه.

[3] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات من شعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وأورد له أيضاً هذه الأبيات، بعثها لبعض سمّاره، فقال شعراً:

وصلت إلى المغنى فماذا الذي أغنى عن الوصل يا خلي وذخري إلى معنـــا
فيا ليت إذ وافيت ألفيت مــن يــرى برؤياك كل البــشر عــن ذلــك المغنــا
سروري من الــدنيا لقــاك فليتنــي إليك كقاب القوس في القرب أو أدنـــا[١]

وأورد له أيضاً هذا البيت:

بشراك يا بلدي ويا بشرانا باباي من زمني به قد زانا[٢]

وأورد له أيضاً في الغزل:

أمالي وصل منك و الفوز في الوصل أيا من ببعضي حبّه وهــو فــي كُلّــي
أأسلوك لمّا صار ذكــرك فــي فمــي ألذ من السّلوى و باينــت مــن يُــسلي
قتلـــت مُحّبـــاً بالـــصدود وبالجفـــا أمالك يامن مال بالصدّ عــن قتلــي[٣]

وكان للشيخ ناصر بن محمد نوادر كثيرة ومحاسن شهيرة، وكانت وفاته في بلـــدة سمائل.

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات للشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابـــن رزيق في مخطوطته هذه

[٢] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات للشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابـــن رزيق في مخطوطته هذه.

[٣] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات للشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابـــن رزيق في مخطوطته هذه.

الشيخ الثقة الأديب الفصيح البليغ أبو الأحول سالم بن محمد بن سالم الدرمكي الأزدي الشاعر المشهور:

كان يقال له عراقي عمان في براعة الشعر وانسجامات معانيه الدّالة على بلاغته، ولمّا سمع به السيد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، بعدما خلع الملك عليه والده سعيد بن الإمام أحمد، أنفذ إليه كتاباً يدعوه بالشخوص إليه، وكان السيد حمد المذكور يومئذ ببركة، والشيخ سالم بازكي، فلمّا وصله، رفع محلّه وأكرم مثواه، وفوّض إليه القضاء والحكم الشرعي والمكاتبة في البيوع والحقوق بين الناس، فلما حكم وكاتب، شاعت ثقته بين الخاص والعام، فما مضت على ذلك إلاّ أياماً قلائلا إذ أمر حمد أن يبنى له بيت شرقي الحصن من الحلّة الداخلة من السور، فلما كمل البنيان، أضاف إليه الفرش الشريفة والوسائل الطريفة، والقدور والجفان، والخواني الخطيرة، فلما انعوعم البيت بالآلة الكاملة، كتب حمد إلى أهله يخبرهم بإنتقالهم إلى بركا، وبعث إليهم بنياق وأجمال ورجال، يحموهم من الأعراب والحضر القاطعين السبيل المفسدين في الأرض، فلما وصل أهله الرجال والكتاب والرّكاب، لم يلبثوا أن أودعوا أثقالهم وأمتعتهم ظهور الركائب، فلما وصلوا بركا، أناخوا الركاب في بطن ذلك البيت الذي صنعه لهم حمد، وبهذا كله لم يدر الشيخ سالم بن محمد، فلمّا أُخبر حمد بوصول أهل الشيخ ومقرهم بالبيت، [٧٧٧] بعث إلى سالم رسولاً أن يأتيه في غرفة الحصن، فلما أتاه، قال له: إمضي معي، فإن نفسي تاقت لملاحظة البلد، فمضى حمد، ومضى سالم معه، ومضت معهم عدّة من الأكابر والمشائخ والعساكر والخدم، فلما أتوا البيت الذى أقر حمد أهل سالم فيه قال: يا سالم، ادخل

البيت فإنه لك، ولك كل ما فيه، فلما دخله، رأى فيه أولاده وأهله وعياله، تحيّر تحيّراً شديداً، لاسيما لما رأى فيه من الصناديق والفرش والقدور والخواني وسائر الأواني والأقوات الكثيرة، فكاد الشيخ أن يطير فرحاً، واشتمل أهله على سرور عظيم، لمّا رجع حمد إلى الحصن، بعث لسالم أيضاً بدارهم وأرز وسكر وأباريز وحبوب شيئاً كثيراً، فلما وصل المذكور إلى سالم، تناول في الحال القلم والقرطاس، ونصب بين يده الدواة، ومدح حَمَداً بهذه القصيدة الغّراء التي شاعت في البلدان، وتغنت بها الحداة والركبان ، وهي:

ما بين بابي عين سعنة واليمن	سوق تباع بها القلوب بلا ثمن
تجروا من إحتكروا به وتحكموا	فجواب من يستام منهم لا ولن
المسك من أبدانهم والعود من	أردانهم والزعفران من الوجن
وشذا القرنفل هاج من أنفاسهم	سحراً وماء الورد من عرق البدن
حازوا جمالاً لا يقال له كما	لكن بهم شحّ عليّ به كمن
وموردّ الوجنات سنّ لي الجفا	منه فحرَّم مقلتي طيب الوسن
شاكي السلاح فكم بسيف لحاظه	ضرب الحشا وبرمح قامته طعن
جنّ الحليم له وقد سفر الذكا	من وجهه والفرع منه اللّيل جن
صنم عليه الخلق أثنوا كلّهم	لولا التقى لعبدت ذلكم الوثن
كم رمت منه إربةً فدعوته	رغباً فما أذن الغداة ولا أذن
ولو أنني عانقته وهناً فمن	شرهي ومن شوق إليه القلب حن
ولو أنه أمسى يمنيني بما	أهوى لما أهدى الفؤاد ولا هدن

ولون أن روحي في الدنو بروحه ... مزج الوداد لما به القلب اطمأن

يا شقوة القلب الذي بالطّل لا ... يروي ولا بالوبل جاحمه سكن

لا زلت مقتصراً عليه كما غدى ... مولاي مقتصراً على الفعل الحسن

حمد الذي حُمدت جميع خلاله ... فَحَلَتْ به للخلق أخلاق الزمن

ذو منزل من زاره سلاه عن ... ذكر المعاهد والحنين إلى الوطن

يسخو ولم يفتح له راجٍ فماً ... ويرى إذا هو ما سخا جوداً كمن

لثراه لم يك كالياً عنّا ولا ... إن جاد كال لنا نداه ولا وزن [٧٧٨]

للناس ظاهره وباطنه صفا ... وأطاع في السّر الإله وفي العلن

ومطهر الأثواب إلاّ أنه ... قد صار ذا العرض النقي من الدّرن

وإذا به لاذ إمرؤٌ من حادث ... فمن المحال بأن يضام ويمتهن

وكسا الزمان بحلمه وببأسه ... أدباً فلم تعلو الوهاد على القنن

وسديد رأي لا يُحرِكُ فتنةً ... سكنت وإن حركنه الفتن اطمأن

ما سلّ صارمه على ضدّ سوى ... للنصل منه في حشا شته جفن

وقرى السباع بباسه أشلاءهم ... يوم الوغى إذ مالها أحد دفن

بالجد قد بلغ المعالي ناشئاً ... ما قبله قد شبّ غصن فاهتجن

كم قد شرى مثلي بمحض وداده ... لدنوه منه فلم يلقَ الغَبَنْ

ولكم له مننٌ عليَّ عجزت عن ... شكرٍ لأعرضه على تلك المنن

فترى الثرا منه لدى ملازماً ... والعسر عن كفيّ وعن داري ظعن

أنا بلبل الشعراء لمّا لي حنا ... عود الندى غرَّدتُ في تلك الفنن

ومؤذن لنواله للناس كي ... من أمره تقضى الفرائض والسُّنن

فأتيت فيــه قــصائداً تزكــوا بـــه أصـــلاً وفرعـــاً لا لخـضراء الـدّمن
أكسوه مـــن أثوابهـــا حُلــلاً بهـــا خجلاً تكـــاد بفـضلها تخفـــى عـــدن

يربو على الغيد الخرائـــد حـسنها فغـــدت تخـــرُّ لهـــا القــصائد للــذقن
فاســتجلها بعـــد الهنيـــدة تلقهـــا بكراً لهـــا كـــم زاهـــد طـــبّ ركـــن
زُفت لدى الأصل المنقـــى أصـــله فرعـــاء مـــافي أصـــلها أحـــد طعـــن
فليـــسع حيـــث أراد أن زمانـــه سلس القياد لـــه وفـــي يـــده الرســـنْ
وليبق محروساً ويملؤ لـــي نـــدى ما بين بابى عـــين سـعنة والـــيمن[١]

ومن شعره في السفر و أحواله و أهواله :

لاتـــــدعني إلـــــى ســــفر فإنـــــه نـــــارُ ســــــقر
الجـــــوع فيـــــه و الأوام والكـــــــلال والـــــــسّهر
والـــــضدّ يلقـــــاك بـــــه مالـــــــــك رد و وزر
يكفـــــي الفتـــــى بأنـــــه يــضحى بـــه علـــى خطـــر
وهـــو بـــه يبعـــد عـــن أحبابـــــــه إذا بكـــــــر
لـــولا الــرجـوع والإيـــاب كـــان مــــوتاً للبـــشــر[٢]

---

[١] انظر نص القصيدة كاملة في ديوان الدرمكي، ص ٣٠٨-٣١٠.

[٢] المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

وله في مدح الصالحين:

لي نفس تهوى أناساً كراما	نشروا من علومهم أعلاما
جلسوا في مجالس جعلوا اللغو	بها منهم عليهم حراما
يدرسون العلوم صبحاً وبالليل	يبيتون سُجداً وقياما
حسنت تلكم الدسوت وزانت	مستقراً لمثلهم ومقاما [٧٧٩]
ما ترى فيهم فتى قط إلاّ	وهو يدعى للمتّقين إماما
أنا أهواهم وكل امرء يقليهم	في الأنام يلق أثاما
لقد ابيضت الليالي بهم حتى	حسبنا ليلاتنا أياما
أنا أهوى لهؤلاء لقاءً	وقطعت الأيام عاما فعاما
فسيجزون غرفةً في غدٍ يلقو	ن فيها تحية وسلاما(١)

ولمّا تولى السيد بدر بن سيف بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي بركا، فوّض القضاء والحكم الشرعي إلى القاضي الأديب سالم بن محمد، فأتاه في بعض الأيام رجلان أعرابيان، فشكا أحدهما من صاحبه، وادعّى أنه سلبه عصاه، فاستفهم القاضي سالم المذكور المُدّعى عليه، فأقّر بسلب العصى والاغتصاب، فقال له: سلّمها له، فأبى وتصلّب وتغلّب، فكتب الشيخ إلى بدر بالقضية، فبعث خادمين من خدّامه للأعرابيين، فلما وصلاه، قال للسّالب: سلّم العصى لصاحبك، ففزع الأعرابي، وسلم العصى لصاحبه، فأمر بدر خادماً من خدامه أن يضربه بها، ففعل حتى كسر العصى في ظهر ذلك الغاصب، فبعث بدر إليه ببقايا العصا المكسور في

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

ظهر الأعرابي الغاصب، وأخبره حاملها بما جرى على الغاصب من بدر، فـنظم سالم هذه الأبيات في الحال، وبعثها إلى بدر:

أبناء الناس عند ضرب الجـرادي ... بـصريح الإنـصاف بـين العبـاد
حبّر الضرب منك في الظهر منـه ... ألفـات خُطـت بغيـر مـداد
قد عصى بالعـصى لـدي وقـد ... سـلمها فـي يـديك بالانقيـاد
فيـه كـسر العـصى إن جبـر ... الحق بكسر العصى بأهـل الفـساد[1]

وقد شهد القاضي الأديب سالم بدر بن سيف بن الإمام في بعض الأيام خلاف مـا كان منه من البشاشة والطلاقة والترحيب، فبعث إليه بهذه الأبيات:

بعـد يـومين قـد مـضت أيـام ... وبهـا منـك لـم يكـن لـي كـلامُ
أيهـا الـسيد الـذي حـاز خلقـاً ... خجلـت منـه فـي الكـؤوس المـدامُ
لم يـسامرك فـي الزمـان أديـب ... ولـه لـذّ عنـد ذاك المنـامُ
لا ولا زارك المؤمـل إلاّ ... نـال فـوق الـذي تنـال الكـرامُ
أنا من قـد دُعـي فجـاء مجيبـاً ... داعيـا منـك أي هـذا الهمـامُ
إن تكـن حاجـة إلـي فقـل لـي ... أو فقـل لـي سـرْ آمنـاً والـسلامُ[2]

وسأله الشيخ سعيد بن حمّاد بن خلفان[3] ذات يوم ، وهو يومئذ قاض بمـسقط، أن يقترح له أبياتاً بشعره عن محب زار حبيبه في أول الليل، فباتا يتـذاكران عذوبـة

---

(1) المرجع نفسه، ص ٣١٦.

(2) المرجع نفسه، ص ٣٠٧.

(3) الشيخ سعيد بن حماد بن خلفان: لم نعثر على ترجمة له في كتب التراجم العمانية.

اللقاء، فما شعرا إلاّ والصبح قد أسفر، فافترقا، ولم يقضيا من شأنهما، فقال في الحال شعراً:

يالیل في قصر أراك مفرّطا | حتى كأنك بعض إبهام القطا
لي إربة فيمن أحّب فلم يكن | والله لي لا أخذ فيك ولا عطا
أحرمتني عيشاً لذيذاً طعمه | عندي ولم يك دونه عني غطا
لكن على الصبح المنير ملامتي | لّما عليك بحدّ صارمه سطا [٧٨٠]
وافاك يركض لا عدمتك مسرعاً | يا حبذا لو أنه قصر الخطا
إني لأهوى لو بقيت ومقلتي | أبداً تراه مكفناً ومحنطا[١]

وله أيضاً:

سالم زمانك إن ناواك وارض بما | يقضي عليك ولو بالجور قد حكما
ولا تهايج صروف الدهر إن لها | قرناً إذا نطحت طوداً به انهدما[٢]

ومرّ بمدرسة بإزكي، وقد أحضر للمعلم والمتعلمين معه سُكراً مفرّضاً، فمصّ المعلم السُكر سريعاً، ولم يترك للصبيان إلاّ قليلاً، فقال:

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.
[٢] ديوان الدرمكي، ص ٢٥٤.

معلـــم الـــصبيان لــــــو أنـــه عضّ على صلد الحصى كَسّرَه
ومـــصّه قـــد نـــاب عـــن عـــشرة كأنمـــا أنيابـــه مَعْـــصَـــره[1]

وله أيضاً:

تبّـــــاً لـــــــدارٍ أهلهـــــــا جـــمّ الخـــساسة حـــايزون
وأولـــــوا النهـــــى يومـــــاً إذا مــــرّوا بهـــم يتغـــامزون[2]

و قال يهجو بعض الناس:

يا بن الذي غشي الوضيعة فـانثنى عنهـــا بطعنـــة دســـته فـــي كـــشحه
يا بـــن الذي قـــاد البعول لأمـــه وأبـــــوه طينتـــه طحينـــة ســـلحه[3]

وله أيضاً:

إذا مَلِكَ أ ضـــحى يمـــلُّ صـــديقه ويكـــرم إرغامـــا لأحبابـــه العـــدى
فيوشك مهما احتاج يوماً لناصـــر وناداهمـــا أن لا يجيبـــا لـــه نـــدى
فذاك لضغنٍ قد تسرسر في الحشى وذاك لبغضٍ منه والكلّ مـــا اعتـــدى[4]

وقال يوماً، وقد جلس مع الشيخ القطب العالم العلامّة أبي نبهان ببلدة العليا:

---

(1) انظر ديوان الدرمكي، ص ٢٤٧.

(2) بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـا ابـن رزيق في مخطوطته هذه.

(3) بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـا ابـن رزيق في مخطوطته هذه.

(4) بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـا ابـن رزيق في مخطوطته هذه.

كنت والشيخ والج البرج كالصدّيـق مبتهجاً مع المختارِ
أحمد الله إذا غدوتُ كأني ثاني اثنين إذ هما في الغار[1]

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة:

قالوا إلى أين تسعى القوم قلت لهم إني أظنهم للعلم زُوّارُ
قالوا وأين مقّر العلم معرفة قلت انظروا فعلى العلياء أنوارُ
فقيل ما ذاك خبّرنا فقلت لهم شخص تجلّت له لله أسرارُ
فحين أخبرتهم جدّت مطيّهم حتى حسبتهم فوق الهوى طاروا
فعندما وصلوا ضاعت لأعينهم أشجارها والحصى والنخل أقمارُ[2]

وعاش الشيخ الدرمكي الأديب أيام دولة حمد بن سعيد في عيشة رضيّة، ورفاهية هنّية، يقضي ويكاتب بين الناس ببركه، فلما توفي حمد في سنة ستين ومائتين وألف ملك عمان السيد سلطان بن أحمد بن سعيد بن أحمد الإمام، فأقعد الشيخ الدرمكي بمسقط، وأحسن إليه غاية الإحسان، وقد رثى الشيخ الدرمكي الأديب حمد بن سعيد بمرثيتين، الأولى رائية، ومطلعها شعراً:

لمّا ثوى حمد لم تبكه البشر حتى بكاه الحصى والنخّل والشجر[3]

والميمية مطلعها:

---

[1] انظر ديوان الدرمكي، ص ٢٣٩.
[2] انظر ديوان الدرمكي، ص ٢٣١.
[3] انظر نص القصيدة كاملة في ديوان الدرمكي، ص ٢٩٩ – ٣٠٠.

شمّ الجبال الراسيات تهدما   فأمطر عليه من مدامعك الدما[1]

وزعم بعض الناس أنه عرض بالشيخ القاضي فضل بن سيف اليحمـــدي الأزدي، وهو يومئذ قاضٍ بمسقط [٧٨١]، أقعده قبله السيد سلطان بن الإمام، والأبيات التي زعم بعض الناس أنه عرض بهن فضل بن سيف المذكور:

قـــل للقـــضاة بمـــسقط إن شـــئتموا   جمع الثـــراء بهـــا بجـــور فـــاحكموا
وكلـــوا الرشـــاء وللقـــوي فحللـــوا   ومـــن الأنـــام ضـــعيفهم لا ترحمـــوا
فـــإذا أبيـــتم مـــا أقـــول إلـــيكم   أخشـــى عليكـــم درهماً أن تعدموا[2]

فقال له فضل بن سيف: ما حملك على ما قلت، وإنّي أظنّك تعرّض بي، فَحلَف لـــه بالله أنه لم يعرّض به، وامتزج به امتزاجاً كلياً، وأظهر المحبة له، وسأله أن يسأل له السيد سلطان بن الإمام نوالا، فأتاه بكتاب منه إلى وكيله بتخليص أربعة وعشرين قرشاً فضة، فوضع الكتاب في عمامته، فسقط منها، وأحاط بها حكم الذهاب، فصنع هذه الأبيات، ودفعها للقاضي فضل بن سيف، وهي شعره:

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـــا ابـــن رزيق في مخطوطته.

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـــا ابـــن رزيق في مخطوطته هذه.

إذا كان حظّ المـــرء أقــتم أســـودا فأنجمــــه هيهـــات تطلـــع أســـعدا

تنافسُ لي يا فضل في بل ّ غلتـــي لك الفــضل والأيـــام تمنحنـــي العــدا

وتجلب لي من رقة مـــلء علتـــي فيكفئها صرف الزمان الـــذي اعتـــدا[1]

فلما بلغته الأبيات، مضى إلى السيد سلطان، فأخبره عما جرى على الحظّ الذي بعثه إلى الدرمكي، وأراه الأبيات المذكورة، فبعث له بأربعين قرشاً وثياباً فاخرة، ولـــم يزل الشيخ الأديب الدرمكي في ذلك الراتب والمنصب أيام دولة سلطان، فلما قُتل، رثاه بقصيدة بائية مطلعها شعراً:

عجب جرى في ذا الزّمان عُجابُ أسد الأسود سطت عليه كلابُ[2]

وهي قصيدة طويلة نيفّ وأربعون بيتاً، وقد نقض عليه بعض الأدباء في بيت منها، وهو قوله:

سلطان سلّط ذو الجلال عليه من قوس لمرهش ضارع نشّابُ[3]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـــا ابـــن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن البيتين غير موجودين في ديوان الدرمكي، حفظهما لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[3] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذا البيت غير موجود في ديوان الدرمكي، حفظه لنا ابن رزيـــق في مخطوطته هذه.

فقالوا إن هذا البيت غير مستقيم في الإعراب، إذ هو يقتضي النصب، وهو قد بنى قصيدته على الرفع، ثم إنه قد دعا على الملك بقوله سلطان سلط ذو الجلال عليـــه، إلى تمام البيت، قلت: ولا أعلم كيف وقع له هذا الغلط فـــي الإعــراب والمعنـــى، فالكمال لله المتعال. وللشيخ الدرمكي الأديب ديوان شعر، يدخل في مجلدين، رأيته بيد الشيخ سعيد بن جاد،[1] أيام مقّر الشيخ في القضاء بمسقط، وهو غير مرتـــب، وبعث به الشيخ الدرمكي الأديب إلى إزكي، عمان لمّا قتل سلطان، وأفضى الملـــك لولده سعيد بن سلطان، وأقرّ السيد سعيد أيضاً الدرمكي في القضاء والمكاتبة بـــين الناس بمسقط، ولمّا دخلت الوهابية حجرة اليمن من إزكي نهبوا ما وجدوا فيها من المال، وأخرجوا الكتب، فجعلوها أكداساً، وشّبوا عليهنّ النار، فاحترقت، واحتـــرق ديوان الشيخ في جملة تلك الكتب التى حرقوها، وذلك بعدما توفي الشيخ سالم بـــن محمد، ولم يبق من شعره إلاّ يسير من المسّودات في أيدي الناس، وكانـــت وفـــاة الشيخ سالم بقرية سداب من أعمال مسقط، وقبره مشهور ومزار، وأخال موته فـــي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف، والله أعلم.

الشيخ الأصم سيف بن ناصر بن سليمان المعولي المسلماتي الشاعر الأديب:

كان جيد الألفاظ في النظم والنثر، وصياغته للشعر أحكم من صياغته للنثر، وهـــو في زي الفقراء في التواضع للناس [٧٨٢]، صفر اليدين من المال، ولم يحظَ شعره على نائل من الناس مع كثرة إلهاجة بنظم الشعر وبعثه إلى الأكابر بـــه، وحـــسنت بيني وبينة الصحبة، فهو إذا جاء إلى مسقط زارني، وامتزج بي امتزاجاً كلياً، وإذا أنا وصلت إلى نخل، امتزجت به امتزاجاً كلياً، وجعل زيارتي إليه إرســـالا، وقـــد

---

[1] الشيخ سعيد بن جاد: لم نعثر على ترجمة له.

أسمعني كثيراً من نظمه، وأسمعته ببعض شعري، وبتلك الأيام، طالت بيننا الصحبة، وكثرت بنا الرغبة، وقد أغراه بعض رجال المعاول بهجاء الشيخ علي بن ثابت الساساني الشاعر[١]، وعلي يومئذ مقيمٌ ببلدة أفي، في ذرى الشيخ الفاضل مهنا بن بلعرب المعولي ، فصنع سيف فيه أبياتاً يهجوه بها، ما أحببتُ أن أرقمها، لما فيها من الكلام الذي هو غير ملائم لسيف ولا لعلي متلائم، فلما بلغت الأبيات علياً ارتحل في الحال من أفي قاصداً الشيخ الفاضل محمد بن ناصر الجبري،[٢] وهو يومئذ حاكم بلدة سمائل، فلما وصل إلى الطّو، نظم أبياتاً هجائية في سيف خاصة، وفي سائر المعاول عموماً، فأنا كذلك ما أحببت أن أرقمهنّ وأذكرهنّ، لما فيهن من الهجو والثلب المتجاوز الغاية، لكنهنّ شائعات من أفواه الناس المولعين بسماع الهجاء والثلب، وعلى كثرة ما نظمه الشيخ سيف بن ناصر من الشعر لم يدونهّ ولا أحد من بعده دونه، وبقيت مسوداته بعد موته في يد بعض الناس الساكنين بلدة مسلمات، ثم تمزقت وذهبت، وما بقي لها أثر، وقد شهدت أيام حياته كتاباً بخط يده فيه حكايات وأشعار وقصص، وقد رقَّم فيه نبذة من شعره، وسمعت أن هذا الكتاب صار في أيدي عتوب البحرين، وأظن أن أحداً قد سرقه، فباعه عليهم، والله أعلم. وقد توفى الشيخ سيف المذكور في مسلمات بالداء الوبائي الذي عمّ عمان وسائر البلدان، وذلك سنه ست وثلاثين ومائتين وألف. ومن شعره من قصيدة طويلة، يمدح بها حمير بن حمد:

---

[١] الشيخ علي بن ثابت الساساني: لم نعثر على ترجمة له.

[٢] محمد بن ناصر الجبري: لم نعثر على ترجمة له.

قوّض الصّب يـوم جـدّ الفريــق	مـــستمدّاً و بـــان عنّـــي الرفيـــق
يمموا أدلجــوا اســتعدوا وشــدوا	وتـــداعى بهـــم حـــداة تـــسوق
فلعمــري أنـــا المتــيم والــصبّ	المُعنـــا حُمّلـــتُ مـــا لا أطيـــقُ
كربـــات لا تنجلـــي وهمـــوم	غـــائلات ومـــدمع مهريـــق
وشـــجى لـــو تخلّتـــه الرواســـي	مـــا بقـــى مـــن ذرى علاهـــنّ نيــقُ
أمحـــثّ النيـــاق بالـــصّب رفقـــاً	فلـــه فـــي النيـــاق قلـــب عليـــقُ
لم يــزل يتبــع الهــوادج كيمـــا	يهتدي إن ضــلت عليـــه الطريــق[1]

ومن شعره من قصيدة طويلة:

هو الربع قد طالت عليه الأفائـــك	تحـــالفن فيـــه الرامـــسات الحواشـــك
عفت منه أعلام وغـــارت مناهـــل	وأقـــوت معـــالي للغـــواني بـــوارك[2]

وفيها يقول:

فلم يثننى عنها تجمّل سلوة	سوى مالكي رقاً هو الندر مالكُ[3]

---

[1] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية العمانية تبين أن هذه الأبيات للشيخ سيف بن ناصر غير موجودة فيها، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية العمانية تبين أن البيتين للشيخ سيف بن ناصر غير موجودين فيها، حفظهما لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[3] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية العمانية تبين أن هذا البيت للشيخ سيف بن ناصر غير موجود فيها، حفظه لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وقد رثيت الشيخ سيف بن ناصر بن سليمان بن مبارك بن مرشد المعولي لمّا توفي بهذه القصيدة:

أودى محلّ العويص الحاذق الفطن ... عّلامة الشعراء المصقع اللسنِ
فاذرف دموعك ياشادي القريض دماً ... وفرّق القلب بالتبريح والحزنِ
وقُل بندبك للأشراف من يمن ... اليوم مات أجل سيف بن ذي يزنِ
ويلاه من حادث يقضي بفادحةٍ ... عن الجيوب بشق القلب والبدنِ
مخدشّ الوجن استزريت مترحة ... تجل عن خدش الألباب والوجنِ
فاشحذ شبابك سيف ضمه جدثُ ... وأسلمته يد الأقدارللكفنِ
رأس البلاغة أنف المجد مقليه ... قلب المروّة روح العصر والزمن
قاف القوافي محيط النظم زاخره ... مزري السماحة صوب العارض الهتنِ
ذو غاية تبهر الألباب لو طلبت ... قوم نظائره في العصر لم يَكُنِ
في كل نادٍ تناجي الصّحف فاتحها ... عن نظمه اللؤلؤ الفائق الحسنِ
إن البلاغة أعطته أزمّتها ... في غاربيها إذ انقادت بلارسنِ
حتى انثنى كل منطيق نباحثُهُ ... بأسرهِ العيّ كالمسدود في قرنِ
لمثله الشهمُ فليذر الدموع دماً ... ليس البكاء على الأطلال والدّمنِ
إني امرء كدت أن أعُطي الحمام يداً ... إن ناخ في أُصُلٍ والراد في غصنِ
فالقلب في لهبٍ والدمع في صببٍ ... والجسم في نصبٍ والعظم في وهنِ
قد مزّق الفقد قلبي بالأسى شذراً ... وفرّق الوجدُ بين الجفن والوسنِ
أسرُّ قلبي عن الأعداء قاطبةً ... والسرُّ فاش بسفح الدمع كالعلنِ

رزيـــة لـــم تـــذر قلبـــاً لمغتـــرب يحـــنُ مـــدّكراً شـــوقاً إلـــى وطـــنِ
وكلما ســاقط الــدمع امــرء درراً لنـــا يقـــول بـــه قـــدما حـــشا أذنِ
ناشـــدتك الله يـــا قبـــراً تـــضمنّهُ هل فيـك إلاّ تُقـىً محـضٌ لِمُـرْتهن
ألا وهـــل فيـــك إلاّ عـــيلم طفحـــت علومه بأراضـــي الله والقـــين والقـــننِ
لو كنت يا قبره تروي الحـديث لنـا رويت عن محكـم الآيـات والـسننِ
لقد توارى ولانــت بالحجــاب لــه ببطن لحدّك شـمس المجـد والفطـنِ
يـــا آل شـــمس وإن جلّـــت رزيتـــه صبراً فلبا الصّبر منهل المركب الخشنِ
لقـــد دفنـــتم كريمـــاً فاضـــلاً لبقـــاً وفخــــره و ثنـــــاه غيـــــر منـــــدفنِ
إن ابـــن ناصـــر لا يخلـــو بفرقتـــه قلب امرءٍ قُلّبــيُ وهــو مــن شــجن
قد كان ذا لهجة تدنيــه مــن كــرمٍ للرشد تثنيــه عــن لهــوٍ وعــن ددن
أمـــا الـــدواوين للأخبـــار ناشـــرة قريضة الـدّرفي الأمـصار والمُـدُنِ
يحدي به من مزون الركب في زخرٍ إلى العراق إلى نجدٍ إلى الـيمنِ[٧٨٤]
نعى سيف نعم قد كان غيـث نـدى وكان غوثـا طويـل البـاع للـسّكنِ
سقى المهيمن قبراً ضـم أعظمـــه دمع الحيا ما تباكى الورق في فنـنِ[١]

---

[١] بعد البحث والتدقيق في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية تبين لنا أنهاغير موجودة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

الباب الثامن

في ذكر الأئمة اليمنية العمانية وملوكهم السلاطين الأساطين القحطانية وما كان في أيامهم من الكوائن المشايعة في القرى والمدائن:

قال المصنف لهذا الكتاب، الراجي الثواب من ربه التّواب: قد اتفقت روايات الثقات الأخباريين أئمة الأزد العمانيين، والسلاطين الأساطين القحطانيين، ودخل كل منهم بعضه في بعض بالإبرام والنقض، فاختلفوا لفظاً واتفقوا معناً وحفظاً، على أن الشأن الذي حمل الأزد العمانيين على نصب الإمامة، وسلّ السيف على المخالفين لأهل مذهب الإستقامة، وذلك لمّا صار الملك إلى عبد الملك بن مروان، واستعمل على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، لهج الحجاج بحرب عمان، وبها الأميران يومئذ سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد الأزديان الجلنديان، فلم يزل الحجاج بن يوسف يغزوهما بجيوش متواترة، ويفضان جموعه وعساكره، وكلما بعث الحجاج إليهما جيشاً هزماه، واستوليا على سواده، إلى أن أخرج إليهما القاسم بن شعوة المزني[1] في جيش عرمرم، فدلف به إلى عمان في سفن كثيرة العدد والمدد، فارقاها في قرية حطاط، وهي التي تسمى يتى، وقيل هي التي تسمى القرم، فدلف لهم سليمان بن عباد بن عبد الأزدي بقومه الأزد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت بينهم ملحمة عظيمة، فانكشف جند الحجاج، وقتل قائده القاسم بن شعوة ومعه خلق كثير، واستولى سليمان على سوادهم، فبلغ ذلك الحجاج، فهاله الأمر واضطرب اضطراباً

---

[1] القاسم بن شعوة المزني: قائد أموي، كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي بقيادة حملة عسكرية لاخضاع عمان للسيطرة الأموية، لكن حملته فشلت، وقتل في إحدى المعارك مع العمانيين.

كثيراً، وزلزله الغيظ زلزالاً شديداً، فما لبث أن استدعى بمجاعة بن شعوة[1] أخ القاسم المذكور، وأمره أن يندب الناس ويستصرخهم، وينادي في قبائل نزار حيثما كانوا، لأخذ الثأر، فلما فعل ذلك أتوه زرافات ووحدانا ومشاةً وركابا، وأظهر الحجاج الغضب والحميّة والعجرفة الأبيّة، وكتب إلى عبد الملك عمّا أصاب قومه من أزد عمان، وأقعد وجوه أزد البصرة عن النصرة لسليمان بن عباد، فأجابوا بإذعان وانقياد، ورفض الإبائه والعناد، فانبعثت الروايات. إن الجموع التى أخرجها الحجاج لعمان كانت أربعين ألفاً، فأخرج من جانب البحر عشرين ألفاً، ومن جانب البر مثلهم في العدد والمدد، وجعل الأمير على الكل مجاعة بن شعوة المزني، فلما علم سليمان بن عباد بدلفتهم، مضى إليهم بفرسان الأزد، فكانوا ثلاثة آلاف، وأصحاب النياق ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فصادفهم دون الماء الذي بالبلقعة بخمس مراحل، وقيل بثلاث، وهو الماء الذي بالقرب من بوشر، ويقال له اليوم البلقعين فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كلّت السواعد، وتكسّر أكبر السيوف، وتحطمت الرماح، وعظم القتل والجراح، فعند ذلك انهزم أصحاب الحجاج، فأمعن سليمان في طلبهم، وهولم يشعر بعسكر الحجاج العائمة بهم السفن في البحر، فبلغ عسكر البحر رجل من المضرية، فاخبرهم بخروج سليمان بسائر عسكره الذين أقبلوا من جانب البر، وأن الباقين مع أخيه سعيد بن عباد شرذمة قليلون، فحث مجاعة السير، حتى وصل بركة، فبادرهم سعيد، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى حجز بينهم الليل، فلما علم

[1] مجاعة بن شعوة المزني: قائد أموي، كلفه الحجاج بقيادة الجيش الأموي لاخضاع عمان، بعد فشل الحملة الأولى التي قادها أخوه القاسم بن شفوة، والتي انتهت بمقتله، وفشلت حملته أيضاً في المرّة الأولى، لكنه تمكن من السيطرة على عمان، بعدما وصلته قوات داعمة من الشام.

سعيد أنه لا طاقة [٧٨٥] له وقومه لمناجزة قوم مجاعة، لقلّة قومه وكثـرة قـوم مجاعة، وقد كثر في قوم سعيد القتل، وفشى فيهم الجراح، فمضى عنهم، وعمد إلى ذراريه وذراري أخيه، فاعتزل إلى الجبل الأكبر، وهو جبل بني ريام، ويقال لـه الجبل الأخضر، ويقال له أيضاً رُضوا، بضم الراء، ولحقه القوم، فحضروا حتـى وافا أخوه سليمان، وقد كان مجاعة أرسى سفنه ببلدة مـسقط، وعـددها ثلاثمائـة سفينة، فمضى إليها سليمان، فأحرق منها نيفاً وثلاثين سفينه، وانفلت الباقون فـي لجج البحر، ثم مضى يريد عسكر مجاعة، فتصور لمجاعة أن لا طاقة له بحـرب سليمان، فخرج يريد البحر، فالتقى هو وسليمان بن عباد بقرية سمائل، فوقعت بينهم ملحمة شديدة، فانهزم مجاعة ولحق بسفنه، فركبها ومضى إلى جلفار الصّير، وكان الحجاج بن يوسف قد أخرج على طريق البـرّ أيـضاً عبـدالرحمن بـن سـعيد المضري[١] في خمسة آلاف فارس من بادية الشام وغيرهم، وفيهم رجل من الأزد يسمى ملاحة بن خالد، والقوم لا يعلمون به من الأزد، فهرب في الليل، حتى قـدم على سليمان وسعيد، فأخبرهما بدلفتهما إليهم، فتقاعسا وأقعدهما العجز عن ملاحمة قوم الحجاج، فحملا ذراريهما وسوادهما، وخرج معهما خلق كثير من الأزد، ولحقا ببلاد الزنج، وهي التي تسمى أرض بته، ودخل مجاعة وعبد الـرحمن بالعـسكر عمان، ففعلا فيها غير الجميل، ونهباها نهباً شنيعاً، وصنعا بها صنيعاً فظيعاً، نعوذ بالله من البغي والعدوان. فلما اصطلما عمان، وأدانوا زعماء شيوخها والشّبان، كتبا

---

[١] عبد الرحمن بن سعيد المضري: قائد أموي، ترأس الحملة التي أرسلها الأمويون، لتقديم الدعم والمساندة لحملة مجاعة بن شعوة المزني، وقد ساهم عبد الرحمن بن سعيد مع قوات مجاعة فـي إخضاع عمان للسيطرة الأموية سنة ٨٧ هـ.

إلى الحجاج عما كان منهما من الشأن بعمان، واستعملا على عمان بعدما رجعا إليه الخيار بن سبرة المجاشعي[١] فلما مات عبدالملك، وولي من بعده الوليد بن عبدالملك، ومات الحجاج، استعمل الوليد على العراق يزيد بن أبي مسلم[٢] وبعث يزيد سيف بن الهاني الهمداني[٣] عاملاً على عمان، واستعمل عليها صالح بن عبد الرحمن الليثي[٤]، ثم رأى أن يكون عمال عمان على ما كانوا عليه، فردّهم، وجعل صالح بن عبدالرحمن مشرفاً عليهم، ثم وُلي يزيد بن المهلب العراق وخراسان، فاستعمل يزيد أخاه زياداً على عمان، فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها، حتى مات سليمان بن عبدالملك، وولي عمر بن عبد العزيز، واستعمل بن عبدالعزيز عدي بن أرطأه الفزاري[٥] على العراق، فاستعمل عدي بن أرطأة عمالاً مضرية، فأساؤوا السيرة فيها، وفعلوا غير الجائز في الشرع الشريف، فكتب أهل عمان إلى عمر بن عبدالعزيز مما كان من صنيعهم، فاستعمل عليهم عمر بن عبدالله بن

---

[١] الخيار بن سبرة المجاشعي: قائد أموي، استخدمة الحجاج بن يوسف الثقفي عاملاً له على عمان، بعد إخضاعها سنة ٨٧هـ، وبقي يحكمها حتى سنة ٩٥ هـ

[٢] يزيد بن أبي مسلم: قائد أموي، عينه الوليد بن عبدالملك والياً على العراق، بعد وفاة الحجاج ابن يوسف الثقفي.

[٣] يزيد بن سيف بن الهاني الهمذائي: قائد أموي، استخدمه يزيد بن أبي سلم والي الأمويين على العراق، على ولاية عمان

[٤] صالح بن عبدالرحمن الليثي: قائد أموي، عينة يزيد بن أبي سلم والياً على عمان بعدما عزل يزيد بن سيف الهمذاني.

[٥] عدي بن أرطأة الفزاري: قائد أموي، استخدمه عمر بن عبد العزيز والياً على العراق بعد عزل يزيد بن أبي سلم.

صبيحة الأنصاري[١]، فأحسن السيرة فيهم، فلم يزل والياً مكرماً على عمان، يستوفي الصدقات منهم بطيبة أنفسهم، حتى مات عمر بن عبد العزيز، فقال عمر ابن عبدالله لزياد بن المهلب: هذه البلاد بلاد قومك، فشأنك بها، وخرج عمر بن عبدالله من عمان، وأقام زياد بن المهلب في عمان، حتى ظهر أبو العباس السفاح، وصار ملك بني أمية إليه. وولى أبا جعفر المنصور على العراق، فاستعمل أبو جعفر على عمان جناح بن عبادة بن قيس بن عمر الهنائي[٢]، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح، ثم عزله،وولى ابنه محمد بن جناح،فداهن جناح بن عبادة الإباضية، حتى صارت ولاية عمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود.

الجلندى بن مسعود بن عباد الجلندى الأزدي اليمني الهنائي:

العبد الصالح، فكان سبباً لقوة مذهب الإستقامة، عدلاً مرضياً، ورفض حب الصفراء والبيضاء، وسلك نهج الزاهدين الصالحين، وكان لله من الشاكرين [٧٨٦] الحامدين الذاكرين، وكانت البيعة له من المسلمين بالإمامة القائمة على ساق الإستقامة في يوم التاسع من شهر الحج، سنه ثلاثين ومائة، وبينه وبين بيعة أهل العراق للسّفاح أبي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب سنتين، إذ السّفاح المذكور بويع ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من

---

[١] عمر بن عبدالله بن صبيحة الأنصاري: عالم فقيه، عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز حاكماً على عمان بدلاً من زيادة علي الغزاري، وقد أيده العمانيون لعدله ونزاهته في الحكم. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٠.

[٢] جناح بن عبادة بن قيس بن عمر الهنائي: والٍ عاش في القرن الثاني الهجري، ولي على عمان من قبل أبي جعفر المنصور، تعاطف مع العمانين، واعتنق المذهب الإباضي، ثم عزله، وعين نجله محمد خلفاً له. انظر دليل أعلام عمان ص ٤٦.

شهر ربيع الأخر سنة إثنين وثلاثين ومائة بالكوفة، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر سنة إثنين وثلاثين ومائة، وكان السّفاح قد غضب على شيبان بن عبد الله اليشكري[1]، فأمعن في طلبه، ففرّ شيبان منه، ومعه من عسكره وأتباعه خلق كثير، وأغرته أصحابه بحرب عمان، و اصطلامها من أهلها، فدلف إليها بعسكره وأتباعه، فلمّا بلغ خبره إلى الإمام الجلندى بن مسعود، أخرج إليه هلال بن عطية الخراساني[2]، ويحيى بن نجيح الأزدي[3]، وجماعة من المسلمين، وكان يحي بن نجيح فضله شائع بين المسلمين، وزهده لائح لأهل الدين، فلَما تراءت الفئتان، دعى يحي ربّه بدعوة النّصر والظفر بين الفريقين، فقال جهراً: اللهم إن كنت تعلم أننا على الدين الذي ترضاه، والحق الذي تحب، أن نؤتى به، فاجعلني أول قتيل من أصحابي، ثم اجعل شيبان أول قتيل من أصحابه، واجعل الدائرة على أصحابه، والنصر والظفر لأصحابي، وإن كنت تعلم أن شيبان وأصحابه على الدينَ الذي ترضاه، والحق الذي تحب، أن نؤتى به، فاجعل شيبان أول قتيل. ثم زحف القوم بعضهم على بعض، فكان أول قتيل من المسلمين نجيح، وأول قتيل من أصحاب شيبان، شيبان، وانكشف جنده، وأخذهم السيف من كل مكان، فما سلم منهم إلاّ قليلاً، وتفرقوا في السباسب، أيادي سبا، فما كان بعد تلك

---

[1] شيبان بن عبد العزيز اليشكري: زعيم الخوارج الصفرية، جاء إلى عمان بجيش هارباً من قوات أبي العباس السفاح، فأخرج إليه الإمام الجلندي بن مسعود قائديه هلال بن عطية الخرساني، ويحي بن نجيح وجماعة من المسلمين، قاتلوه، وانتصروا عليه، وقتلوه، وكان ذلك سنة ١٣٤ هـ. انظر: السالمي: نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج١، ص ٩٢.

[2] هلال بن عطية الخرساني: وزير، قائد، عالم، داع، عاش في القرن الثاني الهجري، كان وزيراً للإمام الجلندى بن مسعود، أرسله هو ويحي بن نجيح على رأس جيش إلى شيبان، فدارت رحى الحرب بينهم، وانتهت بانتصار هلال ومقتل شيبان، ولقد قاتل هلال مع الإمام في مواقع كثيرة، حتى قتل معه سنة ١٣٤هـ. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٦٦.

[3] يحي بن نجيح الأزدي: أحد قادة الإمام الجلندي بن مسعود المشهورين كلفة الإمام بقيادة الجيش الذي أرسله إلى جلفار لملاقاة جيش شيبان بن عبد العزيز اليشكري الخارجي الصفري، حيث تمكن من الانتصار عليه وقتله. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٩٢.

الملحمة إلاّ أياماً قلائلاً، إذ أقبل خازم بن خزيمة[1] إلى عمان، ومعه عدّة من الشجعان و الفرسان، فلما بلغ إلى توام[2]، أُخبر ما جرى على شيبان وأصحابه من أهل عمان، وكان فرار شيبان من السّفاح خيفة من القتل، إذ كان هو، قبل أن يؤول إلى السفاح الملك والسلطان، سيفاً وكفّاً لبني مروان، فترك خازم بن خزيمة قومه بتوام، وأقبل هو ومن معه من أصحابه عشرة رجال، إلى الإمام الجلندي بن مسعود، وكان الجلندى يومئذ ببلدة صحار، فلما وصل إليه، قال للجلندى بعد ثناء جزيل: إنا كنّا نطلب هؤلاء القوم، يعني شيبان وأصحابه، وقد كفانا قتالهم على أيديكم، فالآن أربي ورغبي، أن أخرج من عندك بكتاب إلى الخليفة، أخبره أنك له سامع مطيع، فشاور الجلندى المسلمين في ذلك، فلم يروا له ذلك، وفي رواية أخرى أن خازم بن خزيمة سأل الجلندى أن يعطيه سيف شيبان، أو خاتمه، فأبى الجلندى، ورجع خازم إلى قومه الذين تركهم بتوام، ثم سعى بهم حتى دخل جلفار الصّير، فشّن على عمان الغارات، فتعبّأ الجلندى بمن حصل معه من الناس، فلّما بلغ جلفار، زحف إليهم خازم بمن معه من القوم، فوقع بينهم القتال، فقتل جميع أصحاب الجلندى، ولم يبق إلاّ هو وهلال بن عطية الخراساني، فقال الجلندى لهلال: ما رأيك؟ فقد قتلت القوم، وما بقي منهم إلاّ أنا وأنت، فقال له هلال: لا سبيل إلى

---

[1] خازم بن خزيمة: قائد عباسي، عينه أبو العباس السفاح على رأس جيش أرسله لمقاتلة الخوارج الصفرية بقيادة شيبان بن عبد العزيز اليشكري في جزيرة ابن كاوان، لكن شيبان فرّ بقواته إلى عمان، وقتل على يد قوات الإمام الجلندي بن مسعود، عندها طلب خازم من الإمام الجلندى التبعيّة للدولة العباسية، لكنه رفض، وجرت معركة بين الطرفين، انتصر فيها خازم، واشتشهد الإمام الجلندى، ودخل خازم عمان، وأخضعها للسيطرة العباسية.

[2] تُوام: بالضم، ثم فتح الهزة: اسم قصبة عمان مما يلي الساحل، وبها قرى كثيرة، وقال نصر: تُوام قرية بعمان، بها منبر بني سامة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٤.

المفرّ، إذ هو من أفحش العار، فما أمرّه، وما أحلا الشهادة، أنت إمامي، فكن أمامي، ولك عليّ أن لا أبقى بعدك، وقوم خازم تسمع هذا الكلام، فتقدم الجلندى، فقاتل حتى قتل، رحمه الله، شهيداً. ثم تقدم هلال بن عطيه، وعليه لامة حربه، فاعطى السّيف حقّه، فكان أصحاب خازم يتعجبون من سطوته وشجاعته وثقافته، ثم ازدحموا عليه، فاحتووه حتى قتلوه، رحمه الله وغفر له. وكانت إمامته [٧٨٧] على ما اتفق أهل العلم بالسّير سنتين وشهر، قيل: إن الذي قتل الإمام الجلندى، رحمه الله، خازم بن خزيمة، ورُوي عن خازم، لمّا حضرته الوفاه، قيل له: أبشر، فقد فتح الله عمان على يديك، فقال: عزيتّموني في الحياة، وتعزّوني عند الوفاة، هيهات هيهات، فكيف لي بقتل العماني. وفي رواية أخرى أن رجلاً من أهل عمان خرج إلى الحج، وفي صحبته رجل من أهل البصرة، لا يهدأ الليل، ولا ينام، فسأله العماني عن حالته، وكان البصري لا يعرفه أنه من أهل عمان، فقال له: إني خرجت مع خازم بن خزيمة إلى عمان، فقاتلنا قوماً، لم أر مثلهم قط في الشجاعة والتقوى، فأنا من ذاك اليوم على هذه الحالة، لا يأخذني النوم، فقال الرجل العماني في نفسه: أنت الجدير بذلك، إن كنت ممّن قاتلهم[1].

ولمّا قتل الجلندى، رحمه الله وغفر له، استولت الجبابرة على عمان، فأفسدوا فيها، وكانوا أهل ظلم وجور وطغيان، فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة، وراشد بن شاذان بن النظر الجلنديان، وفي زمنهما هجم غسان الهنائي[2] على نزوى، فنهبها،

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط، ص ٤٣٩-٤٤١.

[2] غسان الهنائي: قائد، من بني محارب، عاش في القرن الثاني الهجري، قام بنهب نزوى، وهزم بني نافع وبني هميم بعدما قتل منهم خلقاً كثيراً، وذلك في شهر شعبان سنة ١٤٥ هـ، وأجمع بنو الحارث رأيهم على الثأر منهم، وقتلوه في موضع يقال له الخور. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٥.

وهزم بني نافع وبني هميم، بعد أن قتل خلقاً كثيراً، ووقوع هذه الكائنة في شهر شعبان سنة خمس وأربعين ومائة سنة، ثم إن بني الحارث، أهل إبرا[١] غضبوا على غسان الهنائي وحزبه، وسأءهم ما صنعوا ببني نافع وبني هميم، وكان في بني الحارث رجل من بكرة، يقال له زياد بن سعيد البكري، حليف بني الحارث، فاجتمع رأيهم أن يمضوا إلى بني العتيك ليقتلوا غسان الهنائي، فكمنوا ليلاً بين داره ودار جناح بن سعيد، بموضع يقال له الخور، فألقوه راجعاً من عيادة رجل مريض من بني هناءة، وهو لم يشعر بمكانهم، فلما انتهى إليهم، ضربوه بسيوفهم حتى قتلوه، فغضب لذلك منازل بن خنبش الهنائي[٢]، وكان مسكنه بنبا، وعاملاً لمحمد بن زائدة وراشد بن شاذان الجلنديين، فسار منازل بن خنبش، ومحمد بن زائدة، وراشد بن شاذان الجلنديين، ومن معهم من الجند على حين غفلة من بني الحارث، فلّما وصلوا إلى إبرا، برزت لهم رجال بني الحارث، فتضاربوا بالسيوف، وتطاعنوا بالرماح، فقتل من الفريقين أربعون رجلاً، وكانت الحرب بينهم سجال، ثم دخل أهل إبرا بلدهم، ورجع منازل و محمد بن زائدة وراشد بن شاذان ومن معهم، واشتدت بينهم الإحن، وعصفت بينهم المحن زماناً، ثم منّ الله سبحانه وتعالى على أهل عمان بالإلفة على الحق، فخرجت عصابة من المسلمين، فقاموا بحق الله رب العالمين، وأزالوا ملك تلك الجبابرة، واتفقت الروايات أن المشائخ العلماء من أهل عمان اجتمعوا في نزوى، وكان رئيسهم وعميدهم الشيخ العالم موسى بن أبي

---

[١] إبرا: بلدة تقع في المنطقة الشرقية من عمان.

[٢] منازل بن خنبش الهنائي: لم نعثر على ترجمة له.

جابر[1]، فأرادوا عقد الإمامة لمحمد بن أبي عفّان[2]، وفي النادي الذي اجتمع فيه رؤساء لا يوفون على الدولة، فخاف الشيخ موسى أن لا يكون للمسلمين يد، وأن تقع فتنة، لا يقدرون على دفعها، فقال: قد ولينا بن أبي عفان نزوى وقرى الجوف، حتى تضع الحرب أوزارها، فقال الشيخ النزوي أبو المنذر بشير بن المنذر[3]: قد كنا نرجوا منهم ما نحب، فالآن رأينا ما نكره، والحمد لله رب العالمين. فقال له الشيخ موسى: إنا فعلنا ما تحب، وأعلمه إنما أراد أن يفرّقهم لئلا تقع الفتنة، فلما خرج أُلئك الرؤساء، ومضى كل واحد منهم إلى البلد التي وليها، كتب الشيخ موسى بعزلهم، وبعث ولاة ثقات إلى تلك البلدان، وفي رواية أنهم عُزلوا قبل وصولهم

---

[1] موسى بن أبي جابر (٨٧-١٨١هـ / ٧٠٥-٧٩٧ م) أحد حملة العلم إلى عمان، في القرن الثاني الهجري، كان يلقب بشيخ الإسلام، وكان له دور رئيسي في إدارة شؤون البلاد في عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٥٥.

[2] محمد بن أبي عفان: محمد بن عبدالله بن أبي عفان، عاش في القرن الثاني الهجري عقدت له الإمامة بعد الإمام الجلندي، فلم يحسن معاملة المسلمين، فأنكروا عليه جفوته وردّه للنصائح، ولم يرضوا بسيرته، فدبروا له حيلة، وأخرجوه من عسكر نزوى، ثم اجتمعوا وعزلوه، واختاروا الوارث بن كعب الخروصي اليحمدي الشاري إماماً لعمان، وبذلك زالت إمامة محمد بن عبدالله ابن أبي عفان، وكانت مدتها سنتان وشهر واحد. انظر دليل أعلام عمان ص ١٤٨.

[3] أبو المنذر بشير: شيخ، عالم، عاش في القرن الثاني الهجري، من بني سامة بن لؤي بن غالب، ينسب إليه بنو نافع، وهم من أشراف أهل العقر، خرج مع محمد بن أبي القاسم إلى البحرين، حيث كان محمد بن نور عاملاً عليها من قبل المعتضد العباسي، وطلبا منه العون للقضاء على الفتن الواقعة في عمان على يد غسان الهنائي، فأشار عليهما بالذهاب إلى المعتضد ببغداد، فذهب إليه محمد بن أبي القاسم، وقعد بشير بن المنذر مع محمد بن نور. له مؤلفات كثيرة، منها: كتاب "المحاربة" وكتاب "الخزانة" في سبعين مجلداً، وكتاب "البستان" في الأصول، وكتاب "الوصف" في التوحيد، وكتاب "حدوث العالم". انظر: دليل أعلام عمان، ص ٣٤.

إليها، وبقي محمد بن أبي عفّان في العسكر، فظهرت منه أحداث للمسلمين لم تعجبهم، وقيل: إن الذي أنكر عليه [٧٨٨] جفوته للمسلمين، وردّه للنصائح، والله أعلم. ولّما مقتوا سيرته، عملوا الحيلة في إخراجه، فأخرجوه من عسكر نزوى وعزلوه، واجتمعوا، فاختاروا لهم الوارث بن كعب إماماً، وكانت إمامة محمد بن أبي عفان إلى أن عزل سنتين وشهرا، وفي الإمامة إقامة الجلندى إلى قتله سنتين وسته أشهر، والله أعلم(١).

الإمام الوارث بن كعب الأزدي الشاري الخروصي الأباضي، رحمه الله وغفر له:

وللعامة في الوارث روايات، ما وجدتها في التواريخ، وهذا الخبر شائع عنه من العامة وهو قبل حصول البيعة له بالإمامة، كانت له أسرار ظاهرة العيان، مسفرة بشموس البرهان، ومنها أنه كان يخرج إلى عبادة الله تعالى، حيث لا تراه أعين الناس، فمضى ذات يوم إلى المكان الذي يختلي به عن الناس، وبيده سكين، نصابه حطبة جافة، فسمع هاتفاً يقول له، ولم ير شخصه: يا وارث أقم العدل، ولا تخشى في الله لومة لائم، فرفع الوارث طرفه نحو الصوت، فلم يَرَ أحداً، فرجع إلى منزله يصوغ الفكر ويكسره من قبل الهاتف، ولمّا مضى إلى ذلك المكان في اليوم الثاني، ووصل إليه، سمع الهاتف يقول له كما قال له في اليوم الأول، فرجع إلى منزله، وسعى إلى ذلك المكان في اليوم الثالث، فلما وافاه سمع الهاتف، يقول له كما قال له

---

(١) الازكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٤١ – ٤٤٢.

في اليومين الماضيين، فقال الوارث: اللهم إن كان حقاً ما يقول لي هـذا الهـاتف فلتخضر هذه الحطبة التي هي نصاب السكين، ثم تورق في الحال وتنبيءُ عن إسم شجرتها بأغصانها وأوراقها، فلما غرسها اخضرّت، وأورقت في الحال، فكانت هي شجرة الليمون، فلما مسكها واقتلعها، صارت كما كانت حطبة جافة نصاباً لسّكين، فمضى حينئذ إلى بلدة الرستاق، وكان بها يومئذ ملك جبار عنيد، فـرأى الـوارث رجلاً مصلوباًعلى جذع نخلة، وقد أوهنته الحبال، وهو ينادي فلا يجاب، ويستغيث فلا يغاث، فقال لبعض الناس: ما صنع هذا الرجل حتى صُنع به هذا؟ فقالوا: لقـد أراد منه الملك بعض الدراهم، فأبى بدفعها إليه، ثم أتى الوارث إلى الجبار، وسأله عن الرجل، فقال له كما قيل له أولاً، فعند ذلك وثب إلى ذلك الرجل، فقطـع عنـه الحبال بذلك السكين، ومضيا إلى ناحية الجبل المقترب من الحصن، فقيل للجبـار: إن رجلاً لا نعرفه وثب إلى الرجل المصلوب، فقطع بسكينه عنه الحبال، ومـضيا إلى ناحية الجبل، فأمر الجبار على عشرة من رجاله الجورة الطـاغين أن يـأتوا بالرجل وصاحبه إليه، فلما مضوا إليهما، عرفوا الوارث ومعه الرجل المـصلوب، وحولهما عشرون رجلاً شاكين السلاح، فرجعوا عنهما، وأخبروا الجبار الخبـر ، فأمر على مائة رجل من الجبابرة أن يأتوا بهم جميعاً إليه، فلمـا وصـلوا إلـيهم وجدوهم جيشاً كثيراً، فرجعوا إلى الجبار، وأخبروه الخبر، فقال: خلّوا سبيلهم، فإن لهم شأناً عظيماً. قالوا: ورجع الوارث، رحمه الله، والرجل الذي أنقذه الوارث من الصلب إلى وادي بني خروص، و نما خبّره للخاصة والعامة، فاجتمعت المسلمون على بيعته بالإمامة، فبويع سنة سبع وسبعين ومائة سنة بنزوى، والـشاهد علـى تقرير كون الخبر الذي أوردناه عن العامة أن المكان الذي غـرس فيـه الـوارث

نصاب ذلك السكين، به شجر الليمون إلى هذه الغاية، وهي سنه ثمان وستين ومائتين، [٧٨٩] وليمونه لم يُبَدْ، وكلما يبس غصن من أغصانه طلع آخر مكانه، مخضرة أوراقه، والمسجد الذي بناه في وادي بني خروص إلى هذه الغاية التي ذكرناها أولاً، لم تخر دعائمه، ولم ينهد سقفه، ثم إن قبره الشريف بنزوى إلى هذه الغاية، لم يصل إليه ماء الوادي كما كان مرور ماء الوادي على ذلك المكان الذي فيه قبره الشريف، ولهذا الوادي، قوّة شديدة، ويسيل سيلاناً عظيماً، شدّ ما جرى حمل بيوتاً ضخمة، وحمل سكّانها، فلا يُرى لهم أثر، وقبره الشريف هو بين العقر وسُعال من نزوى مزاراً. وعن أخبار الإمام الوارث تحدث الشيوخ والشّبان، وأسراره سرت في كل مكان، ولما بويع له بالإمامة، وطيء أثر السّلف الصالح من المسلمين، وسار بالحق، وأظهر دعوة المسلمين، وعزّ الحق وأهله، وأخمد الكفر، وشرم أنف النفاق، وأرغم الله الجبابرة. وفي زمنه بعث هارون الرشيد عيسى بن جعفر بن أبي المنصور في ألف فارس وخمسة آلاف راجل إلى عمان، فكتب داود المهلبي[1] إلى الإمام الوارث، يخبره أن عيسى قادم بعسكره على عمان، فلما بلغ كتابه إلى الوارث، وكان داود يومئذ بالعراق، أخرج الإمام الوارث إلى عيسى

[1] داود بن يزيد المهلبي: شخصية عمانية، عاش في القرن الثاني الهجري بالبصرة، كتب إلى والي صحار يخبره أن هارون الرشيد أرسل جيشاً بقيادة عيسى بن جعفر ليخضع عمان له، فكتب والي صحار للإمام الوارث بن كعب، الذي كتب إلى واليه مقارش بن محمد اليحمدي، وبعث إليه ثلاثة آلاف مقاتل، فتلقاه الوالي مقارش بشمال صحار، فدارت الحرب بينهم، وهزم عيسى بعد تمزّق قوته، وأسر الكثير من جيشه. انظر دليل أعلام عمان، ص ٦٣.

مقارش بن محمد الأزدي[1]، وأضاف إليه جنداً كثيراً من الأزد، فالتقوا بحتى، وقامت الحرب بين الفريقين على ساق الشقاق، فانكشف جند عيسى، وقتل منهم خلق كثير، وانفلت عيسى هزيماً، حتى وافى سفنه، فارتقاها، وأغربت به في البحر، فاتبعه أبو حميد بن فلج الحداني السلّوتي[2]، ومعه عمرو بن عمر[3] في ثلاثة مراكب، فوقع الحرب بينهم في البحر، فنصر الله حزب الإمام الوارث، فأسر أبو حميد عيسى بن جعفر، فانطلق به إلى صحار، فحبسه في حصنها، وكتب أبو حميد إلى الإمام الوارث عن الواقعة، وأن عيسى صار مقيداً مسجوناً بحصن صحار، فحمد الوارث ربه، وأثنى عليه، بما خوّله من النصر والظفر، وشاور الإمام الوارث الشيخ القاضي علي بن عزرة[4] في قتل عيسى، وتركه عن القتل، فقال له:

---

(1) مقارش بن محمد اليحمدي: والي صحار من قبل الوارث بن كعب الخروصي، تولى قيادة القوات التي نازلت القوات العباسية بقيادة عيسى بن جعفر في موقعة حيي على مقربة من صحار والحق بها هزيمة منكرة. انظر. انظر أعلام عمان، ص ٦٣.

(2) أبو حميد بن فلج الحداني السلوتي: قائد الإمام الوارث بن كعب الخروصي، عاش في القرن الثاني الهجري، خرج إلى عيسى بن جعفر بثلاثة مراكب من مراكب الإمام الوارث بن كعب الخروصي، فأسره، وقتل من معه، وأخذ سيفه. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٦.

(3) عمرو بن عمر: محارب، قائد عاش في القرن الثاني الهجري، كان أحد رجال الإمام الوارث بن كعب الخروصي، أرسله الإمام مع أبي حميد بن حميد بن فلج السلوتي في ثلاثة مراكب لمؤازرة جيشه في حربه مع عيسى بن جعفر، عامل هارون الرشيد على عمان، فكان النصر حليف جيش الوارث. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢١.

(4) علي بن عزرة: من مشاهير علماء زمانه، في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، كان في أيام الوارث بن كعب، وهو من جملة العلماء الذين استفتاهم، أو شاورهم الإمام في قتل عيسى بن جعفر المنصور. لا يعرف تاريخ وفاته. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٩-٥٣٠.

إن قتلته وإن تركته فكلّه واسع لك، فأمسك الإمام عن قتله، وأمر بتركه في السجن، فمضت إلى عيسى رجال من المسلمين، وفيهم يحيى بن عبدالله، رحمه الله، من نزوى إلى صحار، ولم يعرف بهم الإمام، فلما أتوا إلى صحار، تسوّروا السجن، فقتلوا عيسى، وانصرفوا من ليلتهم إلى نزوى، فلما علم هارون الرشيد بكشف جنده وأسر عيسى وقتله، عزم على إنفاذ جيش عرمرم إلى عمان، وقبل أن يجتمع جنوده، أهلكه الله، وكفى الله أهل عمان شرّه، وكان يحيى بن عبدالله من أفاضل المسلمين، ولم يتقدم في الفضل عليه أحد من أهل زمانه، حتى قيل كانت شهرته بعمان كشهرة عبد العزيز بن سليمان،[1] وكفى عن الشيخ بشير بن المنذر كان يقول: قاتل عيسى بن جعفر لم يشم النار.

ولم يزل الوارث إماماً حسن السيرة، قائماً بالعدل، حتى اختار الله ما لديه، وكان سبب موته أنه غرق في سيل الوادي النجدي، وهو وادي كلبوه بنزوى، فغرق هو ومعه من أصحابه سبعون رجلاً، وسبب ذلك كان حبس المسلمين عند سوقم مايل من نزوى، وكان الوارث قد حبس أناساً، فسال الوادي جارفاً، فقيل للإمام: إن الوادي سيصل إلى المحبوسين، فأمر باطلاقهم، فلم يحسن أحد أن يمضي إليهم خوفاً من الوادي، فقال الإمام: إني لأمضي إليهم [٧٩٠] إذ هم أمانتي، فمن يعصمني من ذنبهم يوم القيامة، فمضى إليهم، واتبعه من أصحابه سبعون رجلاً، فمرّ عليهم الوادي، فحملهم مع المسجونين، فماتوا جميعاً، وقُبر الإمام من بعد أن يبس الوادي بين العقر وسعال، وقبره مشهور مزار، وأما أصحابه والمسجونون لم يُرَ منهم أحد، وقد تواترت الأخبار عن الإمام الوارث لمّا حمله الوادي ووجد بين

---

[1] عبد العزيز بن سليمان: لم نعثر على ترجمة له.

فرعي سدرة جسيمة، فقبر حيثما وجد، وكانت مدة إمامته إلى أنْ توفي اثنتي عشرة سنة وستة أشهر إلاّ أياما والله أعلم.[1]

الإمام غسان بن عبدالله الأزدي:

الإمام العادل الأديب الأريب غسان بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد الفححي اليحمدي الأزدي، بويع بالإمامة بعد وفاة الإمام الوارث بن كعب، وفي تاريخ مبايعته اتفقت الرواة وأهل العلم بالسير أنه لمّا مات الإمام الوارث بن كعب، اجتمع المسلمون الاستقاميون لنصب الإمامة، فاختاروا غسان بن عبدالله المذكور، ولما بايعوه وطىء آثار المسلمين، وأعزّ الحق وأهله، وأخمد الكفر، وشقق شقشقة أهل النفاق، وكانت في زمانه تأتي البوارح في سفن فتقع على عمان، وتفسد في سواحلها، فصنع غسان لمحاربتهم هذه الشذاوة، وهو أول من اتخذها وغزا فيها، فانقطعت البوارح عن عمان، وفي زمنه قتل الصّقر بن محمد بن زائدة. وكان ممن بايع المسلمين على حرب راشد بن النظر الجلنداني، وأعانهم بالمال والسلاح، وسبب قتل الصقر أنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق ومعه بنو هناءة وغيرهم باغياً على المسلمين، إن أخ الصّقر التأم بالبغاة وصار معهم، فذكروا للصقر، فقال: هذا كلام باطل بعيد من الحق، فإن أخي مريض ومعي في الدار، فلما هزم الله البغاة تحقق أن أخا الصقر معهم، فاتهموه بالمداهنة لما سترمن أمر أخيه، وكان الصقر يومئذ بسمائل، فبعث الإمام إليه وبسمائل يومئذ أبو الوضاح الصقر بن محمد والإمام غسان يومئذ بنزوى، فمضى الوالي أبو الوضاح بالصقر بن محمد بن زائدة مع الشراة خوفاً عليه أن يقتلوه، وبعث الإمام سرّية أخرى

---

[1] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٢ – ٤٤٣.

والأمير عليهم الشيخ العالم موسى بن علي، فالتقوا بنجد السحاماة، فبينما هم في مسيرهم إذ اعترض الصقر بعض الشراة، فقتلوه، ولم تكن لأبي الوضاح ولا لموسى ابن علي قدرة على منع قتاله، وروي أن موسى بن علي خاف على نفسه القتل لما كف كفه عن المدافعة، وربما لو كان منه ذلك لقتل معه، ولم يكن من الإمام غسان إنكاره على قتال الصقر، وكان في تلك الأيام صدر الدولة وقوتها وجمَّة عدد العلماء، فهذا كان سبب قتل الصقرعلى ما اتفقت الرواة عنه والله أعلم [٧٩١]. ومن أحكام الإمام غسان أنه كانت دار لبني الجلندى بسمد نزوى، ولعلها حدا المال المسمى العقوديّة، وكانت لهذه الدار عقود على الطريق الجايز، وعليها غرف عالية، وكانت تلك العقود مظلمة يعقد فيها الفسّاق وأهل الريبة، فذكر أن امرأة عفيفة مرّت على تلك العقود ، فبلغ ذلك الإمام غسان، فحكم على أهل الدار أن يهدموا تلك العقود، أو يسرجوها بالليل، حتى ينظر المار عليها من فيها من أهل الريبة، فذكر أن أهل تلك الدار أخرجوا طريقاً من أموالهم للناس، فكان الناس يمّرون عليها حتى انهدمت الدار، فرجع أهل الدار إلى الطريق التي أخرجوها فأدخلوها في دارهم، ورجع الناس يمرّون على الطريق الأولى، ولهذه العقود آثار ورسوم جدر سهيلي المسجد الجامع من سمد نزوى، ولم يزل الإمام غسان قائماً بالحق والعدل، حتى مرض يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي القعدة سنة سبع ومائتن سنة، ومات من مرضه هذا بعد سبعة أيام، وكانت إمامته خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر وسبعة أيام على الإتفاق، والله أعلم.(١)

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

الإمام عبد الملك بن حميد الأزدي:

الإمام عبد الملك بن حميد بن سليمان بن علي بن حميد بن عبدالله، من بني سوده ابن علي بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدي، قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة وغيره، إنه لمّا مات الإمام غسان، اجتمع المسلمون لنصب الإمامة، فاختاروا من بعده عبد الملك بن حميد المذكور، ولما خلصت إليه البيعة، سار سيرة الحق والعدل، واتبع أثر السلف الصالح، فصارت عمان يومئذ خير دار، وكانت البيعة له يوم الإثنين لثماني ليال بقين من شهر شوال، سنة ثماني ومائتين، فلم يزل مقيم العدل، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، سالكاً طريق الصالحين، مقتدياً بالكتاب وسنة النبي الأمين، حتى كبر وضعف، وزمن، وضعف عن القيام، وكانت تقع الأحداث في عسكره، فشاور المسلمون الشيخ العالم موسى بن علي في عزله، فأشار عليهم أن يحضروا العسكر، ويقوموا بالدولة، فأحضر الشيخ موسى العسكر، وأقام الدولة، ومنع الباطل، وشذّ عسكر من المسلمين، وبقي الإمام عبدالملك في بيته، فلم يعزلوه، ولم يزيلوه حتى مات، رحمهُ الله، وهو إمام لهم، وكانت ولايته ثماني عشرة سنة، إلى أن توفي، غفر الله له ورحمه، هكذا مدّة ولايته على الإتفاق، والله أعلم[1].

الإمام المهنا بن جيفر اليحمدي:

الإمام المهنا بن جيفر الفححي اليحمدي الخروصي الأزدي، عقد له بالإمامة يوم الجمعة من شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين سنة، فوطىء آثار أهل مذهب الاستقامة، وسار بسيرتهم الرضيّة، ودمّر الباطل، وأظهر الحق والعدل، وكان له

---

(1) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

ضبط وحزم، لا يتكلم أحد في مجلسه، ولا يعين خصماً على خصم، ولا يقوم أحد من أعوانه ما دام قاعداً، ولا يُدخل أحدٌ ممن تجري عليه الثقة من [٧٩٢] العسكر إلاّ بالسلاح، وبلغ في الهيبة ما لم يبلغه أحد قبله من الأئمة، وكان له ناب أعضل، إذا أبرزه لإنسان عند الغضب يموت ذلك الإنسان في الحال، فلذلك يقول ابن النظر في لاميته (يفتر عن ناب زبون أعضلِ)، وقد ولّى على الصدقة رجلاً يقال له عبد الله بن سليمان الضبّي من بني ضبّة أهل منح، وكان يرسله إلى الماشية، فدخل أرض مهرة، ووصل إلى رجل منهم يقال له وسيم بن جعفر، وقد وجبت عليه فريضتان، فامتنع أن يعطي إلاّ فريضة واحدة، وأغلظ وسيم الكلام على عبد الله، حتى قال له: إن شئت تأخذ فريضة، وإلاّ فانظر إلى قبور أصحابكم، فسكت عنه ورجع، وكان عند عبدالله رجل جمّال. فلما وصلا إلى عزّ، تأخر عبدالله في عزّ، وكان منزله بها، وأرسل الجمال إلى الإمام المهنا، فقدم الجمّال على الإمام، وهو في مجلس الحكم، فلما ارتفع من مجلسه، دعا بالجمّال، فسأله عن عبدالله، وكيف كان في سفره، فأخبره بما كان من وسيم، فقال الإمام للجمّال: لا تخبر أحداً بما أخبرتني به، واكتم ذلك. وأكد عليه في الكتمان، فلما وصل عبدالله بن سليمان، سأله الإمام عن خبر وسيم، فأخبره بمثل ما أخبره الجمّال، فكتب الإمام في وقته ذلك إلى والي أدم، ووالي سناو، ووالي جعلان: إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر المهري، فاستوثقوا منه، وأعلموني، فكتب له والي أدم: إني قد استوثقت منه، وإنه قد حصل ما نفذ الإمام إليه يحيى اليحمدي، المعروف بأبي المقارش، مع جماعة من أصحاب الخيل، ثم أنفذ كتيبة أخرى، فلقوهم بالمنايف، ثم أنفذ كتيبة أخرى، فلقوهم في قرية عزّ، ثم أنفذ كتيبة أخرى، فلقوهم في قرية منح، فلم تزل الكتائب تتراسل والرماح

تحتمله، حتى وصلوا به إلى نزوى، فأمر الإمام بحبسه، فمكث سنة لا يقدر أحد أن يذّكره فيه، ولا يسأل عن أمره، حتى وصل جماعة من المهرة، فاستغاثوا على المهنا بوجوه اليحمد، فأجابهم إلى إطلاقه، وشرط عليهم ثلاث خصال: إما أن يرتحلوا عن عمان، وإما أن يؤذنوا بالحرب، وإما أن يحضروا الماشية كل حول إلى عسكر نزوى، ويشهد على حضورها العدل، أنه لم يتخلف منها شيء، ويعّدل الشهود المعّدل بلام، فقالوا: أما الارتحال فلا يمكننا، وأما الحرب، فلسنا نحارب الإمام، وأما الإبل، لنحضرها، فعند ذلك عدّل الإمام الشهود، وكانوا يحضرون إبلهم في كل سنة تدور، وقيل: إن هذه الاسطوانة التي تسميها العامة باللغة الاصطلاحية النقصية التي ببلد فرق، بنيت في زمن المهنا، علامة لبني مهرة، ليحضروا إبلهم عندها، والله أعلم بالصواب.وخرج المغيرة بن روسن الجلنداني ومن معه من بني جلندى، وغيرهم من أهل الفتنة بغاةً على المسلمين، فوصلوا إلى توامٍ، وكان أبو الوضاح والياً فيها للإمام المهنا، فقتلوا أبا الوضاح، فلما بلغ ذلك المسلمين، مضى إليه أبو مروان، رحمه الله، وكان يومئذ والياً على صحار من قبل الإمام المهنا بمن معه من الرجال، واشتمل عليه المطار والهندي ومن معه من الهند، فلما وصلوا توام، وهزم الله بني الجلندى الباغين، وقتل من قتل منهم، وهرب من هرب، عمد المطار الهندي ومن معه من سفهاء الجيش إلى دور بني الجلندى، فأحرقوها بالنار، وكان في الدور الدواب من بقر وغيرها مربوطة [٧٩٣]، فحُكي أن رجلاً من السرية، كان يلقي نفسه في الفلج، حتى يبتل بدنه وثيابه، ثم يمضي في النار، حتى يقطع للدواب حبالها، فتنجي أنفسها من النيران، وقد احترقت سبعون

غرفة، وقيل خمسون غرفة[1]، وحُكي أيضاً: إن نسوة من بني الجلندى خرجن على وجوههن إلى الصحراء هاربات، ومعهن أَمَةً، فمكثن ما شاء الله في الصحراء، فاحتجن إلى الطعام والشراب، فانطلقت الأمةً إلى القرية ليلاً، تلتمس لهُنّ الطعام والشراب، فلما وصلت إلى القرية، وجدت شيئاً من السويق، وسقاء من أسقية اللبن وكسر إناءٍ، فعمدت إلى الفلج، فحملت في سقائها ماءً، فبصر بها رجل من السرية، وقد توجهت نحو النسوة بالماء والسويق ، فأدركها رجل في بعض الطرق ، فأخذ منها السويق ، فألقاه في الأرض وأخذ الماء فأراقه، ثم انصرف عنها، واتفقت الروايات أن أبا مروان لم يأمر بهذا، وأنه قد نهى عنه، فلم يقبل قوله، وصحّ عن الإمام، أنه بعث رجلين إلى القوم الذين أُحرقت منازلهم، فدفعهما إلى الإنصاف، وأن يعطوهم ما وجب لهم من الحق، واتفقت الروايات، أن الذين اجتمعوا مع أبي مروان، اثنا عشر ألفاً، وأن الإمام قد جمع خلقاً كثيراً، فلما أتاه كتاب أبي مروان بالنصر على بني الجلندى، أمسك عن الخروج والمسير، ورجعت عساكره إلى مواطنها. وسمعت الشيخ أحمد العبيداني يقول: قد وقفت على كتاب تاريخ للمسعودي، غير كتاب التاريخ الذي سمّاه مروج الذهب، ولعل هذا الكتاب الذي ذكره الشيخ أحمد كتاب الوسيط الذي ذكره المسعودي في مروج الذهب أنه من تواريخه، قال: وفيه يقول المسعودي بعد كلام طويل: ونزلنا ببلدة مسقط، وشربنا من مياهها العذبة، وسألنا عن الإمام القائم بعمان، فقيل لنا الإمام المهنا بن جيفر، وقد اجتمع تحت رايته أربعون ألفاً بين راكب وراجل شاكيّن السلاح، فلعل جمع الإمام لهذه العساكر لحرب بني الجلندى، أو لحرب غيرهم، والله أعلم بالصواب.

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٤٤.

وبلغني أن الإمام المهنا أنه رأى ذات يوم حجّاماً يحجم رجلاً حذا قصر الإمام، فزجر الحجام ونهاه عن تنبيع الدم حذا قصر الإمارة، وللإمام المهنا سير حسان، وأخبار له فيها شان من سطوته وهيبته، وكانت وفاته بنزوى يوم السادس عشر من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين، ومكثه في الإمامة إلى أن مات عشر سنين وأشهراً وأياماً، ومات والمسلمون عنه راضون، وله موالون ومؤازرون. وفي سيرة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان[1] رحمه الله، يقول فيها: إن الشيخ محمد ابن محبوب[2] وبشير أطلعاني على حديث من المهنا، تزول به إمامته، وإنما كانا يبرآن منه سريرة، والله أعلم بالصواب[3].

الإمام الصلت بن مالك:

الإمام الصلت بن مالك بن عبدالله بن مالك الشاري الخروصي الأزدي اليمني، الناسك، العادل، المشهور، بويع له بالإمامة في اليوم الذي مات فيه المهنابن جيفر، وكان يومئذ بقايا من المسلمين، ورئيسهم وإمامهم في العلم محمد بن محبوب، فبايعوا الصلت بن مالك على ما بويع عليه الأئمة العدل من قبله، فسار بالحق

---

(١) الشيخ أبو قحطان بن خالد بن قحطان: من أهل هجار الواقعة بوادي بني خروص، من مشاهير علماء الطبقة الرابعة، له سيرة مشهورة وكتاب جامع يعرف بـ "كتاب أبي قحطان". أنظر دليل أعلام عمان، ص ٢٦.

(٢) محمد بن محبوب: محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة، يتصل نسبه إلى لؤي بن غالب القرشي، من أكابر علماء عمان في عصره، تولى رئاسة العلم والعلماء أيام الصلت بن مالك الخروصي في العقد الأول من القرن الثالث الهجري، عرف بأبي عبدالله، وابنه عبدالله هو جدّ الإمام الرضي سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب، لقد كانت هذه السلسلة الذهبية تعرف بآل الرحيل، فجميعهم كانوا منارات علم وهدي، سكنوا صحار وللشيخ محمد بن محبوب أجوبة فقهية، امتلأت بها كتب الفقه الإسلامي بعمان. انظر دليل أعلام. ص ١٥٠.

(٣) لأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٤ – ٤٤٥.

والعدل ما شاء الله، حتى فني من أشياخ المسلمين جملة من الذين بايعوه، ولا ذكر أن أحداً فارقه، وعمّر في الإمامة مالم يعمر أحد قبله، حتى كبـر وأسـن، [٧٩٤] وضعف عن القيام، وإنما، كان ضعفه من قبل الـرجلين، وأمـا العقـل والـسمع والبصر، ما أحد سمع يتكلم فيهم بضعف، فلّما بلغ الكتاب أجله، وأراد الله أن يختبر أهل عمان، كما اختبر الذين من قبلهم، فسار إليهم موسى بن موسى[١]، ثـم اتبعـه حتى نزل فرق، فتخاذلت الرعية عن الصلت، وضعف عن الإمامة، واعتزل عـن بيت الإمامة، فعقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النظر، وكـان ذلـك يـوم الخميس لثلاث ليال خلت من شهر الحج سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وكانت إمامة الصلت خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية أيام، وكانت وفاته ليلـة الجمعـة للنصف من ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين، وفي أيامه توفي العالم العلاّمة إمام العلماء، محمد بن محبوب، رحمه الله، ببلدة صحار، ثم وقعت الفتنة في عمان، وكبرت المحنة والأحنة، واشتدّت العداوات، وكثرت بينهم السّير والأقوال، واختلفوا في دينهم، وتفرّق رأيهم، ووقعت بينهم البزات، وعظم بينهم القيل والقال، واشـتد

---

[١] موسى بن موسى: وزير، قائد، قاضٍ، عاش في القرن الثالث الهجري، هو ابن إمام العلمـاء موسى بن علي، كان وزيراً للصلت بن مالك الأزدي الخروصي، وممن بايعوا راشد بن النـضر بدلاً من الإمام الصلت، ثم حضر بيعة عزان بن تميم الخروصي، بعد الإمام راشد، فأثبته عزان على القضاء، ثم وقعت بينهما العداوة والبغضاء والإحن، فعزله الإمـام عـزان عـن القـضاء، وتخوف منه، وأطلق الإمام كافة المسجونين، فساروا إلى إزكي لمقاتلة موسى بن موسى، وقتـل. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٥٦.

بينهم القتال، ثم إن موسى برىء من راشد، وفسّقه، وضلّله، وسار إليه وعزله، والبحث في هذا يطول[1].

الإمام عزان بن تميم:

الإمام عزان بن تميم بن أحمد بن صالح بن أحمد الخروصي الأزدي، وداره المسفاة، وهي قرية في وادي بني خروص، بويع له بالإمامة يوم الثلاثاء لثلاث ليالٍ خلون من شهر صفر سنة سبع وسبعين ومائتين سنة، وممن حضر البيعة من المشائخ الثقات عمر بن محمد القاضي[2]، ومحمد بن موسى بن علي[3]، وعزّان بن الهزبر[4]، وأزهر بن محمد بن سليمان[5]، فلبث موسى وعزان وليّيّن لبعضهما بعض ما شاء الله من الزمان، حتى وقعت بينهما الإحن، فعزل عزان موسى عن القضاء، وتّخوف عزان من موسى، فعاجل عزان موسى بجيش، أطلق فيه كافة المسجونين، فساروا إلى إزكي، فدخلوا حجرة النزار، ووضعوا على أهل ازكي القتل والأسر، والسلب، والنهب، وأضرموا فيها النيران، فأحرقوا أناساً وهم أحياء، وقتل موسى بن موسى مع حصيات الرّدة التي عند مسجد الحجر من حلّة الجنوّر، وفعلوا في أهل إزكي مالم يفعله أحد قبلهم، فاشتدت الفتن، وعظمت الضغائن

---

[1] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٥ – ٤٤٦.

[2] عمر بن محمد القاضي: عالم، فقيه، عاش في القرن الثالث الهجري، كان من العلماء الذين لم يرضوا بإمامة الصلت بن مالك، ورغبوا في إمامة راشد بن النظر اليحمدي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٠.

[3] محمد بن موسى: محمد بن موسى بن علي بن عزرة، أخو موسى ابن موسى، عالم كبير، شارك أخاه في مبايعة عزان بن تميم خلفاً لراشد بن النظر. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٥٠.

[4] عزان بن الهزبر: فقيه، عالم، عاش في القرن الثالث الهجري، كان من جملة العلماء الذين عقدوا الإمامة للصلت بن مالك، بعد وفاة الإمام عبد الملك بن حميد. انظر أعلام عمان، ص ١١٧.

[5] أزهر بن محمد بن سليمان: الأزهر بن محمد بن سليمان البسيوي، من علماء النصف الثاني من القرن الثالث، كان من جملة العلماء الذين بايعوا الإمام عزان بن تميم. انظر: البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٣.

والإحن، وتفاقمت المحن، وجعل كل فريق يطلب إساءة صاحبه بمـــا قـــدر، وآوى عزان المحدثين من أصحابه، وأجرى عليهم النفقات ، وطرح نفقة من تخلف عـــن المسير إلى إزكي، وكانت الوقعة هذه يوم الأحد، لليلة بقيت من شعبان سنة ثمـــان وسبعين ومائتين، فمن أجل هذه الوقعة، خرج الفـــضل بـــن الحـــواري القرشـــي النزاري[1] ثائراً بمن قتل من أهل إزكي، وطابقته على ذلك المـــضرية والحـّـدان، وأُناس من بني الحارث، من أهل الباطنة، ولحق به عبدالله الحـــداني[2]، ورجـــال الحدّان، وخرج الفضل إلى توام الجوّ، ثم رجع إلى الحدان، فخرج معه الحواري بن عبدالله السلوتي[3]، ومضوا إلى صحار، وذلك يوم السادس عشر من شوال من هذه السنة المذكورة، ودخلوا صحار يوم الثالث والعشرين من هذا الشهر، وذلـــك يـــوم الجمعه، وحضرت [٧٩٥] صلاة الجمعة، فصلى بالناس زيد بن سليمان[4]، وخطب ودعا للحواري بن عبدالله السلوتي على المنبر، وأقاموا فيها بقية الجمعـــة، ويـــوم السبت، وخرجوا عشية الأحد، لمحاربة الأهيف بن حمحام الهنائي، ومن معه مـــن أصحاب عزان بن تميم، وذلك أن عزان بن تميم، لمّا سمع بخروجهم، وجّه إلـــيهم الأهيف بن حمحام، رئيس بني هناءة في جماعة من اليحمـــد، وفـــيهم فهـــم بـــن

---

[1] الفضل بن الحواري: الفضل بن الحواري السامي، عالم فقيه، عاش في القرن الثالث الهجري، خرج إلى ناحية السر، ليعدّ جيشاً من هناك، وذلك حين قتل موسى ومن معه من قومـــه. انظـــر دليل اعلام عمان ن ص ١٢٩.

[2] عبدالله الحداني: عبدالله بن محمد الحداني المكنى بأبي سعيد القرمطي، عاش في القرن الثالث الهجري، تولى الإمامة على الشراة بعد الشيخ محمد بن الحسن الأزدي الخروصي، ثـــم عـــزل. انظر دليل أعلام عمان، ص ١١٤ – ١١٥.

[3] الحواري بن عبدالله السلوتي: قائد عاش في القرن الثالث الهجـــري، كـــان أحـــد الزعمـــاء المشهورين أيام الإمام راشد بن النظر، وكان أحد قادة جيشه الذي لاقي شاذان بن الـــصلت فـــي نزوى. انظر دليل أعلام عمان، ص ٥٣.

[4] زيد بن سليمان: لم نعثر على ترجمة له.

وارث[1]، فساروا حتى بلغوا مجزاً من الباطنة، وأرسلوا إلى صلت بن نظر، فخرج إليهم في جماعه من الخيل والرجال، ووصل إليهم الفضل بن الحواري، والحواري بن عبدالله، فأشرعوا فيهم القتل، فقتل من المضرية يومئذ خلق كثير، ووقعت الهزيمة عليهم، وكانت هذه الوقعة يوم الإثنين لأربع ليال بقين من شهر شوال من هذه السنة المذكورة، ولم تزل الفتن تتراكم بين أهل عمان، وتزيد بينهم الإحن، وصار أمر الإمامة بينهم لعباً ولهواً، لم يقتفوا كتاب الله، ولا آثار السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم، حتى أنهم عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة، لم يفيؤوا بواحدة، حتى بلغ الكتاب أجله، خرج إليهم محمد بن القاسم[2]، وبشير بن المنذر، من بني سامة بن لؤي بن غالب،وقصدوا إلى البحرين، وكان بها يومئذ محمد بن نور القرمطي عاملاً للمعتضد، وهو أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد ابن المهتدي محمد بن هارون الواثق، وكان بالبحرين يومئذ محمد بن نور القرمطي عاملاً للمعتضد، فلما قدما عليه، شكيا إليه ما أصابهم من الفرقة الحميرية،وسألاه الخروج معهما إلى عمان، وأطمعاه في أشياء كثيرة، فأجابهما إلى ذلك، وأشار إليهما أن يذهبا إلى الخليفة المعتضد ببغداد، ويذكرا إليه أمرهما، وأنهما قدما يريدان نصرته. فسار محمد بن أبي القاسم إلى بغداد، وقعد بشير مع محمد بن نور بالبحرين، فلما قدم محمد إلى الخليفة، ذكر له الأمر، واستخرج منه لمحمد بن نور عهداً على عمان، ورجع إلى البحرين، فلما قدم على محمد بن نور، أخذ محمد بن نور في جمع العساكر من سائر القبائل، وخاصة نزار، وحصل معه أُناس من الشام من طيء، فخرج يريد عمان في خمسة وعشرين ألفاً، ومعه من الفرسان ثلاثة

---

[1] فهم بن وارث: فهم بن وارث الكلبي، عاش في القرن الثالث الهجري من اليحمد، أحد زعماء القوم في عمان، الذين بايعوا موسى بن موسى بن علي في مبايعة راشد بن النظر، بدلاً من الإمام الصلت بن مالك. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٩.

[2] محمد بن القاسم: محمد بن القاسم بن المسبح، عالم عاش في القرن الثالث الهجري، ينسب إلى قرية (هيل) قرب سمائل . انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٩.

آلاف وخمسمائة فارس، عليهم الدروع والجواشن، وعندهم الأمتعة الجزيلة، وفي ذلك يقول محمد بن نور شعرا[١]:

أمن مبلغ عنّا أعمان وأهلها مقالاً تنقاه حكيم مجَّربُ
بصير بأسباب التصرف قلبه يظن لك الظن الذي ليس يكذبُ
يرى في وجوه القوم ما في قلوبهم ويعرف ما قالوا وهم عنه غُيّبُ
ألا فكلوا يا قوم من طيباتّكم ومن أعذب الماء المبرّد فاشربوا
واقضوا لبانات النفوس فإنني أرى نعمه أسبابها تتقضّبُ
كأني بأهل الدين قد ندبوا لكم فوارس لا زالت لدى الرحل تطلبُ
فوارس من أبناء عدنان كلها لملك فتى العباس ترضى وتغضبُ[٢][٧٩٦]

ثم اتصل خبره بعمان، فاضطربت، ووقع بين أهلها الخلف والعصبية، وتفرقت آراؤهم، وتشتت قلوبهم، فمنهم من خرج من عمان بأهله وماله، ومنهم من أسلم نفسه للهوان بقلّة احتياله، فخرج سليمان بن عبدالملك بن بلال السّليمي[٣]، ومن

---

[١] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٦ – ٤٤٧.
[٢] المصدر نفسه، ص ٤٤٨.
[٣] سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي: قائد، عاش في القرن الثالث الهجري، كان أحد قواد جيش الإمام عزان بن تميم في حربه ضدّ الحواري بن عبد الله الحداني، والفضل بن الحواري، بعد قتل موسى بن موسى بن علي الأزكوي، التقى الجيشان بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع، وأبلى بلاءاً حسناً، وانتصر في المعركة، وذهب فيما بعد إلى هرمز، وأقام بها، واتخذ بها داراً وأموالاً، يأساً من العودة إلى عمان، وهو الذي قصده أبن دريد في لاميته، حيث يقول:

يا سليمان جرد العزم قدما تدرك الوتر منجدا وهو نول

انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٣ – ٨٤.

اتبعه إلى هرموز[١]، وخرج أهل صحار بأموالهم وأهليهم إلى شيراز[٢] والبصرة، وقدم محمد بن نور بجنوده وعساكره، فافتتح جلفار،ووصل إلى توام، يوم الأربعاء لست ليالٍ خلون من شهر المحرّم سنة ثمانين ومائتين، بعد حروب كانت بالرحـا، واستولى على السرّ ونواحيها، وقصد نزوى، وتخاذلت الناس عن عزان بن تمـيم، فخرج عن نزوى، ثم مضى إلى سمد الشان، ووصل محمد بن نور إلـى نـزوى، وسلّمت له نزوى، ثم مضى قاصداً إلى سمد الشان، فلحق عزّان بن تميم، فوقـع بينهم الحرب والقتال، واشتد الطعن والضرب والنزال، وذلك يوم الأربعاء لخمـس ليال بقين من صفر من هذه السنة، فكانت الهزيمة على أهل عمان، وقتل عزّان بن تميم، وخرجت عمان من يد أهلها، ولم يغيّر الله ما بهم، بل غيروا مـا بأنفـسهم، وكان قتالهم وحربهم بينهم طلباً للملك، ورغبة في الرئاسة، وكل واحد يودُّ أن يكون الملك بيده، أو بيد من مال إليه بودّه، فسلّط الله عليهم، وأفسدوا ديـنهم، فنـزع الله عنهم دولتهم، وسلط عليهم عدوّهم، وكانت دولة الإباضية مـذ ملكوهـا إلـى أن خرجت من أيديهم مائة سنة وثلاث وستين سنة إلاّ شهراً واثني عشر يومـاً، والله أعلم. وبعث محمد بن نور برأس عزان بن تميم إلى الخليفة ببغداد، ورجع محمـد ابن نور إلى نزوى، وأقام بها. ثم إن الأهيف بن حمحام الهنائي كاتب مشائخ عمان وقبائلها من كل مكان، يدعوهم إلى محاربة محمد بن نور، وإخراجه مـن عمـان،

---

[١] هرموز: مدينة في البحر، تبحر إليها المراكب، وتنقل أمتعه الهند إلـى كرمـان وسجـستان وخرسان، ومن الناس من يسميها هرمز. انظر الحموي، يا قوت بن عبـدالله: معجـم البلـدان، ج٥، ص٤٠٢.

[٢] شيراز: قصبة من بلاد فارس، وقيل: سميت بشيراز نسبة إلى شيراز بن طهمـورث. عذبـة الماء، صحيحة الهواء، كثيرة الخيرات. وإليها ينسب عدد كبير من العلماء.
انظر الحموي،ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٠.

ويحثّهم على ذلك، فأجابوه، وأقبلوا إليه، فسار بعسكر ضخم وخميس جرار، يريد محمد بن نور، فدخل الرعب في قلبه، فخرج هارباً، فاتبعه الأهيف بعساكره، وكان الرأي الصائب أن لا يلحقوه، بل يسيرون خلفه رويداً رويداً، حتى يخرج من عمان، فيرجعوا عنه، لكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فساروا سريعاً، حتى لحقوه بدما[1]، فاقتلوا قتالاً شديداً، حتى كثر القتل والجراح في الفريقين، وكادت أن تكون الهزيمة على محمد بن نور وجنده، فألجؤوه على ساحل البحر ببلدة السيب[2]، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمه، وعليهم من المضرية رجال على كل جمل رجلان، وهم من قبل أبي عبيدة بن محمد الشامي، مدداً لمحمد بن نور، على الأهيف وأصحابه، فلما كانوا قريباً من العسكرين، نزلوا من رواحلهم، وأخذوا أسلحتهم، وحملوا مع محمد بن نور على الأهيف و أصحابه ، فوقع بينهم القتال وكادت تكون الهزيمة على محمد بن نور، فوقعت الهزيمة على أهل عمان، وقتل الأهيف بن حمحام وخلق كثير من عشائره وغيرهم، ولم يسلم من أهل عمان، إلاّ من تأخر أجله، [797] ورجع محمد بن نور إلى نزوى، واستولى على كافة عمان، وفرّق أهلها، وعاث في البلاد، وأهلك ببغيه الحرث والأولاد، وفي ذلك يقول محمد ابن دريد الأزدي شعراً[3]:

---

[1] دَمَا: بفتح أوله، وتخفيف ثانية، بلدة من نواحي عمان، وقيل: تذكر مع دبا، كانت من أسواق العرب المشهورة، منها أبو شداد، قال: جاءنا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قطعة من أديم إلى عمان. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٦١.

[2] السيب: مدينة السيب الحالية، هي مدينة دما أو دبا سابقاً .

[3] الأزكوي، سعيد بن سرحان:: المصدر نفسه، ص ٤٤٨ – ٤٤٩.

لا يفـــوت المـــوت منحــــدراً | أبقــــاه الغــــاب والغيــــلُ
مفــــرع الأكنــــاف ذو لبـــدٍ | مبــــرص الأوصــــال مجــدولُ
إن دهــــراً خلّــــى حــــدّهم | حــــدّه لا بــــدَّ مفلـــــولُ
مــــا بكــــائهم إن هُــمُ قتلــوا | صــــبرهم للقتـــــل تفــضيلُ
إن أســـد الحـــرب بــــان لنــــا | نـــــالهم قــــوم أراذيــــلُ
نـــــالهم مــــن لا يحـــصله | فـــي كـــرام القـــوم تحـــصيلُ
أعُبـــــد قـــنِ تـــــصادرهم | و هــــم قـــوم تنابيــــل
فـــــرأوا للهـــرب طــــرّده | طــــرداً مـــا فيـــه تمهيــلُ
بمـــــشيخ ثـــــالطِ ودمٍ | أخلـــصت منـــه الــسراويلُ
قيـــــل والمقـــدار يحرســـه | فنجــا والســرج مبلـــولُ[(١)]

فلما استولى محمد بن نور على عمان، وجعل أعزّة أهلها أذلّــة، وقطّــع الأيــدي والأرجل والآذان، وسمل الأعين، وأحلّ على أهلها النكال والهوان، ودفن الأنهار، وأحرق الكتب، وذهبت عمان من أيدي أهلها. ثم إنه أراد الرجوع إلى البحـــرين، فجعل عاملاً على عمان، رجلاً يقال له أحمد بن هلال، ورجع هو إلى البحـــرين، وجعل أحمد عمالاً على سائر عمان. وكانت إقامته ببهلا[(٢)]، وجعل علـــى نـــزوى عاملاً رجلاً، يقال له بحيرة، ويكنى أبا أحمد، فقيل له ذات يوم: إن أبا الحــواري

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٩.

(٢) بهلا: مدينة في المنطقة الداخلية، وتعد من أقدم مناطق عمان، وكانت عاصـــمة عمـــان فـــي فترات التاريخ القديم، وتشتهر بسورها التاريخي، وقلعتها القديمة. انظر: بهـــلا عبـــر التـــاريخ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م، ص ٩.

ومن معه من الأصحاب يبرؤون من موسى بن موسى، فأرسل إلى أبي الحواري جنديًا، فوصل إليه الجندي، وهو قاعد على محراب سعيد المعروف بأبي القسّام، وهو مسجد الشجبي، بعد صلاة الفجر، يقرأ القران، فقال: إن أبا أحمد يقول لك: سر إليه، فقال أبو الحواري: ليس لي به حاجة، وأخذ في القراءة، فبقي الجندي متحيراً، لا يدري كيف يفعل به، حتى جاءه رسول البحيرة، فقال له: لا تحدث في أبي الحواري حدثاً، وذلك ببركة القرآن العظيم، وقيل: إن الجندي قال: إنما دعوته ليقوم، لئلا يطشّ دمه في المحراب، ولم يزل البحيرة عاملاً على نزوى حتى قتلوه، وسحبوه، وقبره معروف عندهم أسفل من باب موثر قليلاً في لجيه هنالك، على الطريق الجائز، التي تمر أعلى فرق، يطرحون عليه السماد والجذوع، والله أعلم[١].

ثم بايعوا محمد بن الحسن الخروصي الأزدي اليحمدي على الشراء، ثم اعتزل، ثم بايعوا الصلت بن القاسم الخروصي، ثم عزلوه، ثم بايعوا عزان بن الهزبر المالكي من كلب اليحمد، ثم عزلوه، ثم عقدوا لعبدالله بن محمد الحداني، المعروف بأبي سعيد القرمطي، ثم عزلوه، ثم عقدوا للصلت بن القاسم ثانية، ومات في الإمامة، ثم بايعوا الحسن بن السحتني، فلبث أقل من شهر، [٧٩٨] ومات، ثم عقدوا للحواري ابن مطرف الحداني على المدافعة، فكان آخذاً على يد الفسّاق والسفهاء من أهل عمان أخذاً شديداً، إلاّ أنه إذا جاء السلطان إلى عمان يجبي أهلها، اعتزل عن بيت الإمامة إلى بيته، ولم يمنعه من الظلم والبغي، وإذا خرج السلطان، رجع هو إلى

---

(١) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٥٠

بيت الإمامة، ووضع تاج الإمامة على رأسه، وقال لمن حوله: لا حكم إلاّ لله، ولا طاعة لمن عصى الله[١].

وكانوا القائمين بالأمرعند السلطان أناس من بني سامة، إلى أن مات، وهذا السلطان هو سلطان بغداد. قال المصنف: أظن هذا السلطان هو الخليفة علي بن أحمد المعتضد، فإنه بويع في اليوم الذي مات فيه أبوه المعتضد بمدينة السلام بغداد. وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنه تسع وثمانين ومائتين، وأخذ له البيعة القاسم بن عبدالله[٢]، والمكتفي يومئذ بالرقة،[٣] وللمكتفي يومئذ نيف وعشرون سنة، ويكنى بأبي محمد، وكان وصول المكتفي إلى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادي الأولى سنة تسع وثمانين ومائتين، وكان دخوله في الملأ، ونزل قصر الحسنى على دجلة، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو يومئذ ابن إحدى وثلاثين سنه وثلاثة أشهر، وكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشرة يوماً على تباين الناس في تواريخهم، والله أعلم بالصواب، انتهى قول المصنف. قال صاحب كتاب شف الغمة في افتراق الأمة: ثم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥٠.

(٢) القاسم بن عبد الله: القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي الوزير، ولي الوزارة للمعتضد بعد موت والده الوزير الكبير عبدالله في سنة ثمان وثمانين ومائتين، كان ظلوماً عاتياً، سفاكاً للدماء، أباد جماعة، ولما مات شمت الناس بموته. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ١٨-١٩.

(٣) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات في بلاد الجزيرة، على جانب الفرات الشرقي. انظر الحموي، يا قوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٥٨-٥٩.

عقدوا لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرق[1]، فمضى على سبيل عمّه،إذ جاء عسكر السلطان، اعتزل، وإذا رجع عسكر السلطان رجع إلى بيت الإمامة. ثم جاءت القرامطة إلى عمان، فاعتزل عن بيت الإمامة، ورجعت القرامطة إلى البحرين، فلم يرجع عمر إلى بيت الإمامة، وكانت هذه القرامطة قد غلبت على سائر البلدان، ومكة والشام، وأطاعهم أكثرالقبائل، وهم بنو أبي سعيد الحسن بن بهرام بن بهرست الجنابي[2]، وقد أبطلوا الصلوات والصوم والحج والزكاة، وزخرف عليهم وموّه على الضعفاء المملقين من العلم والدين، حتى أنهم يتألهوه من دون الله تعالى، وكان سبب زوال ملكه على يد عبدالله بن علي، وكان قيامه عليه بأربعمائة رجل، وكانوا في عسكر جمة وجنود كثيرة، فلبث في محاربتهم سبع سنين، حتى انتزع الدولة منهم، وفي ذلك يقول جمال الدين بن عبدالله بن علي بن مقرّب[3]:

---

(1) عمر بن محمد بن مطرف: عقد له بالإمامة بعد وفاة عمه الإمام الحواري بن مطرف الحداني، كان على نحو سبيل عمه، إذا جاء السلطان، اعتزل من بيت الإمامة، ثم جاءت القرامطة إلى عمان ورجعت، فلم يعد إلى بيت الإمامة، بويع من بعده محمد بن يزيد الكندي على الدفاع. انظر السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٢٦٧.

(2) الحسن بن بهرام بن بهرست الجنابي: الحسن بن أحمد بن أبي سعيد حسن بن بهران الجنابي القرمطي، الملقب بالأعصم. استولى على الشام سنة ٣٥٧ هـ. وتوفي بالرملة سنة ٣٦٦ هـ. انظر: الذهبي، شمي الدين أحمد بن محمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ٢٧٥.

(3) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٥٠ – ٤٥١.

سل القرامط من شـظى جمـاجمهم فلقـاً وغـادرهم بعـد العلـى خـدما
من بعد أن جلّ بـالبحرين شـأنهم وأرجفوا الـشام بالغـارات والحرمـا
ولم تزل خـيلهم تغـشى سـنابكها أرض العـراق وتغـشى تـارة أدمـا
وحرّقوا عبد قـيس فـي منازلهـا وصيّروا العـز مـن سـاداتها حممـا
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا شهر الصيام ونـصبّوا مـنهم صـنما
ومـا بنـو مـسجدًا للّـه نعرفـه بـل كلمـا أدركـوه قائمـاً هُـدماً
حتى حمينا إلى الإسـلام وانتـدبت منّا فوارس تجلـو الكـرب والظلّمـا
وطالبتنـا بنـوا الأعمـام عادتنـا فلـم تجـد بكمـاً فينـا ولا صـمما
وقلدوا الأمـر منّـا ماجـداً نجـداً يشفي ويكفـي إذا مـا حـادث دهمـا
ماضي العزيمـة ميمـون نقيبتـه أعلا نزاراً إلى غاياتها هممـا [٧٩٩]
وسـار تتبعـه غـرّ غطارفـة لو زاحمت سدّ ذي القرنين لانثلمـا[١]

من قصيدة طويلة. قال المصنف: وصحّ أن الشيخ جمال الدين عبدالله بن علي بـن مقرّب قد ارتفع عن الحسا[٢] بعدما صنع ببغاتها ما صنع، وسكن بعدما فارق الحسا بلدة طيوي[٣]، ومات بها بعد أن بني حصناً بالحجر في الجبل المشرف على المـاء الجم، وهو المسمى الشط الشرقي إذ بطيوي شطان: شط شرقي، وشـط غربـي، والشط الشرقي أغزر ماءً من الشط الغربي، وقد مضيت إلى طيوي مرتين: المرّة

---

[١] المصدر نفسه، ص ٤٥١.

[٢] الحسا: بكسر أوله، ومدّ آخره، جمع حسي، وهي المنطقة التي تلتقي بها طيّ وأسـد بـأرض نجد. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٥٧.

[٣] طيوي: منطقة صغيرة داخل مدينة مسقط حالياً.

الأولى سنة سبع وخمسين ومائتين وألف سنة، والمرّة الأخرى سنة سبع وستين ومائتين وألف، فرأيت الحصن الذي بناه الشيخ جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرّب، وهو حصن مبني بالحجارة فوق جبل شاهق، في أول مدخل البلد، وتحت هذا الجبل الشط المذكور، وماؤه ينساب إلى البحر عذباً سائغًا شرابه، وأراني أهلها النهر الذي أحدثه الشيخ جمال الدين المذكور، وسمّاه النهر اليدوي، وبقي عليه الإسم إلى هذه الغاية، وأراني أهلها موضع قبره، وهو في جبل شاهق، ينساب على ذلك الجبل الشط المذكور، وقد نبت الحشيش على الشط، وإنما هذا الجبل هو الذي قبر فيه الشيخ جمال الدين، ولا حيلة لمن أراد أن يرتقيه إلى وصول القبر، إذ القدم تنزلق فيه، ولا تقدر على الخطو عليه، لصلادته وفرط ملسته. وأما الجانب الثاني من هذا الجبل، فلا تصل إلى رأسه الرعيان وغيرهم، بل لا يقدرون كذلك إلى وصولهم للقبر منه، ومن الجانب الآخر الذي ينساب على أسفله هذا الشط حتى يبلغ إلى البحر الأجاج، يُرى موضع القبر، وهو في كهف من كهوف هذا الجبل، تستره أعشاب وأشجار، تمنع النظر عن الرؤية إليه، وأراني أهل البلد أيضاً موضع حصن على صخرة صمّاء عالية، وما بقيت من هذا الحصن إلاّ رسومه والطريق الجائز، تمر عليه إلى الحلة المسماة الحصن، وإلى سيما[1]، وميبام[2]، ووادي بني خالد[3]، وهذا الحصن المذكور، مبني على هذه الصخرة في خلف الوادي، لو قال صاحب هذا الحصن للمار عليه من الجانب الأسفل أو الأعلى: قف، لما قدر على المرور،

---

(١) سيما: قرية في عمان.

(٢) ميبام: قرية في عمان.

(٣) وادي بني خالد: أحد الأودية المشهورة في المنطقة الشريقية في عمان.

فضلاً أن يرميه بحجر، أو بغيرها، ولا انثنى المّار على خلفه خوف الهلاك، وأهل البلد يزعمون أن هذا الحصن كان لامرأةٍ من الجبابرة، يقال لها نينوه، وهي التي وازرت ابن مقرّب، وأعانته بالمال والرجال، ويزعم أهل طيوي، أن الرّماد الذي خلف شط الشاّب، هو أثر من نار هذه المرأة التي أوقدتها للقوم الآتين من الحسا إلى حرب محمد بن عبدالله بن علي بن مقّرب، وأنها لمّا سمعت بهم وقد وصلوا إلى قريات[1]، جمعت حطباً كثيراً، ووضعته على الطريق الذي يفضي إلى وادي الشاب وشطه، فلما قيل لها: قد وصلوا إلى فنس، وضعت النار في ذلك الحطب، فاتقد، واتقد الحصى، الذي حوله، حتى صار الكل جمراً يتلهّب، فلما رأوا ذلك، تقهقروا عن المرور، ووقع عليهم الصريخ من أهل البلد، فارتقى بهم أهل البلد الجبل المشرف على هذا الموضع، فجعلوا يرموهم بالتفق، فانهزم من سلم منهم، وقتل أكثرهم، وكان هذا الطريق مع هذا الحريق في مضيق في الجانب السفلي بحر غرير، وبالجانب السهيلي جبال شاهقة، وأنا قد مررت بالجيئة الأولى على ذلك المكان، وشهدت ذلك الرماد، وهو رماد جم تتخمص فيه القدم، وهذا من أعجب العجاب، إذ هذا الرماد لا يفنى من ذلك الزمان إلى هذا الزمان، فأين هذه الرياح والأمطار منه، وما بعد نظر التحقيق غير التصديق. انتهى. ثم كانت في عمان سنون فترة من عقد الإمامة، حتى عقدوها لمحمد بن يزيد الكندي.

الإمام محمد بن يزيد الكندي:

الإمام محمد بن يزيد بن عبدالله بن محمد بن يزيد بن سليمان الكندي النزوى السمدي، [٨٠٠] بويع على الدفاع لمّا اعتّل عن بيعه الشراء بزعمه أن عليه ديوناً،

---

[1] قريات: بلدة على ساحل عمان.

ثم تغلب السلطان على عمان، قال المصنف: أظن هذا السلطان هو الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر، ويكنى أبا العباس، وقد بويع يوم الخميس لست خلون من جمادي الأولى سنه إثنين وعشرين وثلاثمائة، ومات حتف انفه بمدينة السلام، وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام، وأمه أم ولد، يقال لها ظلوم، انتهى. ثم تغلب هذا السلطان على عمان، فحاصره محمد بن يزيد الكندي الإمام بعسكرين عسكر بالسرو وعسكر بالعتيك، ولّما تفاقمت الحرب بينهما، هرب محمد بن يزيد من عمان إلى هرموز، فعقدوا الإمامة للحكم بمن الملاء البحري السعالي النزوي، ولمّا أفضت إليه البيعة، أظهر الجبن والارتياع من الحرب، حتى قالت جملة الرواة عنه: فلم نعلم أن إماماً من أهل القبلة، مسلماً أو مجرماً، كان في الضعف والوهنة كمثل الحكم بن الملاء، ثم إنه اعتزل عن الإمامة، وأقام السلطان العراقي عسكراً بنزوى، والله أعلم[١].

وقال بعض الرواة، وأظن هؤلاء الأئمة المذكورين بعد الصلت لم تدن لهم جميع عمان، ولم يجرِ سلطانهم فيها، وإنما كانوا في بعض من البلدان دون بعض، وعلى أحد من القبائل دون أحد، ولم تتألف كلمة أهل عمان في ذلك الزمان، ولا اجتمعوا على إمام من بعد الفتن التي وقعت بينهم، وذلك بما بدّلوا نعمه الله عليهم، فتشتت قلوبهم، والله يقول: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[٢]. قال المصنف: وقد ذكره الشيخ أبو سعيد رحمه الله في ذكر اختلاف أهل الدعوة في ولاية الحدث الواقع بعمان في زمن الصلت بن مالك، فلا يحتاج إلى ذكره ثانية، وإني لم أترجم الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيره

---

[١] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٥١ .
[٢] سورة النحل، الآية ٣٣.

القرشي، فارس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنه، سعيد بن عبدالله إذ هو معدي النسب وسلسلة نسبة متصلة إلى عدنان، إذ هو لم يكن من بني قحطان، وقد ذكرته في السفر الأول في أئمة بني عدنان، ليعلم الواقف على هذا الشأن[١].

الإمام راشد بن الوليد:

الإمام راشد بن الوليد، بويع له بالإمامة بعد الإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيره القرشي، فارس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذلك لمّا أنه اجتمع الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر[٢]، وأبو مسعود النعمان بن عبد الحميد،[٣] وأبو محمد بن عبدالله بن محمد بن شنحه[٤]،

[١] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

[٢] عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر: من علماء القرن الرابع الهجري، كان في مقدمة العلماء الذين بايعوا الإمام سعيد بن عبدالله، ثم الإمام راشد بن الوليد، كانت إمامته في النصف الأول من القرن الرابع، ومات هذا الشيخ مقتولاً في فتنة وقعت بالغشب من الرستاق. انظر البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٩.

[٣] النعمان بن عبدالحميد: النعمان بن عبد الحميد، أبو مسعود، من علماء النصف الأول من القرن الرابع، كان في عصر الإمامين الرضيين العادلين سعيد بن عبدالله وراشد بن الوليد، ومن جملة العلماء المبايعين للإمام راشد. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج ١، ص ٥٤٣.

[٤] أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي شيخة: كان أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي شيخة أحد العلماء اللذين اجتمعوا في منزل راشد بن الوليد، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر، فاجتمعوا على أن الواقف عن موسى وراشد والمتبريء منهما جميعاً في الولاية، وأنهما جميعاً مؤتمنان على دينهما في ذلك، ثم بايعوا الإمام راشد بن الوليد على طاعة الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الجهاد في سبيل الله وعلى سبيل الدفاع وعلى سبيل اتباع أئمة العدل قسطاً وعدلاً. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

وكان ممن حضر بيعته أبو عثمان رمشقي بن راشد[١]، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن صالح[٢]، وأبو المنذر بن أبّي بن محمد بن روح[٣]، وكان هؤلاء في تلك الجماعة التي حضرت البيعة للإمام سعيد بن عبدالله، في زمانهم وأيامهم، لا ينكر أهل المعرفة بهم فضلهم، ولا يجهلون عدلهم، ولا يجبرون في حضرتهم من أهل نحلتهم مثلهم، ولكل زمان رجال، ولكل مقام مقال، وكل أهل طرف في زمن من الأزمنة، مؤتمنون على جميع دينهم، بذلك جاء الأثر، فالحجة لمن حضر قائمة على من غاب أو شهد، وليس للشاهد أن يغيّر ولا للغائب أن يذكر، ولا للداخل أن يخرج، ولا للقايل أن يرجع . و قد كانت تلك الجماعة قد عرفوا من بعضهم لبعض، وعلى بعضهم لبعض تفاسخاً وتعاتباً في أمر موسى بن موسى وراشد بن النظر، فيما عزموا على عقد الإمامة لراشد بن الوليد، تداعوا على الاجتماع على

---

(١) أبو عثمان رمشقي بن راشد: من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ومن العلماء الذين نصبوا راشد بن الوليد، وبايعوه إماماً، وهو أيضاً من أشياخ العلامةالشيخ أبي سعيد الكرمي، هو من علماء إزكي، وقد ذكره العلامة الرقيشي في قصيدته التي قالها في علماء ازكي (يا رعى الله أربعاً بالنزار). انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٢.

(٢) أبو محمد عبدالله بن محمد صالح: كان أبو محمد عبدالله بن محمد بن صالح من المبايعين لراشد بن الوليد على الدفاع، حيث بويع على طاعة الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

(٣) أبو المنذر بن أبي محمد بن روح: والصحيح المنذر بن أبي محمد بن روح الكندي السمدي النزوي، حضر بيعة الإمام راشد بن الوليد، وأحد المجتمعين على الوقوف عن الخوض في الولاية والبراءة من موسى بن موسى وراشد بن النظر، جمعاً للكلمة ومنعاً للتفرقة. انظر: نزوى عبر الأيام، معالم وأعلام، ص ٩٧.

سبب يعرفونه من الموافقة في أمر موسى بن موسى وراشد بن النظر، فاجتمع من شاء الله من أهل النحلة والدعوة، [٨٠١] وكان في الجماعة من ذكرنا أنه حضر العقدة لراشد بن الوليد إلاّ أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد، فإنه لم يحضر ذلك، فاجتمعوا في بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد بنزوى، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر، فاجتمعوا جميعاً على الوقف عن موسى بن موسى وراشد بن النظر، والتبري منهما جميعاً في الولاية، وأنهما جميعاً مؤتمنان على دينهما على ذلك، ولم نعلم من أحد منهم أنه يرى بغير حق، ووقف بغير حق، وجرت الأمور بينهم على هذا النحو، إلاّ ما زاد من اللفظ أو نقص، إلا أن المعنى هو هذا، وأجمعوا على ذلك، ثم من بعد ذلك، بايعوا الإمام راشد بن الوليد إماماً على طاعة الله وطاعة رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الجهاد في سبيل الله على سبيل الدفاع، وعلى إتباع سبيل الأئمة العدل قبله قسطاً وعدلاً، وعلى هذا بايعه أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر في المنزل الذي كان ينزل فيه من نزوى، ومن سائر القرى، ثم بايعه بعده أبو مسعود على نحو ما بايعه أبو محمد، وبايعت الجماعة على نحو من ذلك، وقبل منهم البيعة، وخرجوا إلى الناس بالبطحاء من نزوى، في جماعة من أهل عمان من نزوى ومن سائر القرى من شرق عمان وغربها من أهل العفاف منهم والفضل والجاه منهم والرئاسة، مستمعون له من شرق عمان وغربها، مطيعون، لا يظهر أحد منهم كراهية ولا نكيراً، ثم قام أبو محمد عبدالله بن محمد بن شيحة خطيباً على رأسه بين الجماعة، فخطب له بالإمامة، وأخبر الناس أن الجماعة قد بايعت له على الإقامة، وأمر الناس بالبيعة له، فبايع الناس له شاهراً ظاهراً، لا ينكر ذلك من الناس منكر، ولا يغيّر ذلك منهم مغيّر، وكان ممن بايع له في ذلك الوقت بحضرته

عبدالله بن محمد بن أبي الوثر، وعبدالله بن محمد بن شيحة يبايع ناحيته، وقيل: إن أبا مسعود كان يبايع له ناحيته، وغيرهم من الناس، ودخل الناس في بيعتـــه أنـــى جاء، ووفد عليه على ذلك أفراداً وأزواجاً، وأخذ عليهم المواثيق والعهود، وأظهر كل منهم من أهل المضرية الرضى، فبين من يبايعه على ذلك، وبين من يخطب له عند قدومه عليه بالإمامة، وبين من يظهر التسليم بالرضى الظاهر، ولـــيس يحكـــم على الناس ولا فيهم بحكم السرائر، وبعث الولاة والعمال في القرى والبلدان، فلـــم يعترض عليهم أحد من أهل المصر بتغيير، ولا ظهر من أحد من أهـــل المـــصر كراهية، ولا نكير، فصلى بنزوى الجمعات، وقبض هو وعماله الصدقات، وجهـــز الجيوش، وعقد الرايات، وأنفذ الأحكام، وجرت له في ما شـــاء الله مـــن المـــصر الأقسام، ولم يبق بلدة من بلدان عمان لم يغلب عليها السلطان، أو ناء عنه في تلـــك الأيام وذلك الزمان، إلا جرت فيه، وثبتت عليهم أقسامه، وأقرّ في ظاهر الأمر أنه إمامه من غير أن يظهر منه في شيء من سريرته أو علانيته، ولا سريرته شـــدّة ولا غلظه، يخاف بها وتبقى، ولا هوادة، ولا ميل يطمح فيـــه بـــذلك و يرتجـــى، فيصانع عن تقّيه أو مخدوع بطمع أو رجيّة، بل كان، رحمة الله، لرعيته هّيناً، رفيقا بأمرهم، شفيقاً [٨٠٢] غضيضاً عن عوراتهم، مقيلاً لعثراتهم، بعيد الغضب عـــن مسيئهم، قريب الرضى عن محسنهم، مساوياً في الحق بـــين شـــريفهم، ودّيـــنهم، وفقيرهم وغنيّهم، وبعيدهم وعشيرهم، منزلاً لهـــم منـــازلهم، متفقـــدا لأمـــورهم وأحوالهم، مشاوراً منهم لمن هو دونهم، قابلاً من مشاورتهم ما يأمرونه، فلم يزل، رحمة الله، على ذلك يتجشّم من رعيته الصبر على الكروب، ومفارقـــة الـــسيرور والمحبوب، ويصبر منه على الشتم والأذى، ويسمع منهم الخنا والقذا، وهو يأتي في ذلك الأمور، ويرجو من الله الدائرة أن تدور، وكثير من أهـــل مملكتـــه ومـــصره

يتربص به الدوائر ويسرّ له أقبح السرائر، ويعرف في وجوه الذين كفروا المنكـــر، وما تخفي صدورهم من الغلّ والحسد أعظم وأكبر، قد استحوذ علــيهم الــشيطان، وغلبت عليهم الدائرة والشأن،ومنهم من تربص به الدائرة، وأظهر له المــودّة فــي الأمور الظاهرة، فإن فتح الله عليه فتحاً، أظهر السرور والبشرى، وإن كان للعــدو نصيب، ظهرت منه أمور قبيحة أخرى، لا يقدر من عدوانه أن يعين على طاعتــه بلسانه ولا بجاهة ومكانه، لو يرجوا أن يقبل منه الخذلان لخذل، ولو كان به طاقــة على قتال أهل الحق لقاتل، ومنهم من يعين بلسانه في الظاهر،ويخذل في السرائر، ومنهم من يعين بطلب الدّنيا والسمع فيها والرّياء، فإن أصابه خير، اطمأن به، وإن أصابته فتنه، انقلب على وجهه، وأعدادهم وصنوفهم في السر لا تحصى، إلاّ قليلاً من الضعفاء ممن يعجز عن النصرة له بالوفاء، ولا يُرجى به بلوغ إلى شعار ولا عنايه به في الأمور، ولا مكتفي، حتى ألت به الأمــور، وجــرى عليــه مــن الله المقدور، أن ظهر من عامّة رعيته التخلف عنه والخذلان، وظهــرت مــن عامّــة خواصه المعاندة والعصيان والمداهنة عليه للسلطان، والمباشرة له في ذلك بــالقول واللسان، وخرجوا إلى السلطان مظاهرين، وتألبوا إلى ذلك متناصرين، فمنعهم عن ذلك جبراً، وقسرهم على التخلف عنه عن ذلك قسراً، فوقع بينهم وبــين عــامتهم العداوة والشحناء، وفارقوه على ذلك من قرية بهلاء متعصبين، معاندين له علــى ذلك، ومحاربين متوّحدين عليه في ذلك متعنتين، وقد صار السلطان بالسير مقــبلاً، وهو في نفر من الضعاف أقلاء، قد انقضت جماعتهم وصحّت معه عداوتهم، وإنما خرج من نزوى في ردّهم عن خروجهم ذلك في حرب العدو المقبل إليه، فلما رأى ما نزل به من الخذلان، وبان له من العداوة والعصيان، واستضعف نفسه ومن معه عن لقاء السلطان، وخاف أن يدهموه على المكان، فتحيّز بمن معه من بهلاء إلــى

كدم، ورجا أن يكون قد استوثق لنفسه في ذلك وحزم، فلم يزل بكدم، إلى أن صحّ معه أنهم قد دخلوا الجوف، فانحازوا إلى هناك، إلى وادي النخر، ودعا إلى حرب السلطان من حضره، واستنصر عليه من قدر عليه ونصره، واجتهد في ذلك وصبر، ودعا إلى ذلك واستنصر، وراح في ذلك وبكرّ، وأقبل في ذلك وأدبر، فأمدّه الله بمن أمده، فأبلى بهم طاقته وجهده، فجيّش إليهم أنصاره وأعوانه، إلا من لا عناية له عنه من خاصته وإخوانه، وقعد لهم في مكانه، وكان السلطان بنزوى نازلين وكان تخلفه عن الحرب برأي من بحضرته وإخوانه وأهل شفقته، ورجا أن يكون في تخلفّه عزّ للإسلام [٨٠٣] وأهله، وقوة لنصره وعدله، وكان تخلّفه عن الجيش إلى بعثه إلى السلطان الجائر بنزوى قريباً من المحارة على عقبة منح، لم يكن عنهم ببعيد، فأتى الله بالمقدور، وما قد علم الله تبارك وتعالى أن تصير إليه تلك الأمور، فهزم أنصاره وغُلبوا، وولوا عنه، وأدبروا مع ذلك، وهربوا، فانفضت هناك جماعتهم، وزالت هناك رايتهم، وخرج مخذولاً مغلوباً خائفاً يترقب مظلوماً، وكان ذلك ضحوة النهار، فلم يكن عشياً من يومه ذلك،حتى انفض عنه جميع من كان معه،ووقعت الغلبه والباس، وأيس مع ذلك نصر الناس، فاستولى السلطان الجائر على جميع عمان من جميع النواحي والبلدان، وأقبل الناس في المصانعات، وأقبل إليهم السلطان الجائر بالسخرياء والمداهنات، حتى دانت له جميع النواحي، وهو خائف في رؤوس الجبال والمسافي، مشفق من السلطان والرعية، يترقب في كل موضع نزول المنيّة، وأن تدهمه في مرقده ومنامه ببليّه، وأصبح خائفاً على نفسه وماله، هارباً من داره وعياله، وأصبح جميع أهل المصر قد أمنوا واطمأنوا في منازلهم، وكفوا، وصانعوا سلطانهم، وداهنوا، فلم يكن له من الاستسلام بدّ، إذ لم يكن له إلى غيره سبيل ولا جهد، فطالع في أمره واستشار، واستشير له ذوو

الأبصار، وانتقى في أمره في ما ظهر منه حكمة الأبرار، وأخذ بالرضيّة من قول الأخيار، ومما لا نعلم أن فيه اختلاف، أن الإمام المدافع تَسعَهُ التقيّة إذا خذلته الرّعية، ولم يكن معنا أصح من ذلك الخذلان، ولا أبين من تلك العداوة وذلك العصيان لله ، وهو الرؤوف بعباده المنان، وما جعل الله على عباده في الدين من حرج، بل الصحيح معنا أنه قد جعل لكل مدخل في دينه باب مخرج، والكل عاجز عن فرض من فرائضه عذراً وباب فرج، ولا فرق بين الإمام والرعية، وكل منهم جارٍ عليه حكم القضية، فألقى بيده إلى منزله، واستسلم رجاء أن يستتر فيه، وأن يسلم، فوصل إليه رسول السلطان إلى مكانه يعطيه الميثاق، فبلغنا أنه أعطاه ذلك بلسانه، ولم يبلغنا عرض اليمين، ولا كان إلى باب السلطان من الوافدين، ولا من القادمين إليه والواصلين، وإنما السلطان الذي وصل إليه واضطره إلى ذلك، وجبره عليه فزالت معنا بذلك إمامته، وثبتت للغدر الواضح له ولايته، ولا نعلم في الأحكام، ولا فيما اختلف فيه من أمرالإمام أن راشد بن الوليد، رحمه الله، يلحقه القائل في إمامته مقال، ولا طعن، ولا عيب، في حال من الحال، فلبث بعد ذلك قليلاً محموداً، ومات عن قريب من ذلك مفقوداً، وكان راشد ابن الوليد في أيامه وزمانه وموضعه ومكانه، ومع أنصاره وأعوانه، والعاقدين له من أصحابه وإخوانه في عامة أموره غريباً معدوماً، ولم يكن عند أحد من أهل الخيرة في أموره ملوماً ولا مذموماً، فجزاه الله عن الإسلام وأهله، لما قام فيه من حقه وعدله، وعنّا وعن جميع من عرف فضله ما جزّى إماماً عن رعيته وأخاً تصحُّ أخوته، وقال صاحب كتاب كشف الغمة [٨٠٤] في افتراق الأمة، وهو كتاب شريف، كرر ما قد ذكرت من مقاله المخبرعن كماله فقال: وإنما ذكرنا من أمور راشد بن الوليد ما قد ظهر، وما نرجو أنه لن يدفع، ولن ينكر، وإلاّ ففضائله كانت معنا أكثر من هذا وأكبر، وكان

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر قد قتل في وقعة الغشب من الرستاق، في سيرة الإمام راشد بن الوليد وطاعته، وكان في زوال أمرراشد بن الوليد إلى وقعة نزوى، وعنها زالت رايته، وانفضّت جماعته، وبان خذلان رعيته له، ولزمته التقية، وخاف هناك من السلطان والرعية أن يقصدوه بالقتل رضاً للسلطان، ولم يبرح مستقراً في موضع من عمان من حّد جلفار إلى حدّ رغوان، ولا في جبال عطالة، و لا في أرض الحدّان و الرستاق ،فأدهى إليه و أقروا عدى عليه من كل عدو ، و اشتروا الله تبارك وتعالى أولى بالعذر من البشر، وكل من عذره الله في دينه، فواجب أن يعذر، وأن يُعان في ذات الله فيما قد نزل به، ويُنْصَرْ، وكان راشد بن الوليد، رحمه الله، فيما ظهر لنا من أمره طاهراً الإيمان ظاهراً، عليه شواهد الفضل والإحسان هنا من السر والبهتان، صادق الفعال واللسان، ورعاً عن المحارم مجتنباً عن المآثم ، عاملاً بما علم، سائلاً عما نزل به ولزم، متواضعاً لمن هو فوقه، متعطفاً على من هو دونه، كاظماً للغيظ، بعيد الغضب، سريع الرضى، محتملاً للأئمة، حريصاً على إصلاح المسلمين، رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، متوشحاً بكريم الأخلاق، صبوراً عند مضائق الخناق، مستقيماً على الحقيقة، قاصداً قصد الطريقة، تضرب به الأمثال، وتعجز عنه الواصفون عن وصفه بالمقال، فرحم الله تلك المهجة وتلك الأوصال، وتفضل علينا وعليه بالمنّ منه والأفضال، وعرف بيننا وبينه في مستقر رحمته، وجمعنا وإياه على جزيل من ثوابه وكرامته، وفعل ذلك بكل مؤمن ومؤمنه من عباده، إنه أرحم الراحمين، وصلى الله على عبده ورسوله خاتم النبيين محمد، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً[1].

---

(١) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٦٣ – ٤٦٧.

الإمام الخليل بن شاذان الخروصي:

قال صاحب كتاب كشف الغمة وغيره: ومن الأئمة المعقود لهم بعمان، نعني بـــذلك المنتسبين إلى قحطان، الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالـــك الخروصـــي الأزدي البهلوي، وكان إماماً عادلاً مقتدياً بكتاب الله وسنه رسوله، صلى الله عليـــه وسلم، ومتبعاً لآثار العلماء والأئمة الصالحين أهل الاستقامة في الدين، وكانت دولة الخليل بن شاذان، رحمة الله، في بضع وأربعمائة سنة، وما وقفت على تاريخ وفاته في أي سنه، وكانت وفاته ببلدة نزوى، عن غير واحدٍ من أهل العلم(١).

الإمام راشد بن سعيد:

ولما توفي الإمام الخليل بن شاذان، بويع في اليوم الذي مات فيها بالإمامة راشد بن سعيد بن عبدالله بن راشد بن سعيد بن محمد الأزدي، فوطىء أثر السلف الـــصالح، واقتدى بالكتاب والسنة، ولم أقف على تاريخ وفاته، وبلغني أنه توفي ببلدة نزوى، والله أعلم، ثم وجدت كتاباً فيه نبذة من تواريخ العلماء المشاهير بعمان، أن راشد بن سعيد مات في شهر محرم سنه خمسٍ وأربعين وأربعمائة، وحكى لي بعض المشائخ أنه توفي بنزوى، كما قد ذكرت أولاً، وأنه كان عادلاً، ومنذ عُقد له بالإمامة إلى أن توفي، ما خرج عليه أحد من البغاة العراقيين ولا العمانيين(٢).

الإمام حفص بن راشد بن سعيد:

ولما توفي الإمام راشد بن سعيد، بويع ولده حفص بن راشد بن سعيد بن محمـــد الأزدي، فاقتفى أثر السلف الصالح، فلبث في الإمامة ثمان سنين، ثم توفي، وقبـــره في بلدة نزوى، ولم أعلم أن أحداً أنكر عليه، أو نكل فيه بعيب [٨٠٥] أو بريـــب، والحكم بالظاهر، ولله ما ظهر وما بطن(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

الإمام راشد بن علي:

ولمّا توفي الإمام حفص بن راشد بن سعيد، بويع على الدفاع راشد بن علـــي بـــن سليمان بن راشد الأزدي، فلبث ما شاء الله أن يلبث في الإمامة، ومات يوم الأحــد للنصف من ذي القعدة في سنة ست وسبعين وأربعمائة، وقيل: سنة ثـــلاث عـــشرة سنة وخمسمائة، والله أعلم أيهما كانت وفاته، وما علمت أن أحداً تكلم فيه إلاّ بثناء عليه، وقال: إنه كان عبداً صالحاً محمود الخلال، جميل الأفعال، ومنذ بويـــع لـــه بالإمامة إلى أن مات، لم يخرج عليه باغ من أهل العراق و لا من ســـائر الثغـــور والقرى[١].

الإمام موسى بن أبي جابر:

ولما توفي [الإمام راشد بن علي]، بويع من بعده أبو المعالي موسى بن أبي جابر ابن موسى بن نجاد الأزدي، سنة تسع وأربعين وخمسمائة، فلبث مـــا شـــاء الله أن يلبث بالإمامة والوقوف على سراط الإستقامة، وما بلغني عن أعيان ذلك الزمـــان، من أهل عمان، إلاّ يثني على الإمام موسى بن أبي جابر أبو المعالي بن موسى بن نجاد المذكور، ولا أعلم أن أحداً خرج عليه من البغاة، أو عاندة أحد من الطغاة[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

الإمام خنبش بن محمد:

ولما توفي [الإمام موسى بن أبي جابر] بويع خنبش بن محمد بن هشام الأزدي. قال صاحب كشف الغمة في افتراق الأمة: ومن كتاب عثمان بن موسى بن محمد ابن عفان، الساكن في محله الجرمة، من عقر نزوى، كتبه بيده: وكتبت هذا من خطّه، فلما كان يوم السبت، لعشر من جمادي الأولى، توفي الإمام خنبش بن محمد بن هشام، فجرى على الناس بموته مصيبه عظيمة، وكان رجل من أهل الصلاح، ينشد عند قبره شعراً[١]:

وليس من الرزية فقد تيسٍ	ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية موت نفسٍ	تموت بموتها خلقٌ كثير[٢]

الإمام محمد بن خنبش:

وعقدوا الإمامة في اليوم الذي مات فيه خنبش، لولده محمد بن خنبش بن محمد بن هشام الأزدي، والعاقد إليه بالإمامة الشيخ العالم نجاد بن موسى[٣]، وكان نجاد قاضياً لخنبش، وخطب للإمام محمد بن خنبش، أبو بكر أحمد بن محمد المعلم[٤]،

---

[١] المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٦٨.

[٣] الشيخ نجاد بن موسى بن نجاد، عالم، فقية، قاضٍ، عاش في القرن السادس الهجري. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٦١.

[٤] أبو بكر بن أحمد بن محمد المعلم: من سمد نزوى، من فقهاء النصف الأول من القرن السادس، حضر بيعة الإمام محمد بن خنبش، وخطب له بعد البيعة. انظر البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج١، ص ٥١٥.

وكان ذلك سنة عشر سنين وخمسمائة، وقبر الإمام بن خنبش لمّا مات عند مقبـــرة القاضي أبي بكر أحمد بن عمر[1]، وولده أبي جابر، وهناك أيـــضاً القاضـــي أبـــو عبدالله محمد بن عيسى[2]، وكان رجلاً معروفاً بالفسق وشراب المسكر، أوصى أن يقبر عندهم، فقبر هناك، وكان ذلك اليوم يوماً شديداً على المسلمين، فقيل لـــبعض الصالحين، إن فلاناً أوصى أن يقبر عند مقابر الصالحين، لينفعه ذلك، وقد كان كذا وكذا، فقال له: إنه ينبغي أن يتقرب من الصاحين في الحياة، وبعد الممات، للرحمة التي تنزل، فقبر الرجل هناك، واشتدّ ذلك على الناس، وهذا الموضع الذي فيه هذه المقبرة، مقبرة الإمام خنبش، وهؤلاء المذكورين، وهو موضـــع نعـــشي الطريـــق الجائز الذي ينفذ من عند فلج الغنتق، عند مساجد العباد بنزوى، وعند الجبل الأسود الصغير، الذي يُقال له ذو جيود، وله كهوف بائنة من الصخور، من أعراضـــه، لا من أعاليه، ومات محمد بن خنبش سنه سبع وخمسين وخمسمائه سنة، وقبر أعلـــى فلج الغنتق، عند جبل ذي الجيود، خلف قبر أبيه خنبش، وأصيب أهل عمان بموته ما لم يصابوا بأحد من قبله[3].

---

(١) أبو بكر أحمد بن عمر: قاض، دفن إلى جانبه الإمام خنبش وابنه محمد بن جنبش في نـــزوى عند مساجد العباد، عند الجبل الأسود الصغير. وهو من الطائفة الرستاقية. انظر السالمي، نـــور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١ ص ٣٥٤.

(٢) أبو عبدالله محمد بن عيسى: قاض، دفن إلى جانبه الإمام خنبش وابنه محمد بن جنبش، وكذلك القاضي أبو بكر أحمد بن عمر وابنه أبي جابر، في نزوى عند مساجد العباد، عند الجبل الأسود الصغير. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٥٤ -٣٥٥.

(٣) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٦٨.

[الإمام مالك بن الحواري]:

قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: ثم عقد للإمام مالك بن الحواري، سنة تسع وثمانمائة، ومات سنة إثنين وثلاثين سنة وثمانمائة سنة، قلت: إن الإمام مالك بن الحواري هو عدناني النسب، لا قحطاني النسب، وكان إماماً عادلاً، ورعاً، زكياً، تقياً، سلك مسلك السلف الصالح، فأثنت عليه العباد، وزهرت به البلاد، وما خرج عليه أيام دولته أحد من أهل العناد.

قال صاحب [٨٠٦] كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: فهذه مئتان سنة وبضع، لم أجد بينهن تاريخاً لأحد من الأئمة، فالله أعلم أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة، أو غاب معرفة أسمائهم عنّا، إلاّ أني وجدت تاريخ خروج أهل شيراز على عمان ورئيسهم فخر الدين أحمد بن الداية[١] وشهاب الدين[٢]، وهم خمسمائة فارس وأربعة آلاف فارس، وجرى على الناس منهم أذى كثيراً لا غاية له، وأخرجوا أهل العقر من نزوى خاصة من بيوتهم، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في عمان، وحاصروا بهلا، ولم يقدروا عليها، ومات ابن الداية، وكسر الله شوكتهم، وأصاب الناس غلاء

---

[١] فخر الدين أحمد بن الداية: قائد فارسي كان يحكم شيراز من بلاد فارس. خرج لغزو عمان سنة ٦٧٤ هـ في عهد عمر بن نبهان، ومعه خمسة آلاف جندي، وساعده في ذلك شهاب الدين ليلى حاكم هرمز، حيث تمكن من دخول نزوى، لكن الله كسر شوكتهم، وانسحبوا من عمان. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٥٩.

[٢] شهاب الدين ليلى:خكم هرمز من بلاد فارس ، تحالف مع فخر الدين أحمد بن الداية لغزو عمان في عهد الملك عمر بن نبهان، حيث تمكنت قواتهم من السيطرة على عمان لبضعة أشهر، ثم انسحبت منها. انظر السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٥٩.

كثير، وذلك في دوله السلطان عمر بن نبهان[1] سنة أربع وسبعين وستمائة قـال: ووجدت أيضاً تاريخاً آخر، خرج أمير من أُمراء هرموز، يسمى محمود بن أحمـد الكوشي،[2] فوصل إلى قرية قلهات، وكان المتولي يومئذ على عمان والمالك لها أبو المعالي كهلان بن نبهان[3]، فلما وصل محمود بقلهات، طلب وصول أبي المعـالي إليه، فلما حضره، طلب منه المنافع من أهل عمان، وخراج أهلهـا، فاعتـذر أبـو المعالي إليه، وقال: إني لا أملك من عمان إلاّ بلدة واحدة، فقال محمود: خـذ مـن عساكري ما شئت، وأقصد به من خالفك من أهل عمان، فقال أبو المعالي: إن أهل عمان ضعفاء، لا يقدرون على تسليم الخراج، كل ذلك حمّية منه على أهل عمان، فحقد عليه محمود، وأضمر له المكيدة، واستدعى بامراء البدو من أهل عمان، فلما أتوه، كساهم وأعطاهم، فوعدوه بالنصر على أهل عمان، والخروج معه عليهم، ثم ارتحل إلى ظفار، وركب البحر، فلما وصلها، قتل من أهلها خلقاً كثيراً، وسلب مالاً

---

(1) عمر بن نبهان: ملك من ملوك النباهنة، غزا الفرس عمان في عهده. انظر: الـسالمي، نـور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٢٥٩.

(2) محمود بن أحمد بن الكوشي: فارس أمير من أمراء هرمز، غزا عمان سنة ٦٦٠ هــ عـن طريق قلهات، واتجه إلى ظفار عن طريق البحر، ثم أراد غزو مناطق عمان الداخلية عن طريق ظفار، فمات وجيشه جوعاً وعطشاً. انظر: السالمي: نور الدين عبدالله بن حميد، تحفة الأعيـان، ج١، ص ٣٥٨ – ٣٥٩.

(3) أبو المعالي كهلان بن نبهان: هو كهلان بن عمر بن نبهان، ملك، عاش في القـرن الـسابع الهجري، تولى حكم عمان بعد أبيه عمر بن نبهان، وفي عهده خرج أولاد الرئيس إلـى عمـان، فخرج كهلان لملاقاتهم بالصحَراء، ومعه جملة من أهل العقر، فانتصر عليهم. انظر دليل أعـلام عمان، ص ١٣٧.

جزيلاً، ورجع قاصداً إلى عمان، وأخذ على طريق البر، وحمل ثقله في المراكب في البحر، فلما صار في طريق البّر، نقص عليه الزاد، وأصابهم جوع شديد، حتى بلغ عندهم منّ اللحم بدينار، وأصابهم عطش كثير، لقلة الماء في تلك الطريق التي سلكوها، فقيل: إنه مات من عسكره خمسة آلاف، وقتل أكثر منذ ذلك، وكان هذا في سنة ستين وستمائة[1].

قال المصنف: لما وصل محمود ظفار، ونهب أموال أهلها، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وأراد أن يرجع على طريق البر لعمان، ولم يكن له دليل إليها، استدعى بأعراب القرى، وكان لهم جبل شاهق بظفار، ليدلوه على الطريق، فأتوه عشرة رجال منهم، وفرّق جيشه براً وبحراً، وقال لجيش البحر: ارجعوا إلى قلهات، وأقيموا بها إلى أن آتيكم، ومضى هو بجيش البر، وأدلتهم القرى الذين ذكرناهم العشرة، فأخذوا بهم على طريق لا يهتدي بها الدّليل، ولا يعرف دياميها إلا من القرى قليل، فلما توسطوا بهم البرّ، هربوا عنهم ليلاً، فأصبحوا حائرين، يترددون في رمال عالية، وفيافي خالية، فعدم الماء عليهم، ونفذ الزاد، فأهلكهم الله جميعا، إلاّ رجلاً بقي يتردد، إلى أن أتى عمان، فأخبر عن أمره وأصحابه وما جرى عليهم، فما أحبَّ أهل عمان قتله، ومضى على طريق البر، حتى وأفى جلفار، فعبر على سفينة إلى هرموز. أما الذين قصدوا طريق البحر، فلما وصلوا قلهات، أرقوا سفنهم، ودلفوا إلى طيوي، فلما اقتربوا منها، صرخت عليهم رجالها، وبادروهم بالسيف والرمح والتفق، وأحالوا بينهم وبين سفهم، فقتلوهم جميعاً، وفي طيوي قبورهم مشهورة، وهي حذا الجبل الذي بناحية قبر [٨٠٧] عبدالله بن علي بن

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٦٨ – ٤٦٩.

مقرب، وهو على ساحل البحر، فالى هذه الغاية يسمونها قبور الترك، ويزعم أهل طيوي أن في كل قبر من قبور الترك الأربعة والخمسة الرجال، وقد أخذوا سفنهم أيضاً جميعاً، ولا أعلم أن أحداً منهم رجع إلى هرموز سالماً من الهلاك، إلاّ الرجل الذي نجا من أهل البّر، ومضى إلى عمان، حتى انتهى إلى ظفار، وفرّ منها إلى سفينة لأهل جلفار إلى هرموز.

قال صاحب كشف الغمة في افتراق الأمة:ووجدت أيضاً تاريخاً آخر، فيه خرج أولاد الريسّ على عمان، و كان خروجهم في شهر شوال سنة خمس و سبعين بعد ستمائة ، وكان المالك لعمان السيد كهلان بن عمر بن نبهان، فخرج إليهم ليلقاهم بالصحراء، وخرج معه جمله أهل العقر من نزوى، فسبقت أولاد الريّس على العقر، فدخلوها، وأحرقوا سوقها ، وأخذوا جميع ما فيها، وسبوا نساءها، وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به، وأحرقوا الكتب، وكان ذلك كله في نصف يوم، ثم رجع كهلان بعساكره، واجتمعوا بالسّراة، فزحفت عليهم أولاد الريّس، ومن معهم من الحدان، وقتل في هذه الوقعة من الفرقين ثلاثمائة رجل، فلعلها كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنبش، ومالك بن الحواري، سنين ملك النباهنة بعمان، والله أعلم. ولعّل ملكهم كان يزيد على خمسمائه سنة، إلا أنه كان فيما بعد هذه السنين، يعقدون للأئمة والنباهنة ملوك في شيء من البلدان، والأئمة في بلدان أخرى، والله أعلم.

قال المصنف: والصحيح أنه بعد الإمام الخليل بن شاذان الخروصي، لم تكن للأئمة الواقعة لهم البيعة قوّة باهرة، ويد قاهرة على النباهنة، وكانت النباهنة في ذلك الوقت مصطلمة أكثر حصون عمان، وعلى كل حصن من الحصون التي ملكوها أمير، لا يكترثون بمن نُصِب إماماً، ولا يخافون صوله إمام عليهم، لكثره عددهم

وعديدهم، وميل أكثر الناس إليهم، فطال عليهم الزمان وهم في ذلك الشان، وبقيت الأئمة المنصوبه في بعض الحصون، وفي طاعتهم بعض الرجال لا قدرة لهم على خروج النباهنة من الحصون، وأكثر البيعة لهم دفاعاً، وكانت النباهنه قد تحالفت على كل من قصد أوحاربهم أحد بحرب، ويحاول أن يخرجهم من حصونهم، ليكونوا مع صاحبهم الذي يقصد بحرب، ويحاول الذي يحاربه إخراج ما ملك من الحصون، فلأجل هذا قويت شوكتهم، واشتدت قوتهم، في ذلك الزمان(١).

ووجدت نبذة تاريخ، وهو فيه، وفي سنه ثلاث وعشرين بعد الألف: أخذ عمير ابن حمير العميري(٢) من الإفرنج صحار، يوم الاثنين، واثنين وعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وعشرين بعد الآلف، وأخذها في اليوم الثاني الإفرنج من يد عمير بن حمير، وهو يوم الثلاثاء، ثلاث وعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وعشرين من بعد الألف، وحملوا معهم محمد بن جفير(٣)، والله أعلم بالصواب.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦٩.

(٢) عمير بن حمير: عمير بن حمير النبهاني، أمير سمائل، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وكان ذا خلق وحب للخير، وقعت العداوة بينه وبين سليمان بن مظفر، ودارت بينهما حروب، انتصر فيها عمير، وأخرج سليمان من بهلا إلى القرية، ثم عاد سليمان إليها مرّة أخرى، واستقر الأمر إلى أن تولى أمر بهلا سيف بن محمد الهنائي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢١.

(٣) محمد بن جيفر: محمد بن جيفر بن جبر الجبري، كان والياً على إبرا، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، حارب مع أهل نزوى بجيش عظيم ضدّ الملك سليمان بن مظفر، ودانت له سائر الشرقية ما خلا صور وقريات، فإنهما كانتا بأيدي البرتغاليين، وكانت بينه وبين الإمام ناصر بن مرشد معارك متعددة، انتهت بهزيمة محمد بن جيفر وقتله. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٤.

وكتبتُ للشيخ الثقة خميس بن أبي نبهان الشيخ العالم العلامة الرئيس جاعد بن خميس سنة سبع وستين ومائتين وألف يسرد لي أسماء أئمة بني خروص وعلمائهم، فكان جوابه لي بعد ثناء جميل عليّ، جزاه الله خيراً، بيان في أئمة بني خروص نقلاً من قصائد الشيخ سالم بن غسان، وسعيد بن محمد بن سعيد، وأبو نبهان جاعد ابن خميس، فأولهم الوارث بن كعب الهجاري، والمهنا بن جيفر الفححي، والصلت ابن مالك الستالي الخروصي [٨٠٨] وعزّان بن تميم، ومسكنه المسفاة، من وادي بني خروص، والخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك البهلوي، والصلت ابن القاسم، وعامر بن راشد، ومحمد بن غسان، وخالد بن شعوه، وأبو على الهجاري، لعلها هجار بني خالد، ولا أدري اسمه، و خالد الثاني اللذين ذكرهما الشيخ سالم بن غسان، حيث قال:

فمنا وارث والصلت منا ومنا الخالدان توارثاها(١)

فهؤلاء اثني عشر إماماً، وقد أشار الشيخ سعيد بن محمد في قصيدته الرائية أن لهم ثلاث عشرة بيعة، لا أدري الثالث عشر من هو إسمه، والله أعلم، قلت لعله الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت، ثم قال في كتابه بيان في علمائهم ممن له قصبات السبق في العلم والورع، والحلم والفقه، والزهد والقناعة، والحماسة والكرامه، والمجد الأسنى، والمقام الأعلى، وصاروا حجّة الله في أرضه على عباده، فأولهم الوارث، والمهنا بن جيفر، والصلت بن مالك، وعزان بن تميم، وأبو المؤثر الصلت بن خميس الأعمى البهلوي، وولده محمد بن أبي المؤثر، وأبو نبهان جاعد بن خميس العلياني، وولده ناصر بن أبي نبهان العلياني، ومنصور بن

---

(١) انظر البيت في ديوان اللواح الخروصي ج٢ ص ٨٧ ويقصد بالخالدين خالد بن شعوة الخروصي وخالد بن عبدالله الخروصي وهما إماما مشهوران بالعدل.

محمد بن ناصر بن خميس الـــستالي، وعبـــدالله بـــن ناصـــر بـــن محمـــد بـــن بشيرالخروصي، وسعيد بن محمد بن راشد السوني، ولكل من هؤلاء مقام معلوم في العلم، وأما أبو نبهان كالشمس مع القمر والكواكب، فذلك إباضي حقاً، وأمـــا ولـــده ناصر كالبدر مع الشهاب، وأبو المؤثر كأنه نار على علم، والله يؤتي الحكمة مـــن يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، نفعنا الله وإياهم بالعلوم النافعة، وأن يتداركنا برحمته إنه أرحم الراحمين، وأما فضيلة الشيخ عبدالله بـــن ناصـــر، فقـــد سمعت والدي أبا نبهان يقول: لو اجتمع أهل عمان على بيعة رجل، لكنت أول من بايع عبدالله بن ناصر، لأن خصال الإمامة فيه كاملة. أنظر يا أخي، هل بقي مـــن شرف الدنيا والدين، إلا هو داخل فيه، وعليه محتوٍ، فيحتاج إلى بيانه على التفصيل إلى مجلّد، وهذا محل الاختصار، وذكر الشيخ خميس في كتابـــه هـــذا أن الـــشيخ درويش السوني[١]، عروضي عالم بليغ في علم الفلك، وعلم الحروف، والأوفاق، و فاق أهل زمانه في مصره ومكانه، ثم قال فيه، وقد شهد أبي أبو نبهان لولده ناصر بالعلم والبلاغة، وقد توغّلا في فنون شتى من العلوم، وصار عالم زمانـــه، وأمـــا الشيخ منصور، فذلك صوفي، لأنه تناهى في الزهد والورع، والعفاف والقناعة، مع كثرة علمه، وبلاغة فهمه، فذكره بالمحامد في المحافل ينشد، والركبـــان بفـــضائله تحدو وتغرّد، فمذ بلغ الحلم، حتى مات، لم نعلم منه هفوة واحدة، وأما أبو المؤثر، وولده محمد، ففضائلهما في كتب الفقه مذكورة، ومحاسنهم مشهورة. انتهى كـــلام الشيخ خميس بن العالم العلامة أبي نبهان.

---

[١] الشيخ درويش السوني: لم نعثر على ترجمة له.

[الإمام أبوالحسن بن خميس بن عامر]:

قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: ثم عقد من بعد موت مالك بن الحواري بتسع سنين لأبي الحسن بن خميس بن عامر، ولم يذكر نسبه، وهو من رجال بني العتيك، يوم الخميس في شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين سنه وثمانمائة سنة، ومات سنه ست وأربعين بعد ثمانمائة، يوم السبت، وواحد وعشرين من ذي القعدة[1].

[الإمام عمر بن الخطاب]:

ثم عقدوا الإمامة لعمر بن الخطاب بن محمد بن حمد بن شاذان بن الصلت، سنة خمس وثمانين وثمانمائة سنة، وهو الذي حاز أموال بني نبهان، وأطلقها لمن عنده من الشراه، وكان ذا يَدٍ فيها، وأمر فيها بأوامره، وذلك بأجتماعٍ من المسلمين، لمّا اجتمعوا، فنظروا في [الدماء] التي سفكها آل نبهان، والأموال التي أخذوها وأغتصبوها بغير حق، فوجدوها أكثر من قيمة أموالهم، وكان يومئذ القاضي أبا عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج، وكيلاً لمن ظلمه آل نبهان من المسلمين، من أهل عمان، وأقام أحمد بن عمر بن أحمد بن مفرج[2]، وكيلاً لملوك بني نبهان،

---

(١) الأزكوي سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٦٩.

(٢) أحمد بن عمر بن أحمد بن مفرج: قائد، عاش في القرن التاسع الهجري، كان وكيلاً على أموال ملوك عمان من آل نبهان، من أرضٍ ونخيل وبيوت وأسلحة، وآنية، وغلة، فقضى قضاءاً واجباً تاماً، فصارت الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٨.

فقضى أحمد بن صالح بن محمد بن عمر[1]، أن جميع مال آل نبهان الذين بعمان، من أموال، وأروض، ونخيل، وأسلحه، وآنية، وغلل، وتمر، وسكّر، وجميع مالهم كائناً ما كان [٨٠٩]، من ماء، وبيوت، ودور، واطوى، وأثاث للمظلومين من أهل عمان، من غاب منهم أو حضر، وكبر منهم أو صغر، الذكور منهم والإناث، فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين، وقد جهلوا معرفتهم ومعرفة حقوقهم، ولم يحيطوا له علماً، ولم يدركوا له قسماً، فصار كل مال لا يعرف، مجهولون أربابه راجعاً إلى الفقراء، وكل مال راجع إلى الفقراء، فالإمام العادل عند وجوده أولى بقبضة، ويصرفة في إعزاز دولة المسلمين والقيام بها، وكل من أصح حقه وأثبته، فهو له من أموالهم، ويحاسب بالتحرية بما يصح له بقسطه،إن أدرك ذلك، وإن لم يدرك التحرية ولم يحط بها، فذلك النصيب نصيب غير معلوم، وهو مجهول للفقراء، والإمام يقبض الأموال المغيّبة، وأموال الفقراء، وما لا ربّ له، ويجعله في إعزاز دوله المسلمين. فقد صح هذا القضاء والحكم فيه، فمن بدّله بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم. وكان هذا الحكم عشية الأربعاء، لسبع ليال خلون من شهر جمادي الأخرى من سنه سبع وثمانين وثمانمائة سنة، وكان هذا في عقده الثاني، فإنه لمّا نصب أولاً، أقام سنة، وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهاني[2]، فانكسر عمر وعسكره بحجمت من وادي سمايل، ثم نُصب ثانيه، ومكث في الإمامة إلى أن مات[3].

---

[1] أحمد بن صالح بن محمد بن عمران: قاض، عالم، عاش في القرن التاسع الهجري، كان أحد القضاة المفوضين للفصل في قضية أموال ملوك بني نبهان الشهيرة. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٨.

[2] سليمان بن سليمان النبهاني: شاعر عاش في القرن العاشر الهجري، وتولى الملك في عصر النباهنة، اشتهر في الشعر باقتفائه أثر الملك الضليل امرئ القيس ومعارضته له في شعره، كذلك أولع بشعرطرفة بن العبد، وعارض أبا العلاء المعري في بعض القصائده، وكان شعره بين شعر الشعراء العمانيين في القرن العاشر الهجري أشبه بشعر أبي تمام بين الشعراء العباسين، له ديوان مطبوع. انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٣.

[3] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٦٩-٤٧٠.

قال المصنف: ولّما ذكرت أسماء الكتب التي صنفها الشيخ العالم أبو محمد ناصر ابن الشيخ العالم العلامة أبي نبهان على الملأ، وانتهى مما روي من أسماء أئمتهم وعلمائهم، حتى كمل، انتعش في الخاطر أن أنظم فيهم قصيدة، تحتوي على ذكر أئمتهم وعلمائهم، وأعيان رجالهم، وما حماني على ذلك، إلاّ الصحبة التي كانت بيني وبين الشيخ أبي محمد ناصر بن أبي نبهان، إذ ينبغي للحر أن يذكر صاحبه، الذي هو جدير بالثناء عليه، ولعمري إنهم جميعاً لجديرون بالثناء، وقد سميت هذه القصيدة الدر المرصوص في مدح جهابذة بني خروص، وهي شعراً:

لله قوم أحالوا الأرض أفق سما ... ومجدهم ناشر أعلى السُّها علما
هم البدور إذا ما الليل جنّهُمُ ... هُمُ الشموس إذا ضوء النهار نما
في كل ثغر لهم ذكر بنفحته ... يعطّر الصخر والألواح والعلما
حكى صغيرهم حُلماً كبير هُمُ ... فالشيخ والطفل منهم حلمه عظما
فما خبت لهم للضيف نار قرى ... ومنهم كل ذي جود حوى الكرما
وإن بحثت قديماً عن إمامتهم ... إليك قيل هم سادوا الورى القدما
ياصاح عندك مثلي صحَّ أنهم ... لكل حرب عوان قعقعوا اللّجما
لهم مراتب فضل ليس غيرهم ... يحط حيث سعت أقدامهم قدما
فلم يكن منهم إلاّ حليف ندىً ... أو باسل أو إمام قد غدا أُمما
أو عالِمٌ عَلَمٌ في الفقه أو لبق ... يرضى إذا نشر الألفاظ أو نظما[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية الأخرى، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

ذكر أئمتهم:

ففي الإمامة قل لـــي مــن كــوارثهم — ومن يحاكي المهنّا في العـــلا هممـــا

والصلت نِعــم إمــام مــنهم وفــرى — برأي عزان والصمصام مــن ظلمـــا

فمات ذاك شــهيداً بعــدما قطــرت — سيوفه مــن رؤوس المعتــدين دمـــا

فيالها وقعــةً حــزب العــراق قلـــى — من بأس عزّان فيهـــا خرمـــةً ودمـــا

تكفّــن الــدَّم إذعنــه الــذي رتقــت — بـــه قرونتـــه عــن نــصره انهزمـــا

ومنهم نجــل شــاذان الخليــل فمـــا — له شكى السيف لمّـــا بـــايعوه ظمـــا

ونجل قاسمه الــصلت الأخيــر لـــه — عزايم لو رما طــوداً بهـــا انهــدما

ونجــل راشــد ثــم عـــامر دفعــت — لـــه الإمامـــة تـــاج العـــزّ منتظمـــا

ونجل غسان والرســم الــشريف لـــه — محمد بــصريح العــدل قــد حكمـــا

والخالـــدان إمامـــان ســـرى لهمـــا — صيت به كل صـــيت للعـــدى ثلمـــا

ومنهم بن علـــي قــد حــوى شــرفاً — مثل الهجاري فحـــازاه ومـــا اقتـــسما

إثنـــان مـــع عـــشرة عـــدّاً أئمـــتهم — بمجدهم يبهـــرون العـــرب والعجمـــا

تجنبوا الظلم في الحكم الــذي اتبعــوا — به الكتاب فــصاروا للــورى نعمـــا

أعطوا السيوف من البـــاغين بغيتهـــا — وكـــل أفـــق كـــسته خـــيلهم قتمـــا

فنـــوا و مجـــدهم بـــاق تفـــوه بـــه — أفواه حزب وكتبٍ مـــا حــوين فمـــا

وكـــان أولهـــم فـــي العلـــم وارثهـــم — والصلت مثل المهنّـــا بـــالعلوم طمـــا

وما اشتكى منه عزان الشهيد صـــدى — ولا أبو الموثر استـــسقى فتـــى ديمـــا

وحـــسبُهم بـــأبي نبهـــان جاعـــدهم — وحـــسبنا إذ يـــسمى عـــيلم العلمـــا

بحـــــر إذا مادنــــا أوشـــط ســـائله ... أتاه منــه الجــواب الجـم منتظمــا
تجني جــواهره أهــل العلــوم فكــم ... فوج إلــيهم عليــه بالثنــا ازدحمــا
فمن رأى بعض ما في العلــم صــنّفه ... رأى الكثير الذي مــن غيــره لممــا
به علم ما تضربُ الأمثال كل ّ فتــى ... بغيـــره وبـــه بالــسبق قــد علمــا
وكل من زعم المجــد الــشريف لــه ... لا غيره فهو أضحى فوق ما زعمــا
لهُ لهُ قــصب الــسبق اغتــدى فــإذا ... لغيـــره قـــال قـــال مــان أووهمــا
وابنـــه ناصـــر للعلـــم مـــدّ يـــداً ... وكل ما شـــاءه منـــه بهـــا اصـــطلما
قد أودع الـــدّر مـــن تـــصنيفه كتبـــاً ... فراقم النـــاس بـــالأنوار مـــا رقمـــا
لـــم يبـــق مـــستغرباً إلا وأبـــرزه ... فيهـــا فمـــا تركـــت أنـــواره ظلَمـــا
كأنما العلم طُـــراً صـــار فـــي يـــده ... أو أنـــه كـــل ّ علـــم ثغـــره التقمـــا
ذو هيبةٍ ســيفه أضــحى بهــا قلــم ... فكم به حدّ سيف حاسم حــسما [٨١١]
ما ناقل الصخرة الصما ســواه فمــن ... إذن بما قلــت فيهــا تــدعي صــمما
وكــم شـــهدت لـــه ســـراً أكتمـــه ... فلا أذيـــع لـــه الـــسّر الـــذي كتمـــا
سقى الحيـــا قبـــره إذ لـــست أذكـــره ... إلا ودمعي كوبل في الــصعيد همــا
ومنهم الحبـــر منـــصور تـــشد لـــه ... ذاك الرحال فيجــدي الوفــد مبتــسما
ولا يماطـــل مـــن وافـــا بمـــسألة ... له الجــواب وهــذا مــذهب الكرمــا
قد كان منصور حيّا فاغتـــدى عـــدماً ... ولم يكن فخـــره لمّـــا مـــضى عَـــدَما
ونجل ناصـــر عبـــدالله بحـــر نـــدى ... لـــه يـــد العلـــم فـــي آفاقهـــا خيمـــا
تلاطم العلم منـــــــــــه فهوعيلمه ... فمن عليه به تسدى نفى الســـــــدما

إذا ذكرت سعيداً في العلوم فتـــى محمـــد نلـــت نهـــلاً ســـائغاً شـــبما
وقد شهدت خميساً زاهـــداً ورعـــاً سليل جاعد من ترجـــى لـــه الرُّحمـــا
ويكرم الضيف مهما زاره لقـــرى ويصدق العـــزم إعجـــالاً إذا عزمـــا
وسالم والفتى الغشري يروق لنـــا إذا همـــا نثـــرا لفظـــاً ومـــا نظمـــا
فـــشاعران أديبـــان همـــا انتـــسبا إلى خروص وما مـــا نـــا ولا وهمـــا
وفـــي ســـمايل أشـــياخ جهابـــذة منهم لنا نِعْمَ صـــحب عـــدهم نعمـــا
فمنهم ناصر كانـــت مـــشار بُـــهُ في النظم سائغة تـــذري بمـــاء لمـــا
والكل منهم حوى كُـــلّ الثنـــا وإذا تكلـــم الحكمـــا كـــانوا هُـــمُ الحُكمـــا
بني خروص لكم فخر به افتخرت أكارم ....
وللثنـــا أنـــتم أهـــل فـــأيّ فتـــى [١]إلاّ بحمـــــــدكُمُ لا زال ملتزمـــــــا
مدحي لكم قد حوته قبل ذا كتُـــبُ ولم أكـــن فـــيكم مـــا قلـــت مُتهّمـــا
ودّي إلـــيكم صـــريح لا يمازجـــه ضدّ الصريح يرى أريـــا إذا طعمـــا
ألا خذوها بلا مهـــر فتـــاة نُهـــىً صحيحة اللفظ لا تـــشكو لكـــم ســـقما
ومن بيـــان معانيهـــا مرصـــعها وما أبوها علـــيكم مهرهـــا احتكمـــا
قولوا قبولاً فـــإن المهر ذاك لهـــا وبالـــسلام علـــيكم قولـــه ختمـــا[٢]

رجعنا إلى ذكر الأئمة، ثم نصب بعد ما مات، عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد ابن شيذان بن صلت هذا، وهو الذي أظنه ثالث عشر أئمة بني خروص، إذ عددهم

[١] سواد تعذرت قراءته

[٢] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية الأخرى، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

على الأغلب ثلاثة عشر، وهكذا ذكر الغشري في قصيدته، التي ذكر فيها أئمة بني خروص وجها بنتهم، وذكر أسماء أهل الفضيلة، وقال مع الجملة: إنهم ثلاثة عشر، ولم يذكر إمامهم [٨١٢] الثالث عشر منهم، أو ذكره ، فنسيه الناسخون مع رقم التاريخ، وأنا سمعت من بعض الناس، أن الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد خروصي النسب، قال: وقول المؤرخين: أحمد بن شيذان بن صلت غلط، والصحيح أنه أحمد بن شاذان بن صلت، فوقع خلطهم في شاذان فأثبتوه شيذان، إن هذا كلامه، والله اعلم بالصواب. ثم نُصب من بعده القاضي محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج الأزدي، في سنة أربع وتسعين بعد ثمانمائة سنة من الهجرة النبوية، فلبث في الإمامة سبع سنين وما أحد تكلم في سيرته بعيب ولا بريب.

[الإمام عمر الشريف]:

ثم نصبوا من بعده عمر الشريف، وأقام في الإمامة سنة، فلم يرضهم، فخلعوه، ومضى هو بعد ما خلعوه إلى بهلاء، واتفق أهل نزوى على محمد بن سليمان ثانية، فبايعوه، فلبث في الإمامة مدّة وخلعوه وعقدوا من بعده للإمام أحمد بن عمر.(١)

[الإمام أحمد بن عمر]:

وعقدوا من بعده لأحمد بن عمر بن محمد الربخي، وكان مسكنه ضنك من الظاهرة، والرباخ هؤلاء يمنّيو النسب، قليلو العدد، ومنهم الرباخ أهل إقليم طيوي.

---

(١) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

[الإمام أبو الحسن محمد بن عبد السلام]:

ولمّا مات [أحمد بن عمر]، عقدوا لأبي الحسن محمد بن عبد السلام، وأقـــام دون سنة، وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهاني، فقعد محمد عن حربـــه، فخلعـــوه، ونصبوا مكانه محمد سليمان ثالثة، وأقام أياماً، فلم يرضهم، فخلعوه.

[الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي]:

وعقدوا لمحمد بن إسماعيل بن محمد بن عمران بن أحمد الإسماعيلي، واختلف في نسبه، فمنهم من زعم أنه يمني النسب ومنهم من زعم أنه نزاري النسب، متخصل نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وأن بني إسماعيل العمانيين يمنيين، وغيرهم هم بنو إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، وعندي هذا هو الأصـــح، والله أعلم. ولم أذكره في كتاب المؤتمن مع العدنانية، لأجل هذا الإختلاف، وكان مسكن محمد بن إسماعيل المذكور بحجرة الوادي من بلدة نزوى، من سكة بـــاب مـــزار، والسبب الذي أوقعه في الإمامة، أن سليمان بن سليمان النبهاني هجم على إمراة من أهل نزوى تغتسل بالغنتق، فخرجت من الفلج هاربة عنه، عريانه، فظلّ يعدو فـــي أثرها، حتى وصل حجرة الوادي، فرآهما محمد بن إسماعيل، فخرج إليه، وقبضة، وصرعه على الأرض، حتى مضت المرأة، ودخلت العقر، فخلى سبيله، فعند ذلـــك فرح المسلمون لما رأوا من قوته في الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، فنـــصبوه إماماً سنة ست وتسعمائة سنة، ومات يوم الخميس، لتسع ليال بقين من شوال ســـنة إثنين وأربعين وتسعمائة[1].

---

[1] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

قال المصنف: أخبرني الشيخ القاضي مبارك بن عبدالله النزوي[1] وغيره، عن السبب الذي أوقع محمد بن إسماعيل في الإمامة أن بني نبهانِ في ذلك الزمان، كان أعظمهم شأناً سليمان بن سليمان، وكان هو المالك في ذلك الأوان لحصن بهلا، فتخلى ذات يوم عن الناس، فخرج من سور البلد، وقعد في ظل شجرة، يفكر في نفسه، في استنكاف أكثر رجال عمان عنه، فجعل يصوغ الحيلة على طاعتهم إليه قسراً، فسمع هاتفاً، ولم يَرَ شخصه، وهو يقول: تمتع يا فتى بني نبهان، فمالك في دولتك نصيب، إلاّ سبعة أيام، فتطير سليمان من ذلك، فرجع إلى حصنه وصوت الهاتف يتبعه، وكلما نظر يميناً أو شمالاً أو أعلي أو أسفل، لم يَرَ شخصاً لصاحب الصوت، فلمّا دخل حصنه قعد مهموماً مغموماً، فقال له بعض وزرائه الجبابرة: ماذا جرى عليك ؟ فإني أراك مهموماً مغموماً، فأخبره بما سمعه، فقال له وزيره: ما ذاك إلاَّ من بعض خيالات الشيطان، ووساوس النفس، فلا تحزن، فإنك أنت ملك عمان، على رغم أنف حاسدك، وجعل يسلّيه، فما قدر على سلوانه. ثم إن سليمان بعد سته أيام، ركب ناقته، يريد نزوى، وكان له فيها بيت الإمارة، فلما أناخ نا قته، ووضع ما حمله عليها في بيت الإمارة، أخذ عصاه، وخرج إلى الغنتق يريد أن يفجر بمن يصادفه من النساء في الغنتق، فرأى إمرأة ذات حسن وجمال، [٨١٣] وهي متجردة، تغتسل في الغنتق، فهجم عليها، فهربت منه، فتبعها حتى بلغا إلى

---

(١) الشيخ مبارك بن عبدالله النزوي: من العلماء العاملين، الذين قامت عليهم دولة الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي، تولى القضاء في نزوى، وعرف بشدته في الحق، كان على خلاف مع العلامة سعيد بن أحمد الكندي حول تجنيد الإمام أحمد للرعية لمحاربة الخارجين على طاعته. انظر: الفارس، ناصر بن منصور: نزوى عبر الأيام معالم وأعلام، ص ١٨٥.

حجرة الوادي، فصاحت المرأة واغوثاه، فجرّد محمد بن إسماعيل سيفه، فضرب به عنق سليمان بن سليمان، فأبانه عن جسده، وأخبر أهل الحجرة بما صنعه بسليمان ابن سليمان، فأسرعوا في دفنه، واجتمعت رجال نزوى، فشكروا محمد بن إسماعيل، واتفقوا على نصبه، فنصبوه إماماً، وذلك في سنة ست وتسعمائة، كما ذكرنا أولاً، والله أعلم بالصواب.

[الإمام بركات بن محمد]:

ونصب ولده بركات بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي في، اليوم الذي مات فيه أبوه محمد، ثم لمّا كان يوم السبت، لعشر ليالٍ من المحرّم، سنة خمس وستين وتسعمائة، أخرج جبر بن محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري، بركات بن محمد بن إسماعيل من حصن بهلا، وذلك بعد أن دخل السلطان الأعظم، سلطان بن الحسن بن سليمان بن سليمان بن نبهان نزوى، وملكها، سنه أربع وستين بعد تسعمائة، وثبت حصن بهلا في يد محمد بن جفير، إلى أن اشتراه منه آل عمير بثلاثمائة لك، ودخل آل عمير الحصن، لتسع ليالٍ بقين من شهر جمادي الأخرى، سنة سبع وستين بعد تسعمائة، ولعل كان الإمام الفضيلي[1]، وهو عمر بن قاسم الفضيلي، في أيام بركات بن محمد بن إسماعيل، والله أعلم[2].

---

[1] عمر بن قاسم الفضيلي: إمام عاش في القرن العاشر الهجري، تولى حكم عمان عندما سخط أهلها على الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل، فرضي الشيخ الفقيه أحمد بن مداد ومعه كثير من أهل عمان بإمامته، وبايعوه، دخل مدينة منح، ثم حصن بهلا سنة ٩٦٧ هـ، ولم يبق وقتاً طويلاً، إذ انقلب عليه أهل عمان، وبايعوا عبدالله بن محمد القرن إماماً لهم. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٠.

[2] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧٠-٤٧١.

[الإمام عبدالله بن محمد القرن]:

ثم نصب الإمام عبدالله بن محمد القرن في منح يوم الجمعة لخمسة عشر يوماً خلت من شهر رجب، سنه سبع وستين وتسعمائة، ونسب عبدالله بن محمد القرن هذا، من آل أو يس القرني الزاهد المشهور[1] يمني النسب. ودخل عبدالله بن محمد القرني حصن بهلا يوم الاثنين لليلتين بقيتا من هذا الشهر، من هذه السنة، ثم لمّا كان ليلة الأربعاء، لثلاث ليال بقين من شهر رمضان، سنه ثماني وستين بعد تسعمائة سنه، دخل بركات بن محمد بن إسماعيل حصن بهلا، وأخرجوا منه عبدالله بن محمد القرن، وكان الشيخ الفقيه أحمد بن مداد[2] يبرأ من محمد بن إسماعيل وولده بركات ابن محمد، فقال في سيرته: فمن ديننا الذي ندين به لله، البراءة من إسماعيل، بجبايته الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية لهم، ومنع من الجور والظلم، لأنه جاء في آثار المسلمين المشهورة عنهم الصحيحة، ومن دين المسلمين أن لا يجبوا

---

(١) أويس القرني: القدوة الزاهد، سيّد التابعين في زمانه، أبو عمرو، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي اليماني. وفد على عمر، وروى قليلاً عنه وعن علي. روى عنه يسير بن عمرو، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عبد رب الدمشقي وغيرهم، حكايات يسيرة، ما روى شيئاً مسنداً، ولا تهيأ أن يحكم عليه بلين، وقد كان من أولياء الله المتقين، ومن عباده المخلصين. انظر الترجمة الكاملة في: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٩-٣٤.

(٢) الشيخ أحمد بن مداد: العلامة الفقيه، العارف النحرير أحمد بن مداد بن محمد الناعبي العقري النزوي، أحد أقطاب العلم والعمل بنزوى، من ذرية آل مداد، الذين طبق الأرض صيتهم، واشتهروا بالعلم والفضل، فكانوا قادة للمسلمين، وحماة للدين، وسعاة لمرضاة رب العالمين. وللشيخ أحمد رأي في إمامة بركات بن محمد بن اسماعيل، فهو ومن معه من الفقهاء يبرأون من بركات بحجة أنه لم يحم الديار، وعلى هذا ليس له أخذ الصدقة من الناس. انظر: الفارسي، ناصر ابن منصور: نزوى عبر الأيام، معالم وأعلام، ص ١٤٥ – ١٤٦.

جزية، ولا صدقة، حتى يكونوا على الناس حكاماً ويمنعوا من جبــوا مــن الظلــم والعدوان، ومن دين المسلمين، أن لا يجبوا أرضاً لم يحموها ولا يمنعوها، وقــال محمد بن محبوب: إنه ليس لإمام أن يجبي قوماً ولا يأخذ صدقاتهم، وهو لا يمنعهم من أن يُجار عليهم، فإذا فعل ذلك، فقد جار عليهم، ولا فرق بينه وبين أهل الجور الذين يأخذون منهم، وليس للإمام أن يأخذ من هؤلاء شيئاً، ولا يعقد عليهم لــوالٍ ولاية بلا حماية لهم، ويمنع ومن دين المسلمين، أن لا يجتمع خراج و زكــاة فــي رعيه واحدة، وندين لله عزّوجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل، بجبــره الرعيــة [٨١٤] على شراء الزكاة من ثمرة النخيل، بما يقومه عماله من الــدنانير، وأخــذه لتلك القيمة بالجبر منهم، لأن الجبر من الإمام على شراء الزكاه من الحب والتمر، قبل قبضها، وبعد قبضها، لايجوز في دين المسلمين، إذ الجبر على الــشراء فــي الأملاك، لا يجوز بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وكذلك لا يجوز البيع، إلاّ فــي حال الحكرة والضرر، والإمتناع من البائع عن تسليم حق واجــب عليــه تــسليمه لغيره، وليس في هذا اختلاف بالرأي، وندين الله عز وجل بالبراءة من محمد بــن إسماعيل، بجبايته المعاشير غير الزكاة، دنانير بقيمة ثمرة النخل، من أموال رعيته، بما يقومها أعوانه وعماله بالدنانير، بالجبر من رعيته اليتامى، والبالغين، والأرامل، وغيرهم لنفسه، وأعوانه، ولخطاره، وأضيافه، وأهله هدراً وفرضاً بالبينة، لأن الله قد حرم في كتابه أخذ أموال الناس وأكلها بالباطل، وحرمها رســوله، صــلى الله عليه، وسلم في سنته، إلاَّ بحقها. وقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد البسيوي[1]

---

[1] الشيخ أبو الحسن علي بن محمد البسيوي: الفقيه العلامة، الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن علي بــن محمد بن الحسن البسيوي الأزدي اليحمدي. من شيوخه العلامة أبو محمد بن بركة البهلوي، والعلامة محمد ابن أبي الحسن النزوي. له مؤلفات كثيرة منها: كتاب "الجامع" المسمى "جامع أبي الحسن، مطبوع في ثلاثــة أجزاء، وكتاب "المختصر" المعروف بــ "مختصر البسيوي" مطبوع أيضاً. انظــر الترجمــة الكاملــة فــي البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج ١، ص ٣٠٠- ٣١٩.

إذا سئل عن الأموال ما يُحل منها وما يحَّرم، فقال: إن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده، وقد جعل الله الأموال مقسمة على خلقه، وملك من ذلك ما شاء، وحرم على عباده منها ما شاء، وقد قال الله في كتابه ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾[1]، فحرم الظلم كله والأموال كلها، إلاَّ من وجه مااتفق عليه أنه حلال من أموال المسلمين.
وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل بجبايته للخراج والكره للجبارين من أموال رعيته على الخوف وخشيته الظلم على دولته ونفسه ورعيته، لأن ذلك الخراج والكسرة، هو إثم وعدوان، وقد حرّم الله التعاون على الإثم والعدوان. وقال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[2]، وحرّم الركون إلى الظلم، وطاعة الإثم والكافر، وقد نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن معونه الظلَمَة، وأوعدهم النار، فقال: يحشر الظلمة وأعوانهم ومن أعانهم ببري قلم أو مدّه مداد، فمأواه النار، والله لا يحب الظالمين. وقال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وقد أجمعت الأمة أن الذي يطلبه الجبار وأهل البغي وغيرهم من الناس بالجبر على الخوف منهم على نفسه وماله، وعلى الخوف على الناس، وعلى أموالهم، من إمام أو غيره، فقد أعان على الإثم والعدوان، وأطاع الإثم على إثمه، والكافر على كفره، وقد عصى الله ورسوله بفعله هذا، وقد استحق الخلع والبراءة في دين المسلمين، وقد جاء في الآثار الصحيحة عن المسلمين: إذا دخل الظالم البلد، وخاف أهلها اغتصابه وظلمه، فغير جائز أن يأخذ من مال اليتيم والغائب والحاضر، ويدفع به الظالم، قبل وقوع ظلمه، لأن الله قادر أن يدفع ذلك بأسرع من طرفة العين، ويمنع من وصول الظالم، وقد أجتمع الخراج للجبابرة، والزكاة في رعية واحدة، عند محمد بن إسماعيل، وقد ضّل وكفر محمد بن إسماعيل بأخذه أموال الناس [٨١٥] واليتامى والأرامل والمساجد لنفسه وأعوانه

[1] سورة البقرة، الآية ٢٧٩.
[2] سورة المائدة، الآية ٢.

وعياله وخطاره وأضيافة، وللجبابره على الخوف، وخشية الظلم، وخالف بأفعاله هذه كتاب الله وسنة رسوله ودين المسلمين، وصاربأفعاله هذه فاسقاً ظالماً منافقاً ضالاً مبتدعاً كافراً كفر نعمة، لأنه قد حكم بغير ما أنزل الله، وقال في سيرته أيضاً: وندين لله بالبراءة من ولده بركات بن محمد بن إسماعيل لجبايته الزكاة، لأبيه محمد بن إسماعيل من الناس بالجبر، ودخوله في طاعته وتصويبه إياه على بدعته هذه وضلالته، فصار بركات بن محمد بن إسماعيل، بولايته لأبيه، وتصويبه إياه في أخذه أموال الناس بالباطل والعدوان،لأن من تولى فاسقاً، فهو فاسق مبتدع مثله، وكذلك ندين لله تعالى بالبراءة من بركات بن محمد بن إسماعيل، بولايته لأبيه، وتصويبه إياه في أخذ أموال الناس بالباطل والعدوان، لأن من تولى فاسقاً، فهو مبتدع مثله، وكذلك ندين لله تعالى بالبراءة من عبدالله بن عمر بن زياد[١]، ومحمد بن أحمد بن غسان[٢]، لولايتهما لمحمد بن إسماعيل، و ولده بركات بن محمد بن إسماعيل، وتصويبهما إياهما لبدعتهما وضلالتهما، ودخولهما في طاعته على فسقه وظلمه وبدعته وضلالته، التي ذكرتهما في هذه السيرة، من غير توبة تصح منه معهما، ندين لله تعالى بالبراءة من بركات بن محمد بن إسماعيل بتسميته الإمامة، وبإدعائه أن إمامته ثابته على الناس، وأن له الطاعة على الناس، وبجبايته الزكاة بالجبر من الناس، لأن بركات بن محمد بن إسماعيل ليس بولي عدل

---

[١] عبد الله بن عمربن زياد: عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد الشقصي البهلوي، شيخ، فقيه، شاعر، من أهل بهلا، عاش في القرن الثامن الهجري، وعاصر الإمام محمد بن اسماعيل، كان واسع المعرفة، طليق اللسان، من شعره قصيدة مخمسة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء أهل الإستقامة وعلماء عمان، وقصيدة في أحكام الطرق والتحريم، وله رثاء في عمار ابن ياسر والمرداس بن حدير. انظر دليل أعلام عمان، ص ١١٤.

[٢] محمد بن أحمد بن غسان: عالم، فقيه، شيخ جليل، عاش في القرن العاشر الهجري، كان من كبار العلماء في عهد الإمام محمد بن اسماعيل، وفي عهد ابنه بركات بن محمد بن اسماعيل. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٤.

عندالمسلمين، بل هو منافق فاسق ضال ظالم مبتدع، كافر كفر نعمة، متّخذ دين الضلال، لا تجوز له الإمامة، وإمامته فاسدة من أصلها وفرعها بالكتاب والسّنه، وإجماع الأمة من أهل الإستقامة، ثم إن بركات بن محمد بن إسماعيل لم يقنع بفساد إمامته وازداد فسقاً فوق فسقة، وظلماً فوق ظلمه، وكفراً فوق كفره، باستحلال ما حرّم الله في كتابه، ورسوله في سنته، ودين أهل الإستقامه من أمته، لأنه أخذ أموال رعيته البالغين واليتامى والأرامل والمساجد، وجباها أعشاراً هدراً وقرضاً بالنيّه بالجبر والإكراه، زيادة فوق الزكاة لنفسه وعياله وأعوانه وللجبابرة على خوف وخشية الظلم، واقتدى بفعل أبيه محمد بن إسماعيل، وقلّده وقلّد من أفتى أباه من العلماء المتأخرين، قياساً ونظراً منهم على الصلاح وعلى نظر منهم على الصلاح وعلى قياس السفينة، إذا ضربها النخر في البحر، فخالف هو ومن أفتى باجازة ذلك كتاب الله وسنه رسوله، ودين المسلمين من أهل الإستقامه، وقاس هو ومن أفتى بذلك من العلماء المتأخرين في موضع النص والدين، كما قاس إبليس، لعنه الله، عند وجود النص والدين، فخالف بقوله هذا حكم كتاب الله وسنه رسوله، بفعله ذلك بالكفر والفسق والظلم، لقوله عزّوجل ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[1]. الكافرون والظالمون كذلك محمد بن إسماعيل وولده بركات، قلّدا في دينهما، من أفتى بإجازة أخذ أموال الناس التي حرمها الله في كتابه، وفي سنه رسوله، وفي دين أهل الإستقامة من أمته فضلاً، وأضلا من اتبعهما وصوّبهما على ذلك وتولاّهما بالدين، لأن التقليد في الدين حرام لا يجوز [٨١٦] في دين الله، ومن ديننا البراءة من بركات بن محمد بن إسماعيل، بزيادته جنائر في أوراد أفلاج رعيته، وقعده لتلك الجنائر المزادة بالجبر، وإنفاقه من ذلك على أعوانه وللجبابرة من أهل البغي، كما صالحهم على خوفه منهم على نفسه ودولته، وعلى رعيته

---

[1] سورة المائدة، الآية ٤٧.

وأموالهم باقتدائه بأفعال أبيه المذكورة في هذه السيرة، وتقليده إياه ومن أفتاه باجازة ذلك، لأن ذلك كله محرّم لا يجوز بالكتاب والسنه وإجماع الأمة، وأفعال محمد بن إسماعيل وبركات بن محمد بن إسماعيل وأحداثهما التي ذكرتها في هذه السيرة، شاهرة ظاهرة، لا ينكرها فاعلها بركات ووالده، ولا غيرهما من رعيتهما وأعوانهما، يشهد بذلك الخاص والعام والبدو والحضر من أهل عمان، وربما شهر ذلك في بعض الأمصار من غير عمان و ربما شهر ذلك عند مخالفينا و قومنا فتعجبوا من هذه الأفعال التي فعلها بركات بن محمد، وطعنوا في المذهب الإباضي من أفعاله هذه على ما ظهر عندنا وبلغنا، وفاعل هذه الأفعال يستحق الطعن والإنكار، إذ هي مخالفة لدين الملك الجبار، ولا يفعلها ويعتقدها صواباً، إلاّ مفسد في الأرض جبّار، وقد دان المسلمون من أهل الإستقامة بتخطئة من عمل بها من إمام أو عالم أو فاجر ختار، وأقاموا على ذلك الحجج من الكتاب والسنة، وإجماع العلماء الأبرار، وبركات بن محمد بن إسماعيل ووالده يكفيهما من الضلال والبدع بدعة واحدة، فأول بدعهما الخرص في ثمرة النخل وحكمها بما يقومه الخراص بالجبر على رعيتهما بعشر ذلك الخرص، ولو ذهبت تلك الثمار بريحٍ أو مطر أو جراد، البدعه الثانية: منهما تقويمهم ذلك الخرص بدنانير بما يقومه عمالهما وأعوانهما وحكمهما بالجبر على الرعية بتسليم تلك القيمة على سبيل بيع الزكاه قبل قبضهما بالجبر والإكراه على الشراء من البيع. البدعة الثالثة: أخذهما عشر الحبوب فيها الزكاه من الزجر والنهر غير الزكاة بالحب من عند الأيتام والأرامل ومن كره من البالغين هدراً لا قرضاً، وأخذهما عشر الحبوب التي يباح فيها نصاب الزكاة من الفلج والزجر، ولو مكوك حب، فخالفا بذلك سنه الرسول، عليه السلام، وإجماع الأمة من أهل الإستقامة، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: (ليس في مادون خمسة أوسق صدقة)، والوسق: ستون صاعاً، فذلك ثلاثمائة صاع: البدعة الرابعة: أخذهما

من أموال الرعية عشر القت والقصب وجميع الخضرة بالجبر والإكـــراه، فخالفـــا بذلك إجماع الأمة. البدعة الخامسة: أخذهما قيمة أموال الرعية، وأكثرها دنانير، بما يقومة عمالهما وأعوانهما. البدعة السادسة: اجتماع الخراج للجبابرة، وأخذ الزكـــاة منهما من أموال رعيتهما ، فإن حكم كتاب الله و سنة رسوله و دين المسلمين بالحق و الهدى لنا وباجازة الإمامة للإمام العدل الولي عمر بن قاسم الفضيلي، أيـــده الله [٨١٧]، فنحن راضون بحكم الله، واتبعوا في الحكم بيننا وبين بركـــات كتـــاب الله وسنه رسوله ودين المسلمين، ولا تقلدونا، ولا تقلدوا بركات بن محمد بن إسماعيل، ولا أحداً من المسلمين من العلماء الأولين والآخرين في الدين، لأن التقليد في الدين حرام، لا يجوز في دين الله ودين المسلمين، قال صاحب كتاب كشف الغمة: فهذا ما اختصرته من سيرة الشيخ أحمد بن مداد، يدل أن إمامة عمر بن قاســم الفــضيلي، وقعت على إمامة بركات بن محمد بن إسماعيل، والله أعلم وبه التوفيق(١).

ذكر الملوك المتأخرين من النباهنه وغيرهم إلى ظهور الإمـــام العـــادل ناصر بن مرشد ، رحمه الله:

إعلم أن قوة ملك بني نبهان العمانيين الأولين بعمان كانت في السنة الخمسمائة من الهجرة النبوية، ولم أجد لهم تاريخاً يشتمل على كوائنهم البسيطة ، لإغفال علمـــاء السير والمؤرخين من أهل عمان الأبرار كوائنهم ومجرياتهم، وإهمالهم لكوائنهم و مجرياتهم في أيام دولتهم من الخلط مرتبة سامكة من مراتبهم السامكة، لأن ســفور الكوائن في التواريخ، تظهر محاسن المناقب، وتراقم بأنوارهـــا وجـــوه المناســـب والمناصب.

---

(١) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧١ – ٤٧٤.

وأما ملوك بني نبهان الآخرين العمانيين، فقد أبرزت سيرهم وكوائنهم أهل العلم بالسير، من أهل عمان، وكان ابتداء شأن دولتهم في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية، وكان شاعرهم الشيخ الأديب موسى بن حسين المحلياي، ومحليا: هي بلدة صغيرة في وادي عندام من عمان وعلى الإطلاق إن الشيخ الأديب أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي، أشعر من الشيخ موسى بن حسين، ويده في الشعر أطول من يد الشيخ موسى بن حسين، فإن الشيخ أحمد بن سعيد الستالي كان فريد عصره، وقطب مصره وغير مصره في الشعر، ولا أعلم أن شاعراً كان أشعر منه بعمان، إلى هذه الغاية، وأما الشيخ موسى بن حسين مشربه في الشعر، مشرب الشيخ الأديب علي بن هتيمل في الرقة، وحسن صيغة الكلام، وديوانه وديوان الشيخ أبي بكر أحمد بن سعيد الستالي موجودان بعمان وغيرها من البلدان، واختلفوا[1] في الشيخ أبي بكر أحمد بن سعيد الستالي أهل عمان، فمنهم من زعم أنه خروصي النسب، وبلدته ستال وهي بلدة من بلدان بني خروص، أهل وادي العليا، ويحكى عنه أنه قبل أن ينظم القصيدة التي مدح بها السلطان المعظّم، أبا العرب يعرب بن عمر، وهي القصيدة البائية التي هنأه بها بعيد الأضحى، سنة أربعمائة وتسعين سنة من الهجرة، لقد بعث السلطان المعظم أبو العرب إلى الشيخ أحمد بن سعيد الستالي ألف دينار، وثياباً فاخرة له ولأهل بيته، ففصّل من تلك الثياب قميصاً لابنة الشاعر أحمد المذكور، فلما كان يوم العيد، مضت إلى بيت الإمارة لتعيّد على السلطان، وجلست حذا ابنته، بعدما سلّمت عليها، وكانت نسما بنت الشيخ أحمد تسمى ابنة الشاعر حسنا، فلما خرجتا إلى المصلى لاستماع الخطبة، مسكت ذيل قميص ابنة الشاعر شجرة صغيرة ذات شوك عظيم، فجذبت القميص جذباً مفرطاً،

---

[1] وهذه لغة تتكرر عند المؤلف في عددٍ من المواضع

حتى انشق أكثر القميص من تلك الجذبة، فالتفتت إليها ابنة السلطان، فقالت لها لمّا نظرت انشقاق ذيل قميصها: لو كان أبوك اشترى هذا القميص لما صنعتِي به هذا الصنع، [٨١٨] فأخجلتها بذلك الكلام، ولم تحر ابنة الشاعر لها جواباً، فلما انقضت الصلاة والخطبة، ورجعتا، سبقتها ابنة الشاعر إلى بيت الإمارة، ورجعت هي إلى بيت أبيها، وقعدت بين يدي أبيها مطرقة رأسها إلى الأرض، فقال لها أبوها: ما ورائك يا بنيّة ؟ فأخبرته الخبر، فقال لها: ارجعي إليها، وقولي لها إن أباك كسانا حُلّة تبلى، وكسوناه حُللاً لا تبلى، فالفضل لنا عليكم، فرجعت، وقالت لها مثل ما قال أبوها، ورجعت مسرعة إلى بيت أبيها، فدخلت ابنة السلطان على أبيها مغضبة، وأخبرته بما قالت ابنة الشاعر لها، فقال لها: لقد صدقت في كلامها هذا يا بنية، فإن الفضل لهم علينا، لقد كسانا أبوها حُللاً لا تبلى، وكسوناه حُلّة تبلى، فليتك ما قلت لها ما قلت، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. ويحكى أن رجلاً من أهل العراق وفد على السلطان أبي العرب يعرب بن عمر هذا وأهدى إليه فرساً رائعاً، جميل الصورة، سريع الركض، وزعم أنه قاد إليه فرساً غيره، وهو مثله في الصورة وسرعة الركض، فمات في الطريق، و أعطاه عن الفرس الذي وافاه به عشرين ألف دينار، و أعطاه عن الفرس الذي زعم أنه مات في الطريق عشرين ألف دينار، وبعث له بحلل خطيرة سنية، وكان يعرب هذا رجلاً جواداً مشهوراً بالكرم والشجاعة، محباً لأهل الشعر، يجيز من وافاه بالمدح إجازة جميلة، مكرماً للضيف، ولمن يعطي مثله حق السيف يوم الطعن بالرمح والضرب بالسيف، منجزاً للوعد، صادق القول، والقصيدة التي مدحه بها أبو بكر الشيخ أحمد بن سعيد الستالي مطلعها:

كبرتُ والبيض واللذات من أربي حتى كأني لم أكبر ولم أشبِ[1]

وفيها يقول:

يهنيك يعرب أخبار مؤثرة محفوظة لك في الألباب والكتبِ

فهن أحسن مذكور ومستمع بين المشاهد من شعر ومن خُطبِ[2]

وقد مدح الشيخ أبو بكر أحمد بن سعيد المذكور السلطان المعظم أبا محمد نبهان بن ذهل بن عمر بن نبهان بن عثمان النبهاني بقصيدة همزية، وهنأه بها بتزويج ابنة السلطان أبي العرب بلعرب بن عمر بن نبهان، وقد مهرها بأربعة آلاف دينار، فضلاً عن الثياب الخطيرة والذهب الثمين، ومطلع هذه القصيدة:

هل أنجزت لك وعد الوصل أسماء أم شان موعودها مطل وإنساء[3]

فحكي عنه أنه أجازه أبو محمد نبهان بن ذهل عنها بثلاثة آلاف درهم، وقد مدح أيضاًالسلطان المعظم ذهل بن عمر، وهنأه بعيد الفطر فيها، ومطلع هذه القصيدة:

زمن الصّبى وملاعب الخلطاءِ بعثا قديم صبابتي وبكائي[4]

فحكي عنه أنه قد أجازه منها بثلاثة آلاف درهم، وحكي عنه أنه لما مدح السلطان المعظم أبا القاسم علي بن عمر بن محمد بن عمر النبهاني بهذه القصيدة، ومطلعها شعراً:

---

(1) انظر: ديوان الستالي، ص ٢٦.

(2) المصدر نفسه، ص ٣١.

(3) المصدر نفسه، ص ١.

(4) المصدر نفسه، ص ٦.

تحيّرتُ في تقليب أمرك يا قلبُ وخاطبت تياهاً لقد عظم الخطب[1]

قال له: إن شاء الله، لا يعظم خطبك، ووصله بمالٍ جزيل. ولمّا مدح السلطان يعرب بن عمر بن نبهان بهذه القصيدة:

يا مجلس الأنس واللذات والطرب لا زلت في العزّ مغموراً مدا الحقب[2]

بعث إليه بمال جزيل، وثياباً فاخرة، وركوباً رائعاً، وكان أخصّ ممّا مدح به الشيخ الأديب [٨١٩] أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي من بني نبهان أبا عبدالله محمد، وأبا الحسين أحمد، وأبا محمد نبهان، وأبا عمر معمّر، وأبا القاسم علي ذهل، وأبا العرب يعرب، وأبا إسحاق إبراهيم بن أبي المعمرعمر بن محمد بن عمر بن نبهان. ومن أولادهم أبا عبدالله محمد بن عمر أبا المعالي كهلان بن محمد، وأبا عبدالله محمد بن أحمد بن عمر، وأبا محمد بن نبهان بن ذهل، وأخذ جوائزهم السنية، ونفق شعره في سوق كرمهم المشهور، ولمّا مدح السلطان أبا عبدالله محمد ابن عمر، وعزّاه في والدته سعادة، وذلك في سنه ست وخمسمائة، بعث إليه بثلاثة آلاف درهم، وركوب رائع، ومطلع هذه القصيدة:

ألم تعلم بمن تقع الخطوب وهل تدري النوايب من تنوبُ

بلى وكأنما الأحداث تغشى أخلتنا وأفضلنا تصوبُ

خطوب في الصّعاب أشدّ نكراً وفي الأشراف موقعها غريبُ

---

[1] المصدر نفسه، ص ١١.

[2] المصدر نفسه، ص ٢٣.

وفقـــدان العزيـــز أشـــد خطبـــاً   وفوت المعجبات هـــو العجيـــب[1]

وهي قصيدة طويلة، أجاد فيها وأحسن. ولمّا مدح السلطان المعظم محمد بن عبدالله الريّس، سخط عليه السلطان المعظم نبهان بن عمر بن محمد بن نبهان النبهـــاني، فقال له: لِمَ تصرف المدح إلى غيرنا؟ ألم نكافئك عليه؟ ألم نعطيك ما يكفيك؟ فطلب الشيخ أحمد منه الإقالة والمسامحة، فأقاله وسامحه. ومطلع القصيدة التي مدح بهـــا محمد بن عبدالله الريّس شعراً:

يا مزنة الصيف من دّر الحيا صوبي   بواكفِ القطر منهلّ الشأبيب[2]

ومضيت ذات يوم من الأيام في سنة إثنين وخمسين ومائتين وألف، إلى مجلس من مجالس أهل الأدب بمسقط حرسها الله، فلما وافيت رحّبت بي أهله، وكان فيهم شيخاً أديباً قد أحنى الدهر صعدته، وأبدى من الكبر عدته، فقال له بعض أولئك الأدبـــاء: أيها الشيخ، إن هذا أديباً من أدباء أهل عمان، ينظم الأشعار، ويحب الأدباء الأخيار، فقال له: لعلّه ابن رزيق ؟ فقال له: أجل، فأقبل علّي باحتشام وابتسام، وقـــال لـــي: أيها الأديب، أسمعني شيئاً من شعرك، فقلت له: أيها الشيخ، تسمع بالمعيدي خيـــراً من أن تراه، فقال: لا والله ما أنت الذي يقال فيه هذا، فأنشدته أبيات نظمتها ســـابقاً في وصف حمامة مغرّدة على فننٍ شعراً:

أتـــرى تبكـــي علـــى فـــننٍ   لخلـــيط شخـــصُهُ شـــحطا
بخلـــت بالـــدمع والتبـــريحُ   عليهـــا بـــالغرام ســـطا

---

(1) المصدر نفسه، ص٣٧.

(2) المصدر نفسه، ص٤٧.

سـألوها عـن قـضيّتها | إن جهلـتم حـدّها الوسـطا
قاتـل الله الغـرام امـا | تخطّـا العاشـقين خُطـا
كلـف الأطيـار والتكليـف | عـن الأطيـار قـد سـقطا
فغـدت تبكـي علـى شـجنٍ | شـجو عمـدٍ لـم يكـن غلطـا
واسـتقلت فـوق مورقـة | عودهـا لبكائهـا انبـسطا [٨٢٠]
لـو تراهـا وهـي نايحـة | والجـوى يبتّزهـا فرطـا
لقليـت الذائـدين لهـا | أبـداً مـن وجـدها سـخطا[1]

فقال لي: يا نظير ابن هاني، زدني من مقاطيع مشربك العماني، فأنشدته في وصف سحابة ذارفة مدامعها الوسمية:

هل شمت سارية والـريح تبـسطها | إلى طلول بـشرق الـسقط مـسقطها
نعم لقد ألبـست خـضراء سندسـة | فالبرق من ضـوئه وهنـاً يـسمطّها
فلا تزال إلى سقيا قـرىً قبـضت | وللحيـاة يـد الأقـدار تبـسطها
حتـى إذا لحظـت قفـراء مهملـة | وقـد تأيـت دمـوع المـزن تنقهـا
جادت عليها بدمع مـن محاجرهـا | لّمـا رأت أن شـح الـدمع يـسخطها
فأصبحت وهـي منها روضة أُنـفٌ | وقد زهـت بـسطة منهـا بـسايطها
والعيش للناس بالأيناس فـي وسـط | وإنمـا أحـسن الأشـياء أو سـطها[2]

فقال: هل قلت شيئا في الرعد والبرق والمطر؟ قلت: أجل. فقال: أنشدني، فأنشدته:

---

(1) ابن رزيق حميد بن محمد: سبائك اللجين، مخطوط في مكتبة وزارة التراث والثقافة،ص٣٨٢.
(2) المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

ألا هل بجدب الأرض ذا الجوّ يسخط　　وإن كـــان منهـــا بالمحلّـــة يـــشحط
فمـــا بالـــه تـــنقض منـــه رواعـــد　　بزمجرة كادت علـــى الأرض تـــسقط
يظل لخصب الأرض يقري صحايفاً　　علانيـــة فـــي نـــصّه لـــيس يغلـــط
أتلـــك تهاطيـــل تـــرى أم عـــزايم　　بها تنتـــشي الـــسّحب الثقـــال وتنـــشط
رضاً لسقي الأرض يتلـــوا رياضـــه　　بساط الدجى يطـــوى إليهـــا ويبـــسط
بها انجلبت ســـود الغمـــايم خـــشيةً　　فمـــدمعها صـــحف البـــسيطة يـــنقطُ
إذا أفرط الجدب البذيء انبـــرى لـــه　　بزمجرةٍ من هولهـــا الخـــصب يفـــرطُ
نما برّه بـــراً وبحـــراً ولـــم يـــزل　　على الجدب فهـــو الأريحـــيُّ المـــسلّط
ولا زال يجدي كل مثـــر ومتـــربٍ　　وكل فتـــى مـــن رحمـــة الله يقـــنط[١]

فقال لي: لا غرو هذا منكم يا أهل عمان، إذ منكم الشيخ أبو بكر أحمد بـــن ســـعيد الستالي، لا يختلف في ذلك إثنان، فقلت له: يا شيخ أين دارك التي ضـــربت فيهـــا خيامك، وأطلت بها مقامك، فقال: الحسا، فإن كنت لم ترها فعسى، فقلت له أعندكم شيء من نظم الستالي ؟ فقال: أجل، وإنه في نظم القريض لذو معالي، وعندنا من أشعارك كثير، و لا ينبيك مثل خبير، ثم ودعت الشيخ ومـــن معـــه مـــن الأدبـــاء الأفاضل، ورجعت إلى منزلي بوافر السرور الكامل، وبالجملة. إن الشيخ أبا بكـــر الستالي الأديب طبقة والمدح من الناس إليه شن وطبقة، وإن بني نبهان، أهل ذلـــك الزمان، لهم في الكرم انسجام، لا تناظرهم فيه الغمام.

---

[١] المصدر نفسه، ص ٣٨١.

وأما ملوك بني نبهان الآخرين، فمن دونهم في البذل والقوة، وإن وصفهم الوصف في السخاء والمرؤة، ولكل زمان رجال. وبغير مرية، إن الشيخ موسى بن حسين، لقد أخذ جوائزهم، وركز أعلام مرامه في مراكزهم. قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة وغيره: إنه لمّا مات السلطان [٨٢١] سلطان بن المحسن النبهاني، وكان موته ليلة الإثنين لا ثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة سنة، ترك ثلاثة أولاد وهم: طهميا و قيل : طياقز بن سلطان، وسلطان ابن سلطان، ومظفر بن سلطان، وكان المظفر هو المتقدم عليهم في الملك، وكان موته ليلة السبت من شهر محرم، سنة ست وتسعين سنة وتسعمائة سنة، وترك ولده سليمان صغيراً، لا يقوم برئاسة الملك، وكان أبوه فلاح بن محسن[1] مالكاً في حصن مقنيات، فلما علم بموت مظفر جاء إلى بهلا، وأقام مكانه، وعَدَل في ملكه[2].

قلتُ: وكان الفلاح بن المحسن هذا رجلاً كريماً، وملكاً مهيباً مشهوراً بالهيبة وأريحية الكرم، فوفد عليه ذات يوم رجل من أهل العراق راكباً على فرس رائع، وكان الفلاح يومئذ بحصن مقنيات من الظاهرة، وهو الحصن المسمى الأسود، فلما كان بمرأى منه، ربط فرسه، وأقبل على الفلاح، وهو بارز نحو الحصن، وقد أحاطت به قومه يميناً وشمالاً، فقال الرجل للفلاح بعدما سلّم وأثنى عليه: يامولانا،

---

(١) فلاح بن محسن: ملك من بني نبهان، عاش في القرن العاشر الهجري، كان مسكنه في مقنيات من أرض السر، بنى فيها حصن سماه الأسود، وهو حصن منيع، وهو الذي غرس شجرة الأمبا بمقنيات، فكثرت في عمان، ولما ذكر أنها شجرة طيبة، غرس في مقنيات منها شجراً كثيراً، ولما توفي الفلاح، تولى الحكم ولده عرار بن الفلاح بن المحسن، فحذا حذو أبيه في الكرم وحسن الخلق. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٩.

(٢) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

أريد خيلاً لقتي، بل أريد قتاً لخيلي، فتلجلج لسانه من الهيبة، فقال الفلاح: يعطى فرساً وقتاً، ويعطى قتاً لفرسه، فلما انصرف الفلاح إلى حصنه، وانقضت برزته، قال رجل من أصحابه للرجل العراقي: أين فصاحتكم يا أهل العراق؟ فإنك قلت للملك أريد فرساً وقتاً، لا بل أريد قتا لخيلي، فقال له الرجل العراقي: ياهذا إن برزة الفلاح بن المحسن تخرس فيها الألسن، فلو برزت أنت أو برزت أمك وعمتك لما تلجلج لساني، ولا وقع علّى مثل هذا الغلط. فبينما هما كذلك إذ أقبل خادم من خدم الفلاح، يقود للرجل فرساً، ويحمل صرتان من القت، فقال للرجل العراقي: يسلم عليك الفلاح، ويقول لك تفضل بالقبول، فإن الفرس لك والقت لك. فشكر الرجل الفلاح وانصرف عنه جذيلاً بالحبوة.

وقيل: إن الفلاح هذا هو الذي غرس شجر الأمبا ببلدة مقنيات، وكان غير موجود بعمان، وذلك فيما حكي عنه، أنه تزوج امرأة أبوها من ملوك أهل الهند، فأسكنها حصن بلدة مقنيات، فلما استقرت قالت له: إن هذه الدار خير دار، لكن لا أرى فيها شجرة صفتها كذا، وثمرتها كذا، ولم يحك لذّة ثمرتها ثمرة شجرة، فبعث الفلاح في الحال رجالاً من أصحابه، وجهز لهم مركباً إلى الهند، فوافوه لمّا رجعوا من الهند بشجر كثير من الأمبا، فأمر بغرسه في مقنيات، وتتابعت الناس بغرس الأمبا في عمان، حتى كثر. وملك الفلاح بن المحسن سبع سنين، وعدل في الرعيّة، ومدحته الأدباء منهم موسى بن حسين، فلما مات ملك من بعده سليمان بن مظفر، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، واستولى على الأمر في عمان ونواحيها، وأخذ خراج أهلها من الطائع والعاصي والداني والقاصي، وحاربه أهل نزوى، وكان معهم رجل جبري يقال له محمد بن جفير، وعنده جيش عظيم، فطلع إليه سليمان بن مظفر، وعرار

ابن فلاح، وعندهما ناصر بن قطن[1]، ومن معهم من العساكر، فلما التقواهم ومحمد ابن جفير استقام بينهم الحرب والقتل، فقتل محمد بن جفير، وانكسر قومه، وكان ناصر بن قطن منتظراً الأمر بينهم، فنادى بالكف بين القوم عن زيادة القتل، وكان لمحمد بن جفير ولد صغير واسمه محمد بن محمد، وأمه بنت عمير بن عامر، فتزوجها سليمان بن مظفر بعدما قتل زوجها، فركن إليها بالبادية، فكان بالشتاء ينزل ببادية الشمال، ويترك ابن عمه عرار بن فلاح ببهلا، وإذا جاء الصيف رجع إلى بهلا، وكان مهنا بن محمد الهديفي[2] مالكاً بلد صحار، فسمع أن العجم متأهبون إليه فأرسل إلى سليمان [٨٢٢] بن مظفر لينصره عليهم، فلبّى دعوته، وأطاع كلمته، فخرج إليه بمن عنده من العسكر، وتكاملت القوم بصحار، ووصلت إليهم العجم من البحر، فاستقام بينهم القتال وعظم النزال، وارتفع العجاج، وأظلم الفجاج، فانكسر العجم، وقتل منهم من شاء الله، ورجع سليمان بن مظفر إلى داره بهلا، وعنده بنو عمه و هم عشرة، عرار و نبهان، ومخزوم، وبعضهم من أولاد فلاح بن المحسن، وكان المقدم عليهم عرار، وأمّا أخوه نبهان، فلا يملك رأياً دون رأي

---

(1) ناصر بن قطن: ناصر بن ناصر بن قطن، أحد زعماء آل قطن، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد قادة الجيش الذي توجه لمحاربة نبهان فلاح في ينقل، وإخراجه منها، تغلب على ينقل، وتحصن فيها ضد الإمام ناصر بن مرشد، فتوجه له الإمام على رأس جيش وانتصر عليه وأخرجه من ينقل، وظل على ظلمه وبغيه، ينهب، ويسلب، ويقطع الطريق، حتى سيّر له الإمام جيشاً في شمال عمان، هزمه شرّ هزيمه، فهرب. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٦١.

(2) مهنا بن محمد الهديفي: كان والياً على صحار، استنجد بسليمان بن مظفر، عندما علم بقدوم العجم إلى صحار، فلبى سليمان نداءه بجيش جرار، فنشبت الحرب بين الفريقين، ودارت الدائرة على الفرس. انظر: دليل أعلام عمان ص ١٥٥.

أخيه، وكان لعرار بن فلاح ملك الظاهرة، وأعطى سليمان بن مظفر مخزوماً ينقل، فبقوا عنده تسعة، أحدهم حمير بن حافظ بن حمير بعد رجوعهم إلى بهلا بسنه، وبقي معه من بني عمير اثنان من العشرة، أحدهما مهنا بن محمد بن حافظ، وعلى بن ذهل بن محمد بن حافظ، وهم علي يدي سليمان بن مظفر، وكان لسليمان وزراء في القرية، وفي النزار من قرية إزكي، وفي سمد الشأن، وكانت سمد الشان لقبيلة الجهاضم، وكان جائراً وزيره عليهم، ففروا من شدة جوره وبطشه، وتفرقوا في البلدان مدة ثلاثين سنة، وهم يحتالون في دخولها والتوصل إليها. وكان بنو هناءة من أقرب الناس إلى سليمان بن مظفر، وكانوا أكثرهم عدداً وعدة وبأساً وشدة، وكان فيهما رجلان يليان أمرهما، وهما خلف بن أبي سعيد وسيف بن محمد بن أبي سعيد، وكان عندهم قدوة أهل زمانهم، وكان سبب الفرقة بينهم أن قبيلتين من أهل سيفم، أحدهما بنو معن، والأخرى بنو النير، وسبب ذلك أن امرأة من بني معن دخلت زرعاً لبني النير، تحشُ منه، فمرت عليها أمة رجل من بني النير، فقالت لها: اخرجي من زرع سيدي، فأبت، فوقع بينهما الجدال، فضربت الأمة المرأة الحرة، فأفقأت عينيها. وخرج ذات يوم جمل لبني النير، ودخل زرعاً لبني معن، فقطعت أذنه، فوقعت الفتنه بينهما، وهذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين، وأصل الفتنة كالنار اليسيرة تحرق الأشياء الكثيرة، فافترق عند ذلك القوم فرقتين: أما بنو معن و بنو شكيل، فهم مع سليمان بن مظفر، وبنو النير مع بني هناءة، فعند ذلك سار خلف بن أبي سعيد إلى داره دارسيت، وعنده بنو عمه، وكان سليمان بن مظفر يومئذ بالبادية، فعلم بذ لك، فأرسل الى وزيره محمد بن خنجر أن قل لخلف يترك شأن القوم، فأرسل إليه بالكف عن ذلك لغلب القوم على ذلك يريد الإصلاح

بين بني معن و بين بني النير، فأرسل الوزير إلى مولاه سليمان أن خلفا غلب على التكفية، فندب سليمان بن مظفر إلى الوزير من كدم، وكانت تلك الأموال للشيخ خلف بن أبي سعيد، فوقعت العداوه والبغضاء بينهما، فأمر عند ذلك الشيخ حلف بن أبي سعيد بني عمرأن اغزوا بهلا فغزوها، فقتلوا من قتلوا فيها [٨٢٣] فكتب الوزير محمد بن جنجر إلى سليمان بن مظفر. ما جرى في بهلا، فلما علم سليمان ذلك، قفل من الشمال إلى بهلا، وأراد الصلح بينه وبين بني هناءه، فلم يقع بينه وبينهم صلح، وهيأ كل واحد منهما الحرب لصاحبه، فجمع السلطان سليمان ما عنده من العسكر ليقاتل بني هناءة، فعلم بذ لك الشيخ خلف، فأرسل إلى الأميرعمير بن حمير ملك سمائل ينتصر به على سليمان بن مظفر، فأجابه إلى ذلك، وجاء بمن عنده من القوم من سمائل، فعلم بذلك سليمان بن مظفر، فسار بعسكره إلى غبرة بهلا، فالتقوا هو والأميرعمير بن حمير، فاستقام الحرب بينهما ساعة من النهار، وكانت الحرب بينهما سجالاً، ثم رجع سليمان إلى بهلا ، و رجع الأمير عمير إلى سمائل ،و ترك بعض قومه في دار سيت ، وكان الأمير عمير ذا خلق حسن واسع، فلما وصل إلى سمائل، أرسل إلى بني جهضم، وهم متفرقون في قرى وبلدان شتىّ، فأقبلوا إليه، فوقعت بينهم الإلفة وإثبات الصحبة، ثم أرسل إلى سلطان الرستاق، وهو مالك بن أبي العرب، ليصله إلى سمائل، فسار كذلك بن أبي العرب، وصحبة أبو الحسن علي بن قطن، فلما وصلا إلى سمائل، ساروا مع بني جهضم إلى سمد الشأن، وبنوا لهم بنياناً حول دارهم، وترك عندهم الأمير البعض من قومه، وترك لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام، أو الشراب، وآلة الحرب، ورجع إلى سمائل. وأما بنو هناءة وسليمان بن مظفر، فإنهم لِمَ تنقطع بينهم الغزوات، ثم إن

الأميرعمير بن حمير والسلطان مالك بن أبي العرب، ساروا إلى نزوى، وهما ينتظران الأمر، وكان لمالك بن أبي العرب وزير في عيني من الرستاق، فدخل عليه أهل الدّار وأخرجوه منها، وجاء رجل من أهل عيني إلى سليمان بن مظفر، يطلب منه النصر على الخصم، فأعانه ببعض قومه، وأرسل معه عرار بن فلاح، فجاء الخبر إلى السلطان مالك بن أبي العرب، بما جرى في داره، فأراد المسير إلى داره، فقال له الأميرعمير بن حمير: قف معنا ولا تخف، فهذا من علامات السرور، فقال: كيف ذلك، والعد وفي داري؟ فقال الأميرعمير: ذلك عندي، وأنا إن شاء الله من الغالبين. قال الله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾[1]، وكما قال شعراً:[2]

إذا الحادثات بلغن المدى ... وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلاءُ وقل العزاء ... فعند التناهي يكون الفرج[3]

ثم إن بني هناءة أرسلوا إلى الأميرعمير بن حمير أن إقبل إلينا بمن معك من القوم، لندخل بهم بهلا فسارهو ومن معه إلى بعض الطرق، فنظر إلى قومه، فاستقل عددهم، فرجع إلى نزوى، وكان بنو هناءة ينتظرونه في ليلة كانت بينهم للدخول، فلم يصل إليهم، فسار إلى الشيخ سيف بن محمد من دارسيت إلى نزوى، وجرى بينهم جدال كثير، من باب العتاب، فقال الأمير عمير بن حمير: خذ من القوم

---

(1) سورة الشرح، الآية ٥، ٦.

(2) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٥ – ٤٧٧.

(3) المصدر نفسه، ص ٤٧٧.

[٨٢٤] ما شئت، فأخذ من عنده قوماً كثيراً، وسار إلى دارسيت، والأمير عمير ينتظر الأمر بنزوى، فجاء الخبر إلى سليمان بن مظفر، أن القوم طلعوا من نزوى إلى دارسيت، فمنهم من يقول: إنهم قاصدون القرية، ومنهم من يقول: قاصدون سيفم، ومنهم من يقول: قاصدون بهلا، فقسم سليمان قومه، فجعل بعضا منهم في القرية، وبعضا في سيفم، وبنى بيتاً في رأس فلج الجزيين، مخافه أن يضربه القوم، وترك فيه قوماً، وقسم بقية القوم في بهلا، وترك في الخضراء جماعة من قومه، وكذلك ترك في حلة الغاف أحدا، وترك في الجامع من البلاد حمير بن حافظ ومن عنده من القوم، وقسم بقية قومه في العقر، وكان ابن عمه عرار بن فلاح ومن معه من القوم في عيني من الرستاق، فسار سيف بن محمد بقومه من دارسيت ليدخل بهم بهلا، وكان أول دخوله من جانب الغرب، فتسوّروا السور، ودخلوا البلاد، وكان منهم ضربة لازب، ولم يشعر بهم أحد، فقسم سيف قومه ثلاث فرق: فرقة باليمين، وفرقة بالشمال، وفرقة بالوجه، وهي التي تلي الجامع من البلاد، وأحكم أمره في الأماكن المختارة للقتال كمسجد الجامع ومسجد أبي عمر، وجميع أبواب العقر، فما بقي لسليمان بن مظفر شيء غير الحصن والخضراء، بعدما قتل من قتل من سادات قومه وفرسانه تلك الليلة، ونادى سيف بن محمد بالأمان في البلاد، وكان بعض أهل البلاد معه، وجاء الخبر إلى الأمير عمير بن حمير وهو في نزوى، إن قومك دخلوا بهلا، فركب عند ذلك هو والأمير سلطان بن محمد، والسلطان مالك بن أبي العرب، والمنصور بن قطن، وأهل نزوى، وركب خلف بن أبي سعيد الهنائي بمن معه من دارسيت من القوم ينظرون أصحابهم، وكان دخولهم ليلاً، ونزل الأميرعمير بحلة الغاف، وكانت الخضراء في ملك السلطان سليمان، وفيها

علي بن ذهل، وعنده قوم كثير، فأرسل إليهم الأمير عمير، ليخرجوا بما معهم من الزانة، فورد علي بن ذهل على قومه يحرضهم على القتال، فلم يجبه أحد، وعندوا على الخروج، ووصل الخبر إلى عرار بن فلاح، وهو في عيني من الرستاق، أن القوم دخلوا بهلا، فنهض من عيني بمن معه، ودخل القرية، وكانت القرية في ملكهم، وكان عمير وسيف لم يشاركهما أحد في البلاد، إلا الحصن، وهم به محدقون، وصنعوا في شجرة الصبار التي في السوق برجاً من خشب في أعلى رأسها بالليل، وقعد فيه رجل من الجهاضم، يقال له جمعة بن محمد المرهوب، فضرب رجلا من الحصن، كان خارجاً في القصبة إلى بيت الوزير، وعمل قوم الأمير عمير برجاً في الجامع، فضرب صاحب البرج رجلاً من الحصن من مبرز الغرفة من عسكر سليمان، ثم إن القوم قشعوا سور الحصن بالليل، فلما انهدم الجدار، علم بهم عسكر سليمان، فمنعوهم من الدخول، ثم إن العسكر طلبوا من سليمان الخروج من الحصن مخافة القتل، فأقاموا في الحصار ثلاثة عشر ليلة، ثم أذن لهم، فطلبوا من الأمير عمير أن يسيرهم، فسيرهم بما عندهم من الزانة، وسير معهم وزيره، ثم طلع سليمان بن مظفر هو وبنوعمه وعسكره مسيرين من بهلا إلى القرية، فخرج هو وعرار من القرية إلى الظاهرة، فأمر بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بهدم الحصن، فهدم، ولم يبقَ عمار ولا جدار، فهذه قدرة الله تعالى: ﴿يؤتي ملكه من يشاء، والله واسع عليم﴾ [1] } [2]

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

[2] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٧-٤٧٩.

وجعل عمير بن خلف بن أبي سعيد مأمونه في بهلا، ورجع إلى سمائل، فأقام خلف ابن أبي سعيد [٨٢٥] في بهلا أربعة أشهر، ثم خرج عليه سليمان بن مظفر، وابن عمه عرار بن فلاح، فدخلوا الخضراء، وهو في العقر، وكانت هذه الدخلة ليلة رابع من شهر ربيع الأول، سنة ست عشرة سنه بعد الألف. وكان سيف بن محمد هو وبعض قومه في السر، فأرسل سليمان بن مظفر لخلف بن أبي سعيد، ليسيره بما عنده من الزانة، فخرج خلف مسيراً، وأخذ الأمان على أهل البلد، فمنهم من أقام مكانه، ومنهم من خرج خوف السلطان، فلما علم سيف بن محمد هذا الخبر جاء من السر، وعلم به الأمير عمير بن حمير، أقبل من سمائل إلى نزوى، ومضى إلى القرية، فأخذها، ووهبها لسيف بن محمد، فكان مأمونه فيها، ورجع إلى نزوى ينتظر الأمر مدة أيام فمات سليمان بن مظفر، وكان له ولد صغير السن، فملك من بعده عرار بن فلاح، ثم طلع سيف بن محمد إلى نزوى، وأخذ من الأميرعمير قوماً كثيراً، فسار بهم إلى القرية، فمكثوا بها سبعة أيام، ثم سار بهم و دخل بهم حلةً من نزوى اسمها حارة أبي مان ، فأحدق بهم عرّار بن فلاح مدة أيام ثم إنه سيرهم بما عندهم من الزانة، وثبت له حصن القرية، وتجديد الخدمة مدة سنة، وكانت هذه الدخلة ليلة سادس من شهر صفر سنة أربع وعشرين سنة بعد الألف.[1]

وملك من بعده مخزوم بن فلاح مدة شهرين من الزمن، فخرج عليه نبهان وسيف ابن محمد، ليخرجاه من الحصن، فطلب التسيار، فسيره بلا زانه ولا سلاح، وكان خروجه إلى ينقل من الظاهرة، فتولى الأمر على أصحابها مدة من الزمان، وأقام بها بعده نبهان بن فلاح، وجعل ابن عمه علي بن ذهل مأمونة في بهلا، وعلى أثره

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٧٩.

سيف بن محمد، فسار نبهان بن فلاح إلى داره مقنيات، وساق ابن عمه سلطان بن حمير من بهلا إلى صحار، فتولى مكانه ذلك الأمر سيف بن محمد مدّه سنه، والله أعلم. ثم طلع بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بما عنده من القوم إلى بهلا، فمنعه سيف بن محمد من الدخول، فرجع هو وقومه إلى نزوى منتظراً الأمر. ثم بعد أيام، رجع عمير وقومه إلى بهلا، ودخل العقر، وكان سيف بن محمد في دارسيت، فعلم بذلك الأمر، فنهض من دارسيت بمن عنده من القوم، ودخل الحصن بقومه، فلم يمنعه أحد، ثم أرسل إلى نبهان بن فلاح أن القوم دخلوا الدار، فأقبل بمن عندك من العسكر، فأقام مدّه أيام يجمع عساكره، وكان الأمير، عمير بن حمير قد أحكم مقابض البلد من أولها إلى آخرها، وأقام سيف بن محمد في الحصن مدّه أيام، ينتظر نبهان وقومه، فلم يصل إليه، وأرسل عمير بن حمير ليسيرّه، فأبى سيف لأنه يرجو وصول نبهان إليه، ثم طلب سيف التسيار من الأمير عمير، فسيّره بما عنده من الزانّه، وقصد القرية، وأقام عمير بن حمير في بهلا مدّه أيام، ثم أرسل إلى سيف بن محمد، فوقعت بينهما يمين على الصحبة، فأقام سيف في ولاية الرعية، وعدل فيها، فكان متولي الأمرعلى بني عمه، وهم له ناصحون، ولمّا استوى الأمر لسيف بن محمد، وكان سلطان بن حمير، ومهنا بن محمد بن حافظ، وعلي بن ذهل ابن محمد بن حافظ مسكنهم يومئذ صحار، مع محمد بن مهنا الهديفي، وكان محمد ابن مهنا أراد ليدخل بهم على ابن عّمهم نبهان بن فلاح في مقنيات، ليصلح بينهم، وكان مخزوم في حصن ينقل، فلم يقع [٨٢٦] بينهم صلح، فطلع بعد ذلك سلطان ابن حمير، وعلي بن ذهل بما عندهما من العسكر، فجاء الخبر إلى عمير بن حمير وهو في سمائل، أن سلطان بن حمير سار بقومه من الظاهرة ليدخل بهم بهلا، فطلع

هو وقومه من سمائل إلى بهلا، ينتظر الأمر، ودخل سلطان بن حميـــر النبهـــاني، حارة بني صلت من بهلا، ليلة التاسع من شهر صفر، سنة أربع وعشرين سنه بعد الألف، فجاء الأمير عمير بن حمير بقومه، وعلى أثره سيف بن محمد، فوقع بينهم القتال، وبنوا لهم بنياناً حول الحارة من أولها إلى أخرها، وأرسل الأمير عمير بـــن حمير إلى أصحابه من جميع القرى، فطلع إليه الشيخ ماجد بن ربيعه بن أحمد بـــن سليمان الكندي[1]، وعمر بن سليمان العفيفي[2]، والشيخ سعيد بن أحمد بن أبي سعيد الناعبي[3]، مع سادات أهل نزوى ومنح، وأقام سلطان بـــن حميـــر هـــو وقومـــه محصورين مدّه ما شاء الله تعالى، لم يخرج منهم أحد، ولا يدخل إليهم أحد، فطلب عند ذلك سلطان بن حمير بن الأمير عمير بن حمير التسّيار والخروج، فسيّره ومن معه بما عندهم من الزّانه إلى الظاهرة، وأقام سلطان بن حمير، وكهلان بن حميـــر وعلي بن ذهل، ومهنا بن محمد بن حافظ في مقنيات مدّه أيام، وحبس نبهان مـــنهم

---

(1) ماجد بن ربيعة: ماجد بن ربيعة بن أحمد بن سليمان الكندي، أحد زعماء سمد نزوى، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، استعان به عمير بن حمير في محاربة سلطان بن حمير. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤١.

(2) عمر بن سليمان العفيفي: أحد الزعماء في القرن الحادي عشر الهجري، أصله مـــن نـــزوى، وكان من أصحاب الرأي المسموع، استعان به عمير بن حمير في حربه ضدّ سلطان بن حميـــر في بهلا: انظر أعلام عمان، ص ١٢٠.

(3) سعيد بن أحمد بن أبي سعيد الناعبي: زعيم، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، من أهل الحل والعقد بنزوى، خرج على رأس قومه إلى بهلا، لمساندة الأمير عمير بن حمير في حربه مع أبناء عمه سلطان بن حمير، وعلي بن ذهل من النباهنة، فالتقى الفريقان في حارة بني الـــصلت، ودارت رحى الحرب بينهما، وآحاطوا بسلطان بن حمير، وضيقوا الحصار عليه، حتـــى خـــرج مستسلماً. انظر دليل أعلام عمان، ص ٧٨.

خيفة أن يخرجوه من مقنيات، فأخرجهم منها، ومضوا إلى صحار، عند الهديفي محمد بن مهنا، وأقاموا معه سنه زماناً، والله أعلم. ثم إن سلطان بن حمير، أشار على محمد بن مهنا أن يغزي دير عمير بن حمير، وهو في باطنه السيب، وكان في الدير الأمير سنان بن سلطان، والأميران علي بن حمير، وسعيد بن حمير، فركب محمد بن مهنا، وسلطان بن حمير، وقومهما من صحار، فجاء الخبر الى الأمراء سنان بن سلطان وعلي بن حمير وسعيد بن حمير أن القوم طلعوا من صحار، فما كان إلا بقدر مايخلع الرجل نعليه، أو يغسل رجليه، حتى أقبلت العساكر، وسلت البواتر، من البر والبحر، والسهل والوعر، فوقع القتال وعظم النزال حتى بلغت القلوب الحناجر، وقتل عند ذلك الأمير علي بن حمير، وانفصل القتال، ورجع محمد بن مهنا، فعلم بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بما جرى على إخوته وبني عمه، وهو يومئذ ببهلا، فاعتقد عقيدة الحزم، وتسربل سربال العزم، أن لا يرجع عن صحار حتى يحصدهم بالسيف أو يحرقهم بالنار، أو يبدد شملهم بكل دار، فأخذ في جمع العساكر من البّر والبحر، فاجتمع معه قوم كثير، وركب إلى مسقط، ليجمع قوماً من البحر، وأرسل إلى ملك هرموز، لينتصر به، فنصره بعدّة من المراكب مملوءة من المال والرجال وآله الحرب، وكان قد وصل مركب من الهند بعسكر كثير، وفيه آلة الحرب، فردته الريح إلى مسقط، فأخذه الأمير عمير بن حمير، وسار هو و من معه من النصارى و غيرهم ، و أقام عمير بقومه في باطنة السيب سبع ليالٍ ، فعلم بذلك محمد بن جفير، فتوجه بقومه لينصر محمد بن مهنا، فدخل محمد بن جفير وقومه صحار، ففرح به محمد بن مهنا، فأدخله الحصن، وكان بينهما بعض المقاصيد ساعة من النهار، فأمر محمد بن جفير عبده ليقبض محمد بن

مهنا، فرمى نفسه من سور الحصن، وندب قومه، وكان بعض قومه في برج داخل الحصن ، فوقع القتال بينهم ساعة من النهار ، و طلع محمد بن جفير بقومه من صحار، فبلغ هذا الخبر إلى الأمير عمير بن حمير، فتوجه إلى صحار بمن معه من الجنود من بر وبحر، ودخل صحار نهار التاسع عشر [٨٢٧] من ربيع الآخر، فاستقام بينهما القتال من أول النهار إلى الليل، وانفصل القتال، ثم بعد ذلك بيوم أو بيومين، هبطت النصارى من المراكب بما عندهم من آلة الحرب، وكانوا يجرّون قطع القطن قدامهم، ليتلقوا بها البنادق، وكان معهم مدافع تسير على أعجال من الخشب في البر، وعليها ستور من الخشب، وكان في جانب الدار برج لمحمد بن مهنا، فيه عسكر كثير، فجرّب عليه النصارى قطع القطن، وضربوه بمدفع حتى انهدم منه البعض، وخرج القوم منه، فدخلته النصارى، فعلم محمد بن مهنا بذلك، فندب قومه، فوقع بينهم القتال على البرج بالليل، فقتل عند ذلك علي بن ذهل بن محمد بن حافظ، وقتل محمد بن مهنا الهديفي ليلة واحد وعشرين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين بعد الألف، وأقام بعد ذلك سلطان بن حمير بن محمد بن حافظ النبهاني، وأخوه كهلان بن حمير، وابن عمه مهنا بن محمد بن حافظ، وعسكرهم في الحصن، بعدما قتل محمد بن مهنا الهديفي، فلما علم الأمير عمير بن حمير أن سيد القوم قتل، ندب قومه للقتال، فكان القتال بينهم في النخل، ثم طلع عمير بمن معه من تلقاء جامع البلد، فلم يمنعه أحد، فقتل عند ذلك سلطان بن حمير، فانكسر القوم، فصاروا أشتاتاً متفرقين، فمنهم من قتل، ومنهم من حرق، ومنهم من أُسر، ومنهم من جرح، ومنهم، من خرج ذاهبا على وجهه، لا يدري أين يتوجه، ولا أين يذهب، وعلى هذا جميع أهل البلد، وأحرقت البلد باجمعها من أولها الى آخرها،

وأقام النصارى في حصن صحار، ورجع الأمير عمير إلى بلـــدة ســمائل جــذلا مسروراً، وكان مخزوم بن فلاح متولياً في حصن ينقل، فقبض منهم رجلين، فأمر عبده ليقتل واحداً منهم، فسل عليه السيف ليضربه، فاستجار به، فلم يجره، وضربه ضربة ثانية، فاستجار به، فلم يجره، فلما أراد أن يضربه الثالثــة اســتجار بــالله، فاهوى إليه ليمسك فاه، والعبد قد أهوى بالسيف، فضرب يد مخزوم، وأقام ســبعة أيام بجراحه، ومات منه، وأما الرجل، فإنه سحبه العبد، ويظنه ميتاً، وبه رمق من الحياه، فمر به رجل من أهل البلد، فقال: من يعينني على مواراة هذا الرجل، فنطق الجريح: إنني حي، فحمله على كتفه، وأدخله البلد، فعوفي من جراحه، وعاش بعد ذلك زمناً، والله على كل شيء قدير. وكان هذا بعد دخلة صحار بثلاثة أشهر، فلما علم نبهان بموت أخيه، ركب من مقنيات إلى ينقل، وجعل فيها وزيراً، ورجع إلـــى مقنيات، وأقام في الملك بعد خروجه من بهلا إلى الظاهرة ثلاثين شــهراً، ثــم إن نبهان بن فلاح خرج من مقنيات إلى ينقل، وترك بعض عسكره في حصن مقنيات، وكانوا قد ملوّه من كثره جوره وبغيه، فعزموا على إخراجه من مقنيـــات، فتوجــه رجل إلى الأمير عمير بن حمير وإلى سيف بن محمد، ليستنصر بهما، فسار الأمير عمير بن سيف بمن معهما من القوم، ودخلوا حصن مقنيات بلا منــع ولا قتــال، وأقاموا مدّه أيام، ثم ركبا ببعض قومهما إلى ينقل، فعلم بذلك نبهان بن فلاح، فخاف نبهان على نفسه، فركب هو وأربعة من عسكره بلا زانه، وقصد إلى دار أخوالــه الرياسية وذلك لا ثني عشر يوماً خلت من شهر صفر، سنة ست وعشرين [٨٢٨] بعد الألف، وأقام الأمير عمير بن حمير، وسيف بن محمد في ينقل أيامــاً، ثــم إن الأمير عمير بن حمير وهب البلاد لأهلها، يأكلونها هنيئاً مرياً، ورجع إلى مقنيات،

ثم أرسل إلى أهل البلد، فسألهم عمّا كان يأخذ عليهم نبهان، فقيل: إنه كان يأخذ نصف غلّه النخل، وربع الزرع، فاقتصر الأمير عمير عليهم بعشر الزرع، وأما أموال السلطان لمن أقام في الحصن، وجعل في الحصن عمر بن محمد بن أبي سعيد، ورجع الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد إلى بهلا[1].

ثم إن نبهان بن فلاح أخذ جنوداً من أخواله آل الريّس، ووصل بهم إلى الظاهرة، ودخل فدا، وأقام فيها مدّه أيام، ثم جاءه أحد ممّن كان له مصاحباً، من قبل من أهل ينقل، فقال له: نحن ندخلك البلد، ونثبتُ قدمك، ونشدّ عضدك، وننصرك على القوم، ونستفتح لك الحصن، فسار بقومه، ودخل ينقل ليلة النصف من ربيع الآخر، سنه ست وعشرين بعد الألف، وحكم مقابض البلاد من أولها إلى آخرها، إلاّ الحصن، وكان فيه قبيلة من بني علي، فتحصنوا فيه، وأحدق بهم نبهان، واستقام بينهم القتال، فخرج رجل من أهل الحصن، ومضى إلى الأمير قطن بن قطن، وكان الأمير يومئذ ناصر بن ناصر، فركب معه محمد بن محمد بن محمد بن جفير، وعلي بن قطن بن قطن بن قطن بن علي بن هلال بما عندهم من القوم، وكان مسكنهم ببادية الشمال، فساروا، حتى دخلوا ينقل، فاستقام بينهم وبين نبهان بن فلاح القتال، واشتدّ بينهم الطعن والنزال، وارتفع العجاج، وارتّجت الفجاج، فانكسر عسكر السلطان نبهان بن فلاح، فمنهم من قتل، ومنهم من طلب التسيّار، فسيّر، ومنهم من مضى على وجهه. وبلغ الخبر إلى الشيخ سيف بن محمد الهنائي، أن نبهان بن فلاح دخل ينقل، فخرج بعساكره ليقاتل نبهان، فلما كان ببعض الطريق، بلغه ما وقع على السلطان نبهان بن فلاح من الأمر الكائن، والقدره الغالبه، فرجع بعكسره إلى بهلا، وأما الأمير

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٩ – ٤٨١.

عمير بن حمير، فإنه كان يومئذ يجمع الجموع، لينصر بهم السلطان مالك بن أبي العرب اليعربي، على بني لمك، فأمدّه بعساكر جمّه، فكانت الدائره على بني لمك، ولبث سيف بن محمد الهنائي في بهلا، وآل عمير في سمائل، ومالك بن أبي العرب في الرستاق، والجبور في الظاهرة، إلى أن ظهر الإمام الأشد و الهمام الأمجد، إمام المسلمين ناصر بن مرشد، فاستفتح جميع عمان، ودانت له منها جميع البلدان، فطهرها من البغي والعدوان والكفر والطغيان، وأظهر فيها العدل والأمان، وسار في أهلها بالحق والإحسان، إلى أن توفاه الله إلى دار الرضوان، إنه كريم رحيم منان[١].

ظهور الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وذكر الأئمة من بعده:

قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: ولّما أراد الله أن يمّن على أهل عمان، ويكّف عنهم الجور والعدوان، ويقصم أهل البغي والطغيان، من بعد أن ابتلاهم بما وقع عليهم من الفتنه والامتحان، صار أمر أهل عمان إلى الخمول، وزالت تلك المخاصمات، ودرست الضغائن والحنّات، وخلف خلف بعد السلف، وبقيت عمان مقفرة بعد تلك الرؤساء المتضادين والخصماء المتّحادين، ولم يبقَ إلاّ ذكر أخبارهم، وما ذكروه في سيرهم وآثارهم، وآل العلم والعلماء إلى النقصان، [٨٢٩] والحفظ الى النسيان، وحصل بينهم التواصل والتراسل، وطفئت بينهم تلك الإحن من القلوب، وخمدت مسعرات تلك الحروب، وصارت كلمتهم واحدة، يحملها عليهم أي زمان يقل فيه العلم وأهله، حتى قيل: إنه احتاج في بعض الأزمان ملك من ملوك اليعاربة من أهل وبل من الرستاق إلى قاضٍ، فلم يجد قاضياً من أهل

[١] المصدر نفسه، ص ٤٨٢-٤٨٣.

الدعوة، فاتخذ قاضياً من أهل الخلاف، فلا أعلم من أي المذاهب، فهمَّ أن يقلب المذهب، ويغيره إلى مذهبه، فسمع به أهل عمان، فأرسلوا إلى ذلك الملك بعزله، فعزله، وأرسلوا له قاضياً من أهل الدعوة، فتعلم منه العلم أُناس من أهل الرستاق، وتمسكوا بمذهبهم زمان، وأكثر ملوك عمان أهل جور وفساد وظلم وعناد، وعضدهم على ذلك رؤساء القبائل والظلمة من البدو والأراذل، وساموا أهل عمان سوء العذاب، وساسوهم شر مصاب، وعمّوا بالظلم الكهول والشباب، وأكثروا فيهم القتل والضرب والإغتصاب والإذلال والأسر والإنتهاب، ثم أوقع الله بينهم العداوة والبغضاء، وهكذا طبع أهل عمان، وأرجوا أنه لا يزول عنهم، لهم الهمم العالية والنفوس الأبية، لا ينقادون لسلطان، ولا يقرون على هوان، ولا يستسلمون لغالب، ومع ذلك لا يتركون المطالب، همة الضعيف منهم، كهمة الأمير من غيرهم، كل واحد منهم يريد أن يكون الأمر بيده، أو بيد من مال إليه بوده، والناس أتباع له، والآخر كذلك، وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، إلا من شاء الله من أهل الورع والصلاح والعفة والفلاح، فإنهم لا تميل بهم الأهواء، ولا تأخذهم الحمية الجاهلية إلى أن صار الأمر منهم إلى الوحشة من بعضهم بعض، فتضادوا، وتحاربوا، وتناهبوا، وتسالبوا، ولم يقصر كل فريق منهم عن إساءة قدر عليها في خصمه، ولم يبق أحد من أهل المدر والوبر، من البادية والحضر، ولو كان في شواهق الجبال، أو في أودية الرمال، إلاّ وقد تجرّع غصص المخاوف، وصار الدين والأموال والأنفس إلى أشدّ المتالف إلاّ من هوّن الله عليه المحنة، ونجاه من الفتنه، ومنّ عليه بالعصمة، فلم يزالوا كذلك منهمكين في موبقات المهالك، سالكين شرّ المسالك، إلى أن منّ الله عليهم بظهور عبده الأرشد إمام المسلمين ناصر بن مرشد، وذلك أنه اختلفت أراء أهل الرستاق، ووقعت بينهم المحنة والشقاق، وسلطانهم يومئذ مالك بن أبي العرب، المقدّم ذكره، فاستشار العلماء المسلمين أهل الاستقامة في الدين أن

ينصبوا لهم إماماً، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكـــر، فأمــضوا نظـــرهم، وأجالوا فكرهم، من يكون أهلاً لذلك، والقدوة يومئذ خميس بن سعيد الشقــصي[١]، فاجتمعت آراؤهم أن ينصبوا السّيد الأجل ناصر بن مرشد، فمضوا إليه، وطلبوا منه ذلك، ورغبوه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابهم إلى ذلك، فعقدوا له في عام أربع وثلاثين بعد الألف، وكان مسكنه بقصرى، من بلد الرستاق[٢].

قلت: وقد وقفت على تواريخ عدّه لأصحابنا أهل عمان في السبب الباعث، لنـــصب الإمامة، لقطب أهل مذهب الاستقامة، الممجّد ناصر بن مرشد، فمنهم من اختصر، ومنهم من طوّل الكلام، وقد فات من اختصر ومن طوّل منهم كثير، مـــن إبـــراز مناقبه الجليّه، وسيرته الصالحة الرضيّة، فأشار عليّ بعض الإخوان في ديـــن الله المنان أن أنظم سيرته في سلك الحقيقة لأهل مثلى الطريقة، [٨٣٠] فلما رأيته فـــي ذلك، لا يقبل ولا يسوغ له، إلاّ ذلك القيل، أجبته عما وضح به الدليل، شجت سيرته الرضيّة فنشت غصونها بأشعار جليّة، وسميتها كتاب **سراج المسترشد الهادي إلى مناقب سيرة الإمام الممجّد ناصر بن مرشد** بن مالك بن ناصر بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن بلعرب بن مالك بن يعرب بن مالـــك

---

[١] خميس بن سعيد الشقصي: هو الشيخ العالم العلامة الفقيه خميس بن سعيد بن علي بن مسعود ابن عبدالله بن زياد الشقصي الرستاقي. والشقصي: نسبة إلى أبي الشقص جدّ لهم. ويعـــدُّ مـــن مشهوري علماء عمان في القرن الحادي عشر الهجري، ومن المؤلفين والمتصدرين في الفتيـــا، من مؤلفاته: منهج الطالبين"وكتاب"منهج المريدين"، اختصر فيه كتاب منهج الطـــالبين. والـــشيخ خميس هو الذي أشار على إخوانه من العلماء والأكابر البيعة للإمام ناصر بن مرشـــد اليعربـــي (رحمه الله) لما عرف عنه من الفضل والزهد والورع، وصار الشيخ خميس من أركان دولتـــه، وقاضيه، وقائد جيشه لحرب البرتغالين في مسقط. انظر الترجمة الكاملة في البطاشي، سيف بـــن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج٣، ص ١٤٩ – ١٥٩.

[٢] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٨٣-٤٨٤.

اليعربي العربي، وهذه خطبة سيرته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ناصر أئمة العدل على من طغى من العباد في البلاد، مرشدهم بسلطان الاجتهاد إلى طرائق وحقائق الجهاد، مالك عزّة عزائمهم الصادعة، ببلعربهم عزّه عزائمهم أهل العناد بحد المشرفية الحداد، المؤيد منهم كل عادل ناسك، بسلطانه السامك، فأصبح منهم كل مالك محظوظاً بمرّي المراد، الذي أبا العرب السالكين مذهب الاستقامة إلا نيل عزّة وإمامة، ترغم أنوف أهل الإحن والأحقاد ببيض حداد، وسمر صعاد، فلله درّهم، لقد نالوا محض الحمد المحمّد ، فأصبح لسانهم يعرب الشكر للصمد الموّحد، ويثني على محمد، ويعرب له التفخيم عن النفس البسيطة والعقل المجرد في الأصايل والأراد، أولئك الذين تسربلوا بسلطان حمير، فشرفهم مزاحم بلعرب المرتضى محمد مناكب مناقب الفضلاء الأمجاد، فلا غرو أن فاقت العرب بالثناء المتدارك على يعرب بن مالك، وليعرب بن مالك شرف يزهى على الزهر بالاتقاد، والصلاة والسلام على خير من جاهد في الله حق الجهاد، سيدنا محمد خير العباد، وعلى آله وأصحابه أهل العدل غيوث البلاد، ليوث الجلاد.

أما بعد، لقد أشار علي من أردت نصحه، وأرى أنوار الأراد بصبح صلحه، أن أنظم درر عهد سيرة الإمام الأرشد ناصر بن مرشد اليعربي العربي، رحمه الله، على الجملة والآحاد، فاشتغلته بعدم المواد، وسلب السّائغ الشائع بمرّي واجبه المراد، واعتذرت إليه من أمور كدتُ بها أمور، وأحوال كدتُ بها أحور، وأملاق بعرفه منكرة ومعرفّة، فلما رأيته لا يقيل، ولا يسوغ له من المعذرة المقيل، لبيّته سميعاً،و أجبته مطيعاً، وقلت شعراً:

مفارقة المرافق يا يميني تهون لدى مفارقة الرفيق

وكـــل فتـــى يـــصدّ الـــصدق عنـــه إذا أضـــحى يـــصد عـــن الـــصديق[1]

ولمّا نبهت الفكرة من سنتها هبّت، وأصبت القلوب صباها حين هبّت، وحين نفـــح الأنوف بنفسجها، وحرّكت القلوب سجسجها، قلت لها ويك، ناظري ســـجع حمـــائم الأيك، وفوهي عن شانك بسائغ لسانك، حتى يقول الناقض والمبرم: ناهيك ناهيك، إنه للفظ مُحكم، فإنّ الإمام الهُمام الأرشد ناصر بن مرشد بغير شك بهيم، لجـــدير بالتفخيم ، شعراً:

شـــــأنه شـــــائع بكـــل مكـــان وثنـــــــاه ســـــناً بكُـــلِ لـــــسان
مايقول الـــشاني إذا شـــان أيعكـــس شـــــانا يـــــشع بالشعــــــشعان[2]

أيا من حوى من المعرفة العباب، لقد سميت هذا الكتاب المستطاب "سراج المسترشد الهادي إلى مناقب سيرة الإمام ناصر بن مرشد"، فلله درّه من إمام عادل، [٨٣١] و ندب نابه فاضل. أما في سمو النسب، فقد كاد أن يكون محلّه مع السبعة الشهب، وأما في صفة الجمال، فقد حاز غاية الكمال، وأما في الورع والخـــشوع المـــشهود لواجب الوجود، فهو ممن سيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأما في الحكم فهو

---

[1] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيـــق تبـــين أن هـــذه الأبيات غير موجودة فيها، وحفظها لنا في مخطوطته هذه.

[2] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيـــق تبـــين أن هـــذه الأبيات غير موجودة فيها، وحفظها لنا في مخطوطته هذه.

العلم الباهر، وأما في العلم، فهو العيلم الزاخر، وأما في ذلاقة اللسان، فهو النـدُّ لسحبان، وأما في طريقة الحقيقة فقد فاق بصفة صوفيته الأنيقة، وأما في البسالة والجلاد فهو أسد الآساد، وأما في الصبر على محن الزمان، فهو أقسى في باب القياس من كهلان، شعراً:

حوى الفضل فهو الفاضل الكامل العـدل	فقل فيه مما تـشتهي ولـك الفـضل
زكى فعله والمرء لـم يحومريـةً	إذا ما زكى في الصالحات له الفعـل
لـه الله مـن نـدب ولـيّ بنـسكه	بغير مـراءٍ يـشهد العقـل والنقّـلُ[1]

وبالجملة، إن مناقبة لا تحصى، وفضائله لا تستقصى، ولكن سأشرح بعـضها، ولا يستطيع المعارض نقضها، وبالبعض الكفاية، لمن له دراية، فمن ذلك عمّـا روت عنه بعض الرواة ، المصدّق قولهم كل أواه: إن رجلاً قام ذات ليلـة فـي مـسجد قصرى من الرستاق، فرأى كأن في زاوية من زوايا ذلك المسجد سراجاً أو بارقاً لا يفتر بائتلاق، وقد استوعبت كُرَة ذلك المسجد المعمور، و تماذج ذلك النور، فلما انتبه من المنام، لم يرَ فيه مضطجعاً غير الإمام[2]، فاعترف بشانه وفضله وبرهانه شعراً:

[1] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيـق تبـين أن هـذه الأبيات غير موجودة فيها، وحفظها لنا في مخطوطته هذه.

[2] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٣.

سرُّ الولايــة بــالأ نــوار يــأتلق فاهلهــا بهــم لــم يــبهم الفلــقُ
إن المــساجد تبــدي كــل مؤتلــق عنهم كما يبدي عن برق الحيا الأفــق
رأى بمسجد قصرا ناصــراً رجــلٌ ونوره في الكرى عنه انتوى الغــسقُ
فقال هُنّيــت بــالنور الجلّــي أيــا هذا الــولي فمنــك الــصلحُ مُتّــسِقُ
ففي النهار وجنح الليل ما برحــت أنــوار وجهــك بالإيمــاض تــستبقُ
إذا حضرت وإن غبت الكرام فعــن إيماض صلحك يا نور الهدى نطقــوا
يقــول كــل لبيــب للــرواة إذا تحدثوا بــضياء عنــك قــد صــدقوا
يا ناصر ناصر للــدين أنــت وقــد تألّقــت لــك مــن أنــواره الطــرقُ
إن نّم عن نورك المحراب لا عجباً إن الــولي بــه المحــراب يــأ تلــقُ
أنت الإمام الــذي أنــواره اتّقــدت من يصحب النور لا بالنار يحترقُ(١)

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه كانت له أم تحــت [٨٣٢] زوج بعــد أبيه، وكان يأمرها أن تؤخرّ صنع طعام زوجها، وتقدم صنع طعامه، لئلا تبقى بقية من طعامهم، فيدخل في طعامه، وذلك من نسكه واحتــشامه، فخالفــت ذات يــوم المقال، أو نسيت ما قال، فأدخلت بسبب غسل الإناء في طحينة من طحينهم بعض الإضافة، فلما خبرته بلطافة، التصقت يدها بالطوبج المحتدم، فلما أقبل إليها ولــدها

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

الإمام، وهي واهية من الألم نزع يدها ببنانه، وخلصها من الطوبج الدالع شرر لسانه، ورضي عنها عما اقترفته[1]، وحمدت شأنه لما عرفته، شعراً:

قل بما شئت هكذا الأولياء	سرّهم يسري في سناه الضياء
إنمّا قولهم يُرى منه تاثير	فعنه لا يُستطاب الإباءُ
إن ممّا جرى على حُرّة الجيب	إذا ما بخثت وهو الصلّاء
نسيت قول ابنها الناسك الطهر	وتنسى مثل الرجال النساءُ
دونها الناس كانت في كل صلحٍ	دونه في الدّيانة الأتقياءُ
سلمت كفّها من الحّر بالكّف	التي نورها له أنواءُ
وعفافهي عفة وهو عَفٌ	فعليها كما عليه الثناءُ
إنما ناصر إمام ولّي	فله تشهد الورى الكرماءُ
ألف الزهد فهو عن كلّ مثقالٍ	من الحوب كفّهُ بيضاءُ
رضي الله عنه فهو منيب	فاضل دون فضله الفضلاءُ[2]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه بعدما عقد له بالإمامة، وصار معلوماً بها مع الخاصّه والعامة، اجتمع أُناس من أهل الرستاق، منسوبون إلى النفاق، يسبّونه بكلام قبيح، في بيت رجل منهم غير مليح، فنهتهم زوجة صاحب ذلك

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩١.
[2] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيق تبين أن هذه القصيدة غير موجودة فيها، وحفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

البيت، وهم يعر بدون بالسّب عربدة شارب الكميت، فلما لم تَـرَ مـنهم مطيعـاً، خرجت عنهم، فخرّعليهم سقف ذلك البيت[1]، فماتوا جميعاً، شعراً:

من سّب أهل التقى بَـشّرْهُ بـالتلفِ	وعزّه بانقـضاض البيـت والـسُقُفِ
أهـل النفـاق علـيهم دكّ بيـتُهُم	لما أبوا قـول ذات العقـد والـشَّنفِ
أضحى لهم جدثاً من بعدما اعترفت	لــه المعـارج والأركـان بـالغرفِ
سبّوا الإمام وقد ذاقوا الحمـام فـلا	بكـتهم مقلـة بالمـدمع الـذرفِ
تفرقوا بعد جمع في الصعيد ومـن	يفعل كذا يُجز ذا والأمر غير خفـي
ما ضرّ ناصر من أهل النفـاق فـم	إذا تكلـم منـسوب إلـى الجيـفِ
أوداهم إفكهـم فاستـصحبوا سـقراً	وصلحه نير يُـستَفّ فـي الـصحفِ
إن ابن مرشـد لا زالـت محامـده	ما فوفت روضة في ثغر كـلّ وفـي
للّه مـن ناسـك أضـحت محاتـده	لها مناسـك فـضلٍ نيّـر الـشرفِ
لا زال في النظم والنثر الجلي لـه	مدح يقـصرعنه لؤلـؤ الـصدف[2]

ومن فضائله وبراهينه، رضى الله عنه، أن مطّية لبعض الرّجال، أكلت مع الإغفال، من زرع بيت المال، فتحرشت تحرشاً، كاد أن يفضي بها إلى الزوال، فلمـا رأت الإمام، وثبت إليه، ووضعت رقبتها عليه، وحين أتى صاحبها، سأله الإمام عنهـا،

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩١.

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فأخبره عمّا كان منها، فسامحه وأحلّه وإليه أدنابها، ومسح بيده على رقبتها فــزال عنها عناها[1]. شعراً:

هكــذا العــدل هكــذا البرهــان	مــن إليــه كناصــر الطهــر شــانُ
قد أصــاب الــشملال داء فقــالوا	أطعــام لهــا انبــرى أم طعــانُ
أكلت والإمــام لــم يــدرِ حتــى	خيــل ســنانها أتــاه الــسنانُ
وهَوَتْ من تحرشٍ اســقط الــوبر	منهــا فعــاث فيهــا الهــوانُ
نظــرت حتفهــا يعــوم فــلا ذت	بإمــام منــه يرجّــى الأمــانُ
وضــعت رقبــةً إليهــا عليــه	فــشفتها بــاللمس منــه البنــانُ
وأتى خاضــعاً لــه مــن حواهــا	فحــوى مــا يحــب منــه الجنــانُ
نال منــه الإحــسان فهــو كــريم	مــن أتــاه لــه أتــى الإحــسانُ
فــانثنى بالــسّرور يثنــي عليــه	وبحمــد لــه يفــوه اللــسانُ
إنما ناصــر بــن مرشــد نــدب	ناســك فاضــل ســريّ هجــانُ
رضــي الله عنــه فهــو ولــي	فبــه طــاب للأنــام زمــانُ[2]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أن جراب تمر أشبع أيام دولته مائة رجــل أياماً، ومثل ذلك قورة أرز، فحسبه برهاناً وإكراماً[3] شعراً:

---

(1) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩١-٤٩٢.

(2) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

(3) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

إن بالعـــدل تنـــزل البركـــات وتنـــآى الـــورى بـــه المـــسغبات

لا عجاب إذا جراب مـــن التمـــر لقـــوم نمـــت بـــه الـــساعاتُ

أو بأرزٍ يقّـل فـــي الكيـل أيامـــا طـــوالا إلـــى الـــورى أقـــواتُ

هكـذا العـدل صـنعه إنمـا نـا صـــر برهانـــه لـــه آيـــاتُ

فاضـــل ناســـك إمـــام تقـــي في البرايـا سـرت لـه الحـسناتُ

فعـل الطيبـات والخيـر تنميـه إذا مـــا بحثـــتم الطّيبـــاتُ

كيـف تـسري مجاعـة للبرايـا وأياديـــه للـــورى ثـــرّات

وجد المترب الضَّريك بـه التبـر ففاقـــت بعدلـــه الفاقـــاتُ

إن بالعـدل يكثـر الـرزق للنـا س وتحلـــوا بعذبـــه الحـــالاتُ

لم يزل سعيه مدى الدهر مشكوراً فبرهـــان ناصـــر غايـــاتُ[١]

ومن فضائله وبراهينه، رضى الله عنه، أنه كان نائماً ذات ليلة فـي سـطح بيتـه بقصرى، فارتقى إليه رجل من أهل النفاق، يريد أن يقتله قسراً، [٨٣٤] فلّما سـلّ عليه الخنجر، مسكت يده، وتحيّر، وحين انتبه الإمام من رقاده، سأله عن مـراده، فقال: ما يسعني غير حلمك وعفوك، فإني عزمت على قتلك، فهذا ما جرى، كمـا ترى، فعفى عنه الإمام، ومضى، ويده صحيحة، لا بها تقلص، ولا آلام.[٢] شعراً:

مـن البغـاة ولـي الله محـروس ومـن مبـادرة الإيحـاش مـأنوسُ

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[٢] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

إذا غوي على المرء الولي نضا ... سنان نصل ٍ أتاه الأمر معكوسُ

خناجر البغي لا يغرين خنجره ... لها إلى الله تسبيح وتقديسُ

فكم يدٍ مسكت نصلاً وقد مسكت ... عن الولي فما أمسى لها بؤسُ

من عنْدَهُ الله نال السّعد قاطبة ... منه فما حظه المسعود منحوسُ

يدُ المنافق لا نصراً لها وجدت ... أما درت ناصراً ينموه ناموسُ

لا نهرة بظلام فيه ممكنة ... وفي صباحٍ فما تغني الحناديسُ

عز المنافق إبليساً فقال له ... لا نافع لك في المجروس إبليسُ

هبّ الإمام بلا ذعر فقال له ... ما بال نصلك لا في الغمد مدسوسُ

فقال ما نافعي إلاّ الصواب فقد ... أردت قتلك منك العفو ملموسُ

فقال كفّك هل كُفّت فقال أجل ... تقلصّت إذا دهت قلبي الوساويس

فقال لا بأس حركها فقال له ... تخلصت كل من ناواك مرموس

أسرار ناصر تسري والبلاد فلم ... تجهل بهن الكرام السّادة السوسُ

إمام عدلٍ أيا أهل القياس به ... إذا وجدتم لعدلٍ غاية قيسوا

فحمده كل حين في مدارسها ... لها به فتية التدريس تدريسُ[1]

ومن فضائله وبراهينه، رحمه الله، ورضي الله عنه، أن بدوياً ضلتّ له ناقة، فتجشّمَ في طلبها وعراً وسهولاً، ورأى أثر قدم استظهرها عرضاً وطولاً، فانتهى به قصُّ الأثر إلى خميلة منحشرة الشجر، مخضلّة الزهر والثمر، فسمع صوتاً من باطن

---

(1) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

كُرة تلك الشجر الداني يقول: أبشر بالتهاني فإن ناقتك في المكان الفلانـــي، وقـــل للإمام الأرشد ناصر بن مرشد أن يلزم هذه السيرة فإنها سيرة خيرالأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فرجع البدوي مذعوراً، تمسك صدره المضطرب الرواجب، و رأى ناقته في المكان الذي وصفه له ذلك المخاطب ، فركبها و مـضى بـنجح المرام إلى الإمام، فأخبره في محفل من الورى، عما قيل له ورأى، واتفق أن الإمام رأى في المنام بدوياً يبشره أنه على سيرة خير الأنام محمد، عليه أفضل الـصلاة والسلام، فأخبر بذلك الكلام بعض الكرام، قبل أن يأتي إليه البدوي الـذي ضـلت ناقته، فوجدها، وأخبره عن صاحب الصوت من كرة الشجر المخـضرة قبـل أن يحرز مقودها، وما قال له: قل للإمام، كما ذكرنا إلى تمام الكلام.(١) شعراً:

به هتفت فـي المورقـات الهواتـف ... ألا من له عـرف بـه فهـو عـارفُ
يفخّمه من لا يُـرى كالـذي يُـرى ... ويثنـي عليـه إلفـه والمخـالفُ
لقد صدق الراوي الذي ذهبـت لـه ... ذلـول فلاحـت حـين لاح الطرائـفُ
فحاك من القول الطريـف مطارفـاً ... إذا نشرت تطوى لديها المطارفُ [٨٣٥]
روى عن صدوق في ظلال خمائل ... لهـا أرج فيهـا إليـه مواقـفُ
به وجد الحرف التي ذهبـت ومـن ... دلالته الوصـف الـذي هـو واصـفُ
فقـال لـه بلـغ سـلالة مرشـدٍ ... سـلامي فـذاك الطهـر للـدينَ آلـفُ
له سيرة يرضى بهـا الله ذو العلـى ... وأحمـد فليحمـده راجٍ وخـائفُ

---

(١) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

عليـــه بهـــا فهـــو الـــذي ببهائـــه	أضـــاءت أقـــاليم القـــرى والتنـــايفُ
حكى للإمام العدل عمـــا حكـــى لـــه	بنيه عن الأســـرار بالكـــشف كاشــفُ
فكان كما فـــي النـــوم قيـــل مقالـــه	إليه ومنـــه طـــاف مـــا منـــه طـــايفُ
ألا إن محمـــود الـــسّجية ناصـــراً	على الدين والإيمـــان والبـــرّ عـــاكفُ
عليه من الـــرحمن إيمـــاض رحمـــةٍ	بمـــا تـــستهل الـــساريات الـــذوارفُ[1]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه كان يعطي نفقة من بيت المال، ولم يكن له قدر يطبخ لهم فيها طعام، فكانت زوجته تنقص من النفقة قليلاً قليلاً، فلما مضت على ذلك أيام باعتها واشترت منها قدراً من صفر، فلما رآها الإمام، سألها ســـؤال الحاذق الذمر، وحين أخبرته عن الطيّ والنشر، قال: استعمليها، وارفقي بهـــا مـــع الإستعمال، فإنها لبيت المال، وأمر وكيل الغلّة أن ينقص من نفقتهم ما كانت تنقصه زوجته[2]، فانظر لما حوى من صالح الأعمال، شعراً:

مثر من الزهـــد لا مثـــر مـــن المـــال	من أكثر الزهد لم يحفـــل بـــإقلالِ
الترب كـــالترب عنـــد الأوليـــاء فـــلا	ميـــل إلـــيهم إلـــى مـــال بآمـــالِ
إذا حوى قـــدر صـــفر كـــان قـــولهم	لها فأنت لبيت المال فـــي الحـــالِ
له الهنى ناصـــر بالعـــدل فهـــو لـــه	مع الإمامة أضحى أصـــلح أبـــدالِ
قلـــى الـــدنانير بالـــدين المنيـــر ولـــم	يكن إلى ســـحتها يومـــاً بأكـــالِ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

(٢) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

وَمُـــذُ رأي فـــضلةً أفـــضت لنفقتـــه	بنقـــصها أمـــر المعطـــي بإعجـــالِ
والقدر قال لبيــت المـــال مرجعهـــا	فإنمـــا مـــال بيـــت المـــال لا مـــالي
كذا كذا يفعل الزهــد الــصريح كــذا	فليـــصنع الـــصّالح الـــسامي بأفعـــالِ
ما كلّ من يسمو في مجدٍ إليه رضـــىً	بمطعـــم يرضـــى أو ثـــوب أســـمالِ
لقـــد تـــسربل زهـــداً ناصــــر و أرى	إليه مـــا لاح بـــرق خيـــر ســـربالِ
حاز الإمامة والزهــد الــصريح فـــلا	يزهـــى بمـــالٍ ولا فـــال ولا آل[1]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أن قاضيه محمد بن عمر،[2] دخـــل عليـــه ذات يوم من الأيام، فرأه متغير الحال من الإهتمام، فسأله عن الأجـــاج والقـــراح، فسكت عن الإيضاح، ثم أخبره بعد الإلحاح أنه لم يكن له من الطّارف والتليد مـــا ينفقه على أهل بيته لسّنة العيد، فذكر القاضي إلى الوالي عبدالله بن محمد أن يـــدفع إلى الإمام شيئاً من دراهم بيت المال، فدفع إليه عشرة دراهم[3]، فانظر إلـــى مـــا حوى من صالح الأعمال شعراً:

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] محمد بن عمر: هو الفقيه العلامة الزاهد العالم العامل، قاضي المسلمين، محمد بن عمر بـــن أحمد بن مداد بن عبدالله بن مداد بن محمد بن مداد بن عبدالله بن مداد بن محمـــد بـــن فـــضالة المدادي الناعبي، من علماء النصف الأول من القرن الحادي عشر، وأول العلماء المداديين فـــي القرن المذكور. والشيخ محمد من القضاة وله أجوبة كثيرة في مسائل الأديان والأحكـــام. انظـــر الترجمة الكاملة في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج ٣، ص٤٧٠-٤٧٥.

[3] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

ألا قـل هكـذا فعـل الحميـد ومن في قلبه خـوف الوعيـدِ [٨٣٦]

يد بيـضاء مـن بـيض وصـفر إلـى ملـك خلـت أيـام عيـدِ

ألا إن الإمـام غنـيٌ زهـد فقيـر مـن طريـف والتليـدِ

أتـى عيـد إليـه ولا إليـه مـن الأتـلاد كفـوء للوليـدِ

فقـال إليـه قاضـيه بلطـف أراك اليـوم فـي هـمّ عتيـدِ

فكان النـشر منـه بعـد طـيّ يـد للعيـد مثـل يـد البليـدِ

فناجـا عنـه واليـه فوافـا إليـه النـزر مـن كنـز مديـدِ

كـذا شـأن الإمامـة إن حواهـا ولـيٌ لا ينـافق بالـسجودِ

حوى الرشد بن مرشد فهو عـدل إليـه الزهـد لـم يـك بالزهيـدِ

عليـه ألـسُنُ النـسّاك تثنـي وتتلو الحمـد فـي بـيض وسـودِ[١]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه منذ سكن عقر نزوى ، بعد البيعة، كما يروى لم يمت من بشرها كبير ولا صغير، والخبر شهير شعراً:

يطـول العمـر بالعـدل الطويـل ومن جـمّ التقـى جـمُّ الجميـلِ

أرى كثر العويـل بنـزر عـدلٍ وكثـر العـدل إقـلال العويـلِ

وكـل محلّـة أضـحت محـلاً لناصـر ربعهـا غيـر المحيـلِ

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

إمـــام فاضــل مافـــاه عنــــه   فتى حاوي الفـضائل بالفـضولِ
تطــول بعدلـــه الأعمـــار حتـــى   كأنّ الموت عنهـا فـي رحيـلِ
يحلُّ الخيــر حيــث يحــلُّ طــراً   فمـــا للــشر فيـــه مـــن سـبيلِ
إليـــه ســيرة غـــراّء ترضـــي   إله العــرش والهــادي الرســولِ
يقـــوم إذا أقـــام بكـــلِّ أرض   مقــام الــسحب طــراً والــسيولِ
وللأغـــصان بــالأنواء نـــور   و للأطيـــار أنـــواع الهـــديلِ
لقد حاز الثنـاء المحـض حتـى   به الأعمار طالـت أي طــولِ[1]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه لم يفترس في أيام دولتــه ذئــب شــاةً بأرض عمان، حتى مات، تغمده الله بالمغفرة والرضوان، شعراً:

بالعدل لا أطلس للـشاة يفتــرس   إذ نوره العــدل منـــه يهــرب الغلــسُ
إن الإمام الولي العدل ناصــر ذو   نصرٍ به لا يــصول العابــث الــشكس
أمانـــه جنّـــة للنـــاس فهـــو بـــه   من العواء أصــاب الأطلــس الخــرسُ
إذا رأى الذيب شاةً راغ مندهــشاً   عنها وقــلّ لـــه مـــن رعبــه الــنفسُ
وكلُّ باغٍ تــشكى وخـــز هيبتـــه   كأنمـــا خطـــه مـــن رمحـــه الـــورسُ
أمانه للورى شمساً غـــدا ولهـــم   أمسى هو البدر لم يحفــل بـــه القــبسُ

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

به الهدى رائق الإيراق وهو بـــه حمّى الضلال وربـــع البغـــي منـــدرسُ
يحاذر الليث والـــسرحان هيبتـــه فعن سطى الذيب أهل الكفر قد نعـــسوا
مطهر بسيوف العدل كـــلّ حمـــى يحلّـــــه بخـــس أو كـــافر بخـــسُ
وكلّ من سلك الأنـــصاف منزلـــه ينيره العدل لا بالجور يخـتلسُ [٨٣٧]
به الهدى رائق الإيراق وهو بـــه حمى العدى بالمواضـــي أرســمٌ درسُ
لا زال بالنصر مشهوراً وهيبتـــه بها الهزبـــرُ إذا مـــا ضـــامه نكـــسُ[١]

فيا أيها الباحث عن السبب الباعث إلى إمامته وإظهار براهينه وكرامته، وهو السّيد الفاضل الأرشد، ذو الورع الناسك ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بـــن أبـــي العرب اليعربي العربي نسباً، وقصرى الرستاق مسكناً، والإباضي مذهباً، لقد جرى بعمان من الجور والطغيان، قبل أن يلي الإمامة، ويعُّم عدله الخاصة والعامة، مـــا يتعذّر حصره على العلماء الأعلام، بجموع الصحف والأقلام مـــع كثـــرة الليـــالي والأيام، وتفاقمَ الظلم، واندرسَ العلم بعمان، فصار أهلها في هوان وتناهي امتهـــان من أهل البغي والطغيان، أعراضهم وأموالهم منهوكة مهتوكه، ودمائهم، مـــسفوحة مسفوكة، لا دائد لهم مجير، ولا قائد خفير، ولا نابه يفوهُ بإصابة الصواب، ولا عالم عيلم له يد في المسألة والجواب، حتى بلغنا أن ملكاً من ملوك اليعاربة من أهل وبل الرستاق، لما كثر الجهل من الفساّق، واضمّحل العلم وأهله من عمان على الإطلاق لم يحصل إليه قاضٍ من أهل الاستقامة يقضي بين الخاصة والعامة، فأتي له بقاض

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

من أهل الخلاف، الحائدين عن الانصاف، فلما تولى الحكم، استعمل فيه الظلم، حتى أراد أن يدرس به مذهب الاستقامة وأن يذهب المتمسكون به إلى مذهبه المفضي لضدّ السلامة، فسحقاً له من حائدٍ لم يسلك الرشاد، ولم يبلغ السداد، ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، أو يشهد الله على ما في قلبه، وهو ألدّ الخصام ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنّسل والله لا يحب الفساد﴾[١]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون﴾[٢] ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[٣] فهو كما قال الشاعر:

قاضٍ يميل عن الهدى	وإلى الضلال يميلُ
فإذا قضى فقضاؤه	لم يصطحبه دليلُ
فهو الصحيح مع الكِذا	ب مع الصواب عليلُ

فلما سمع خيار أهل عمان بسوء صنيعه وتشنيعه، بعثوا كتبهم بعزله إلى الذي أمره بالحكم، فعزله وأراح الله العباد من الظلم، في ذلك الزمان بالعدل، إذ لم يبق أحد من أهل المدن والقرى من أهل عمان إلاّ وتجرع غصص المخاوف، وصار في قبضته الهوان والامتهان والمتالف إلا قليلاً، والقليل من روادف الرّواجف صار

---

[١] سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

[٢] سورة المائدة، الآية ٤٥.

[٣] سورة الصف، الآية ٨.

علياً ضئيلاً، فلما تفاقم الظلم بعمان، عمَّ الجور والنفاق، ووقع طائرالشقاق بين أهل الرستاق غدوا لما دارت الدوائر، كما قال الشاعر:

قـــــوم تـــــتلّهُمُ البغـــــاة	إلــــى الفـــضايع بالـــصّقاح
وتقـــول إن جـــدّت ببغـــي	إن ذا بعـــض المـــزاح
أمـــوالهم وهـــي الأجـــاج	إلـــيهم مثـــل القـــراح
ودمـــائهم وهـــي الحـــرام	علـــيهم مثـــل المبـــاح
وإلـــيهم شـــري الكـــرام	ألـــذّ مـــن أرى وراح[٨٣٨]
ومقـــالهم عنـــد الجنـــوح	إلـــى المـــآتم لا جنـــاح

وكان يومئذ ملك الرستاق مالك بن أبي العرب على الإطلاق، وملك نخل بلا ريب سلطان بن أبي العرب[١]، وملك سمائل مع الجمهور مانع بـن سـنان العميـري المشهور، وملك حصن سمد العالي علي بن قطن الهلالي ، وملك إبرا عـن أهـل الدّراية والخير محمد بن جفير، وإزكي على الشهرة بيد بني عزرة، ونـزوى بيـد أهل العقر كما يروى، ومنح عما روت أهل الأمثال السائرة بيد الأغـابرة، ومـع السامع والرائى حصن بهلا، وحصن بلادسيت بيد سيف بن محمد الهنائي، وحصن مقنيات وبات على المشهور بيد الجبور، وحصن ينقل في ذلك الزمن بيد الهلالـي ناصر بن قطن، وحصون جوّ توام عن كل مفضال بيد بني هلال، وحصن لوى بيد

---

(١) سلطان بن أبي العرب: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، تولى الزعامة على نخل قبيل قيام دولة ابن أخيه الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، الذي حاربه، وانتزع منه نخل. انظـر دليل أعلام عمان، ص ٨١.

المنسوب لهم اللوى، لبحير سيف بن محمد بن جفير، وحصن جلفار الصيّر بيد العجمي ناصرالدين عن الجماهير، وأما صحار ومسقط وقريات وصور، فبيد النصارى على ما روى الجمهور، فاجتمعت أراء المسلمين الذين لا تأخذهم في الله ملامة والمتمسكين بمذهب الاستقامة أن ينصبوا لهم إماماً يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر المأنوف، فاجتمعت مع ذلك المرام من جهابذة العلماء الأعلام سبعون رجلاً لا يطوون عزائمهم، إذا نشروا إلى الحرب علم الأعلام، شمُّ الأنوف، يتوثبون إلى الصّفوف كأساد الشرى، شراة يرون من باع نفسه في سبيل الله بها حياته اشترى، شعراً:

استقاميّة لهم في الجهاد	دلفات القساور الآساد
قاليهم فيه أمر المنأيا	لا يشك المنيب أمر المراد
مقتوا كل مايل لضلال	فغدا حدّهُم له بالحداد
لم تذر بيضُهُمُ عنيداً ولا سمراً	وبيضاً إلى أهيل العناد
لم يرعهم ضرب الرقاب ولا طعن	صدور بالذابلات الصّعاد
إنما الضرب عندهم ضرب والطعن	فند يوم الوغى والجلاد[١]

وكان القدوة لأولئك الأعيان في ذلك الزمان المجدُّ في المراقي و النظر، الشيخ التقي، الجهبذة الناسك، خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي، فلما أمعنوا النظر بمركزه في الإمامة، وصاحبها المتسربل بأثواب الثواب والكرامة، كلّمهم قال في

---

[١] انظر الأبيات في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آل بوسعيديين، ص٢٣٠.

المجال: ليس لها غير الفاضل الممجّد ناصر بن مرشد، فلما مضوا إليه، وأخبـــروه بما عوّلوا عليه، أجابهم إلى ذلك بعد عذر بسيط متدارك، فعقدوا له الإمامة جهـــراً في مسجد قصرى، في يوم الجمعة، السادس من شهر الحج، بغير خلف، عام أربع وثلاثين بعد الألف، وكان مسكن الإمام المذكور على المشهور في قصرى الرستاق على الإطلاق، فلما بايعته المسلمون، وعلم ببيعته الشرائية الأدنـــون والـــشاسعون، لاذت بذيول رايته آساد النزال وأيدّته، لا سّيما رجال اليحمد بـــالأنفس والأمـــوال، وقال مالك بن أبي العرب، المالك لقلعة الرستاق استهزاءاً بين أهل الشقاق، افتحوا أبواب القلعة لناصر ومن معه، لإزالة البدعة، فطفقوا في استهزائهم يقهقهـــون، الله يستهزء بهم، ويمدّهم في طغيانهم يعمهون، فلما دلف إليه رجال [٨٣٩] الإستقامة، أخرجه ومن معه، يعض الكف من الندامة، فظل مالك يخاطب بلسان حالـــه عنـــد زياله من كان له صديقاً ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطـــل كـــان زهوقـــا﴾[١] شعراً:

ما أشرق الرســتاق بعــد ظلامهــا ... وأتمّهـــا نـــوراً بنـــور إمامهـــا

إن ابـــن مرشـــد للبريّـــة مرشـــد ... نالـــت بـــه الأفـــراح فـــي أيامهـــا

إن قلت شمساً فهو شمس ظلامهـــا ... أو قلـــت بـــدراً فهـــو بـــدر تمامهـــا

متـــسربل درع الإمامـــة ضـــارب ... جيد العدى بـــوميض حـــدّ حـــسامها

لـــم يبـــق جـــوراً عدلـــه لمعانـــد ... هـــام العـــداة أذلّ مـــن أقـــدامها

إن الضلال به انتوى وبـــه خلـــت ... كُرة البسيطة مـــن دجـــى إظلامهـــا

---

[١] سورة الإسراء، الآية ٨١.

لله مـــن نـــدب إمـــامٍ عـــادلٍ — للمـــسلمين غـــدا ســـنام ســـلامها

أو ما يرى الرســتاق خاليــة مــن — الفــساق حاليــة بعقــد نظامهــا

لا زال شمساً للعبــاد ولــم تــزل — فلكاً فقل مــا شــئت فــي إعظامهــا

نصر الإله على الأعــادي ناصــراً — وأذاقهــا بظبــاه كــأس حمامهــا[1]

فلما صارت إليه قلعة الرستاق، وانشقت شقشقة أهل الشقاق، رَحَـلَ إلـى نخـل، مستصحباً جيشاً لُهاماً فاصطلم حصنها من ابن عمه سلطان بن أبي العرب، بعد أن حاصره أياماً، ثم إن سلطان بن أبي العرب نقض إبرام العهد والميثـاق، قبـل أن يرجع الإمام إلى الرستاق، فحصره الإمام في حصنها المشّيد، ومع سلطان فئة من أهل نخل مناكيد، وقد أتت نصرة إلى الإمام رجال اليحمد وغيرهم من الأنام، فبّدد بهم شمل الأعداء بعد الإلتأم، وحين خلصت إلى الإمام بلدة نخل، وصـارت إليـه البيعة من أهلها على الآحاد والجُمل، رجع بحسن الوفاق، إلى الرستاق:

نخل نما بــسليل ناصــر نورهــا — وسرى إلى سّــر القلــوب ســرورها

أضــحت بــه وضــاّحة فكأنمــا — شمس الضحى منها يلــوح ســفورها

وكأنمــا مــن لؤلــؤ و حــصاتها — وصــعيدها جريالهــا وعبيرهــا

إن الإمام النــدب ناصــر ناصــرٍ — أرجــا عمــان وأهلهــا ونــصيرها

كانت ترى نخــل دجــيً فأنارهــا — إذ شمــسها هــو حــسبها ومنيرهــا

بلد بــه أضــحت تــروق جنانهــا — وتلــوح بــالنور الجلــيّ قــصورها

من كان يقصر عن زيارتها الخطا — في كــل حــين بالــسرور يزروهــا

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

أضحت تميس غصونها وحمامها ... يصبي القلوب هديلها وهديرها
أضحت بناصر في أتم سرورها ... معذوذب لفم الأنام نميرها
رضي المهيمن عنه فهو من الورى ... تثني عليه صدورها وسطورها[1]

ثم إن الإمام بعد أن لبث في الرستاق بعض الأيام على الإتفاق، وَفَدَ إليه الشيخ أحمد ابن سليمان العبسي برجال من قومه، كرام الشمائل، ورجال من قبل مانع بن سليمان العميري، يدعونه إلى الإستيلاء على حصن سمائل، فأجابهم إلى المقال، ووثب إليها بمصاليت أبطال من اليحمد وغيرهم [٨٤٠] المشهورين بزلازل النزال، فلما وصلها، أخذ البيعة من أهلها جميعاً، وترك مانع في حصنه، لمّا رآه له سميعاً مطيعاً، ثم مضى الإمام بجيشه الهمام إلى إزكي ومعه الشيخ الثقة خميس بن سعيد، كما ذكر المحكي، فلما وصلها، حمل رجالها، إذ سلّمت إليه أنفسها ومالها، شعراً:

زكت إزكي فشرّفها الإمام ... بعدلٍ منه ينجاب الظلامُ
غدت بضيائه أفقاً فقالت ... أشمس أنت أم بدر تمامُ
نعم إن ابن مرشد شمس عدلٍ ... و بدر إن تفاخرت الكرام
حوت إزكي به أنواع نور ... وأنواء تجول بها الغمامُ
فقل لعمان إنكّ في أمانٍ ... تقيلُ مع السبّاع به السوّامُ
أُتيح لناصر نصر وفتح ... به يبكي ويبتسم الحسامُ
لقد أفنى العدى بوميض بيضٍ ... يطير بهنَّ للأعداء هامُ

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

معاديــــه بلـــــسعته ســــليم مواليـــــه يـــــسلّمه الـــــسلامُ

يمـــنٌ علـــى أعاديـــه مـــراد ويحلـــو للمحـــب بـــه المـــرامُ

عليـــه رحمـــة الـــرحمن تـــسري برضـــوان يـــسرمده الـــدوامُ[١]

ثم مضى بجيشه إلى نزوى، فالتقته أهلها بالترحيب، وأقام بعقرها، فصدع الباطـل بعدله المهيب، فلبث فيها بعض الشهور عل المشهور، ثم إن بعض أهل المكر مـن أهل العقر، أراد أن يخرجه من كُرَة الحجرة، وطووا النّشر عـن العامـة، فنالـت الخاصة بذلك محض الخسرة والحسرة، فلما كان يوم الجمعة، خرج الإمام للصلاة إلى المسجد الجامع، وحوله من حاولوا البغي، يمشون مشية الخاضع الخاشع، فلما قضيت الصلاة، أخبر الإمام بعض الأنام عن شأنهم، فلما شاعت إليه أشياء شنانهم، أمر بإجلائهم من البلاد، ونهى عن قتلهم، والبطش بهم، مـع القـرب والإبتعـاد، فتفرقوا أيادي سبا في البلدان، ولجأ جمهورهم إلى سيف بن محمد الهنائي[٢] ببهلا، وإلى العميري مانع بن سنان، وقبد كان مانع قد عاهد الإمام على إتبـاع الحـق، فشايعهم على الضلال، وفتق الرتق، وضد الصدق، وقد زهى سـيف بـن محمـد

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[٢] سيف بن محمد الهنائي: قائد ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، سار بقومه مـن بـلاد سيت إلى بهلا مناصراً للأمير عمير بن حمير، فتولى الحكم بها، بعد أن أصبح كل جـزء مـن عمان يخضع لحكم غير الذي يخضع له الآخر، خاض حروباً ضدّ الإمام ناصر بن مرشد، فوجه إليه الإمام جيشاً بقيادة عبدالله بن غسان، فلما نزل الجيش بلاد سـيت، هـرب الهنـائي مـن الحصن، فأمر الوالى بهدم حصنه، فهدم، ثم أتى الهنائي إلى الإمام يطلب منه العفـو والغفـران، ودانت بذلك للإمام جميع قبائل عمان. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٨٧.

الهنائي المتولي حصن بهلا بمشايعة الفئة الناكثة، وتخيلت إليه بواعث من نفسه العابثة، فلم يزل الإمام يغازيه، ويفل شوكة عازيه، وقد أشاد الإمام بشورى كل ناسك الحصن القديم الذي بناه بالعقر الإمام الصلت بن مالك، فلما أكمل بنيانه، واستملح عيانه، أتته رجال أهل منح، لإقامة العدل فيهم، وكف كف من يبغي يوافيهم، فوفد عليهم برجال ضياغم كماة أكارم، فاستأصل الحصن والبلاد، وأنال العباد من عدله وإحسانه المراد، شعراً:

لقد حوت منحاً لم أحصها منح ... وعمّها بالإمام العادل الفرحُ

ألقى لها ناصر نصراً به انشرحت ... وكل صدر بنصر منه منشرحُ

لها به حصل الإبهاج فهي به ... لها بهاء به الإبهاج متضحّحُ [٨٤١]

تهنى الأنام به فهو الإمام لهم ... ومنه أفراحهم ما ابتزها التّرحُ

بعدله الناس بالإيناس في دعةٍ ... بأمنه العُفُر والسيدان تصطلحُ

بابن مرشد نال الناس رشدهم ... فعنهم ما يُعنّي النفس منتزحُ

بعدله دمّر البغيَ البهيمَ فما ... بنوره ظلمات البغي تتشحُ

للّه من عادل ندبٍ فلا عرض ... به يُحَسُّ إلى باغ ولا شبحُ

يُثْني عليه ويتلو حمد سورته ... بالعدل مغتبق سارٍ ومصطبحُ

من الصدور سطور من محامده ... فكم لنا الشارحون الحمد قد شرحوا[١]

فلما خلصت له منح، وحصلت لها من عدله المنح، رجع إلى نزوى، عما يروى، أتته رجال أهل سمد الشأن بخضوع وإذعان، وكان يومئذ ملك حصنها العالي علي بن قطن

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

الهلالي، فبعث إليها الإمام جيشاً يعب ّبالشجعان أميره الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان[1]، فلما وصلها، استأصلها، واستعذبت الكرام زلالها، حين نزلها، شعراً:

سمد الشأن حزت بالعدل شانا … وانتوى عنك كلما قيل شانا
صرت خير المكان والعدل لا زا … ل بأنواره يزين المكانا
أنت إن لُحت لُحت للعين أنها … راً وطابقت بالقصور الجنانا
نلت عدلاً من ناصر وبه نال … من الله ذي العلى الرضوانا
ما أُحيلا به عمان لقد أضحت … عمان به تجر الأمانا
مزّق البغي وانتوى الخوف عنها … فهي تغري أمانه إعلانا
إنّ للحال ألسناً يخفض السمع … إليها من كان شهماً لسانا
حاز فضلاً ينيره منه برها … ن فأضفى الأفضال والبرهانا
شمس عدل وبحر علم فلا يلفظ … إلاّ الجمان والمرجانا
نال منه محبّةً سنن الفضل … ونال العدو منه السّنانا[2]

---

[1] مسعود بن رمضان: الشيخ العلامة الفقيه مسعود بن رمضان بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عمر بن نبهان بن مظفر بن نبهان بن ذهل بن محمد بن عمر بن نبهان بن عثمان النبهاني النزوي العقري، كان مسكنه سمد نزوى، وكان من قضاة الإمام وولاته، وهو الذي افتتح سمد الشأن للإمام ناصر، وللشيخ مسعود فتاوى كثيرلاة، توفي في أيام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. انظر الترجمة الكاملة في البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٤٨٩ – ٤٩١.

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلما صارت إلى الإمام سمد الشأن، وفدت عليه رجال إبرى بإذعان، وكان ملكها يومئذ عن كل نابه وحبر محمد بن جفير بن جبر، فدلف إليها الإمام، وحصل لها إذ خلصت له الكرام، ودانت إليه جعلان وسائر الشرقية، ففازت أهلهن بعيشة رضية، شعراً:

قل لإبرا وسائر الشّرقيّة	جاءكن الهنى أرى بالسويّه
ولجعلان قد أتاك أمان	بعد طعن الصدور بالسمهريّه
إن فضل الإمام فاض عليكن	على أنه أبرّ البريّه
ناسك سار سيرة الناسك الصدّ	يق أو سار سيرة عمريّه
استقاميٌّ أبيض الوجه والفعل	نقي التقى رضيُّ السجيّة
حبُّة الدّين لا الدراهم واللُّذا	ذة لا جمع صرّة عسجديّة
بذل النفس للجهاد وقال الشر	ف المحض في ظبى المشرفيّة[٨٤٢]
منه نالت عمان محض أمان	فهي غرّاء بالفعال الرضيّة
إنما ناصر بن مرشد مفضا	ل إمام زاكي الفعال الجليّة
رضي الله عنه فهو ولي	يتولاه ذو المساعي الزكيّة(١)

ثم إن الإمام رجع إلى نزوى مؤيداً بالناموس، وبقيت صور وقريات ومسقط وصحار بيد النصارى الطموس، وقد أنفذ الإمام جيشاً إلى بهلا، فرجع أميره من

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

قاع المرخ لرأي رآه من المناجزة الأولى، ثم جمع جيشاً جراراً، وضم إليه رؤساءً أخياراً، ومضى به إلى الظاهرة بعزيمة قاهرة، وحين وصلها، نصرته رجال الغيالين على القالين، ففتح وادي فدا على رغم العدى، وأقام أركان حصنها القديم، فأجره على الله الكريم، شعراً:

بنى الإمام العدل حصناً	على رغم العدى كهلاً وناشي
فجاء إليه راكبهم ذليلاً	يعثره الجوى في زي ماشي
يقول لصحبه و العيس تحدي	به و بهم أرى ذا الذل فاشي
ألا إن الإمام إليه جيش	على أعدائه ينمو بجاشِ
فليس لنا سوى الإذعان شيءٌ	فإني خاشع نكس وخاشِ
أُتيح لناصر نصر وفتح	له في كل حاشيه حواشِ
إذا غشي العداة بجّر جيش	فلا تبقى لهم منه غواشِ
إمام قد أمات الخهل طراً	وأضحى العدل منه في انتعاشِ
فبات عدوه يذري دموعاً	ويفترش الكآبة في الفراشِ
به أضحى المحب حليف بشر	وقاليه بلسعِ وانتهاشِ[1]

فلما قضى الإمام وطره من فدى، ورجع مسروراً إلى نزوى بفل شوكة العدى، مضى إلى سمد الشأن، فلم ير من أهلها غير الطاعة والإذعان، ثم مضى بجيشه الدفاق إلى الرستاق، برجال كرام من بني ريام، فلما وصلها، أتاه صارخ عن نخل،

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

إن محمد بن جفير بقومه دخلها، فاستحلها، فوثب إليه الإمام بجيش همام فيه من المعاول وغيرهم رجال كالأعلام، فلما سمع محمد بن جفير بجيش الإمام فر فرار الفرّار من الإضرام، فلبث الإمام في نخل يومين، ثم رجع إلى الرستاق بنصر الله الخلاق، قرير العين، شعراً:

زكت بالهدى أعراضه وجواهره   ألم تر إن سار السرور يسايره
يؤيده إيمانه فهو طاهر   فما في النضير النسك ندب يناظره[1]

فلما كان مقامه بالرستاق بعض الأيام، وفد عليه الشيخ خميس بن رويشد الضنكي،[2] بمعاشر فاخرة، يستحثّه على حروب الظاهرة، وفل شوكة من فيها من الجبابرة [٨٤٣] فدفق الإمام جيشاً أرعناً عليها، وخيم بالصخبري، حين دلف إليها، وقد نصرته أهل الشرق الضحاحكة بأموال ورجال متداركة، فلما مضى إلى الغبيّ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن البيت غير موجود في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظه لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

(٢) خميس بن رويشد الضنكي: الشيخ العالم الفقيه خميس بن رويشد بن خميس المجرفي الضنكي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، أيام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله). وعندما توجه الإمام ناصر إلى الظاهرة، وافتتح وادي فدى، وأمر ببناء حصنها، ناصره أهل العلاية من ضنك، وكان في مقدمتهم الشيخ خميس بن رويشد، ورجال الفياليين. وهو من ولاته وقواد جيشه، ولما تحركت الظاهرة بعد فتحها، أقبل الشيخ خميس يستنصر الإمام، فجهز الإمام جيشاً، ساربه بنفسه، وفتح عبري وحصن الغبي، وولي الشيخ خميس على حصن الغبي. وللشيخ خميس ارجوزة في الفقه تبلغ مئات الأبيات، أولها:

الحمد لله الذي ليس له   قبل ولا ولا عدله

توفي الشيخ خميس بن رويشد الضنكي أيام الإمام ناصر بن مرشد. انظر الترجمة ونص القصيدة في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج٣، ص ١٤٤ – ١٤٩.

بالرجال، صك بهم دونها جمهور آل هلال، فكانت بينهم وقعة تطايرت بها الجماجم، وتصرمت الآجال والصوارم، فقتل من مصاليت الإمام الأشد أخوه جاعد ابن مرشد[1]، ومن ساير قومه يسير، ومن فئة الأعداء كثير، والخبر شهير، شعراً:

قضى الرضي جاعد بالصارم الخذم ... فنال أجراً جزيلاً غير منخذمِ
إلى الجهاد مضى حتى قضى فبكى ... عليه كلّ كمّي ناسك بدمِ
مضى حميداً شهيداً في ثياب دم ... فباء قاتله بالسخط والندمِ
قد كان في موقف الهيجا يرى علماً ... إذا أتى جحفل الأعداء بالعلمِ
لا غرو إن صاريا أنصاره عدماً ... فكل حي سوى الرحمن للعدمِ
أجر العزاء لقد خُصّ الإمام به ... وعمّ أهل النهى والمجد والهممِ
من باع للّه نفساً في الجهاد له ... منه الرضى وجزيل العفو والكرمِ
إن الشهيد له أجر له أرج ... أنواع أنواره في اللوح والقلمِ
من لم يمت بالظبى كانت منيّته ... بغيرهن وغير الله لم يدمِ
تفنى النفوس ويبقى الفعل مصطحباً ... يوم المعاد وجوه النور والظلمِ
ياللرجال قضى خير الرجال ففي ... أفواهكم حمده تفضيله وفمي
فيها الجهاد لقد أرضى بمهجته ... ربّ العباد فلا يرتاب كلّ كمي
ففي الزحام إمام كلما احتدمت ... نار الوغى داسها بالنعل والقدمِ
فما يقول مع الأهوال واسفي ... ولا يقول مع الأغوال واندمي
إذا رأى شهب الأرماح لاح له ... وجه هو البدر لا يرتاب في الحممِ
أعطى الظبا حقها بالضرب فهو فتى ... لفيلق الخصم فلّاق إلى القممِ

---

[1] جاعد بن مرشد: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أخو الإمام ناصر بن مرشد وأحد رجال دولته، قتل في حصن الغبي في الحروب التي دارت بين الإمام ناصر مناوئيه. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٤٥.

لاغرو إن ثلمته البيض يــوم وغــىً ... إن الحــسام لقــد ينبــوا بـــلا ســئمِ
مضى حميداً فلا ذمــاً إليــه تــرى ... أهل الحفاظ وأهل الــصدق والكــرم
أضحى الثناء عليــه بالــسنا ســوراً ... فمحمده في اتصال غيــر منــصرمِ
كسعيه مــن أراد الحمــد يــصحبه ... يسعى فلا خيم للمقصور في الخيم(١)

فلما تحصّنت الفئة الباغية عن الإمام في صياصيها، دلف إلى عبري، فافتتحها بعد سفك دم عاصيها، ثم رجع إلى الصّخبري مهلل وملبي، وفتح بالمحاصرة حــصن الغبيّ، فجعل واليه فيه خميس بن رويشد الضنكي شعراً:

لقــد دانــت الغبــيّ بعــد عنادهــا ... ولان بحدّ البــيض صــعب انقيادهــا
رماهـــا إمـــام المــسلمين بفتيـــةٍ ... تصعّد أرواح العدى في صعادها[٨٤٤]
حــلا نــصره للناســكين فجرّعــوا ... به عــصبة الأعــداء غيــر مرادهــا
حوت فئة الأعداء شجواً فلــم تــزل ... قلـــوبهم فـــي جمرهـــا واتّقادهـــا
ألم يعلموا أن الــشراة إذا انتــضت ... حساماً رأت كل الهنى فــي جهادهــا
محبتهم في الــدين لا فــي دراهــمٍ ... يلوح اتّقــاد الحــسن عنــد انتقادهــا
كفى ناصــراً نــصر الإلـــه فإنــه ... به أحــرم الأعــداء طيــب رقادهــا
هو الباسل النّدب الذي ترك العــدى ... ترى جمعها من وحشةٍ فــي انفرادهــا
رماهم بيبض الهند والسمر فاغتــدت ... رؤوســـهم تــدلى بينـــع حــصادها
ألا في سبيل الله ما عنّ مــن عنــىً ... له فهو أعطى البــيض حــقّ جلادهــا

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

لقد نـــال رضـــوان الإلـــه بـــسيرةٍ لها ســـنن فـــي قـــصدها وســـدادها[1]

ثم إن الإمام، مضى إلى بات، ففتح حصنها بالعزم والإثبات، وجعل إليه فيه الشيخ الرستاقي محمد بن أحمد، ومعه محمد بن سيف الحوقاني[2] الممجد، شعراً:

حوت بات أشتات الهنى بابن مرشـــد فأصـــبح غاويهـــا رشـــيداً بمرشـــد

رأت كل صلح نيّر حـــين صـــالحت إماماً حوى إخلاص نـــسك وســـؤددِ

إمامتـــه بالعـــدل يـــضفو فرنـــدها بـــأنواع أنـــوار علـــى كـــل مهتـــدِ

رنا كلُّ من يبغـــي الهـــدى بمـــودّة رما كلّ مـــن يـــأبى الهـــدى بمهنـــدِ

تجرّد بالنـــسك الـــصريح فلـــم يـــزل يؤيـــده شـــرعاً بعـــضب مجـــرّدِ

يصول على الأعداء في كـــل معقـــلٍ ويقـــتلهم فـــي كـــل بيـــد وفدفـــدِ

إليـــه وداد فـــي جهـــادٍ ولـــم يكـــن إليـــه وداد فـــي لُجـــين وعـــسجدِ

له سيرة يرضى بهـــا الله ذو العلـــى وخيـــر العبـــاد الهاشـــمي محمـــدِ

علـــى أنـــه طهـــر إمـــام مهـــذّب عليه الثناء المحض في كـــل مـــشهدِ

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] محمد بن سيف الحوقاني: قائد، والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد رجال الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله). قام بدور مهم في أيامه لإقامة معالم الإسلام فـــي ربـــوع عمان، ولاه الإمام ناصر قرية بات، ومعه والٍ من أهل الرستاق، وعهد إليه بالتعاون مع والـــي الرستاق، ثبّت دعائم الدولة اليعربية في منطقة الظاهرة. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

حمى الدين بالسيف الصقيل وقد سقت بواتره كأس الـردى كـل معتـدِ[1]

وعند رجوع الإمام من بات إلى نزوى، أمر محمد بن أحمد ومحمد بن سيف بسلّ السّيف على أهل الشقاق والعدوان، وبفتح ما بقي من قرى الظاهرة بيد الجبـابرة، فلما أزمع الإمام للترحال، ترادفت المغازي عليها من بني هلال،وهم يومئذ بناحية الأفلاج من ضنك وأقاصي الشمال، فدلف إليهم الواليان الوليّـان بجـيش كثيـر، فصادف جمعهما بالذّير، فتمزق جيش البغاة بسيوف جيش الشراة تمزيـق الثـوب البقير، وقد أخذ الواليان الوليّان إبل قطن بن قطن الهلالي ليستنصرا بها على كـل مستنكف قالي، وقد حصر أركان حصنه الشهير بالمشاهير، فلما يئس من النـصر، ركب إلى الإمام، فصالحه على تسليم حصنه بردّ الإبل والعير، فكتب الإمام بـردّ إبله وعيره عليه حين صار حصنه إليه، فكان الوالي فيه من قبل الإمام، محمد ابن سعيد بن عبدالسلام.[2] ثم دلف الولاة إلى حصن مقنيات، فحصروه، وبه وزير من قبل الجبور فقهروه، واجتمع للجبور، من بني الرّيس وبني هلال جيش لا يحـصيه غير العليم المتعال، فخاف جيش الشراة إدلاف جيش البغاة إلى بات، [٨٤٥] فلمـا

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] محمد بن سعيد بن عبد السلام: هو الشيخ الفقيه محمد بن سعيد بن عبد السلام، من بلدة نخل، له مؤلفات عديدة منها: كتاب "سرّ الأحكام، ورحمة الحكام" في الفقه، وكتاب "منهاج الأبرار فـي بيع الخيار". وكلاهما في مكتبة وزارة التراث. انظر: البطاشي، حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج٣، ص ٤٤٤.

مضوا إليها بالعزم والإثبات، صادفوا بمري جيش الجبـــابرة، فزاحمـــوه بـــالعزائم الباهرة، فوقع بينهم ضرب وطعن شديد، تثلّم منه الحديد، فانكشف جيش البغاة إلى مقنيات، وتبعه جيش الشراة بعزائم أريحيات، فوقع القتال الثاني بينهم دون الـــدار، من صلاة الفجر إلى نصف النهار، فكان القتل والجراح في المسلمين، وأكثره فـــي المستنكفين، حتى عجزوا عن دفن أصحابهم باليسار واليمين، فلّما تحصنت البغـــاة في حصنهم الأسود، من مقنيات رجعت المسلمون بالخط الأبيض إلى بات، وأمـــا الإمام، رضي عنه الله، العلاّم، جمع جيشاً يموج كاللج، فدخل به ليلة العاشر مـــن الحج، فلما حصرها بجيشه اللهام شهرين إلاّ ثلاثة أيام، دلف من الظـــاهرة جـــيش الجبور نصرة إلى سيف بن محمد الهنائي المتوقّل في الطّماح المشهور، فالتقى فيلقهم فليقُ الإمام بمصاليت كرام، فتبدد شمل جيش الطغاة الطغام في البيد والأودية والأكام، وقد قتل من جرثومة الجبور الدهمشي القاسم بن مذكور[1] وما خلاه مـــن قومـــه كثيـــر، والخبر شهير، فلمّا طال على الهنائي الحصار وعدم الانتصار، سلّم الحصن إلـــى الإمـــام، ومضى إلى بلاد سيت، سليماً من السنان والحسام، شعراً:

ألا إن بهلا عمّها الخيـــر والهنـــا	ولـــيس لهـــا عَمَّـــنْ إذ ســـالمت عنـــا
عتت ثم دانت للإمام الذي غـــدت	محبته في الدين لا فـــي هـــوى الـــدّنا
حوى ناصر نصراً من الله فاتحـــاً	به كـــل بـــاب قفلـــه البـــيض والقنـــا
إذا ما سعى يبغي الجهاد وقد رأى	أمـــرَّ المنايـــا فيـــه فهـــو لـــه المنـــا
إمـــام حبـــاه الله عـــزاً وصـــولةً	بها إذتفانى الـــصّبر لا يختـــشي الفنـــا

[1] قاسم بن مذكور الدهمشي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحـــد قـــادة جيـــوش الجبور في مقنيات، والتي حوصرت من قبل الإمام ناصر بن مرشد على يد الهنائي لمدة شهرين، وقد قتل في هذه الحروب. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٣٣.

مهيبٌ يــروع المعتــدين بهيبــةٍ إذا مــا نــأى عــنهم لــه الله أودنـــا

يطاول أفــلاك الــدراري ســنانه ويبهرها إن لحــنَ بالــضوء والــسّنا

معاديه في رأس الأســنة رأســه وكّــف مواليــه لهــا الغُــنْم والغنـــا

ألم تَرَ بهلا قد غدت بعــد ظلمــة إليها يرى نــور الغزالــة مــن رنـــا

ألا رضي الــرحمن عنــه فإنّــه لقد كان شهماً صالح الفعــل مُحْــسنا(١)

فلما صار حصن بهلا إليه، رجع إلى نزوى وألسنة الناس تثني عليه، فما لبث فيها غير أيام قلائل حتى جمع جيشاً، فدلف به إلى سمائل، فلما وصلها، عاهــده مــانع على اتباع الحق، وعفا عنه، لمّا رآه راتقاً للفتق، ثم إن الإمام أمر ببنيــان حــصن سمائل القديم، فلّما تم، ولّى فيه الشيخ محمد بن إبراهيم شعراً:

شرفت ســمائل بالإمــام العــادل وســمت بــشّم مناقــب وشــمائل

وجدت بناصر نصرها فتنــاظرت أرجاؤهــا ببــسيط بُــشر كامــلِ

فغدا بها غيــث الرفاهــة ســائلاً وغــدت بــذاك و ســائلاً للــسائل

دار غدت داريــن فــي نفحاتهــا إذ فــضلها بإمــامِ فــضلٍ عــادلِ

قد أشرقت فضياؤها مــن جــوهر يمحــو بــه ظُلــم البهــيم الحايــلِ

لا غرو إن أضحت به مخــضرّة لما حماهــا بالوشــيح الــذابل [٨٤٦]

لــسيوفه فــي كــل بــاغٍ رنّــة وبُكــا الــصوارمِ بابتــسام الباســلِ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

للّــــه مـــن نـــدبٍ إمـــام عـــادل يهوى الجهـاد ولـم يـصخ للعـاذلِ
فاليــه أشــهى مــا تمنّــى فيلــق متــــآلف بـــــذوابل ومناصـــــل
فعليه رحمـــة ربّـــه مـــا غـــرّدت ورق الحمام في اخـضرار خمائـل[1]

فلما قضى الإمام وطره من سمائل، رجع إلى نزوى، يشتمل الشمائل، فلما وصلها، لبث فيها بعض الأيام، ثم مضى إلى مقنيات بجيش لُهام، فلما وصلها وقع بينه وبين الفئة الباغية طعان، رعفت منه الحراب، وضراب تثلّم منه القضاب، وقد خلص له حصنها بعد أن حصره ثلاثة أشهر، هكذا الخبر على الأشهر، شعراً:

دانت مقنـــات بالهندية القــضبِ وبالقنا الأصــفر المنــسوب للعــربِ
وسلّمت لإمام العــدل حــين رأت يُرى الضرّاب له أحلا مــن الــضرَّبِ
رمى العدى ببروق من بـــوارقه و من قناه رمى الأعداء بالشـــهب
و بالكتائـــب وافـــاهم فغـــادرهم في ألسُنِ الناس أخبـاراً وفـي الكتـبِ
للّه من عادلٍ ريقَ الحُـسامِ يَـرَى أحلا له من رُضـاب الخـرّد العُـربِ
له مقنيّات دانت بعـدما عبـست بوجهها فغـدت بالبـشر فـي طـربِ
تمزّقت بسيوف الـدين وانْتَثَـرت بغاتها فـي الحمـى والبلقـع الخـرَبِ
ونالَ من مالَ للتقوى هنيٌّ وغنـيٌّ إن الهـدى لثـراء المتـرب التـرب
من نال من ناصر نصراً أُتيح لـه بأس ُ يناظر بأس الحـرب والحَـرَبِ

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

أعلا محلتــه ربّ الــسماء فمـــا   زالت مراتبه تعلــو علـــى الرُّتــبِ[1]

فلما صار بيد الإمام حصنها المشيّد، جعل واليه فيه الشيخ محمد بن علي بن محمد الممجّد، ثم إن سعيد بن سيف الخيالي وجماعته، جزاهم الله شراً، جعلوا يكـــاتبون الجبور لحرب ولاة الإمام سرّا، فدلفوا إلى الصخبري بطغاة لئام، فقتلوا رجلاً مـــن الضحاحكة، وأناساً من شراة الإمام، فدلف إليهم محمد بن سيف والي الإمام العادل بقبائل وقنابل، وكان بينهم من البؤس نظير حرب البسوس، ومن الهياط والمياط عام ابن همّام بدمياط، أماّ ملحمتهم بالعجفيه غير مخفيّة، ووقائع بملاحم متوالية بالغالية، ووقعة بالمطّهرة غيرمنسيا،ووقعة بالزيادة ربت بالزّيادة، ووقـــايع شـــتى كـــاد أن يتزعزع بهّن ركن الإسلام أو حتى، فلما تكاثرت على محمد بن سيف مدد الأعداء جمهوراً جمهوراً، أدبر عنه أكثر قومه، فبقي في حصن الغبي محصورا، فلّما علم محمد بن علي بمصابه، وتجّرع صابه وأوصابه استصرخ رجاله، ودعى أبطالـــه، [٨٤٧] فسار بهم إلى الغبّي سراً، ووضع السيف على الأعداء، لمّا وصلها جهراً، فصدعهم بالبيض والزّجاج صدع الزجاج، وتركهم بالمدى والخناجر رؤوساً بـــلا حناجر، فلجأ من نجا منهم إلى ينقل، والى كلّ منزل إلى الأعداء ومعقل، وأيّـــد الله المسلمين بالنصر والفتح المبين، شعراً:

بالنـــصر حـــزب الإســـتقامة أجـــدر   حـــزب البغـــاة وإن نمـــا لا يظفُـــر

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ضحكت سيوف فتى علي في العدى وبكت فمدمعها نجيع أحمرُ
هزّ الصوارم والزجاج فأصبحوا مثل الزجاج لدى الوغى تتكسّرُ
للّه من ليث هزبر زائرٍ لا للعداة لديه ليث يزأر
يهوى الوغى فإليه حرّ نزالها يوم الهياج هو الزلال الكوثرُ
فإذا تأخرت الرّجال عن الوغى يوماً سعى فيها ولا يتأخرُ
كثرت على أعدائه دلفاته فبه لقد يروى الوشيجُ السّمهرُ
ويرى إذا البيض الحداد تألقت بيضاً تألق لاذها المتعصفرُ
ترك العدى يوم العريكة سجّداً والسيف للباري الجليل يكبّرُ
فكأنما أضحى خطيباً سيفهُ والهام من فئة الأعادي منبرُ
لا زال ناصر ناصراً إذ ناصر ندب لأهل الإستقامة ينصرُ[1]

ثم إن مانع بن سنان طفق يكاتب سيف بن محمد الهنائي ذي الشنان، وبعض رجال عقر نزوى، لنكث عهد الإمام بالكتمان، فلما أجابوه على المكر، دخل بقومه حلّة العقر، فما تركوا إلى الإمام ذماما منشوراً، بل لّجوا عتّواً ونفوراً، وتركوه ومن معه في الحصن محصوراً، فلما علمت فئة الإسلام بما جرى على الإمام، أتته رجال النصرة من إزكي وبهلا وجبل بني ريام، فأخرج به الفئة الباغية من العقر، وصرع من صرع منهم بالردينّية والبتر، فخوطبوا بلسان الحال، مع الانحلال من مال إلى الضلال رأس أفعاله خبيث فعله (ولا يحيق المكر السّيُ إلاّ بأهله) أيا من تمشّى تيهاً، من حفر لأخيه حفرة أوقعه الله فيها، ومن أراد محض الغدر بأهل الشكر

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

عذره لا ينفعه، ومن كان مع الله كان الله معه، يحظى كل ناسك حليم من الكـريم الكرامة، ويحظى كل باغ مرتاب من شديد العقاب بضدّ السلامة، أيا من راغ ويـا من رعا لمقال ذي الجلال سمعاً ، وإن ليس للإنسان إلاّ ما سعى، فلما صفا كـدر نزوى إلى الإمام، وعذب مشربها للأنام، مع الرّي والأوام، وجب تفخيمها بـالنثر والنظام،لا سيما إذ هي تدعى بيضة الإسلام، شعراً:

حوت نزوى لهـا البـشرى ضـياءَ ... وحازت بالـسّنا الـضافي الـضياءِ
رأت من نصر ناصـر كـل نـورٍ ... وقـد شـقّت ببهجتهـا ضـياءَ
تقـول الزّائـرون أأنـت أرضـي ... أيا نزوى فصرتِ لنـا سـماءَ [٨٤٨]
حبـاك النـور صـنع إمـام عـدلٍ ... فمحـض النـور منـك لنـا تـراءَ
فحـسبك بالإمـام العـدل فخـراً ... فأنـت بـه لقـد حـزتِ الثنـاءَ
به الإسـلام أصـبح فـي ابتهـاجٍ ... يهـز مـن الـضياء لـه لـواءَ
رمى الأعـداء بـالبيض الـدّوامي ... فـدّفق فـي ربـوعهم الـدّماءَ
يرى ضرب الطُّلى ضـربا إذا مـا ... عن الـدين العـدى ركبـوا الإبـاءَ
رأت راياتـه الأعـداءُ تـسري ... بنـصر فتحـه منـه أضـاءَ(١)

فلما صارت بيد الإمام، مضى إلى سمائل بجيش كامل، فهدم على رغم أهل العدوان حصن مانع بن سنان،وقد هرب مانع قبل وصول الإمام إلى فنجا، ثم مسقط، مـع النصارى بالمنجا، ثم رحل إلى لوى، فلاذ بمحمد بن جبير والتـوى، فلمـا رجـع الإمام، بحظو الغاية القصوى إلى نزوى، جمع جيشاً يموج كالتيار بالإكثار، أميره

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

عبدالله بن محمد، صاحب كتاب خزانه الأخيار في بيع الخيار، فقصد به عن أمره بلادسيت، فلما وصلها، ترك تربة حصنها بالهدم دارسيت ، وقد فرّ واليها سيف بن محمد ببعض الأنام إلى الإلمام، فلما وصله، وطلب منه العفو مع الإمام، عفى عنه وصار معه من الأمان، و الذّمام وفي عزازة واحتشام، فلما دانت قبائل عمان بـلا إبهام، وحصل له منها مري المرام، زهت به فخراً، وأثنت عليه شكراً، وفاه لسان حالها بتفخيمه شعراً:

صـفى فـصفت بنـضرته عمـان	ولاح لهـا بنـصرته الأمـانُ
فمـا برحـت بـه تـصفو بهـاءً	لـه فـي أوجـه البـشرى عيـانُ
لقـد كانـت دجـاً فغـدت نهـاراً	بـه ولهـا مـن الأنـوار شـانُ
تلـف العفـر والـسيّدان فيهـا	مـن الأمـن المحـاني والرعـانُ
وكـل محلـةكانت خرابـاً	نمـت فيهـا المـساجد والأذانُ
إذ سـنّ البغـاة البغـي فيهـا	تثنّـى فـي رؤوسـهم الـسنانُ
فحسب عمان حازت محض نـصرٍ	بناصـر فهـي بالبـشرى جنـانُ
نمـا الإيمـان فيهـا فهـي تزهـو	بـأمن يستـضيئ بـه الزمـانُ
عليـه النـاس بالإينـاس تثنـي	ثنـاءً فـي معانيـه بيـانُ
تـسربل بالإمامـة نـور عـدلٍ	فأضحى فـي المكـين بـه المكـانُ
جـزاه الله خيـراً فهـو نـدب	إمـام فـي الطغـاة لـه طعـانُ[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ثم إن الإمام، مضى بجيش لُهامُ، ومعه الشيخ خميس بن سعيد الهُمام، فحضر بحصن ينقل ناصر بن علي الهلالي، ومن معه من الأنام، فلما استيقن ناصر أنه مغلوب ومن الحصن على طول الحصرمسلوب، سلّم الحصن إلى الإمام، وسلم من السّنان والحسام، شعراً:

أتى خاضعاً دونه الخاشع ... وأنى له لوعتا مانع [٨٤٩]

فتى قَطَنٍ ناصرٌ لَمْ يجد ... له ناصراً عزمه ناصع

أتاه بجند الهدى ناصر ... وفي كفه مخذم قاطع

فألقى السّنان وحاز الأمان ... وفارقه الحصن والتّابع

حواه إمام له صولة ... يقصّر عنها الفتى الشّاجع

محبتُه الدّين ليس الدُّنا ... وخِلٌّ له السّاجد الراكع

إلى اللغو لم تصغ آذانه ... وللصلح فهو الفتى السامع

غدا سعيُهُ في سبيل الإله ... به يقتدي الناسك الطائع

فراياته كل عين تراها ... يرفرفها نصرُها اللامع

عليه الثناء إليه سنا ... تألّقه للورى شائع[1]

فلما صار حصن ينقل للإمام، جَعَلَ وإليه فيه العبري بجاد بن حمحام، وحين رجع الإمام المؤيد بنصر الخلاّق إلى الرستاق، جهّز جيشاً يموج بجأش قوي، أميره الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان النزوي، وأمره أن يقصد بذلك الجيش اللهام بلدة

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

الجّو المعروفة بتوام، فلّما مضى عبدالله إليها بالجيش المجري، صحبه الشيخ خميس بن رويشد الضنكي، وحافظ بن جمعة الهنوي، ومحمد بن سيف، ومحمد بن علي، ومن معهم من الأنام، فافتتحوها بالجيش اللهام، بعد طعن السنان وضرب الحُسام شعراً:

دانــت الجّــو للإمــام الرّضــيّ	بعــد جــزّ الرقــاب بالمــشرفيّ
ورأت لا علوهـــا بعلـــوّ	هــو مجــدي لهــا مــع الــسّمهريّ
فتـــرأى لهـــا خميـــساً خميـــساً	ورأت هونهـــا مـــع الهنـــويّ
ورآهـــا فتـــى علـــيّ ضـــراباً	مـــا حكـــاه إلا ضـــرابُ علـــيّ
ورأت من ســليل ســيف مــن ال	ســيف ردًى مــن جهــاده العمــريّ
أســتقامية لقــد نــصروا الــدين	فكـــانوا يـــد الإمـــام الـــوليّ
ووفاهم صــديقهم و هــو أعــلا	رتبـــة عنـــد ربهـــم والنبـــيّ
نــصر الله ناصــراً فهــو نــدب	ناســـك ذكـــره بكـــلّ نـــديّ
مزّق البغي بالقواضــب والــسّمر	فلـــم يبـــق بغـــي بـــاغ غـــويّ
إنمـــا حبّـــه التقـــي لـــيس هـــواه	فـــي وســـيم اللجـــين والعـــسجديّ
رضـــي الله عنـــه فهـــو جـــدير	برضـــى الخـــالق العلـــيم العلـــيّ[١]

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلّما صار حصن توام إلى الإمام، ولّى على أهلها الشائع بالشرف أحمد بن خلف،[١] وقد وقع حمّ شقاقٍ منشور، وتفاقم نفور بين الجبور، لمّا قتل محمد بن جفير المشهور، فأقوى بذلك قوى بني هلال، وأشرف نظام عقدهم إلى الانحلال، وقال لسان الحال مع الزيال انقرضت دولة أهل البغي والشّماس، ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾[٢]. وكان المالك يومئذ لحصن لوى المشيد، سيف بن محمد بن جفير النّجيد، فكتب محمد بن علي إلى الإمام الولي بما جرى بين أهل الشنئآن من الشأن، فأمر بجمع جيش، ونشر لوى لحرب لوِى، فجمع ونشر، ودلف إلى لوى كما أمر، فلما أحاط بها لم يترك لسيف بن محمد بن جفير نصيراً، بل تركه في حصنه محصوراً، وأمّا إخوته ووزاؤه لعدم الانتصار [٨٥٠] لجأوا إلى النصارى بصحار، فكانوا هم ومانع بن سنان ومن معهم من أهل العصيان يغزون أصحاب الإمام الحاصرين حصن لوى بجيشهم اللهام، وطفق أبناء محمد بن جفير يسعون في الصلح غدراً، ويمّدون شيعتهم المحصورين بالطعام وآلة الحرب سرّاً، فلّما شاع إلى والي الولّى محمد بن علي، ما كان منهم من الغدر، بعث جواسيسه، فوجدوهم مجتمعين بالمنقل، مما يلي جنوب الحصن على ساحل البحر، فلّما أخبروا محمد بن عليّ عن شأنهم، وما سمعوه من لسانهم، دلف إليهم برجال الجلادو ضياغم العناد ،فناجزهم بالبيض والسّمر الصّعاد، فلّما شرّد محمد بن عليّ أهل الضلالة، رجع

---

[١] أحمد بن خلف: هو الشيخ أحمد بن خلف بن أحمد الرقيشي، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، ولاه الإمام ناصر بن مرشد، ناصره الولاة في وجه هجوم ناصر بن قطن. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٧.

[٢] سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

إلى الحصار، فأحاط بالحصن إحاطة الهالة، وقد التفّ مع الـوالي المـذكور قبـل اصطلامه للحصن المشهور ناصر بن قطن ورجال المعمور، فلما طال على سيف بن محمد الحصار، وله تعذر الانتصار سلّم الحصن على الإرغام لـوالي الإمـام، شعراً:

نشرت لِوى ليـد الإمـام لواهـا ... فتألقــت بـسمائها وسـناها

نفضت غلوّ بغاتها ومـن الهـدى ... أضـحى يبـاري النيّـرات علاهـا

أضحى إمـام المـسلمين مليكهـا ... وبـه تـألق للعيـون هـداها

فهو الذي أنـأى الـضلال بعدلـه ... وهـو الـذي عنهـا العـدى أنباهـا

يغشى الحروب ولم يخف أسـادها ... مهمـا أتـت بزئيرهـا وظباهـا

يهوى الجهاد فـلا يـزال مجالـدا ... فئـة يفـيء إلـى الـضلال هواهـا

سلّ الـسيوف الآكـلات عداتـه ... ومـن النجيـع قناتـه روّاهـا

بالعدل يحكم فهـو منـشور لـه ... علـم بـه فئـة الـضلال طواهـا

دانت عمان له فصار لـه حمـىً ... لا يـستباح الهتـك حـين حماهـا

فعليه رحمـة ربـة مـا حركـت ... عذب الغصون المورّقـات صـباها(١)

فلما نشر محمد بن سيف بحصن لوى، لوى المرام، تـرك فـي الحـصن خيـار أصحابه، ومضى هو حتى وفد على الإمام، فلما أخبره عماً كان، وشرح له المكين والمكان، جهّز الإمام جيشاً يموج بجأش الشّجعان أميره الشيخ الناسك مسعود بـن

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

رمضان، وأمره أن يقصد به مسقط لمحاربه النصارى، وهم يومئذ من صولة الإمام و شراته حيارى، يرون من الخيال والأهوال أنواع القتال، شعراً :

صليل ضراب سيف المسلمينا ... يبثُّ صواعقاً في المشركينا
يلوح إذا أضاء البرق منه ... فيخطف بالوميض الكافرينا
جزى الله الإمام العدل خيراً ... لقد أحيا بموت الشرك دينا
إليه تهيبت طرف الأعادي ... رأى منها الصواعق والمنونا
مواكبه تسير بكل أرضٍ ... فتصطلم الأعادي والحصونا
مصاليت إذا شهدوا كفاحاً ... إليهم حرّه أضحى معينا
لهم من سّر ناصر جيش نصرٍ ... به قد شاهدوا فتحا مبينا
رعا الله بن مرشد فهو ندب ... وليُّ شاد عزّ المؤمنينا [٨٥١]
أباد المشركين وكل حزب ... عدوّ للشراة الصالحينا
علاً بفخارة والفخرُ يعلو ... بنسك يرضي ربّ العالمينا[١]

فلما مضى ابن رمضان بالعزم الأوضح، وأباد بالجيش كل بيد وأبطح، أقام بطوي الرّولة من بلدة المطرح، فنازل بالموّحدين فئة المشركين نزالاً استطار به شرر المشرفيّة، واتقد به ذبالُ السمهرية، وكان شعار أهل الفرقان، يوم التقى الجمعان الله أكبر، خسئت فئة المدامة، وربحت فئة الإستقامة، فلله درّ المسلمين، لقد فلّوا شوكة المشركين، فهدموا من مسقط لأهل الفرنجة بروجاً باذخة ومبان شامخة، وقتلوا من

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فئة المشركين رجالاً عجزت عن دفنهم أهلهم باليسار واليمين، ثــم إن المــشركين صالحت المسلمين بعد الملحمة الذريعة على فك ما بأيديهم في صحار من أمــوال العمور والشيعة، فلما وفّوا بالعهود رجع مسعود إلى الإمام بالسعود، ولم يزل مانع ابن سنان كامناً إلى الإمام بالعدوان، فلما تفاقم منه الفساد في دولــه الإســتقامة، و تأججت مظالمه بالضّرامة، استأذن مداد بن هلوان[١] الإمام في قتله، فأذن له إذ كان ذلك بذلك هو الجدير بفعله، فلم يزل مدّاد ينفذ كتبه إليه من لوى إلى دبــا، وعليــه بالثناء والحمد ما أبى، ولم يزل بذلك الشان مانع بن سنان يكسر أراءه ويــصوغ، ويقبل تارة إلى القول ويروغ ، تأنسه أفكاره تارة بأخذ شامخ الأركان ، وتوحــشه أطواراً بضرب الحسام ووخز السنان، فهو كما قال الشاعر في هذا الشان شعراً:

أسأتَ إليّ فاستوحشت مني ولو أحسنت آنسك الجميل

فلما تواترت إليه كتب مداد، وأطمعه الظن بالبياض والسواد، فركب ناقته، فانساب في القفار حتى أناخها بأرض صحار، فلما علم مداد أنه بصحار، التوى بعد النوى، بعث كتاباً يعده فيه بملكه حصن لوى عند وصاله بأكارم العمومة في ليلة معلومة، وكان الوالي يومئذ بحصن لوى شاجع الشجعان حافظ بن سنان، فأخبر مداد الوالي، بما جرى بينه وبين الإمام، في مانع من الكلام، وأشعره عن التحــصيل بالكامــل

---

[١] مداد بن هلوان: أحد رجال الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، عاش في القرن الحــادي عــشر الهجري، كلفه الإمام باعداد حيلة للقبض على مانع بن سنان، الذي تآمر عليــه، فنفــذها مــداد بالتعاون مع حافظ بن سيف والي لوى، وتمَّ القبض على مانع، وقتله. انظر: دليل أعلام عمــان، ص١٥١-١٥٢.

والبسيط الطويل على التفضيل، وقد بعث الوالي ليلة الميعاد آساد الجلاد، لاحاطة البلاد، وأمرهم بأسر ابن سنان، وقتل من يمانع عنه بالسيف والسنان، فلما أكمنوا ووافى بالرجال والجمال انسابوا اليه كالصلال، وأحاطوا به عن يمين وشمال، فأخذ حينئذ مانع إلى الوالي قهراً، فأمر به فقتل صبراً، وقتل من قومه مع الاضطراب من وقف للطعن والضراب، وسلم منهم من فرّ على ظهر الركاب، شعراً:

كذا كذا البغي في الدنيا عواقبه ... وصاحب الخسر يوم الحشر صاحبُه
قد ظنّ مانع بالطغيان ممتنعاً ... ولا يلين لحّد السيف جانبه
غدا أسيراً وسيف العدل يرفعه ... بوقع ضرب به فرّت مناكبه
ففي لوى ظنّ أن يضحى اللواء له ... وخاطبُ النّصر في الأعواد خاطبةُ
وما درى البغي يطوي ما تبشره ... ظنونه وبه تقوى مراتبُهُ[٨٥٢]
من الحُسام رأى كأس الحمام وما ... كأس الحمام له تحلوا مشاربُهُ
قد كان مانع ذا غدرٍ تؤيده ... به الأباعدُ من خير أقاربُهُ
قضى بعضب فلا يبكي عليه فتى ... تلوحُ في رُتبِ التقوى مناقبُهُ
تبسَّمَ الدهر لمّا مات من فرحٍ ... وكل من كان يقلي الدين نادبُهُ
فالحمد لله لا همّاً ولا حزناً ... عليه فليبكه من لايجانبُهُ[١]

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ثم إن الوالي، بعث إلى الإمام أساطيرَ كتابه، شارحاً فيها إليه عمّا جرى على مانع ابن سنان وأصحابه، فلّما وصلته، وفهم ما فيها من خطاب، دخل عليه السرور من كل باب، فما لبث غير يسير، حتى جمع جيشاً لحرب الصّير، أميره علي بن أحمد، ومعه عدّة من بني يعرب مشاهير، وكان ملك جلفار الصّير يومئذ من الأمم ناصر العجمي، ومعه عدّة من عساكر العجم، فلما وفد عليهم علي بن أحمد بالأجناد، جالدهم بالبيض الحداد، وطاعنهم بالسّمر الصّعاد، وتفاقم بينهم حرّ الضراب والطعان، حتى تركوا الأرجاء بسفك الدماء كالأرجوان، ثم إن أهل الفئة الباغية عجزوا عن الخروج، فمكثوا في الحصن وسائر البروج، وكان لحصن الصير برج خارجة جدره من جدره العليّة، وبه فئة تقاتل بعزيمة ربويّة، وللنصارى سفن تدافع بمدافعها المسلمين، وتذودهم برصاصها الحديدي عن الحصن الحصين، فلمّا كانت ذات ليلة حالكة الجلباب، ركض المسلمون على البرج، فاقتحموه بالمشرفية والحراب، ثم مالوا بجبال الحديد إلى الحصن المشيدّ، فاصطلموه بنصر الله الحميد، شعراً:

سلّمت بالشفار جلفار قهراً	إذا أتتها عساكر الدّين تترا
خفضت جاشها لجيش يحيل الجمـ	ـماءاً ويترك الماء جمرا
بهظ المعتدين بالبيض والسمر	وسدّ الآفاق بيضاً وسمرا
إن جلفار قد أتتها رجال	كلّ مُرّ يرونه هو أمرا
نالت الرشد بابن مرشد محضا	فاستنارت بناصر الدين نصرا
ناسك عادل إمام وليّ	نشر الدين بالصوارم نشرا
حبّه الدّين لا الدراهم والدينا	ر إن أشرقت لجيناً وتبرا
جيشه في مشارق الأرض والغر	ب به يبتغي من الله أجرا
نال منه التقي عدلاً وعزاً	نال منه الغوي سمراً وبتراً

رضـــــي الله عنـــــه فهـــو ولـــيّ حــمده في محافل الــشمّ يُقــرا[1]

فلما صار حصن جلفار إلى الإمام المؤيد، جعل الشيخ علي بن محمد والياً للإمـــام فيه العنبوري عبدالله بن محمد، وكان لجلفار حصن ثاني للنصارى علـــى ســـاحل البحر، متقلّصة به أهله، خشية الأسرة والقهر، وقد أقبل خميس بن مخزوم بـــبعض الأنام من الدهامشة الكرام، نجدة لأصحاب الإمام، فلّما سرّ بقدومه قلـــب الـــوالي، الموالي، [٨٥٣] وساء قلب القالي، أمر محمد بن علي الوالي ببناء حصن مقابـــل حصنهم العالي، فلما تمَّ، جنحت النصارى إلى السلم، فسلموا حصنهم العـــالي إلـــى عليٍّ، وسلموا من السنان والقضم، فترك الوالي المذكور فيه بعض رجاله، ومضى إلى نزوى، فشكر الإمام صُلحَ أفعاله، ثم إن الإمام كتب إلى حافظ بن سنان، والـــي لوى، بجمع عسكر وبشر لوى، وأن يسير بالجيش الجرّار إلى صحار، ويبني بهـــا حصناً شديداً، ليرغم به من كان طاغياً عنيداً، فلما وصله كتاب الإمام، شرع فـــي جمع جيش لُهام، واشتملت عليه من بني خالد والعمور وبني لام كثير من الأنـــام، وكان رجال جمّه من أهل صحار، يكاتبون الإمام بالانتصار، فلما مضى بـــالجيش إليهم حافظ، وقال له: قرّبت العمق لحظها إلاّ حظ بات بالعمق، ودلف ضحى إلـــى صحار من الغرب والشرق، وقد كان ذلك بغير خُلف، آخر المحرم، ســـنة ثـــلاث وأربعين بعد الألف، فكان مقامه منها بالبدعة عمّا حكت غير أهل البدعة، فاشتدت الحرب حينئذ بين المسلمين والمشركين، وتواترت بينهم الحمـــلات مـــن اليـــسار واليمين، حتى تفرقت المرافق بالبوارق، وتخرقت الصدور بالعواســـل والبنـــادق، فجعل المشركون يضربون المسلمين من الحصن برصاص المدافع، حتى تـــأخروا من المكان الذي أقاموا به، إلى مكان ثانٍ غير شاسع، وجاءت رصاصة من مـــدفع حصنهم بشهابها الوقاد، فأصابت الشيخ الثقة راشد بن عباد، فمات شهيداً، فـــأجره

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

على ربّ العباد بالجهاد، ثم إن الشيخ حافظ بن سنان شرع في بنيان الحصن، حتى أتمَّهُ بمحكم البنيان، ولم يزل يزلزل النصارى بوقائعه، ويقطع أصولهم، وفروعهم بقواطعه، وقد بعث إمام المسلمين الشيخ خميس بن سعيد برجالٍ موحدين إلى من بمسقط من النصارى المشركين، فلما سار إليهم بالعديد الأكثر، وأقام ببوشر، أتته رسل نصارى مسقط، تريد منه محض الإصلاح والأمان لرقابهم من ضرب الصفاح فأتحفهم بالأمان الأوضح، وسار بمن معه، حتى أناخ بأرض المطرح، فلمّا انتشرت فيها ألويته المنصورة، أتته أكابر نصارى مسقط، وأيديهم بالإذعان بعد المدّ مقصورة، فصالحهم على فك ما قبضت يدهم من مسقط والمطرح من المعاقل، وعلى رفع السيف عنهم من فئة الإمام العادل، وعلى السّياق لسوقهم ما يشتهونه تخيراً من الأمتعة المحللة للشرى، فلما تمَّ بينهم العقد على ذلك، رجع إلى الإمام، فحمد سعيه بذلك، ثم إن الإمام أنفذ لُهام جيش منصور إلى بلدة صور، فحصرها أياماً، ثم افتتحها إرغاماً، شعراً:

لوى ناصر المنصور قد رَف في صورٍ	فطمّس ناموس النصارى الشناظير
إمام فما يخشى الجموع إذا أتت	فمفرده في الروع جمُّ الجماهير
رما صور بالجمهور فابتز حصنها	فأضحى له العاصي نسيب العصافير[٨٥٤]
أصار نصاراها تلوك مآتماً	وتذري دماها بالدوائر في الدورِ
يقولون هاك الحصن والدار إننا	خذلنا فما جند إلينا بمنصورِ
ألا في سبيل الله سعى ابن مرشد	إليه جبان في الوغى غير مذعورِ
لقد نصر الدين القويم فلم يذر	له علما في موضع غير منشورِ
محامده ترضي الصدور وفخره	إليه بهاء باهر في الأساطيرِ
صَبُوّ إلى ما تنقش البيض من دم	بجند الأعادي لا لنقش الدنانيرِ
ألا رضي الرحمن عنه فإنه	إمام ولي لا يميل لمحضورِ[١]

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

و لمّا اصطلم صور بالعزم والإثبات، دلف إلى قريات، وكان بها حصن للنصارى، فبنى أمير جيش الإمام حصناً حوله، فتركهم بالحصر في حصنهم حيارى، فلما تجرعوا مرَّ المرام، سلموا الحصن إلى أمير جيش الإمام، فحينئذ صارت أقاليم عمان إلى الإمام جملة، واستعذب من النصر المعين والفتح المبين العلّة والنهلة، شعراً:

عمان أصابت بالإمام أمانها ... وقد حمدت عين السرور عيانها

فلاحت مع البشرى قصوراً عليّة ... مجاورةً أنهارها وجنانها

حوت كل نصر مستبين بناصر ... فوشى بشان النصر والفتح شأنها

رمى من غدا للدين خصماً بقاضب ... تفارق كفّ الخصم منها بنانها

رئيس العدى أضحى برأس قناته ... يناظر مع دلع اللسان لسانها

أصار قصور الخصم للخيل حلبةً ... تجرُّ متى تدعى بهنَّ عنانها

على ناصر يثني الجهاد فإنه ... به حمدت أهل الجلاد زمانها

فلا زال يسعى حيثما كانت العدى ... إلى أن رأت شرَّ المكان مكانها

لقد نال رضوان الإله بسعيه ... فإن به أهل الجهاد أعانها[1]

فدانت للإمام جميع الديار، ماخلا مسقط بصحة الأخبار، ظل ناصر بن قطن يغزوا أقاليم عمان، ويدلف من الحسا إليها بالرّكبان، يسلب من بواديها كرائم العيس، ويقتل مع الأقتدار من صادف من مشاهيرها كل رئيس، ثم يرجع إلى الحسا ببغيه يتحسّا، فلما تواترت منه الغارات، وتفاقمت بدلفاته الآفات، كتب الإمام إلى محمد بن سيف الحوقاني بالتجسس عن ذلك الشّاني، فإذا علم بقدومه إلى عمان، فليسعى له دونها بالأبطال والشجعان، فلما وصله كتاب الإمام، بعث إلى تجسيسه كرام الأنام، وحين ناجت ثغور الجواسيس، أذن الوالي بقدوم ناصر بن قطن الهلالي،

---

(1) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

سار إليه بجيش جرار من بدوي وحضري كرّار، فلما علم ناصر بجيش القهر، رجع، فانحصر في حصن الظفرة، وقد حمته رجال بني ياس، وهو مع تلك الحماسة من الحياة في ياس، ثم إن ناصر بن قطن، بعث رسله إلى الوالي يطلب منه محضة الأمان، وليرجع ما أخذه من عمان لأهلها، إذا وصل إلى أراضيه والأوطان، فصالحه محمد بن سيف على ذلك لعدم الزّاد، وابتعاد البلاد، فلّما رجع الوالي إلى نزوى، وأخبر الإمام عمّا كان بينه وبين ناصر بن قطن من الشرى والسّلوى، تواترت عنه صحائح الأخبار من الديار، على أنه قد جمع رجال الظفر ليصطلم حصن الجوّ بهم بالقسر، وكان والي الحصن المذكور أحمد بن خلف المشهور، ولما دلف إلى الجوّ بالأقوام، أعانته بغاة توام على والي الإمام، فأطاعوا شيطانهم المريد، وأعانوا ناصر بن قطن العنيد، [٨٥٥] فحصروا الوالي بالعدد والعديد في القصر المشيّد، شعراً:

لا درّ درُّ بغاة الجوّ إنهم	على الضّلال أعانوه فتى قطنِ
أتوا إليه فأضحى قدوة لهم	وكان بالبغي أخلاهم من الفطنِ
توهم الدين أضحى في أسنته	فظل خصماً لدين الله والسننِ
بجنده خادعته أذنه بوغى	ما آفة القلب غير العين والأذنِ
حتى رأى ظنه محض الضنون فلم	ينل بها غير طعم الصّاب و الحبنِ
قد فاته الخير لكن لم يفته غداً	شرّ تجرّع منه حنظل المحنِ
من شأنه الغدر لا ينفك في محن	تزفه لدواهي القبر والكفنِ
فليت ناصر إذ كانت سرائره	شراً عليه لحاه الله لم يكنِ
أفنى الزمان هموماً والزمان بها	معمّراً وهو من جمّ الهموم فني
أضحى فتى قطن بالبغي مدّرعاً	وللردى شام عضباً منه في الذقن[١]

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلما أحاط ناصر بن قطن وشيعته بحصن توام، وثبت عليه من الباطنة والظاهرة جنود الإمام، ولمّا ركض بهم أحمد بن خلف عليه وهزمه، وما ترك عصبة إليه، ثم أقبل من نزوى إلى توام والي الإمام عبدالله بن محمد بجيش لُهام، فلما فاته جلاد جيش الناكثين، هدم حصون الجوّ، ما خلا حصن إمام المسلمين، وقد كان عبدالله نجل محمد المذكور كبير ولاة الإمام على المشهور، شعراً:

ألا إن عبدالله نجل محمد ... كبير ولاة الأريحي بن مرشدِ
له السَّبْقُ في يوم الفخار بنسكه ... على كل وال للإمام ممجّدِ
وكلٌّ له فضل ولكنّ فضله ... تفوه به الأفواه في كل مشهدِ
غدا نسكه يرضي الإله وبأسه ... به ويرضي حدّ المشرفي المهنّدِ
يضيء إذا سلّ الظبا موقف الوغى ... يضيء إذا صلى معاً كل مسجدِ
أضاءت أراضي الجوّ كالجو إذ أتى ... فأضحى لها كالكوكب المتوقدِ
فهدّم بنيان الغواة ولم يذر ... سوى معقل الندب الإمام المؤيّدِ
ولم يبق أنفاً شامخاً لمعاند ... ولا مرفقاً منهم رفيقاً إلى يَدِ
غدا سيف نصر للإمام مجرّداً ... إذا هزّه في ماقطٍ كلّ معتدِ
ألا في سبيل الله إماض سعيه ... لقد كان وسمي الندى وسنا النّدي[1]

ولمّا نأت فيه الطغاة عن توام، ورجع عبدالله مؤيداً بنصر الله إلى الإمام، تفرقت شيع ناصر بن قطن في البلاد، فلجأ مع النصارى بصحار جرثومتهم عمير بن محمد ذو الأحقاد، وذهبت طائفة منهم بالفرار إلى عقبة جلفار، فكانوا يقطعون السبيل، ويصلون العدوان الطويل، فطفق يغازيهم الوالي محمد بن خلف، ويسقّيهم بغاراته كأس المكاره والتلف، فعقر عليهم عدّة من [٨٥٦] الصلندحات، وأبكى

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

عليهم جمّة من النائحات، وقد غزا ناصر بن قطن الباطنة بأقوام، فأخذ عدّة من إبل بني خالد، وبني لام، وسلب ما على النساء من الحلي والكساء، ثم رجع بإلمامه إلى الحسا، ثم دلف ثانية إلى عمان، فقصد أرض باطنتها للغارة بالعدوان، فلمّا شاع خبره إلى الإمام، أنفذ جيشاً أميره العبري علي بن أحمد القمقام[١]، ومعه أحمد بن بلحسن البوشري[٢]، ذو الإقدام، ومحمد بن الصلت[٣]، جرثومة بني ريام،ومراد بن راشد بن حسام[٤]، وأخاير الشراة الكرام، فصادف جيشهم جيشه بأرض لوى، فكشفوه، وطووا إليه لنشر اللّوى، ثم مال بجيشه إلى مجيس، فكشفه علي بن أحمد العبري بكل رئيس، فلمّا تقصّد جيشه من اليمين والشمال، قصد ببقيته أرض الخروس من الشمال، فلحقه أحمد بن بلحسن، ومراد بن راشد برجال النزال، فقاتلوه قتالاً فجيعاً، حتى قتلوهم، رحمة الله عليهم جميعاً، شعراً:

---

[١] علي بن أحمد العبري، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد قادة جيوش الإمام ناصر ابن مرشد اليعربي، أرسله على رأس جيش به بنو عمه آل يعرب، وأمره باسترداد قرية جلفار-الصير-من يد ناصر الدين العجمي ومن معه من الفرس، فحاصر الجيش حصن الصير، ودارت الحرب، ولما كان العجم يمتلكون سفناً حربية مجهزة بالمدافع، فقد صعب ذلك على العمانين الوصول إلى الحصن، فظلّوا يحاصرونه حتى فتحوه ليلاً على غرّة، ثم سار إلى جلفار، ففتحها بعد هزيمة أهلها، وطلبهم للصلح، فصالحهم، وولى عليها والياً، وعاد إلى نزوى. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١١٧.

[٢] أحمد بن بلحسن البوشري: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد رجال دولة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، استعان به الإمام مع غيره من الرجال على تثبيت دعائم دولته،، ثم قتل في إحدى المعارك التي خاضها ضدّ ناصر بن قطن. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٢٧.

[٣] محمد بن الصلت: محمد بن صلت النبهاني، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد قادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

[٤] مراد بن راشد بن حسام: قائد بطل، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، خاض الحروب من أجل تثبيت دعائم دولة ناصر بن مرشد، وقتل في إحداها. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٥٢.

مثـــل هـــذا فلتـــصنع النجبـــاء شـــــهد الله أنهـــــم شـــــهداءُ
معـــشر جاهـــدوا البغـــاة وقـــالوا لـــيس يلـــوى لوائهـــا الأوليـــاءُ
إن من مـــات فـــي جهـــادٍ مـــن الله إليـــه خيـــر الجـــزاء الجـــزاءُ
إنّ نيـــل البـــيض الحـــسان وعـــدن بظبـــا بـــيض دونهـــا الـــسمراءُ
فـــي ســـبيل الإلـــه مـــاتوا كرامـــاً فعلـــيهم تبكـــي الـــورى الكرمـــاءُ
قـــد أراقـــوا دم العـــداة فأشـــرقن علـــيهم لمـــا أُصـــيبوا الـــدماءُ
أصبحوا كالـــشموس يـــوم كـــسوف لا ضـــياء بهـــم لهـــا أو رجـــاءُ
اســـتقامّية إلـــيهم مـــن الـــصّلاح اتّقـــاد يعـــوم فيـــه الـــضياءُ
وكـــرام لا يبخلـــون إلـــى الحـــرب بـــنفس إن شـــحت الـــبخلاءُ
فوّفـــوا الزهـــد بـــالجلاد فمـــاتوا كرمـــاء بهـــم يعـــيش الوفـــاءُ
فعلـــى الله أجـــرهم إذ هـــم شـــوس كـــرام أفاضـــل أتقيـــاءُ[1]

ولما ساير جيش الإمام إلى أرض الخروس، ورأوا أجسام أصحابهم، رحمهـم الله، بلا رؤوس، وقد فاتهم ناصر بن قطن وأصحابهم الطـاغون، قـالوا كمـا يقـول المصابون الصابرون: إنا لله وإنّا إليه راجعون، فلما واروا أصحابهم في الـصعيد، رجعوا بعدما قبروهم إلى أوطانهم بالصبر الحميد. ثم إن محمد بن حميد بن عثمان غزا أرض السرو، ولم يدلف إلى عمان، والوالي بحصن الغبيّ في ذلـك الزمـان محمد بن سيف الحوقاني، ومن الخاصة معه سعيد بن خلفان، فأنفذ إليه باسـتعجال رجال النزال، مع الشيخ سعيد النجيد المفضال، فلما صادفوه، أحاطوا به عن يمين وشمال، فأسروه وأتوا به إلى الشيخ محمد بن سعيد المقتدي بالشريعة، فلمّا أسلموه إليه بمسجد الشريعة، سأله أن يردّ عليه ما كسبَ ونهبَ، فأبى وتغلّب، فأمر عليـه

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

بالأسر والقيد بعد التأبي، فأُسِرَ وقُيِّدَ بحصن الغبّي، ومضى محمد بن سيف إلى الإمام بحسن الوفاق، فوافاه ببلدة الرستاق، فلما أخبره عن الموضوع والمجمول، والفروع والأصول، [٨٥٧] من قبل محمد بن عثمان المكبول، أمر بإلمامه إليه، فلما حضر لديه، أمر بحبسه في سجن الرستاق الأوفى، فلبث فيه شهراً وتوفي، ثم إن الإمام المتسربل بالبرهان جهّز جيشاً يموج بالشجعان، أميره سعيد بن خلفان، وعضده بعمير بن محمد بن جفير، المشهور بالضرّاب والطعان، فمضى الجيش تحت ظل العوالي، لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي، فألتقته بنو ياس برجال كثيرة في موضع يسمى الشعب، قريب من الظفرة، فتصافحوا بالصفّاح، وتخاطبوا بالرماح، فسجدت حينئذ الجباه بالمشرفية، وخرّت الأذقان بالسمهرية، وكان لبني ياس يومئذ رئيساً، سقير بن عيسى، فنصر الله أهل الاستقامة، على أهل الظلامة، فقتل سقير المريد، وأخوه محمد بن عيسى العنيد، ومن قومهما جمّ يتلاشى به التعديد، وطلب من بقي منهم محض الأمان، من أمير جيش الإمام المؤيّد بالبرهان، سعيد بن خلفان، فَمَنَّ عليهم بذلك مِنَّة الأجواد، ورجعوا إلى الظّفرة من الظفر بسلب المراد ، وقد رجع بالجيش إلى الأوطان، والي الإمام سعيد بن خلفان، شعراً:

ألا إن أهل البغي بالبيض قُتِّلوا	وبالدم من وخز الأسنّة غُسّلوا
أرادوا الردى للمسلمين ببغيهم	فبادوا وسيف البغي للمرء يقتلُ
غدوا قوت غربان وسيدٍ وقشعمٍ	ولم يهنهم من فضلة الزاد مأكلُ
أتيحَ إليهم كل عضبٍ له أذاً	تخارج عنه الغمد في النفس مدخلُ
إلى البيض علٌّ بعد نهلٍ من العدى	غدا ولها في جانب الحدّ منهلُ
بقتل شقير ذي الأذى وشقيقه	لقد عاش في أفراحه المتّمولُ
رمته ببيض الهند والسمر عُصبة	لها حنظل الهيجاء أريٌ و سلسلُ
غدا في الثرى مُثرٍ ويا بؤس صحبه	وكلّهم في رأسه صَلٌ مُنَصّلُ
يقول لسان الحال عند زيالهم	به هكذا من يفعل البغي يفعلُ

جزى الله جيش المسلمين بسعيه	سروراً به الجنّات والحور تحصلُ
وشرّف بالفضل الجزيل إمامهم	فتى مرشد إذ فضله المحض أفضلُ
ألا رضي الرحمن عنه فإنّه	إمام هدى ما نسكه المحض يُجهلُ[1]

ثم إن الإمام المؤيّد بالبرهان، أمر سعيد بن خلفان أن يمضي برجاله عل كل عرندس، لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي من المورد المعروف بدعفس، فلما مضى سعيد إليه بالشجعان، أخذها سائمة من ذلك المكان، فتركها عند عمير بن محمد بن جفير أمانة، وحذره الخيانة، فلما رجع سعيد بن خلفان إلى الأوطان، ترك عمير الإبل، التى استأمنها عند أخيه علي بن محمد، فمضى بها لمّا خان، إلى ناصر بن قطن المتمرّد، فما زال ناصر يغزوا أطراف الباطنة بإلمامه، ويسلب كرائم سوائمها بلئامه، حتى أخاف بدوها وحضرها بدلفاته، [٨٥٨] وأوحشها بآفاته، فألجأ بشروره، والطغيان أكثر أهل البادية إلى البلدان، ثم دلف دلفة أخرى، فأقام بقليب دعفس وأنفذ الغارات إلى الظاهرة في زادٍ وأصيل وحندس، فلما شاع خبره إلى الإمام الناسك، أرسل جيشاً عليه أميره اليعربي سيف بن مالك، ومعه من مشاهير جماهير العرب أكرم القمقام، وسيف بن أبي الضرب، فلما مضى الجيش إليه، هجم أول الرؤساء حزام عليه، فتفلّقت بالضراب من أحزاب بن قطن الجماجم، وتخرّقت بالطعان منهم الرقاب والغلاصم، فنصر الله أحزاب المسلمين على الباغين، فقتلوا ناصر بن قطن ومن معه أجمعين، شعراً:

مضى جيش الإمام إلى الجهاد	فصرّعَ بالظُّبا فئة الأعادي
فأضحوا في الصعيد بضرب بيضٍ	ووخز أسنة السمر الصعادِ
فها كفن أصيب له وقطن	فتى قطن المجاهر بالعنادِ
تزول بغيه فمضى بحتفٍ	إلى دار الخلود بغير زادِ

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

لقـــد وجـــد المـــرام أمـــرً طعـــمٍ وكـــان لغيـــره أمـــر المـــرادِ
أتـــى بلئامـــه يبغـــي علـــوّاً فاســـلمه الغلـــو إلـــى نفـــادِ
تـــصرَّم عمـــره لا لاقـــى خيـــراً وشـــيعته بـــضراب ظُبـــاً حـــدادِ
تـــوهم ناصـــر ليفـــلَّ شـــاناً لناصـــر ذي المحاتـــد والأيـــادِ
أمـــا علـــم الإمـــام لـــه ارتيـــاح وودّ للجهـــاد وللجـــلادِ
ومـــن كـــسليل مرشـــد فـــي رشـــادٍ وصـــلح راغـــم أهـــل الفـــسادِ
إذا أســـد الـــوغى دلفـــت إليـــه غـــدت بفرارهـــا مثـــل النقـــادِ
إمـــام بـــائتلاف العـــدل أضـــحت إمامتـــه الـــسنيّة فـــي اتقـــادِ
إذا مـــالاح لاح لـــه بهـــاء يـــراقم ضـــوءه وجـــد الـــبلادِ
ســـرت أعلامـــه شـــرقاً وغربـــاً فزفـــت فـــي الحواضـــر والبـــوادي
لقـــد هجـــر الرقـــاد لنيـــل أجـــرٍ ولـــم يـــرعَ الرعيّـــة بالرّقـــادِ
ففـــي المحـــراب متّقـــدٌ بنـــورٍ وفـــي يـــوم الجـــلاد وكـــل نـــادِ
عـــدوّ للبغـــاة كبيـــر حُـــبٍ إلـــى أهـــل الدرايـــة والرشـــادِ
ولـــي كـــالولي لـــه انـــسجام إذا شـــهد الأعـــادي كالعهـــادِ
أســـال دم العـــداة بكـــل ربـــعٍ و مهمهـــة موحّـــشة ووادي
حلـــت بأمانـــه وســـمت عمـــان فـــأخلا الخـــصم منهـــا بالجهـــادِ
وأضـــحى جـــدّه فـــي كـــل يـــومٍ على رغـــم الأعـــادي فـــي ازديـــادِ
لـــه الـــرحمن مـــن نـــدبٍ إمـــامٍ بنـــور العـــدل أهـــل الـــدين هـــادِ
له البـــشرى بـــصلح الفعـــل ترجـــى من الرحمن في يوم التّنـــادِ[1] [٨٥٩]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلما قُتل ناصر بن قطن، ورجعت أحزاب المسلمين إلى الوطن، نمـا الـسرور، و انطفأت من البغاة النائرة والشرور، ولبست أرض عمان وشائع الأمان، بعد الإمام المؤيّد بالبرهان، فغدت أهل المساعي الحميدة تسعى إليه، وألسنتهم بالشكر له تثني عليه، وقد خلص له حصن صحار من يد النصارى بالحصار، ولم يبقَ بعمان لأهل الضلالة أفياء ظلال، ولا لأخذ يمينيهم والشمال، أرقال مشمعلة شملال، حتى قـال الشكور لمّا عمّ عمان من أمان الإمام النّور بلدة طيّبة و ربّ غفور، ولم يبقَ مـن المقطبين بوجه عبوس، المستنكفين عن طاعة الإمـام المؤيّـد بالنـاموس، غيـر المتحصنين بقلع مسقط والمطرح من النصارى الطموس، فإنهم ما برحوا بالحصرة في حسرة، وبالفكرة في فترة، يلوكون ضريع النّكال بأسنان كلال، ويرتشفون سـمّ صلال الزيال بالغدو والآصال، وكل واحد منهم بسمّ حيّات الحياة، تكاد نفسه تغيظ، ويأتيه الموت من كلّ مكان، ومن ورائه عذاب غليظ، يلقون الـسمع إلـى الـذعر الدالف إليهم، يحسبون كل صيحة عليهم، يخاطبهم لسان الحال في الغدوّ والآصال، إذا تعلّلوا بالعديد والآلات المعددة، أينما تكونوا يدرككم الموت، ولو كنتم في بروج مشيّدة، ألا إنما الشرك شرك، لا يرى الكافر له به النجاة والمغفرة، قتل الإنسان ما أكفره، فهم إذا نظروا راداً أوأصيلا، لم يروه إلاّ ظلاماً مستحيلا، يقول لسان حالهم، إذا أخذت أضواء أعينهم طامورة الهّم التي بظلماتها تمور، ومن لم يجعـل الله لـه نوراً فماله من نور، فهم إذا اضطجعوا على الديباج، استحال شوك القتاد، فأنّى لهم بالرّقاد، وإذا قضموا سكر الأهواز، استحلا هبيد حنظل الأقواد. فأنّى لهم بمريّ المراد، وبالجملة لو دبّت على أحدهم رِجلُ نملة على اليسار أو اليمين، توهمها من الذعر كركدن الصين.

وأما عمان بأمان الإمام المؤيّد ناصر بن مرشد، تجرّ وشائعها الـشائعة بـالأنوار، وتسري دقائق أسرارها بأنواع أنوارها إلى الدّانية والشاسعة من القرى والأمصار، يقول لسان حالها والحديث شجون، إذا نظرت لنضرة ناصرها الناظرون، لمثل هذا فليعمل العاملون، فللّه دره من إمام عادل ناسك، له في ملاحب الفـضل مـشاعر ومناسك، وناهيك من ولّي قد أحيا الهدى بصُلح الأعمال، وأمات بعدلـه جرثومـة البغي والضلال، يقول الناسك إذا نأى أو دنى منه، رضي الله عنه، وكفى عمّا فـي الصدور من حمده في السطور، كيف لا وفخره بعد وفاته كفخره أيام حياته، شعراً:

إنمـا الأوليـاء يـشرق فـي المحيـا ... لـك الله نـورهم والممـات
عمـروا الـشرق والمغـارب بالعـد ... ل فأضـفوا الـبلاد بالبركـات
إنما ناصـر بـن مرشـد قـد حـاز ... ثنـاءً فـي موتـه والحيـات
في سطور وفـي صـدور لـه حمـد ... أنـارت بـه ثغـور الثقـات[1]

فلله درّ فتىً، عاش نقيّاً، ومات وليّاً، فعنه أهل الإستقامة راضون، ولـه موالـون متولّون، وكانت وفاته بنزوى من غير خلف، يوم الجمعة، لعشر خلون من ربيـع الآخر، سنة تسع وخمسين بعد الألف، وأمّا مدّة أيام دولته عما أنطق الصواب بـه الألسنة[٨٦٠] ست وعشرون سنة، وقد رثته شعراء عـصره بقـصائد فائقـات مطوّلات ومختصرات، ورثيته أنا بهذه القصيدة الدالية المشرقة اللؤلوئيـة، فقلـت شعراً:

حوى محض ومض النور قبر بن مرشد ... خلا وله لم يخلـو حمـد بمـشهد
فللـه مـن نـدبٍ تـألق سـعيه ... بنور هدى يـسعى بـه كـل مهتـد
إمـام لـه يُعـزى لـواء ولايـةٍ ... فمـن نـشره نـشر الألـوّة يجتـد
فكـم قائـل مثلـي ألا هـل سـمعتم ... ثوى قبل أن يـودى خـضمٌ بملحـد
وهـل قبلـه شـاهدتم أيهـا الـورى ... بشمس توارت تحت تـربٍ وجلمـد
لـك لله قـل فليبكـه كـل فاضـلٍ ... بدمع الحيا في كـلّ ربـعٍ ومعهـد
بكى النصر لمّا مات ناصـر والهـدى ... وأضحى يباكي الغمـد كـلّ مهنـد
وقال لسان السمر هـل كـفّ طـاعن ... يسل بهـا مـن بعـده قلـبُ معتـد
لقد مات حرُّ الـضرب والطعـن بعـده ... أمـا مـن جهـاد بعـده لمؤيّـد
على ناصـر يبكـي دمـاً كـل منبـر ... على ناصر يبكي جوىً كـل مـسجد
لـه الله مـن نـدبٍ ولـيّ يجلّـهُ ... ويثني عليـه كـل عقـلٍ مجـرّد
لقد كان عـدلاً ناصـر الـدين بالظُّبـا ... ولم يصطحبه كل ذي صـارم صـَد

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

إذا مـــا تجلـــىَّ للكفـــاح بعزمـــه أشـــارت بـــه أهـــل البـــسالة باليـــدِ

لقد باع فـي سـوق الجهـاد حـشاشة ولم يـكُ مقـصوراً بقـصرٍ مـشيّدِ

وليّ عـن الأعـداء لـم يلـوِ عزمـه فصمصامه عن هامهم غيـر مغمـدِ

قلـى صـرّة الـدّنيار إذ لاجنانـه إليـه وداد فـي لّجـين وعـسجدِ

له ومـض نـور فـي نـديّ ومـسجدٍ فَسَل كُرَةَ المحراب عنـه أو النـدي

براهينـه تـروى فـسل كـل نـاطق أريـب وسـل عـنهنّ كـلّ مجلـدِ

ففي وجهـه الوضـاح للنـور مبـزغ فإن (الغيينا) مـن وجهـه المتوقـدِ

يكاد عليـه الغـصن يثنـي إذا انثنـى ويتلـو إليـه الحمـد كـل مغـردِ

مُقلّ مـن الـدنيار مثـر مـن الهـدى يبيد الأعـادي فـي ربـوعٍ وفدفـدِ

مهيـب لـه بـين الـصحّاب بـشاشة لها في العدى وخزّ بنجـر و أكبـد

سـما بفخـار دونـه كـل سـيّد فما سيد يحكيـه فـي فخـر سـؤدد

يرى عسلاً طعن العواسل فـي الـوغى وريق الحسام العضب ريقـة خَـردّ

إذا ذكـرت يومـاً إمامتـه انبـرى إلى ذكرها نور كثير التوقّـدِ [٨٦١]

لقـد فـاق فـي حلـمٍ وعلـمٍ وهيبـةٍ وجـدَّ لمجـدٍ سـامكٍ متفـردِّ

لقد كان في التقوى وفـي الـدّين قـدوةً به كلّ من يرضى به الـدّين يقتـدي

إذا فادحـات الـدّهر هبّـت بنكبـةٍ تماسـك عـن نيـلٍ ولـم يتـأوّدِ

ألا إن رضـوى فـي الـشدائد دونـه ويخشاه إن جاس الوغى كـل مزبـدِ

فلم يبق فخـراً فـي الثـواب لناسـكِ ولم يبق مجداً فـي العلـى لمَمَجَّـدِ

غدا الـدّين طلقـاً باسـماً فـي حياتـه ولم يمشِ بالأنصاب مـشي المقيّـدِ

لقد فقدتـه النـاس والبـاس والـوغى وكـل عليـه وجـده لـم يُـصردِ

وقـالوا عليـه رحمـة الله إنّـه لقـد كـان طهـراً قـدوة المتعبّـدِ

بـه تـورق البيـداء وهـو سـميدع إذا غـرّد الهنـديّ لا لمغـردِّ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

له الحمد مـــن ثغـــر الـــورى فمحمـــد   بـــسيرته يرضــــى وربٌّ محمّـــدِ(١)

وكان قبره بنزوى مع مساجد العُبّاد، عليه رحمة ربّ العباد، فهذا ما لاح لي مـــن سنا سيره، وشائع خبر خبره، لمجرد الرواية عن أهل الدراية، وأنا أستغفر الله مما خالفت فيه الصّواب، وأسأله المغفرة التي لا ينالها غير التائب الأواب، وما توفيقي إلاّ بالله، وكان الفراغ من نظم سلك هذه السيرة الرائقة للنـــاظمين والنـــاثرين مـــن هجرة سيدنا محمد الأمين عليه صلوات ربّ العالمين، سنة ألف ومـــائتين وواحـــد وستين، وناظم سلكها السائل ربه عنه وعن المسلمين دفع كل ضيق، ســـليل ابـــن رزيق.[٨٦٢]

الإمام سلطان بن سيف :

الإمام سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بـــن مالـــك بـــن بلعرب اليعربي ، بويع له بالإمامة في اليوم الذي مات فيه ابن عمه الإمام ناصـــر ابن مرشد رحمه الله ، و هو يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شهر ربيـــع الآخـــر سنة ست و خمسين سنة و ألف سنة من الهجرة النبوية ، فقام بالعدل ، و شمر في ذات الله ، و نصب الحرب لمن بقي من النصارى في مسقط و المطرح ، و ســـار إليهم حتى نصره الله ، و فتح مسقط و المطرح ، و ابتزهما من النصارى ، و سبب فتوحه لهما أنه لما مات الإمام ناصر بن مرشد ، رحمه الله ، و أفضت إليه البيعة ، لم يمكث بنزوى إلا أياماً قلائلة حتى دلف إلى النصارى ، فأقام بالمطرح نحو بئر الرولا بمن معه من الجند ، و كان حد معسكره منها إلى أقصى ســـيح الحرمـــل و أقصى دار سيت بكمال عدة و عديد ، فكان كل ما طلعت الشمس أمر قومه بالدلفة إلى حصن مطرح و سائر بروجها ، فيركضون عليها كما أمر ، فيرامون النصارى بالتفق ، و النصارى يرامونهم من الحصن و سائر البروج بالتفق و المـــدافع إلـــى آخر صلاة العصر ، فيرجع عسكره إلى المعسكر ، و كذلك صنيعه بمسقط في كل يوم .

أخبرني غير واحد ممن شهد أبوه وصحب أبيه ذلك العصر، منهم الشيخ معروف ابن سالم الصايغي، وحميد بن سالم، وخاطر بن حميد البداعي[١]، وغيرهم، وقد دخل كل منهم بعضه في بعض بالصحّة الكائنة مع المعاينة، أن النصارى المالكين بلدة مسقط والمطرح، كانت لهم أربعة مراكب عظام، وفيهنّ من الرجال وآلة الحرب شيء كثير، فصرفوا إلى المطرح مركبين نصرة لأصحابهم القابضين الحصن وسائر البروج، يرمون بالمدافع أصحاب الإمام سلطان بن سيف، ورمي أصحاب المركبين أصحاب الإمام بالمدافع متصل غير منفصل، حتى تراجع المسلمون أصحاب الإمام إلى معسكرهم، قالوا : وقد مدّ النصارى المالكون مسقط وسائر بروجها سلسلة طويلة من حديد، أولها في البرج الذي أعلا بيت أبي محمد ابن رزيق، وآخرها في البرج الذي يقابله في الجبل المشرف على قلعة الرّواية، التي بناها السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، ولم يكن في ذلك الزمان في الجبل الذي هو أعلاه بيت أبي برج، ولا في الجبل الذي يقابله برج، بل كان في كل واحد منها بومه عظيمه، والبرجان المذكوران والقلعة، قد أحدثهن السيد سلطان بن الإمام، قالوا : وجعل في أول تلك السلسلة إلى آخرها سُرراً من حديد، في كل سرير خمسين رجلاً، وارتفاع السلسلة هذه خمسون ذراعاً عن الأرض، فإذا دلف إليهم المسلمون رموهم برصاص التفق، فيمنعوهم عن الوصول إليهم، فضلاً أن يصلوا إلى السور، وقد حفروا دون السور خندقاً عظيماً، وأجروا عليه الماء من البحر، فكان عرض ماء الخندق عشرين ذراعاً، فما زال الأمر بينهم كذلك إلى ستة أشهر، ولم يجد المسلمون لدخول سور مسقط، ولا لاستيصال حصن المطرح من النصارى سبيلا، لشدَّة حذرهم، وقوّة بأسهم، وتفاقم حربهم، وصبرهم على القتال، واسم هؤلاء النصارى البرتكيس، وولايتهم أعني بلدهم الكبيرة جوّه، ولهم غيرها

---

[١] خاطر بن حميد البداعي: شيخ، مؤرخ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، عاصر الأحداث التي واكبت دخول مسقط، تحت إمرة أحمد سعيد آلبوسعيدي، فكان ممن أرخوا لهذه الفترة. انظر دليل أعلام عمان، ص ٥٧.

بلدان كثيرة، وكانوا في ذلك الزمان هم أشد من سائر النصارى قوّة وبأساً ومالاً. وحكي لي الشيخ محسن القصاب[1]، وقد عاش مائتي سنة، قال : وكنت أنا أيام تصنع البرتكيس عقبة الخيل في بلدة شيراز، فسمعت غير واحد أن البرتكيس تصنع عقبة من المطرح المشرفة على المطرح وريام، ومراكبهم متواترة على بعضها بعضاً، تطرح الأحجار التي تحملها من بلدانها على ريام، وبه كان ترصيفهم لهذه العقبة، وما احتاجوا من أحجار مسقط ولا المطرح إلى حجرة واحدة، إلى هكذا بلغت قوتهم في المال والرجال، انتهى كلامه.

وكان أمير النصارى الذين بمسقط والمطرح رجل يسمى فريرة، وله وكيل بمسقط من الكفرة يسمى سكبيلة، مذهبه مذهب البانيان، يعبد البحر والبقر، وله ابنة جميلة الصورة، صغيرة السن، لم يبن نهاد لها، فخطبها منه النصراني فريرة، وبذل له في تزويجها مالاً كثيراً، فلم يرض سكبيلة أن يزوجه بها، واعتذر إليه بسبب خلاف المذهب بينهم، لأن النصارى يأكلون لحوم البقر وغيرها، ويشربون الخمر، وسكبيلة وأهل مذهبه لا يشربون الخمر، ولا يأكلون اللحوم، [٨٦٣] وعندهم كل من يأكل اللحوم ويشرب الخمر لا يجوز أن يزوّجوه ببناتهم، ولو يبذل لهم ملء الأرض ذهباً، فلما يئس رئيس النصارى من التزويج، وصح معه أن سكبيلة لا يزوجه بابنته رضىً، تهدده، وقال له: إن لم تزوجني بابنتك رضىً، وإلاّ أخذتها منك كرهاً، وأغلظ عليه الكلام، فلمّا خشي منه الاغتصاب والعذاب، قال له: سمعاً وطاعة، لأزوجك بها، ولكن أمهلني إلى سنة زماناً، كي أصوغ لها مما تحتاجه العروس من الحلي، وفي بلدك مسقط ما أحد يعرف صنعه الحلي الذي تلبسه نساؤنا، فإني لأرسل أحداً من قبلي إلى بلدة نانجة، وهي بلدة بالهند مقتربة من مدّي المعروفة بكتش، وصوّاغ نانجة هذه مشهورون بصياغة الحلي المحكمة، لا يناظرهم أحد في

---

[1] محسن القصاب: محسن القصاب العجمي، شيخ، مؤرخ، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، أرخ للأحداث التي جرت في عصره، وأخذ المؤرخ ابن رزيق عنه، وعن أبيه أيضاً. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٣.

الصياغة المحكمة، لاسيما في حلي الذهب، لاندّ لهم فيها، وقد أضمر سكبيلة الغدر للنصارى، لمّا أكرهوه على التزويج، فلما أجابه رئيس النصارى على ذلك، جعل يكاتب الإمام سلطان بن سيف سراً، ويعده بفتح مسقط والمطرح على يده، وأخبره في كتبه التي بعثها له عما جرى بينه وبين النصارى من قبل التزويج، ونفوره عنهم بسبب ذلك، ثم أرسل إليه رسولا، فقال له: أيها الإمام، إن سكبيلة يقول لك تماسك في معسكرك، حتى يأتيك كتابه بركوبكم على مسقط، ولا تذرِ أحداً من قومك، يمضي إلى مسقط ومعاقل المطرح بحرب، فإذا أتاك كتابه بالوثبة على مسقط، فلا تتواني ساعة واحدة في المعسكر، وأخبره بما سيصنعه في النصارى من الحيلة. فتماسك الإمام مع ذلك عن الدلفة والركضة، وأمر قومه أن لا أحد يفضي إلى مسقط ولا إلى المطرح، فأجابوه إلى ذلك، فقال سكبيلة لرئيس النصارى الذي أراد منه التزويج : أيها السلطان، لقد طال الحصار علينا من الإمام سلطان بن سيف، وما هو براحل عنّا، وقد بلغني أن المدد يأتيه في كل يوم من عمان برجال وآلة الحرب، وبارود الحصنين قد قدم، وضعفت قوته، والبرك اللواتي فيهما قد قدم ماؤهن، وكثر فيه الدود، فمن شرب منه لا يسلم من علّة قاتلة، والرأي السديد أن نصب ماء هذه البرك في البحر، ونطهّر البرك بماء جديد، ونملأهن بماء جديد، فإذا طال بيننا وبينه الحصار لم نخشَ من شرب مائهن آفة، ثم إن البارود لنخرجه من الحصنين، فندقه ثانية، فيعود بعد الفساد كما كان، فأجابه رئيس النصارى على ذلك، وكره أن يخالفه، لأجل إذ عانه له بالتزويج، وشغفه بابنته، وإفراط إشباقه فيها، فلما أخرج سكبيلة الماء والبارود من الحصنين ، و بقيت البرك ما فيهن قطرة من الماء ، و لا ذرّة من البارود ، أرسل رسولاً إلى الإمام سلطان بن سيف، وقال له: يقول لك سكبيلة : إذا كان من يوم الأحد أول بزوغ الشمس، أركض إلى مسقط بمن معك من القوم، ولا تترك أحداً في المعسكر من قومك، فإن في يوم الأحد لم يكن للنصارى فيها إلاّ شرب الخمر، ووضع السلاح، فإذا وصلتم إلى السور، انصبوا عليهما السلالم، فإذا ملكتم أبوابه، اتركوا بعض القوم فيهن، واركضوا على

الحصنين ببقية العسكر، وانصبوا عليها السلالم، فإنه قد صنع كـذا [٨٦٤] وكـذا بالنصارى، فلما كان يوم الأحد، ركض الإمام بمن معه من القوم على مسقط، وقد غلب السكر على النصارى، فما رمى رام منهم قوم الإمام ببندقية، فوضعوا علـى السور السلالم، وملكوا أبوابه، وقتلوا من رأوا فيهنَّ، وركضوا علـى الحـصنين، ونصبوا عليهما السلالم، فدخلوهما، وقتلوا فيهما من النصارى رجالاً كثيرة، وقتلوا من فريرا معهم، ولم يسلم أحد من النصارى من سيوف المسلمين ورماح الموحدين إلاّ قليلا، وخضعت للإمام معاقل مسط كافة، ولم يبـق مـن النـصارى محـارب للمسلمين، إلاّ رجل منهم يسمى كبريته، وهو شجاع من شجعانهم، وبرجه هو الذي يسمى برج كبريته إلى هذه الغاية، فطفق كبريته يحارب المسلمين، ويركض عليهم في كل صباح إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار، رجع هو ومـن معـه إلـى برجه، وكان عدّة أصحابه أربعمائة رجل شاكين السلاح، يقاتلون المسلمين بالسيف والتفق، وما قدر المسلمون على استئصال البرج منهم، ولا طلبوا من الإمام الأمان لهم، ثم إن كبريته وقومه، خرجوا ذات يوم على المسلمين، فتواثبوا عليـه وعلـى قومه كالأسود الضواري، وكان شعار المسلمين يومئذ: الله أكبر، خاب من جعل مع الله إلهاً آخر. فلما كبرت المسلمون عليهم، انكشف أصحاب كبريته عـن كبريتـه، وفرّوا فرار الأغنام من الليث الضرغام، وبقي كبريته يجالـد المـسلمين بنفـسه، فأشرعوا فيه السيوف، حتى ألقوه على الأرض صريعاً، ومزقت أوصاله الـسيوف كل ممزّق، وكانت هذه الوقعة التي قتل فيها كبريته في سوق البز في مسقط.

أخبرني غير واحد من المشائخ المسنين، أن الإمام سلطان بن سيف، لمّا استأصـل مسقط من النصارى، سلم القابض منهم حصن المطرح له حصن المطرح وسـائر بروجها، ونهى الإمام عن قتله، وقتل أصحابه، لمّا طلب منه الأمان، فجهّـز لهـم مركباً وزوّدهم، وعبروا من مسقط إلى بلدهم، وهي جوّه، وبقيت الأربع المراكـب التي للنصارى ترمى رقعة مسقط والمطرح برصاص حديد المدافع من المدافع، فلما كثر أذاهم في المسلمين، جهّز الإمام عليهم الرجال، فسعوا إلى بحرهم على سـفن

صغار، وهي التي تسميها العامّة بلغة الاصطلاحيّة المواشي، فتجمعوا على الأربعة المراكب المذكورة، ولم يثنهم عنهن رصاص التفق والمدفع، حتى ملكوهن، وقتلوا من فيهن من النصارى كافة.

وأخبرني غير واحد من الشيوخ المسنّة، أن رجلاً من المسلمين، في يوم الوقعة التي قتل فيها كبريته، صادف رجلاً من النصارى شاكاً في السلاح، فوثب المسلم عليه، ففرّ النصراني منه، فتبعه، فلاذ بعجز مدفع من الحديد، قد نصبته النصارى على عجل من خشب أمام الجزيرة، فضربه المسلم بسيفه، فقطع فخذية وذنب ذلك المدفع بضربة واحدة، فجعل ذلك النصراني يقول لمن يمرُّ عليه من المسلمين، والله ضربة واحدة، والله ضربة واحدة، حتى مات، وقيل : إن الرجل الذي ضربه، وقطع فخذيه وذنب المدفع، هو الإمام سلطان بن سيف، [٨٦٥] والله أعلم، ولمّا شحن الإمام مسقط والمطرح بالرجال وآلة الحرب، وولى عليهما رجل ثقة من المسلمين، يقال له سليمان بن عبدالله بن صالح بن سليمان، من بني سليمان، من أهل عقر نزوى، ورجع بسائر قومه إلى نزوى، وأمر وإليه سليمان، قبل أن يرتفع إلى نزوى بالإحسان إلى سكبيلة وصحبه، ورفع الجزية عنهم، عوض إعانتهم لدولة المسلمين، فبلغني إلى أيام دولة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، لا تؤخذ على أهل بيت سكبيلة جزية. ولمّا وصل الإمام سلطان بن سيف إلى نزوى، لم يلبث إلاّ أياماً قلائل، إلى أن بعث جيشاً كثير العدد إلى حرب الهند، وكتب إلى وإليه سليمان بن عبدالله أن يجهزهم بأكمل جهاز إلى الهند، فامتثل أمره، وأركبهم في مراكب صغار وكبار، بأتم زاد، وأكمل آلة حرب، فدلفوا إلى دمن الهند، فاستأصلوها، وإلى الديو وناجنة، فاصطلموها من الكفار، وقتلوا من الكفار خلقاً كثيراً، وغنموا مغانماً جمّة، واتفقت الروايات أن القلعة التي بناها الإمام سلطان بن سيف بنزوى من غنيمة الديو، وثبت بنيانها، إلى أن تم اثنتي عشرة سنة، وأحدث فلج البركة، الذي هو بين إزكي ونزوى، وإلى إزكي أنه أقرب مسافة. وكثر مع الإمام المال من الغنائم، وربما تكلم متكلم في إمامته، فزعم أنه التفت إلى التجارات، وكثر ماله من البيع

والشراء، وإنما المتكلم عنه بهذا ما أصاب الصواب، وكأنه يزعمه هذا فصل الخطاب، والصحيح إن شاء الله، مما حكى لي عنه غير واحد من الشيوخ المسنّه، أن الإمام سلطان بن سيف، رحمه الله، قد بعث جملة رجال إلى البلدان الشهيرة بالتحف الخطيرة، ليشتروا منها ما تقوى به الدولة الغرّاء من سيوف ودروع وخيل، وغير ذلك، مما يحصل به عزّ المسلمين. قالوا : وقد بعث الإمام رجلاً من قبله إلى صنعاء اليمن، ليشتري ما يجد فيها من الأشياء الخطيرة، التي تقوى بها دولة المسلمين، فوجد ذلك الرجل بسوق صنعاء دلّالاً يسوم عنان فرس، وذلك العنان مرصّع بالجواهر الثمينة، فأقام عليه الزبون، فلما بلغ من الثمن مائة ألف، خاف صاحب الإمام لا ئمه الإمام في شرائه له ذلك العنان، وقال في نفسه، إنه قد بلغ الحد في ثمنه، فتماسك عن شرائه، فلما رجع إلى الإمام، وأخبره بذلكم، قال له : إرجع بالحال، وأشتري ذلك العنان من الذي اشتراه، بما يكون من الثمن، ولا تذر ملك صنعاء وقومه يتهكمون بنا، فرجع الرجل من يومه، فلما وصل إلى صنعاء، سأل عن الرجل الذي اشترى ذلك العنان، فلما أُخْبِرَ به قصده، فقال له لمّا أتاه: أنت الذي اشتريت العنان بلك؟ فقال: نعم، فقال : بعني إياه، فقال: بلكين، فقال: قد اشتريته، فلما سلّم إليه اللكّين، قبضه منه، ورجع به إلى الإمام، فلما علم ملك صنعاء بذلك وجل قلبه، فقال لوزرائه: إن إمام عمان سلطان بن سيف لملك كثير المال، كثير الرجال، وإننا لعلى خطر منه، إذا لم نسالمه، فجعل يكاتب الإمام، ويهاديه بالتحف الخطيرة، ويظهر إليه الإذعان والانقياد في مكاتبته له.

وفي زمن الإمام سلطان بن سيف، كثرت العلماء ودور العلم بعمان، وذهب عنها الظلم من أهل العدوان، واعتمرت عمان، وحصل لها [٨٦٦] به الأمان، واستراحت الرعيّة، وشكرته سرائرهم والعلانية، ورخصت الأسعار، وكثرت الأمطار، وصلحت الأثمار، وكان هو متواضعاً لله القهّار، ليّن الجانب للرعية، لم يحتجب عنهم في قضية، ويخرج في الطريق بغير عسكر، ويجلس مع الفقراء والأغنياء، ويحدّثهم بسلاسة، ويسلّم على صغيرهم وكبيرهم ببشاشة وطلاقة وجه، ولم يزل

قائماً مشمراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى مات، رحمه الله، ضحى يوم الجمعة من العاشر من شهر القعدة سنة تسعين وألف سنة، وقُبر لمّا مات بنزوى، حيث قبر الإمام ناصر بن مرشد، رضي الله عنه، ورحمهما الله جميعاً. وكانت مدّة دولته من اليوم الذي نُصّب فيه للإمامة إلى اليوم الذي مات فيه سنة وأربعين سنة، والله أعلم.

الإمام بلعرب بن سلطان:

الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يترب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب ابن محمد بن مالك اليعربي، عقد له بالإمامة في اليوم الذي مات أبوه فيه، وقيل: بل عقد له بعد موت أبيه بشهر، والله أعلم بالصواب. فلما بويع له بالإمامة، أظهر العدل والإحسان، فشكرته الرعيّة، وأثنت عليه، وأذاعوا بالحمد إليه، وقصدته الوفود، فأطالوا المكث لديه، وكان بلعرب هذا رجلاً جواداً كريماً، وبالرعيّة رؤوفاً رحيماً، وبنى الحصن المشهور بالقوّة والارتفاع والعزازة والامتناع بيبرين[1] [جبرين] وانتقل من نزوى إليه، ووفدت الركبان عليه، وأقام بحصن يبرين مدرسة شريفة للعلماء ولطلبة العلم، فدرّست العلماء فيها الطلبة، وأفاض على العلماء والمتعلمين بديم الكرامات، والتفت بالبشاشة إليهم بكل الالتفات، فأضحت إليهم أوقاته طريفة، وأيامهم به شريفة، فما خلا من تلك المدرسة اللطيفة عالم فقيه، ومتعلم نبيه، وأديب له في النظم براعة، ولسبله في النثر بلاغة، فمن المتعلمين في تلك المدرسة الشريفة، وصاروا بعد ذلك علماء جهابذة الشيخ سعيد بن محمد بن

---

[1] حصن يبرين: أو حصن جبرين، بناه الإمام بلعرب بن سلطان في حياة والده الإمام سلطان بن سيف بن سلطان الأول نازعه أخوه سيف بن سلطان (قيد الأرض) عليه، وتوفي ودفن فيه سنة ١٦٩٢ م. انظر: عمان في التاريخ ص ٢٧٠-٢٧١.

عبيدان الشيخ الغافري خلف بن سنان[1] وغيرهما، ومن اللهجين بعلم الشعر، وصاروا بعد التأديب والتهذيب أدباء، منهم: الشيخ الحبسي الرئيس راشد بن جمعه بن خميس، حتى قال في حقه الشيخ العالم سليمان بن بلعرب بن عامر بن عبدالله بن بلعرب بن عبدالله بن بلعرب[2] الذي هو من بني محمد بن سليمان العقري النزوي العماني: ولد الحبسي بالقرية المسماة تين بني صارخ، من قرى الظاهرة من عمان في سنة تسع وثمانين بعد الألف من الهجرة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فرمد وهو ابن ستة أشهر، ثم انتقل منها، وهو ابن سبع سنين، قد مات أبوه، ونزل بقرية يبرين، في سكن الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب اليعربي العماني، فربّاه بها، وأحسن إليه [٨٦٧] غاية الإحسان، فتعلم في ظلّه القرآن والنحو والصرف واللغة، وما شاء الله من العلوم المفيدة، وخرّج شاعراً مجيداً، أريباً حاذقاً أديباً، فلما مات هذا الإمام، انتقل منها إلى أرض الحزم من ناحية الرستاق من عمان، مسكن أخيه السيّد الهمام سيف بن سلطان، المالك بعده، وأقام بها معه في أجمل حال، إلى أن مات، فلما مات ارتحل إلى نزوى عمان، واتخذها موطناً دون الأوطان، انتهى كلامه. قلت: وقد مدح الشيخ راشد بن جمعه بن خميس الحبسي هذا السيد الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف المذكور بقصيدته النونية، التي مطلعها شعراً:

---

[1] خلف بن سنان الغافري: الشيخ الفقيه، العالم، الناظم البليغ، خلف بن سنان بن عثيم الغافري، من علماء القرن الحادي عشر، كان والياً وقاضياً للإمام سلطان بن سيف الأول، وله ديوان شعر كبير، وله أشعار وقصائد أخرى لا توجد في الديوان، وله أجوبة كثيرة في الأثر، منها: "كتاب البيان" انظر البطاشي، حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج ٣، ص ١٢٥-١٢٦.

[2] الشيخ سليمان بن بلعرب بن عامر: عالم، مؤرخ، كان أحد المؤرخين الذين لهم دور بارز في تدوين تاريخ عمان، كما كان شاعراً، أخذ الشعر عن استاذه المعروف الشاعر الحبسي، له كتاب "المؤتمن في ذكر مناقب نزار واليمن". انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٢.

دعها تحنُّ إلى الأوطـــان والـــسكن ولهانةً هاجها الماضي مـــن الـــزمنِ[1]

وأثنى عليه فيها ثناءً جميلاً، حتى قال في آخرها شعراً:

لأنه خيرُ من تعنـــو الرقـــاب لـــه ومن يفـــضّل عليـــه غيـــره يَمِـــنِ[2]

اليمين في اللغة: الكذب، وأصله من مان يمين، أي كذب يكـــذب، وهـــي قـــصيدة طريفة، عددها تسعة وثلاثون بيتاً.

وأخبرني غير واحد من الثقات، أن الإمام بلعرب هذا، قد جعل للعلماء والمتعلمـــين في المدرسة الشريفة بيبرين أشرف المأكل من الحلوى، وغير ذلك مـــن الفواكـــه، فقيل له ذات يوم: إن الشيخ ابن عبيدان سريع الحفظ مقبلاً على العلم بكليّة الإقبال، وأنه رجل أكول، فينبغي لك إفراد مأكله عن سائر المتعلمين، فلا يخالطه أحد فيه، فأمر له كل يوم بطبخ مورة أرز زين، وبذبح تيس سمين، فيأكل ما يقدر عليه من الأكل، فجعل ذلك إليه أيام إقباله إلى العلم، حتى انفصل من يبرين إلى نزوى، وهو عالم بليغ، لا يسوف السائل في الجواب. وأخبرني شخص، فقال : إن ابن عبيدان المذكور، أتى إلى الإمام زائراً ذات يوم من الأيام، فأخذ بيده الإمام إلى غرفته التي يسكنها بيبرين، وكان الشيخ ابن عبيدان هذا رجلاً أعمى، فجعل الإمام يسأله، وهو يجيبه بأحسن جواب، فلما قدمت إليه خواني المأكل، وفرغ من الأكل، جعل يجـــسُّ بيده بساط تلك الغرفة، وهو بساط عبقري ثمين، وهو يقول له : يا مولانا، كم قيمة هذا البساط العبقري؟ فقال له: ما شريته حتى أخبرك بثمنه، وإنما قد أهداه إليّ ملك العجم، فلما أراد ابن عبيدان الانصراف عن الإمام إلى نزوى، أمر الإمام بطي ذلك

---

(1) انظر نص القصيدة في ديوان الحبسي، ص ٣٧.

(2) المصدر نفسه، ص ٤٠.

البساط، ويحمل إليه إلى بيته قبل وصوله إليه، فلما دخل ابن عبيدان بيته بنـــزوى، وجد ذلك البساط مفروشاً في غرفته، فكاد أن يصرعه البهر، وأخبره أهله أن خدّام الإمام قد حملوه من يبرين إلى نزوى، وأمرهم أن يفرشوه في غرفتك هذه، وقـــالوا له: إن الإمام يسلم عليك، ويقول لك: تفضّل بقبول اليسير، وكن لمحبك ساتراً.

وقال أيضا أحد المشايخ المسنين: إن ابن عبيدان قد زار الإمام ذات يوم بيبـــرين، فأكرمه وأحسن إليه، فلما أراد الرجوع إلى نزوى، قال له: يا مولانا إني قد أكلـــت من المآكل الطيبات جملة، وإلى هذه الغاية ما أكلت تمر نخلة الباطنة، فقـــال لـــه: الإمام: طب نفساً، وقرّ عيناً، فإني لأبعث كذلك ببعض تمر نخل الباطنة عن قريب، إن شاء الله، فلما انفصل الشيخ ابن عبيدان عنه، كتب إلى عامله بالذيل، أن يبعـــث ألفي جراب تمر من أحسن تمر نخيل الديل إلى الشيخ ابن عبيدان، ففعل عامله كما أمره، وبعث بالتمر إليه وسلّم أكبراً، فلما أُنيخت الركاب حذا باب بيت ابن عبيدان وقريء عليه خط عامل الإمام بما أمره الإمام به، قال لأهله: إني ما دمت في قيـــد الحياة لا أسأل هذا الإمام عن شيء يُؤكل ويُفرش، فقد بهظني بعطاياه، فهو كمـــا قال الشاعر المعري :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم   والعذب يهجر للإفـــراط بالخـــصر

وأخبرني أيضاً غير واحد من الثقات، أن هذا الإمام الكريم وفد عليه رجل من أهل البصرة [٨٦٨] وقد أخنى عليه الدّهر، فأصاره فقيراً بعد الغنى، كثير الدين، سهير العين، حليف متربة بعد ملكة يده للبيضاء والصفراء، ففرا إليه بجناح الـــذّل مـــن البصرة إلى يبرين، فلما وصل إليه، ورأى إفراطه في الكرم، وازدحام الناس عليه، أخذه الحياء، وأخفى أمره عنه، فما لبث بيبرين إلاّ يومين، إلى إن انفصل عنـــه ، فلما وصل مسقط ، رأى سفينة قاصدة إلى البصرة ، فركبها ، فلمـــا وصـــل إلـــى البصرة بقي في بيته محزوناً، تذرف عيناه بالدموع، فلما قيل للإمـــام: إن الرجـــل

الغريب، الذي وفد عليك، ارتحل من يبرين، ولا ندري إلى أين توجه، فبعث بطلبه الركبان إلى كل البلدان المعزوّة إلى عمان، فما وقفوا له على أثر، حتى أخبر الإمام بعض الأنام، أن الرجل هو من أصحاب البصرة، وكان من خبره كذا وكذا، وهو لمّا انفصل عنك، هبط إلى مسقط، فصادف سفينة قاصدة إلى البصرة، فركبها، فلما تحقق مع الإمام أن شأن ذلك الرجل كما أخبره من أخبره عنه بذلك، بعث إليه رسولاً من قبله على طريق البحر، وأنفذ إليه مائة ألف دينار، وكتب إليه كتاباً جميلاً، يعتذر فيه إليه بانشغاله عنه أيام قدومه إليه بيبرين. وقال لذلك الرسول: إذا وجدت ذلك الرجل ميّتاً، فادفع الكتاب والدنانير إلى ورثته. فلما وفد على البصرة رسول الإمام، سأل عن الرجل، فأخبروه عنه، فقصده، فوجده في بيته حليف اكتئاب، وقد دخل الهم عليه من كلّ باب، فلما طارحه رسول الإمام بالسّلام، قال له: ما عذرك في الرجوع إلى البصرة بغير إذن من الإمام، وأنت قد أتيته زائراً لسؤالٍ ومرام ؟ فقال له : يا هذا، إني لمّا رأيت افراط كرمه للناس، استولى عليّ الخجل، فرجعت عنه، وأنا عنه راضٍ، إذ كان كرمه في غياهب الهموم كالمقباس. فقال له رسول الإمام: لا بأس عليك، فقد حصل لك الايناس، فلما دفع إليه الكتاب والدنانير، كاد الرجل من السرور والفرح أن يطير، ولما رجع رسول الإمام إلى الإمام، وأخبره بثناء الرجل عليه مع الإلمام، وأنه قد صار في سرور بعد الإهتمام، قال له الإمام: إن الفضل له علينا بزيارته إلينا، فجزاه الله عنّا خيراً كثيراً، لمّا قبل منّا نوالاً يسير. وأخبار الإمام بلعرب في الكرم لا تحصى وبوجود جوده وإحسانه للناس قد أشرقت عمان، وعمّها منه محض الأمان، حتى وقعت بينه وبين أخيه سيف الإحن والفتن والحروب المتفاقمة والمحن، فأصاب من شأنهما كثيراً من الفقهاء والمشايخ أهل الورع والزهد وغيرهم عقوبات، أدّت إلى تلف نفوسهم من إتباع السفهاء واقتفائهما آرائهم وقبول كلمتهم، ثم خرج الإمام بلعرب من نزوى ويبرين إلى ناحية الشمال، ثم رجع إلى نزوى، فمنعه أهل نزوى دخولها، فسار إلى يبرين. وقال من كان له محبّاً: إن بلعرب قد صار بلى العرب، واجتمع أكابر أهل

نزوى، فعقدوا الإمامة لأخيه سيف بن سلطان، وكثير من القوم قد دخل في الأمـر تقيّة، وبعض قد عوقب بتركه الدخول للعقد، فخرج سيف على أخيه، وأخـذ كافـة حصون عمان، وكافة الحصون التي هي على ساحل عمان، ولم يبق مع بلعرب إلاّ حصن يبرين، فسار سيف إليه، وحاصره، فوقع بينهما حرب طويل، يطـول فيـه الشرح، حتى مات بلعرب في الحصار، فطلب أصحابه الأمـان، ليخرجـوا مـن الحصن، فأمنهم سيف، فخرجوا من الحصن.

وسمعت غير واحد يقول: إن بعضاً من أهل العلم لم يزالوا متمسكين بإمامة بلعرب حتى مات، ويرون أن أخاه سيفاً باغٍ عليه، وكان وفاة الإمام بلعرب فـي حـصن يبرين، وقبر فيها يوم الاثنين، من شهر المحرم، سنة مائة سنة وألف سنة، وحكـي عنه لمّا اشتَدَّ عليه الحصار، وتعذّر إليه الانتصار، توضـى، وصـلى لله تعـالى ركعتين، وسأل ربّه عزّ وجل أن يميته، ويريح الله المسلمين [٨٦٩] من الحـروب والفتن المتفاقمة بينه وبين أخيه سيف، فاستجاب الله دعاءه، فأماته في الحال.

أخبرني غير واحد من الذين شهدوا عصاه ونعليه والبساط الذي فرشه للسجود فيه، فقالوا: إنا قد شهدنا عصاه ونعليه وبساطه الذي فرشه للسجود فيه في حصن يبرين، والكل غير بالٍ إلى هذه الغاية سنة أربعين ومائتين وألف.

الإمام سيف بن سلطان:

الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك ابن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بـن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. الملقب بقيد الأرض، وأبوه سلطان بن سـيف، كان يلقب صاحب الكاف، واختلفوا في لقب أبيه بصاحب الكاف، فمنهم من زعم أنه صاحب الكيمياء، وليس الأمر ذلك، إذ هو غير مشهور بصناعة الكيمياء، والصحيح أنه لُقب صاحب الكاف، إذ جعل سمة إبله على خدودها كافاً، فقيـل لـه صـاحب

الكاف، وأما ولده سيف هذا لُقّب قيد الأرض، لهيبته التي قيدّ بها بغاة عمان من البدو والحضر، فما سعى منهم أحد لسلب، ولا لقتل، ونهب، ولا همَّ لفساد. وبويع له بالإمامة أيام حروبه لأخيه بلعرب. وكان الإمام سيف هذا رجلاً مهيباً منصفاً في رعيته، راداً قويهم عن ضعيفهم، وهابته القبائل من عمان، وغيرها من الأمصار، وسائر الديار الدانية والشاسعة، وحارب النصارى في أقطارهم، وأخرج عتاتهم من ديارهم، وابتزّهم من قرارهم، ومزّقهم بسيوف هيبته كل ممزّق، وأخذ منهم ممباسة والجزيرة الخضراء وكلوه وبتّ، وغيرها من البلدان الغاتية، وسالمته نصارى ممباسة، وبنى بها قلعة شاهقة، وجعل فيها رجالاً من قبلة، يأخذون من النصارى كلّ سنة على ما اتفقوا عليه من الآداء والخراج والجزية، وعمر مكانات كثيرة من عمان، وأجرى فيها الأنهار، وغرس فيها النخيل والأشجار، وجمع مالاً جمّاً، وملك ماءً وعبيداً، يتعذّر عددهم عن الحصر، وكان شديد الحرص على المال، فحكي عنه أنه وفدت عليه ذات يوم أعراب أكابر الشمال، فسألوه نوالا، وذكروا له إكرام أخيه بلعرب لهم أيام دولته، فقال لهم: أما أخي بلعرب، فهو يقال له أبا العرب، فلا غرو أن أعطاكم، وأما أنا فاسمي سيف، فليس يجود السيف إلاّ بالضرب، فسكتوا عنه، وخافوا، ومضوا عنه. وحُكي أنه أمر أن تلقى في السحاماة مورة فلفل، لينظر من يمدّ إليها يده، فضلاً أن يأخذها، فبقيت على حالها، ملقاة على قارعة الطريق ثلاث سنين، وكل من يمرُّ عليها، فرّ رعبا ورهبا، ويقول: والله إنها الفتنة، نصبها الإمام إلى الأنام، فالويل كل الويل لمن يتعرّض لها، حتى سمع بها رجل من الأعراب، فركب ناقته لينظرها، فلما دنا منها، نزل من ظهر ناقته، فبادرها، فأدخل إصبعه فيها، فخرقها، فلمّا كان منه ذلك، استولى عليه الخوف والندم، وخشي أن يخبر عنه الإمام أحد من الأعراب أوالحضر، فمضى هو إلى الإمام، وهو يومئذ ببلدة الرستاق، فأخبره عن صنيعه بتلك المورة الفلفليّة، فقال له الإمام: أمدد لي أصبعك التي خرقت بها المورة، فلما مدّها إليه، قطعها بسكين كان معه، وقال: تأدّب يا إعرابي، فإنك إن فعلت [٨٧٠] بها ثانية كفعلتك الأولى، أمرت

بقطع عنقك، فلما علمت الأعراب والحضر ما فعل الإمام بذلك الأعرابي، خافوه خوفاً شديداً، وبقيت تلك المورة ملقاة في السحاماه، حتى مات الإمام.

وحكى لي بعض المشائخ، أن رجلاً تاجراً من أهل اليمن، كان يأتي إلى عمان، في كل سنة مرّة واحدة، فيقصد بلدة الرستاق خاصة من عمان، ومعه جملة أكياس من الورس، فيقيم بالرستاق، حتى يبيع ما جلب إليها من الورس وغيره، فإذا قبض ثمن ما باعه، رجع إلى مسقط، ثم يعبر منها إلى اليمن على سفينة، وهكذا كان شأنه، أيام دولة الإمام سيف بن سلطان، فأتى إلى الرستاق ذات سنة، وباع ما حمل إليها من الورس وغيره، فلمّا قبض الثمن، مضى يريد مسقط على غير راحلة، فلمّا بلغ شعاب المرخ، وجَنَّ عليه الليل، نام، ووضع الكيس الذي ترك فيه الدراهم تحت رأسه، وكان عند انفصاله عن الرستاق قد شهده إعرابي زفيتي، من أعراب الظاهرة، والكيس الذي وضع فيه الدراهم قد حمله على ظهره، فطمع الأعرابي في ماله، فمضى خلفه، إلى أن رآه نائماً في شعاب المرخ، وجده، فأناخ ناقته بعيداً منه، وأتاه يسعى حبواً، فلما قرب منه، وعلم أنه نائم، أخذ الكيس من تحت رأسه، وركب ناقته، فاحتثها، حتى وصل إلى أفلاج عرعر من الرستاق، وكان بعرعر رجل إعرابي، يقصّ الأثر، وقد جعل له الإمام فريضة من بيت المال لقصّ الأثر، فأيقظه الأعرابي الذي سرق الكيس، وشاطره بالمال، وقال له: إذا أتي الرجل مع الإمام، وشكى ممّا جرى عليه إليه، وقال لك الإمام قصّ بأثر السارق، موّه له الكلام، ولا تخبره بي، فإني ما شاطرتك بهذه الدراهم إلاّ لأجل ذلك، فأجابه إلى ذلك، فلما أصبح الرّجل اليمني، ولم يَرَ الكيس الذي فيه دراهمه، جعل يلطم خدّه ويصيح، حتى قدم على الإمام بالرستاق، فأخبره بما جرى عليه، فعند ذلك غضب الإمام غضباً شديداً، وبعث إلى الأعرابي الذي جعل له الفريضة لقصّ الأثر، فلمّا وافاه، قال له: لئن لم تأتيني بالسارق، وإلاّ أدّبتك أدباً ما سمعت مثله، فقال له: أيها الإمام، عليَّ الاجتهاد، وما توفيقي إلاّ بالله، فلمّا انفصل عن الإمام ذلك القاصّ، جعل يضرب ناقته، ويذرع بها البيد طولاً وعرضاً،ثم رجع إلى الإمام بعد يومين ، فقال

له : أيها الإمام ، إني ذرعت بناقتي البيد طولاً و عرضاً ، فوجدت الأقدام وقع بعضها على بعض، فتلاشى عليّ أثر قدم السارق، فاعفني عن هذا، فقال له الإمام: يا كذّاب، لا ينفعك هذا الخطاب، وفي نفسي من قبلك شيء، ثم أمر بصلبه، وأمر أن لا أحد يسقيه، ما دام في الصلب، فلمّا أحَسَّ ذلك بالهلاك صاح، وقال: فكّني أيها الإمام من القيد والصلب، وأمهلني أياماً قلائل، عسى أن أجد هذا السارق، فآتيك به، فأجابه الإمام على ذلك، وأمر بفكّه من القيد والصلب، فركب ناقته، وجعل يقصّ بأثر صاحبه الذي شاطره الدراهم، حتى بلغ إلى ودام من الباطنة، فسأل عنه، فقيل له: قد ركب منذ يومين سفينة إلى مكران، وقد باع ناقته، فاشتراها فلان منه بكذا وكذا، ولو علمنا أنه لصّ لمسكناه، وأتينا به إلى الإمام، فقال لهم: استأجروا لي سفينة إلى مكران، فاستكروا له سفينه في الحال، وقصد بها مكران، ورخص لأهل السفينة بالرجوع، بعدما وصل مكران، وأعطاهم الكرى، فجعل يقصُّ أثر ذلك [٨٧١] الرجل حتى رأه بعد يومين نائماً في ظل شجرة عظيمة، قاصداً في سفره ذلك إلى أرض السند، فأيقظه من منامه، وأخذ منه الكيس، فوجد فيه الدراهم على حالها، لا ناقصٌ منها شيء، وقال له: أقصد أرض السند، وأسكنها، وإياك الرجوع إلى عمان ما دام الإمام سيف بن سلطان في قيد الحياة، فمضى ذلك إلى السند، ورجع القاصّ إلى عمان، فلما بلغ بلدة ودام، قال لأكابرها: امضوا معي إلى الإمام، وقودوا معكم ناقة السارق، التي اشتراها صاحبكم منه، وأخبروه بمجيئه إلى ودام، وبيعه الناقة، وركوبه البحر من ودام إلى مكران، وبوصولي إليكم، وعبرتي إلى مكران، ورجوعي إلى ودام بالكيس، فإن لم تفعلوا كذا، فأنتم وأنا على خطر عظيم منه، فأجابوه على ذلك، ومضوا معه بالناقة، فلما بلغ إلى عرعر، انصرف عنهم إلى بيته، وأضاف الدراهم التي شاطر بها السارق في الكيس الذي فيه الدراهم، فلما وصلوا إلى الإمام، وأخبروه الخبر كلّه، قال القاصّ: إني وجدته قاصداً أرض السند، فلما رآني، رمى الكيس من يده، وجفل مني جفول النعام، فما أحببت أن اتبعه بعدما ظفرت بالكيس، خوفي أن تطول المدّة مني إليك، فقال الإمام: أما ناقته،

فلا سبيل لأخذها، وبعث إلى الرجل اليمني، ودفع إليه بالكيس، وقال له: أحصي الدراهم، فوجدها تماماً، لا ناقص منها شيء. ثم إن الإمام زودهّ، وأمر القاصّ أن يصحبه إلى مسقط، وقال للقاص: إذا رجعت من مسقط، فأتني بالحال، فأجابه على ذلك. فانصرف الرجل اليمني إلى مسقط ومعه الرجل القاصّ، وانصرفوا أهل ودام إلى ودام بالناقة التي اشتراها صاحبهم من الأعرابي اللص الزفيتي، ولمّا رجع إليه القاصّ، أمر بتقييده في حصن الرستاق، فلبث في القيد سنة، ثم أطلقه، وصرف فريضته إلى رجل قاصّ غيره.

وحكي أيضاً عن الإمام سيف بن سلطان هذا، أنه مضى ذات يوم إلى القنص، ومعه عبد من عبيده، يسمى أبو سعدين، فلما بلغا إلى رهاس السلامين، رأيا رجلاً إعرابياً راكباً على ناقة، قد حمل عليها جرابين تمر فرض من فروض الظاهرة، ليبيعها في سوق الرستاق، فقال الإمام للخادم: انتزحْ عني، فإذا سمعت بيني وبين الإعرابي طال الكلام، أسرع إليّ، وكان ذلك الإعرابي زفيتي النسب، يسكن بلدة تنعم، فقصده الإمام، وقد تأبط قربة ملأها ماءً، فلما دنى الأعرابي منه، قال: يا حضري، اسقني ماءً، فإني عطشان، وهو لا يعلم أنه الإمام سيف بن سلطان، فقال له: إذا لم أسقك، ما أنت صانع بي؟ وجعل الإمام يغلظ عليه الكلام ليختبره، هل هو في نفسه خيفة من العدل، أم لا؟ فلما طال الكلام من الإمام للأعرابي، أقبل العبد يركض، وهو يهز رمحه، فلما حاذاهما، قال: يا إعرابي، أراك تجرأت على الإمام، فمن أي العرب أنت، فلما سمع الأعرابي كلامه، أخذه الذلّ والفزع، فقطع الحبال التي شدّ بهنّ الجرابين، وجعل يضرب ناقته يميناً وشمالاً، والإمام يقول له: إرجع إرجع، لا بأس عليك، إليك الأمان، فلم يلتفت الإعرابي إلى خلفه، قيل والله أعلم: إنه قصد بسيره ذلك لمّا وصل إلى الظاهرة أرض بني مهرة، وما رجع إلى عمان، حتى مات الإمام، وسأل الإمام عن أهله، فقيل له بتنعم من الظاهرة، فبعث بالجرابين إليهم، [٨٧٢] ولمّا سألوهم من حمل لهم الجرابين عن صاحبهم قالوا: والله لا علم لنا به بعد أن رحل عنّا.

ويروى عن سيف بن سلطان أخبار كثيرة في الهيبة والعدل والإنصاف، وقد مدحه الشيخ راشد بن جمعة بن خميس الحبسي، بجملة قصائد منها القصيدة التي ذكر فيها عدد خيله، وهي قصيدة رائعة مطلعها:

حيَّ الأحبة بالتسليم فاستلموا   يدي وقد كان توديعاً سلامهم[1]

وفيها يقول:

إن تسألَنيِّ عن الخيل التي ملكت   يداه سلني فإني عارف فهم
تسعون ألف حصان من كرائمها   غير الرماك فما في قولنا وَهَمُ
فالكمتُ منهنّ والشقر الكرام ومنها   الشهب والبلق والغربيبة الدّهمُ
كريمة عوّدت أمر الحروب فما   يعيى عليهن إلاّ النطق والكلمُ
سنذكر البعض منها في قصيدتنا   يا قوم فاستمعوا للقول تغتنموا
ففي غُزَ يلان والصنّاب مبتدأ   لنا وبالكاملين المدح يختتمُ
وفتح خير صباح الخير جوهرها   الميمون والفهد والمنصور جيشهمُ
والنجم والباز والعفريت إن لحقت   بلاحق الخير وافاها سرورهمُ
وفي دهام وفي صبحان فائدة   لا عَسرة عندها يُخشى ولا عدمُ
والحاجز الجيد في المعروف عند مسا   الخير الكريم فتلكم للعدى نقمُ
ومن هديبان أنوار لنا وهدىً   وعن عُبيّان أصحاب الضلال عموا
وعند زائد خير في تجارتنا   ربح وعند أبي الغارات قد غنموا[2]

وبالجملة، إن مناقب الإمام سيف شهيرة، ومآثره كبيرة، وقد ملك من أصول عمان ثلث جملتها، وأحدث سبعة عشر فلجاً، وأجراهنَّ جرياً قوياً، منهنّ البزيلي، ومنهنّ

---

[1] انظر هذا البيت في ديوان الحبسي، ص ٨٥.

[2] انظر نص القصيدة كاملة في المصدر نفسه، ص ٨٥-٨٩.

الكوثر، ومنهن البرزمان، وأفلاج المسفاة، وغيرهن. وملك ثمانية وعشرين سفينة وكعب رأس، منهنّ: الفلك، والملك، والرّحماني، والصالحي، وفيرزمّان، والباز، وكل مركب من هذه المراكب غاية في العظم، وكان في المركب الفلك ثمانون مدفعاً غلظ، أصل كلّ مدفع ثلاثة أشبار، وفسل في نعمان بركة ثلاثين ألف مبسلي وستة آلاف نار جيلة، غير الذي غرسه ببير النساوة والراصة والمنذرية، واشترى أموال بني لمك وبني عدي من وادي السّحتن، فلمّا ما ت، ورثه ولده سلطان، الذي بنى الحصن المنيع بالجص في الحزم، وورثته ابنته أم الإمام سلطان بن مرشد وأخوته من أمه، وهما : سلطان، وسيف، ابنا الإمام المهنا بن سلطان، ثم مات سلطان، وورثاه ولداه سيف وبلعرب، وأخوه معهما منه، ولمّا ماتت بنت سيف بن سلطان، وورثها أولادها وزوجها المهنا، طلب ما فسل بنعمان المعاول وغيرهم، فأضحى يأخذ ثلاثمائة فسله أو أكثر، بأقلّ ثمن، حتى كثر في وادي المعاول المبسلي من ذلك الفسل، وأخذت وادي السحتن رجال بني عدي بلا شراء، وأسكنهم فيه الإمام أحمد بن سعيد، لمّا أفضت إليه الإمامة، وبقّية أموال سيف بن سلطان اقتسمته أولاده، فأما نصف سيف بن سلطان الأخير، حكم به بلعرب بن حمير بن سلطان لبيت المال، بسبب ظلمه وتعدّيه، وإتيانه العجم إلى عمان، وما وقع منهم بعمان من قتل وسبي، [٨٧٣] واتفقت الروايات أن الإمام سيف بن سلطان قد ملك سبعة عشر مائة عبد، وكان وفاته بالرستاق، ليلة الجمعة، وثالث يوم شهر رمضان، سنة ثلاث وعشرين سنة ومائة وألف سنة، وقبره مزار مشهور.

الإمام سلطان بن سيف:

الإمام سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم ابن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي، رحمه الله. بويع له بالإمامة، بعد

موت أبيه الإمام سيف بن سلطان بعشرة أيام، في بلـدة الرسـتاق، فقـام بالعـدل والإنصاف، وجاهد الأعداء في البرّ والبحر، وحارب العجم في مواضـع شـتى، وأخرجهم من بلدانهم، ودمّرهم في أوطانهم، وبعث إلى حرب البحـرين عـشرين مركباً كباراً، ومن السفن الصغار سبعمائة سفينة، فكان عدد القوم الذين بعثهم الإمام إلى حرب جزيرة البحرين أربعين ألفاً، أميرهم من قبله حمير بن سيف بن ماجـد اليعربي،[١] ومعه من الكبراء الأعيان راشد بن عزيز العزيزي[٢]، ومبـارك بـن غريب الغافري[٣]، ومحمد بن سليمان الحضرمي[٤]، وغيرهم، فنزلوا، لما قـدموا على جزيرة البحرين بستره، وهي حلّة منهل جزيرة البحـرين، وكانـت جزيـرة البحرين يومئذ في حكم العجم، مشحونة بالرجال والخيل، فلّما زحف المسلمون قوم الإمام من معسكرهم إلى محرق، ركضت عليهم العجم ومن معهم مـن العـرب، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة، فقتل من المسلمين مائة رجل، وفيهم الأمير حمير بن سيف بن ماجد اليعربي، وقتل من العجم خلق كثير، وانكشف العجم عنهم، ورجـع كل منهم إلى معسكره، ثم استقام على جيش الإمام سلطان بن سيف، لمّا قتل حمير

---

(١) حمير بن سيف بن ماجد اليعربي: شيخ، قائد، عاش في القرن الحادي عـشر الهجـري قـاد الجيش الذي جهزه الإمام سلطان بن سيف لحرب الفرس، فزحف على البحرين، والتقي بالفرس، وسحقهم، وقد استشهد حميد بن سيف في هذه الواقعة. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٥٣.

(٢) راشد بن عزيز العزيزي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، شارك في الحملة التي جهزهـا الإمام سلطان بن سيف، لمقاتلة الفرس في البحرين، وقد قتل في هذه الحرب.انظر: دليل أعلام عمان، ص٦٨.

(٣) مبارك بن غريب الغافري: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحـد أركـان الجيش العماني الذي خاض الحرب مع الفرس في البحرين، فزحف الجيش على البحرين، ودارت رحى الحرب بين الفريقين، وفرّ الفرس من البحرين، ثم إن الإمام سلطان بـن سـيف حـارب الفرس، فأخرجهم من البحرين، واستولى على القسم ولارك وهرمز، إلا أن مبارك قتل في هـذه الحرب. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٢-١٤٣.

(٤) محمد بن سليمان بن العضد الحضرمي: قائد، عاش في القرن الثاني عشر هجري، أحد رجال الإمام سلطان بن سيف، أرسله الإمام مع جيش عماني كبير، لتخليص البحرين من أيدي الفرس، الذين استولوا عليها بعد البرتغالين، فدارت رحي الحرب بين الطـرفين، فانتـصر العمـانيون، واستشهد محمد. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٨.

ابن سيف بن ماجد اليعربي، رحمه الله، الشيخ راشد بن عزيز العزيزي، فلما أفضى إليه لواء الحرب، ركض بمن معه على العجم، فدلفوا إليهم، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة، فقتل من العجم ثمانمائة رجل، وقتل من قوم الإمام سلطان بن سيف مائة وثلاثون رجلاً، وفيهم الأمير راشد بن عزيز العزيزي، ورجع كل منهم إلى معسكره، فاستقام مكان الشيخ عزيز بن راشد العزيزي الشيخ مبارك بن غريب الغافري، فلما أفضى إليه لواء الحرب هزّه، وركض بمن معه على العجم، فواقعوا دون محرّق، فكانت بينهم وقعة عظيمة، من أول النهار إلى زوال الشمس، فقتل من العجم خلق كثير، وقتل من المسلمين مائتي رجل، وقتل معهم الشيخ مبارك بن غريب الغافري، ورجع كل منهم إلى معسكره، ثم استقام مكان الشيخ مبارك بن غريب الغافري الشيخ محمد بن سليمان الحضرمي، فلمّا أفضى إليه لواء الحرب، شمَّر عن ساق، فركض على فئة العجم، فكانت بينهم ملحمة عظيمة، والدئرة على العجم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل من جيش الإمام أربعمائة رجل، ومعهم الشيخ محمد بن سليمان الحضرمي، فاستقام مكانه الشيخ سعيد بن راشد الغافري، فأخمد نار العجم، واصطلم منهم البحرين، وبنى فيها للإمام سلطان بن سيف قلعة سمّاها قلعة عراد، فهي إلى هذه الغاية، يقال لها قلعة عراد، ويقال لها أيضاً قلعة سلطان ابن سيف، فلمّا كتب سعيد بن راشد للإمام بما جرى بينهم وبين العجم من القتل والاستئصال والبناء، وفصّل جملة من قتل من المسلمين، شكر الإمام سعيه وسعي أصحابه، فبعث الإمام الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر بن عامر بن رمته الغافري[1] والياً من قبله على جزيرة البحرين، وأمره بالإنصاف والعدل بين

---

[1] ناصر بن محمد بن ناصر الغافري: هو ابن الإمام محمد بن ناصر الغافري، ويعدُّ داهية زمانه، ولاه أئمة اليعاربة إمارة البحرين، وظل فيها ردحاً من الزمن، وازدهرت في زمانه. ثم رجع إلى عمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي، وتزعم في عهده الظاهرة، فكان له فيها نفوذ الحاكم المطلق، مطاعاً في قبائلها، وبنى إذ ذاك حصن "العينين" الشهير، الأمر الذي دعاه أن يقود حملة تمرّد ضد الإمام، لكن كان له بالمرصاد، فوقعت بين الرجلين صدامات عنيفة. كانت حادثة منطقة "سيح الطيب" أعنفها، حيث خسرت الحكومة خلالها الكثير من رجالها، ولكن لم تطل المدّة، حتى انهزمت فلول المتمردين، وقتل ناصر. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٦٠.

الرعية، [٨٧٤] وأن تطرح على بحر جزيرة البحرين من مراكبه الكبار اثني عشر مركباً، ومن سفنه الصغار ثلاثمائة سفينة، وأن لا تنقطع مادة الأخبار بينه وبينه، فامتثل الشيخ ناصر بن محمد بن عامر للأمر. فلما وصل إلى البحرين، نزل بعراد، وواجهته رعيّة البحرين كافّة، وأذعنوا للإمام وله بالطاعة والانقياد، وأجلس معه من القوم الذين بعثهم الإمام لحرب البحرين، وسلموا من القتل والجراح عشرة آلاف رجل، ومن السفن في البحر، كما أمره به الإمام، وقد مدح الإمام سلطان بن سيف، الشيخ راشد بن جمعه بن خميس بقصيدة رائية، ذكر فيها فتوحه لجزيرة البحرين، وما وقع على العجم، ورثى فيها ولاته الأمراء الذين ذكرناهم، وهذه القصيدة مطلعها شعراً:

ألا فانظروا كيف الأعاجم صاروا	غدوا شجرات مالهنّ قرارُ
طغوا وبغوا في الأرض حتى أصابهم	عقاب أليم مهلك وتبارُ
فحلّت بهم من مالك الأمر نقمة	وسوء عذاب دائم ودمارُ
وقد ضُربت أعناقهم بمنا صلٍ	كما خُربت دور لهم وديارُ
فصاروا بها رغم الأنوف كأنهم	سماحج وحشٍ عاقهنّ عثارُ
وقد شربوا كأسا من الحتف والردى	فخرّوا على الأذقان وهي بدارُ
وجُرّوا على أذقانهم بعدما جروا	بخيلٍ وقد جرّوا الذيول وجاروا
وقد حملتهم بعدما عاينوا الظُّبا	مطايا المنايا للبوار فباروا
ليعلم ملك العجم أنّ جيوشه	إلى الموت قد تَسري بهم ويسار
فدوّخهم بالمشرفية فيلق	عظيم لديه المعظمات صغارُ
وقد أيمّوا من بعد ذلك نسوة	عراهن مع سوء الحياة صغارُ
تَباكى عليهم بالنهار وبالدجى	وأدمعها عند البكاء غزارُ
كأنهم لم يعلموا أن باعنا	طويل وأعمار العداة قصارُ
دمائهم هدر ولكن ضربنا	لأعناقهم يوم النزال جُبار

ومـــا ذاك إلاّ مـــن خـــساسة طـــبعهم يقولون أضـــغاث الرجـــال قمـــارُ
وليلـــة ســـعد مـــزّق الـــسيف ثوبهـــا كـــأنّ دجاهـــا بالـــسيوف نهـــارُ
تزاحمـــت الأبطـــال فيهـــا كأنمـــا بها القوم ســـفن والـــدماء بحـــارُ
ويـــوم أثـــار النقـــع فيـــه ســـحائباً من الحرب حُمراً حشوهنّ غبـــارُ
كـــأنّ يحـــاميهم العجاجـــة عـــارض تلامـــع فيـــه كـــالبروق شـــفارُ
فمـــا زالـــت الهيجـــاء حتـــى تفرقـــوا ولكـــن عـــرتهم ذلّـــة وفـــرارُ
وقد صارت البحرين فـــي ملـــك سـيّدٍ كـــريم زكـــا فـــرع لـــه ونجـــارُ
ســـلالة ســـيف نجـــل ســـلطان الـــذي لنا أمنت سوح به وقفـــارُ [٨٧٥]
هنيـــأً إمـــام المـــسلمين ببلـــدة بكم طاب فيهـــا مفخـــر وفخـــارُ
لقـــد كـــان فيهـــا للأعـــاجم غبطـــة فزمّوا مطايا البين منها وســـاروا
نعم وسقوا من منهـــل الحتـــف شـــربة بها من عقـــار الموبقـــات عقـــارُ
فولـــــوكم أدبـــــارهم وتبلّـــــدوا وقد وقفوا دون المحيص وحـــاروا
وكـــانوا بهـــا أُســـداً فلمّـــا غـــزوتهم غدوا بقـــراً عونـــاً لهـــنَّ خُـــوارُ
رأوا مـــنكم مـــا لا رأى بخـــت نـــصرٍ ومـــا لا يـــراهُ مـــصدع وقـــدارُ

فلـــم يبـــقَ إلاّ مـــن تـــراه مجـــدّ لاً قتيلاً ومن بـــين الرجـــال مجـــارُ
فلم يحمهم مـــن أســـيف الأســـد قلعـــة ولمّـــا يـــصنهم معقـــل وجـــدارُ
وما ضرنا مـــن غيـــر مـــوتٍ كرامنـــا لأنهـــم عـــدل بهـــا وخيـــارُ
كحميري الزاكي بن سيف بـــن ماجـــد فتى بعـــده النـــوم اللذيـــذ مُطـــارُ
ونجـــل عزيـــز راشـــد ومبـــارك سليل غريب هـــم هـــديت ذمـــارُ
ولـــم أنـــسَ ذاك الحـــضرمي محمـــداً فموتتـــه للمـــسلمين خـــسارُ
شـــجاعُ كفـــاحٍ لـــم يقاومـــه ضـــيغم وعضبٌ وغيٌ ما بتَّ منه غـــرارُ
ولكـــن صـــبراً فالـــسنون حوامـــل وفيهـــا الليـــالي ولَّـــدُ وعـــشارُ

وللفلـــك الـــدّوار عُظــمُ عجائـــب   وفـــي دهرنـــا للـــدّائرات مـــدارُ
ودم يـــا إمـــام المـــسلمين مظفـــراً   طوال الليالي لا نبــت بــك دارُ[1]

وقد مدح الحبسي أيضاً الإمام سلطان بن سيف بقصيدة لامية، وسبب نظمـه لهـذه القصيدة، أنَّ سائلاً سأله عن نسبه، ومن أين هو، فأراد أن يبيّن له ذلك، فنظم هـذه القصيدة، وسماها الفهّاميّة:

الفخر بالـــدين لـــيس الفخـــر بـــالآلِ   فكلّ شيء سوى الإيمـــان كـــالآلِ[3]

وقد مدحه أيضاً بقصيدة دالية، من بحر السريع، ويذكر قدومه من مكان، ومطلعها:

قـــدومكم ســـرَّ جميـــع العبـــاد   وأخـــصب الأرض وأحـــي الـــبلاد
قـــدوم غيـــث بعـــد جـــدب غـــدا   ممتلئـــاً مـــن خيـــره كـــل واد[3]

ومدحه أيضاً بقصيده رائية، مطلعها شعراً:

صـــبّحك الله ومـــسّاك بـــالخيرا   ت يـــا أعـــلا الـــورى قـــدرا
نعـــم ويـــا أعلاهـــم رتبـــة   أجـــلْ ويـــا أشـــرفهم نجـــرا[4]

(1) انظر القصيدة في ديوان الحبسي، ص ٦٠-٦٣.
(2) المصدر نفسه، ص ٦٣.
(3) المصدر نفسه، ص ٦٧.
(4) المصدر نفسه، ص ٧٠.

ومدحه أيضاً بقصيدة رائية، من بحر الكامل، من النوع الآخر، وذكر فيها قدومه من مكان، مطلعها:

ملأ البلاد قدومكم فرحا	وقد مُلئت سرورا
يا نجل سيف أنت بحر	لن يغيب ولن يغورا[1] [٨٧٦]

وكان من جملة ما مدحه بها الشيخ راشد بن جمعه بن خميس الحبسي من القصائد، وحفظتهنّ عنه، اثنتين وأربعين قصيدة مطوّلات ومختصرات ومقاطيع، ولولا خوفي الإطالة، لرمتهنّ جميعاً في هذه الترجمة، وكفى بما أثبته الآن عنه في هذه الترجمة. ولمّا نمت قوّة الإمام سلطان بن سيف، وخافته ملوك العرب والعجم، وسرى صيت هيبته لكل مكان، شرع في بنيانه لحصن الحزم، فجعل عرض كل جدار منه اثني عشر ذراعاً، وطول سطحه في الارتفاع اثنان وسبعون ذراعاً، وهو يشبه القبّة، لا خشب إليه، بل جعل عوض الخشب جصاً مرتكماً بعضه على بعض، وأمر أن يؤتى إليه الجصّ من الدبيشي، إذ كان ترابها المحرق، لا له نظير في القوّة. وأنفق الإمام سيف لبناء هذا الحصن ما ورثه من أبيه سيف بن سلطان من المال الذهب والفضة كافّة، واقترض بعد ذلك من أموال المساجد والوقوفات لكوكا، فلمّا أتمّه وسكنه، بعث إلى حرب المخا من قبله عبدالله بن محمد بن خلف العنبوري، ومعه من القوم ثلاثون ألفاً، أحراراً وعبيداً، ومن المراكب الكبار عشرين مركباً، ومن السفن التي دونها في العظم سبعمائة سفينة، ومن آلة الحرب والزاد شيئاً كثيراً، فلما وصلها، حصرها براً وبحراً، وكان كل عسكره منها عند البيت المسمى إلى هذه الغاية بيت الأمانة، وإنما سمي بيت الأمانة لنزول أصحاب والده الإمام سيف ابن سلطان فيه، وهم الذين بعثهم لشراء التحف من أرض اليمن، فمكث عبدالله بن محمد في محاصرته للمخا شهرين، ثم أتاه النعي بموت الإمام

---

[1] المصدر نفسه، ص ٧١.

سلطان بن سيف، فارتفع عنها، ورجع بمن معه من الرجال وآلة الحرب والسفن إلى مسقط، وإلى هذه الغاية أيضاً، تسمى النخل التي غرسها خدام الإمام سلطان بن سيف وعبيده، نخل العبيد، وهنّ من نوى التمر الذي أكلوه أيام إقامتهم لحصار بلدة المخا، وكانت مدة دولته في الإمامة إلى أن مات، رحمه الله، لم تتحرك عليه حركة حرب من أهل عمان، ولا من غيرهم، وتوفي في شهر جمادي الأخرى يوم الأربعاء، لخمس ليالٍ خلون منه، في سنة إحدى وثلاثين سنة وألف سنة للهجرة، وقُبر في حصن الحزم.

ولمّا مات الإمام سلطان بن سيف، ووقع الاختلاف بين اليعاربة، وعلم ملك العجم بما جرى بينهم من الاختلاف، بعث إلى حرب جزيرة البحرين أُلوفاً كثيرة من العجم، فركبوا السفن من بندر عباس إلى البحرين، فلمّا وصولها، أحاطوا بالشيخ ناصر بن محمد بن ناصر بن عامر بن رمثه الغافري، والي الإمام سلطان بن سيف على البحرين، فوقع بينهم حرب شديد، وقد أيس الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر ابن عامر من الانتصار، لأجل الخلف الذي وقع بين اليعاربة بعمان، فجعل العجم يركضون عليه، وهو يقاتلهم تجلّداً، ثم بذلوا له مالاً كثيراً لإنصرافه عن البحرين، فصالحهم على ذلك، وقبض منهم أموالاً كثيرة من الذهب والفضة والسلاح، وغير ذلك، ومن جملة المال الذي أخذه منهم المخشا الذهب، له عناقيد من ذهب كعناقيد العنب، فلما صار إليه كل ما طلبه منهم، انصرف من البحرين على سفن إلى خور فكّان، ثم ارتفع منه إلى أرض السرّ من الظاهرة، ولمّا تفاقم الاختلاف بين اليعاربة، وتشعّبت القبائل الذين في قلوبهم الحميّة، أراد غير أهل العلم أن يكون مكانه ولده سيف، وهو يومئذ صغير، ولم يراهق، وأراد أهل العلم وبنت الإمام سيف أن تكون الإمامة لأخيه الكبير المهنا بن سلطان، إذ رأوه أهلاً لها، وأنه لذو قوّة وشجاعة، ولم يعرفوا ما يخرجه من الولاية، [٨٧٧] وعرفوا أن إمامة الصبي لا تجوز على حال، إذ إمامته لا تجوز في الصلاة، فكيف يكون إمام مصر، يتولىّ الأحكام، ويلي الأموال والدماء والفروج، ولا يجوز أن يقبض ماله، فكيف يجوز أن يقبض مال الله

ومال الأيتام والأغياب، ومن لا يملك أمره. فلمّا رأى الشيخ عدي بن سليمان الذهلي[1] ميل الناس إلى ولد الإمام، ولم يجد الإمام ولا الرخصة ليتابعهم بها، وخاف أن تقع الفتنة لاجتماع الناس بالسلاح، وربما شهر مع ذلك السلاح، ووقع بينهم الجراح، فقال لهم مع ذلك: أَمامَكم سيف بن سلطان، بفتح الألف، والميم الثانية، يعني قدّامكم، فعند ذلك نادوه بالإمامة، وضُربت المدافع إظهاراً وإشهاراً، وانتشر الخبر في عمان، أن الإمام سيف بن سلطان، فلمّا سكنت الحركات، وهدأت الناس، أدخلوا الشيخ مهنا الحصن خفية، وعقدوا له الإمامة في هذا الشهر الذي مات فيه سلطان بن سيف من هذه السنة.

الإمام مهنا بن سلطان:

الإمام مهنا بن سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب ابن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. فلما أفضت إليه الإمامة، واشتهر بها مع الخاصة والعامة، قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

[1] الشيخ عدى بن سليمان الذهلي: هو الشيخ العالم الفقيه القاضي، عدي بن سليمان بن راشد بن حسن بن بغسان بن سعيد بن ربيعة بن سعيد بن كهلان بن راشد بن محمد بن صلت بن ربيعة الذهلي. من علماء القرن الثاني عشر الهجري، ومن قضاة أئمة اليعاربة الآخرين، أيام الإمام سلطان بن سيف الثاني، ثم الإمام مهنا بن سلطان ، وكان هو العاقد عليه الإمامة، وذلك بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني. لكن اليعاربة أرادوا البيعة لسيف بن سلطان الثاني، ولم يبلغ الحلم، فقال الشيخ عدي بعدم جواز ذلك، ووقع الخلاف بين اليعاربة و رؤساء القبائل من جهة، وأهل الحل والعقد والإمام مهنا بن سلطان من جهة أخرى، وأضمروا العداوة لهم، وألقوا القبض على الشيخ عدي، وقيدوه، وقتلوه سنة ١٧٢١، انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٣٨٨.

واستراحت الرعيّة بعدله وإنصافه، وحطّ عنهم العقودات بمسقط، ولم يجعل بها وكيلاً من قبله، وربحت الرعيّة في متجرها، ورخصت الأسعار، وبورك في الثمار، ولم ينكر عليه أحد من العلماء، وهو مع ذلك قليل العلم، بل لا يقدم على شيء لا يسأل عنه العلماء، فلبث على ذلك سنة، حتى قتل، رحمه الله تعالى، وسبب الفتنة، وما آلت إليه أمور أهل عمان، أنهم لمّا عقدوا له بالإمامة،لم تزل اليعاربة وأهل الرستاق مسرّين العداوة له، وللقاضي الشيخ عدي بن سليمان الذهلي، ولم يزالوا بيعرب بن بلعرب، يحضونّه على القيام والخروج عليه، حتى خرج يعرب ابن بلعرب عليه، فقهر عليه مسقط، ولم يدخلها بجيش، وعسى أهلها لم يعدم من خيانة للإمام مهنا بن سلطان، وكان الوالي فيها يومئذ مسعود بن محمد الصبّاري الريامي، وكان الإمام مهنا يومئذ خارجاً إلى فلج البزيلي من ناحية الجوّ، فبلغه الخبر، فرجع إلى الرستاق، فقام وشمَّر، وطلب من أهل عمان النصر على من اعتدى عليه، فلم ينصروه، وخذلته الرعيّة، وتنغّصت عليه عمان، وحصره أهل الرساق في قلعتها، وحاربوه، ووفد يعرب من مسقط على الرستاق، وسأل مهنا بن سلطان النزول من القلعة، وأعطاه يعرب ومن معه الأمان على نفسه وماله، ومن معه من الناس، فنزل من القلعة، فزالت بذلك إمامته، فأخذوه، وقيّدوه، وخشبوه، هو وأحد من أصحابه، ثم جاء إليهم من جاء من الخدم، فذبحوا مهنا، واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب، ولم يكن يدّعي الإمامة له، بل يدّعيها لابن عمه سيف بن سلطان، وهو القائم له بالأمر، إذ كان سيف صغير السن لا يقوم بأمر الدولة، وسلمت له جميع حصون عمان وقبائلها، وكان هذا الشأن سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، فلبث على ذلك حولاً، ثم إن القاضي عدي بن سليمان الذهلي استتاب يعرب من جميع أفعاله، وتعديه على المسلمين، وبغية على مهنا بن سلطان، واغتصابه لدولة المسلمين، وأن يعرباً كان مستحلاً خروجه هذا، فلم يلزمه ضمان ما أتلف، لأن المستحل لما ركبه ليس عليه ضمان إذا تاب، ورجع فتاب مع ذلك ورجع، فعند ذلك عقد له [٨٧٨] بالإمامة.

الإمام يعرب بن بلعرب :

الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعـــرب بـــن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمـــد بـــن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن مالك اليعربي. عقد له بالإمامة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف سنة، فاستقام له الأمر، وأظهر العدل في الرعيّـــة، فحمدوا صنيعه، وشكروا سعيه، وسلّمت له حصون عمان، فلبث أياماً قلائـــل فـــي الرستاق، ثم ارتفع إلى نزوى، فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة، فلم يرض أهل الرستاق أن يكون يعرب إماماً، فأظهروا العصبية لسيف بن سلطان، فما برحوا يكاتبون بلعرب بن ناصر، خال سيف بن سلطان، وهو مقيم بنزوى مع الإمام يعرب، ويحضونّه على القيام، حتى خرج من نزوى، ليلة ست مضت مـــن شوال من هذه السنة، وقصد بلاد سيت، فحالف بني هناءة على القيام معه، على أن يطلق لهم ما حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله، من البنـــاء وحمـــل السلاح، وغير ذلك، وأعطاهم عطايا جزيلة، فصحبوه إلى الرستاق، فاستقام الحرب في الرستاق، حتى أخرجوا الوالي منها، وذلك أنهم أحرقوا باب الحصن، فـــاحترق مقدّم الحصن جميعاً، وأحرقت ناس كثيرة من بني هناءة، ومات كثير من رؤسائهم، ورؤساء بني عدي من ذلك الحريق، فاتفقت الروايات أنه احترق مائـــة وخمـــسون رجلاً، واحترقت كتب كثيرة، مثل بيان الشرع، والمـــصنف، وكتـــاب الإســـتقامة، ومجليات الطلسمات، قدر أربعين مجلداً، وغير ذلك من الكتب كثير، لم يكن لهـــن نظير بعمان، وظهر مع هذا الحريق كنز عظيم به أموال جزيلة. فبلغ الخبر الإمام يعرب بما صنع أهل الرستاق، فسرّى سرية، وأمر عليها الشيخ صالح بن محمد بن خلف السليمي، وأمره بالمسير إلى الرستاق، فسار، حتى وصل العوابي، فلم يكـــن لهم قدرة على دخول الرستاق، فرجعوا مسرعين، ثم إن بلعرب بن ناصر كتب إلى

والي مسقط أن يخلصها لهم، وكان الوالي فيها يومئذ حمير بن منير بن سليمان بن أحمد الريامي[1]، فخلصها لهم، وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب، ثم أخرجوا سريّة عليها مالك بن سيف اليعربي، فوصل إلى سمائل، وافتتحها بغير حرب، وأخرج الوالي منها، وذلك في شهر القعدة من هذه السنة، وصحبه بنو رواحة، فجاء إلى إزكي، فافتتحها بغير حرب، ثم إن يعرباً خرج بمن معه من أهل نزوى وبني ريام، والقاضي عدي بن سليمان الذهلي، ووصل إلى إزكي، فخرج إليه مشائخ إزكي بالضيفة والطعام، وقالوا له: نحن معك. فمكث يكاتب مالك بن سيف[2]، ليخرج من الحصن يومين، فلم يخرج، فنصب بلعرب له الحرب، فضربه ضربتي مدفع، ثم وصلت إلى يعرب عساكر بني هناءة، يقدّمهم صاحب العنبور من أهل الرستاق، فتفرقت عساكر يعرب، فبقي مخذولاً، فرجع إلى نزوى، وأما القاضي عدي بن سليمان، فإنه قصد إلى الرستاق، فلما وصل إليهم، أخذوه، وصلبوه، هو وسليمان بن خلفان، وجاءهما من حاكمهما من أعوان بلعرب بن ناصر، فقتلهما مصلوبين، وسحبهما أهل الرستاق، وذلك يوم الحج الأكبر من هذه السنة. ثم مضى صاحب العنبور إلى نزوى، وجعل يكاتب يعرب، ليخرج من قلعة

---

(1) حمير بن منير بن سليمان بن أحمد الريامي: والٍ، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وكان والي مسقط، كتب إليه أن يسلم مسقطَ للسرية التي أرسلها، وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب، ثم عين والياً على مسقط، في عهد الإمام يعرب بن بلعرب، قام حمير بن منير على رأس قومه، ومعه أهل سمائل، بمقاتلة الفرس، الذين استقدمهم سيف بن سلطان لمناصرته على ابن عمه بلعرب بن حمير، ثم سار منير بمن معه من العسكر وأهل إزكي، وبنو ريام إلى بهلا، وحرروها من الفرس. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٥٣.

(2) مالك بن سيف: مالك بن سيف بن ماجد اليعربي، قائد، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، أحد قواد الإمام بلعرب بن ناصر في حروبه ضدّ يعرب بن بلعرب، أرسله بلعرب على رأس سرية عسكرية إلى سمائل، فافتتحها بغير حرب، وصحبه بنو رواحة إلى إزكي، فافتتحها أيضاً بغير حرب، ثم خرج يعرب بن بلعرب ومن معه من أهل نزوى قاصداً إزكي، فأرسل إلى مالك كي يخرج منها، فرفض، وقامت الحرب بينهما، إلى أن انتهت بانتصار مالك، فرجع يعرب إلى نزوى مخذولاً. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٢.

نزوى، ودخل على يعرب ناس من أهل [٨٧٩] نزوى، وسألوه الخروج منها، لأجل حقن الدماء، فلم يزالوا به، حتى أجابهم على ذلك، واشترط عليهم أن يتركوه في حصن يبرين، ولا يعرض له بشيء من السوء، فأعطوه العهد على ذلك، فخرج يومئذ من نزوى، فزالت إمامته، ومضى إلى يبرين، ودخل صاحب العنبور قلعة نزوى، وضرب جميع مدافعها، ونادى بالإمامة لسيف بن سلطان، وخلصت له جميع حصون عمان[١].

الإمام سيف بن سلطان:

الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك ابن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. اتفقت الروايات أنه لمّا خلصت له جميع حصون عمان، وسلّمت له كافة القبائل والبلدان، استقام أمرهم على ذلك. قال صاحب كشف الغمة في افتراق الأمة وغيره: فلمّا كان بعد شهرين إلاّ ثلاثة أيام بعده، نادى صاحب العنبور له بالإمامة، وقع التنافر بين أهل عمان من قبله ويعرب بن بلعرب، حتى أراد الله ظهور ما سبق في علمه أنه سيكون على أهل عمان، بما غيروا وتكبرّوا، لأن الله لا يغيّر ما بقوم، حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وفي ذلك الامتحان، ليظهر المثبت في دينه، المخلص في سريرته، ممن زلق في دينه، وخالفت علانيته سريرته في علم الله، قال الله جلّ وعلا: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٢]. وعلم الله ها هنا ظهور سابق في علمه من القدر المحتوم، فيظهر من كل ذي فعل فعله، فيعاقب بما صنع، ويثاب ما أطاع، ليجزي

---

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، ص ٤٩٦-٤٩٧.

[٢] سورة العنكبوت، الآية ١، ٢، ٣.

الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. والفتنة ها هنا الاختبار، كما يختبر الذهب الإبريز بالنار، وقيل : عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان[1].

فلما استقر الأمر ليعرب بن ناصر، على أنه هو القائم بالدولة، وعلى أن الإمام سيف بن سلطان، ووفدت إليهم القبائل ورؤساء البلدان يهنوهم بذلك، وقع من بلعرب تهدّد على بعض القبائل وخاصة على بني غافر وأهل بهلا، فقيل: إنه قدم محمد بن ناصر بن عامر الغافري في جماعة من قومه، فوقع عليهم تهدّد من بلعرب بن ناصر، فرجع محمد بن ناصر بمن معه مغضباً ، و جعل يكاتب يعرب بن بلعرب و أهل بهلا ليقدموا بالحرب ، وركب هو قاصداً إلى البدو من الظفرا من بني نعيم وبني قتب وغيرهم، وأما بلعرب بن ناصر، أرسل إلى رؤساء نزوى، ليصلوا إليه، فاجتمع كثير من رؤسائهم، ومضوا إليه، فرأوا منه محلاً وكرامة، وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان، ثم إنه سرّى سرّية، وأمر عليها أخاه سليمان بن ناصر[2]، وأمر بالمسير إلى نزوى على طرف وادي سمائل إلى يعرب، ليأتي به إلى الرستاق، وأمر على أهل نزوى أن يصحبوا تلك السرية، فلم يزالوا يتشفّعون برؤساء الرستاق إليه، ليعذرهم من ذلك، فعذرهم، ومضت السرية، حتى وصلت فرق، وباتت فيها، فبعث أهل نزوى بطعام لهم ولدوابهم، فبينما هم كذلك، إذ سمعوا ضرب المدافع في قلعة نزوى، فسألوا عن الخبر، فقيل لهم: إن يعرب بن بلعرب دخل قلعة نزوى، فعند ذلك رجعوا إلى إزكي، فأشار من أشار على سليمان بن ناصر بقبض حصن إزكي، ففعل ذلك، ومكث في إزكي، وكان بلعرب بن ناصر قد سرّى سرية أخرى لحرب يعرب، وبعثهم من جانب الظاهرة، فلما وصلوا بهلا، قبضهم [٨٨٠] أهل بهلاء، وقيدوا أكثرهم بها، وبعث سرّية أخرى لحرب بني

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٨.

[2] سليمان بن ناصر اليعربي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو شقيق يعرب بن ناصر، أرسله أخوه على رأس سرية، وأمره بالمسير من جانب وادي سمائل ليقبض على يعرب ابن بلعرب الملك المخلوع، ويأتي به إلى الرستاق، ومضت السرية إلى أن وصلت إلى فرق، فسمعوا صوت المدافع في قلعة نزوى، فعرفوا أن يعرب دخل القلعة، فرجعوا إلى إزكي، واستولوا على حصنها. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٨٥.

غافر، أهل وادي الرستاق، فانكسرت السرّية، ورجعت إلى الرستاق. وأما يعرب، فإنه بعث سرية إلى إزكي، تسحب مدفعين من نزوى، فلمّا وصلوا إلى إزكي، ركضوا على الحصن، فانكسروا، وقتل منهم ناس قليل، فرجعوا إلى نزوى، ثم سرّى سرية ثانية، فأقاموا بالجني الغربيّات، ثم أصبحوا من الليل راجعين، ولم يكن منهم حرب، ثم سرّى سرية ثالثة، وصلوا إلى إزكي، ومكثوا يضربون الحصن بمدفع، فمكثوا على ذلك عشرة أيام، ثم وصل مالك بن ناصر من الرستاق إلى إزكي، فخرج هو وأهل الحصن على قوم يعرب، فانكسر مالك ومن معه، فأغارت البدو من قوم يعرب على سُدّي وحارة الرحى من إزكي، فنهبوا من طرفيهما ما نهبوا، وأحرقوا، فقام حمير بن منير، وكان هو خارجاً من حارة الرحى، ثم ركض ولاة سرية يعرب على أهل اليمن، فانكسروا، وقتل والي السرية محمد بن سعيد بن زياد البهلوي، وقيل لمالك بن ناصر: إن أهل النزار خرجوا مع سرية يعرب، حتى ركضوا على اليمن، فأرسل إلى مشائخ النزار، وقيّدهم بالجامع من إزكي، ثم أرسل إلى أهل الشرقية، فجاءت منها عساكر كثيرة، وجاء بنو هناءة بخلق كثير، فاجتمعت العساكر بإزكي، فركضوا على سرية يعرب، وأخرجوا أهل الطبول وأناس قليل من جانب المنزليّة، وخرجت العساكر من جانب العتب يوم الجمعة، عند زوال الشمس، فكانت بينهم وقعة عظيمة، سُمع فيها ضرب التفق كالرعد القاصف، وبرق السيوف كالبرق المتراسل الخاطف، فانكسرت سرية يعرب، ووقع بينهم قتل كثير، وقتل من الفريقين ثلاثمائة رجل[1].

ثم إن مالك بن ناصر ارتفع بمن معه من العساكر، وقصد قرية منح، وأغارت شرذمة من قومه على فلج وادي الحجر، فقتلوا منه أُناساً، ونهبوا ما فيه، وأحرقوا بيوتاً من زكيت، ومن المحيول، وحتى وصلوا منح، فنهبوا حجرة معد، وأحرقوا بيوتها، وقتلوا من قتلوا، وتفرّق أهلها، ثم ساروا إلى نزوى، ووصلوا إلى مسجد المخاص من فرق، فضربوا هناك معسكرهم، وأقاموا محاصرين نزوى، وأفسدوا الزروع، وأحرقوا سكاكر كثيرة من الحيلي والخضراء، وأحرقوا مقامات من فرق،

---

(1) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٨-٥٠٠.

وعاثوا في البلاد، ثم خرج إليهم أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب، فوقــع بينهم الحرب، ثم رجع كل فريق إلى مكانه، فكان الحر ب والقتل بينهم كل يــوم، واشتدّ على أهل نزوى البلاء، ثم وقعت بينهم وقعة عظيمة، وكادت تكون الهزيمة على قوم مالك، إلاّ أنهم لم يجدوا سبيلاً للهرب، إذ قد أحاطت بهم الرجال كحلقــة الخاتم بعدما انهزم منهم أكثر من النصف، وبقي من بقي، فظنوا أن لا ملجأ لهم من القتل، فتجلّدوا على القتال. وأما أهل نزوى فظنوا أنهم غالبون، فانشغل أكثــرهم بالنهب والسّلب، واتكل بعضهم على بعض، فعطف عليهم القوم بعزم ثابت، وجدّوا في الاجتهاد، فولّوا منهزمين، فكثر فيهم القتل والجراح، وأتــبعهم القــوم يقتلــون ويسلبون إلى الموضع المعروف بجنور الخوصة قريباً من جناة العقر، فقتل في ذلك اليوم من أهل نزوى رجال عدّة، ورجع بلعرب إلى معسكرهم، ولم تزل الحــرب بينهم قائمة على ساق، ثم إن مالك خرج بكافّة أصحابه، إلاّ قلــيلاً، تــركهم فــي المعسكر، حتى وصل قريباً من جناة العقر، فأراد أن يحاصرها من بستان شــويخ، وليثقب جدرها لمرامي التفق، فخرج إليهم أهل نزوى، فدارت رحى الحرب بيــنهم ساعة من النهار، ثم قتل مالك بن ناصر، فانكسر قومه، ورجعوا إلى معــسكرهم، وأقاموا هنالك، وقد ضعفت قوتهم [٨٨١] بموت مالك، ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل نزوى، حتى وصل محمد بن ناصر الغافري بجيشه من الغربية، بعد حــروب كانت منه لها وقعات عظيمة، منها بوادي الصقل، ومنها بالجوّ وضــنك، ومنهــا بالغبيّ، وغير ذلك مما يطول الشرح، وحين وصل محمد، أمر بالركضة على مــن بالمخاض، فركضوا عليهم، وأحاطوا بهم، ووقع الحرب والرمي بالتفق من الصبح إلى الليل، فلّما جنهم الليل، أمر محمد أن يفسحوا لهم من الجانــب الأســفل مــن الوادي، ففسحوا لهم، فأصبح مكانهم من الليل خلاء ليس فيه أحد، وتفرقوا شــتى، ورجع محمد بن ناصر إلى نزوى، وكان يعرب بن بلعرب يومئذ مريضاً بيبــرين، فأقام محمد بنزوى أياماً قلائل، وكان الحصار لنزوى قبل قدوم محمد بشهرين، ثــم إن محمد أمر بالمسير إلى الرستاق، فسار إليهم بجيش كبير، فدخلها، ونزل بفلــج

الشراة منها، وأراد أصحابه أن يركضوا على البومة التي فيها علـــي بـــن محمـــد العنبوري، فنهاهم عن الركضة إلى أن ركض صاحب العنبور، وكانت هذه البومة تسمى بومة العنبور، وأكثر ما يقول العامة لعلي بن محمد العنبوري علي بن محمد العنبوري، فقتل صاحب العنبور، وقتل من قتل من قومه، وانكسر الباقون، ورجـــع محمد بن ناصر إلى فلج الشراة، ودخل في اليوم الثاني في فلج المـــدري، فالتقـــاه بلعرب بن ناصر مسالماً، فصالحه على تسليم قلعة الرستاق، وجميع الحصون التي بيده، ومضوا جميعاً إلى قلعة الرستاق، فأراد بلعرب أن يخدع محمد بـــن ناصـــر، وكان محمد رجلاً فطناً حذراً، فأبى أن يدخل، إلاّ أن يدخل هو وجميع القوم الـــذين صحبوه إلى الحصن، فلمّا دخل كافة من معه من القوم، وقع من القوم فـــي البلـــد السلب والنهب والسبي في الذراري، حتى أنها بيعت، وحُملت إلى غير عمان، وذلك بما كسبت أيديهم جزاءاً بما كان يعملون، وبما فعلوا في قاضي المسلمين عدي بن سليمان، ﴿ذلك بأن الله لم يك يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفـــسهم والله سميع عليم﴾[1]. ومات يعرب بن بلعرب ومحمد بن ناصر يومئذ بالرســـتاق، لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادي الأخرى، سنة خمس وثلاثين سنة وألف ســـنة، وكتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوي عليهم عدّوهم، ونحواً من خمسين يوماً أخبروا بموته، ثم إن محمد بن ناصر أمر، فقيّد بلعرب بن ناصر، بعد مـــا أمـــر بلعـــرب بتخليص الحصون التي بيده، ولم يبق إلاّ مسقط وبركة في يد بني هنـــاءة، وأقـــام محمد بن ناصر بالرستاق، وأشهر أن الإمام سيف بن سلطان، وتفـــرق أصـــحاب الرستاق في الجبال والأودية، حتى قيل : إنه وجد بكهف من جانب حلاه المهاليـــل مائة نفس من صبيان ونساء ميّتين من العطش، خافوا أن يرجعوا إلـــى الرســـتاق، فيحملونهم أصحاب محمد، ويبيعونهم بيع العبيد، وجاءت ثيبة لمحمد بن ناصر بعد أن أخذ الرستاق بثلاثة أيام قدر ألف ونصف من بني قليب وبني نعب أصحاب تفق

---

[1] سورة الأنفال، الآية ٥٣.

ورماح، ووصل محمد بن مطر بن رحمة الهولي بقدر خمسة آلاف من بدو وحضر، وفيهم من لا يعرف العربية، ولا يعرف الصديق من العدو، وكان خلف بن مبارك المعروف بالقصير الهنائي من أهل الغشب من الرستاق وقت الحرب، فقهر حصن بركة وفي مسقط والمطرح، ومعه بنو هناءة، فأرسل محمد بن ناصر، علي ابن محمد الخروصي [٨٨٢] والياً لحصن بركة، فقتل، ورجع أصحابه إلى الرستاق مع محمد بن ناصر، فأمر الجيش بالمسير إلى بركة، فسار رحمة بن مطر الهولي بقومه، وحمزة بن حمّاد القليبي[1] بقومه، وأحمد بن علي الغافري ببني كعب، وبالعسكر الذي خرج من عند محمد بن ناصر لهم، ومحمد بن عدي بن سليمان الذهلي بالقوم الذين جاء بهم من جانب الصيّر، ومحمد بن ناصر الحراصي بقومه، فسار هؤلاء، كلّ والٍ على قومه، حتى نزلوا مصنعا، ثم ورد كتاب من قرع الدرمكي، ومن بني هناءة، إلى رحمه بن مطر الهولي، إنك لا تصل إلينا، فنحن واصلون إليك على معنى التهدد، فلما قرأهُ، وعرف معناه أمر بالمسير إلى بركة، وقدَّم عيوناً من أصحابه إلى بركة، فوجدوا قرع وأصحابه قاصدين إلى رحمة، فرجعت العيون، وأعلموه أنهم وجدوا قرع وأصحابه مقبلين إليه، فالتقاهم رحمة بمكان يسمى القاسم، فوثب عليهم قضيب الهولي على فرس، والقوم على أثره، فقتل منهم قضيب عشرة رجال، ثم انكسر أصحاب قرع، بعدما قتل قرع، وجرح قضيب جرحاً هَيّناً، وسار ابن رحمة مشرّعاً بالقوم،حتى نزل بالحفر، التي هي للجبور، يستريحوا، ويأكلوا، ثم إنه بعث عيوناً، فوجدوا خلف بن مبارك القصير قد طلع بقومه براً وبحراً، بجيش كثير العدد، وكان عدد القوم الذين هم أصحاب محمد

---

[1] حمزة بن حماد القليبي: محارب، كان أحد رجالات وقادة محمد بن ناصر في حروبه مع خلف ابن مبارك القصير وحلفائه من بني هناءة. أرسله الإمام على رأس قومه، لمحاربة خلف الذي استولى على حصن بركاء، وقتل واليه، فنزل حمزة بقومه بلدة المصنعة على ساحل إقليم الباطنة، ثم ساروا، والتقوا غربي بركاء، فوقعت بينهم معركة عظيمة، انتهت بانتصار حمزة،و وليّ خلف بالفرار. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٥٢.

ابن ناصر خمسة عشر ألفاً من بدو وحضر، من سائر القبائل، والتقوا غربي بركة، فوقعت بينهم صكّة عظيمة، وكانت عند أصحاب رحمة مدافع، يجرّونها على عجلة في البّر، فضربوا الخشب التي في البحر، فأغرزت الخشب بحراً، وانكسر خلف بن مبارك القصير وأصحابه، وركب ناقته، واتبعهم أصحاب محمد بن ناصر يقتلون ويأسرون، فلم يجدو ملجأً من القتل، وكانوا يدخلون البحر ليتحصلوا في المراكب، فاغرزت بحراً، ولم ينالوها، والقوم تضربهم بالتفق، فهلكوا جميعاً، وأخذوا سلبهم من سلاح وغيره، فلفظهم البحر، فوجد جميع القتلى من عساكر خلف ألفاً، واثنا عشر رجلاً، ولم يزالوا يتبعونهم، حتى دخلوا هديمهم حصن بركة، ثم نزل محمد ابن ناصر الغافري بجانب الحيل من بركة، فحاصر الحصن، فأقاموا أربعة أيام، ثم إن أهل الحصن تحصّلوا في المراكب، ومضوا إلى مسقط، ولم يبق به إلاّ قليلا، وليس في البلد أحد، ثم إن محمد وأصحابه رجعوا إلى الرستاق، ورجع ابن رحمة إلى بلده، وفسح محمد لسائر القوم، فأصابه جدري شديد، حتى خيف عليه، ثم عوفي، ثم أمر بالمسير إلى ينقل، وجعل بالرستاق محمد بن ناصر الحرّاصي والياً من قبله بالرستاق، وعنده أهل بهلا، وسنان بن محمد بن سنان المخدور الغافري قائماً على قلعة الرستاق وسار هو وسيف بن سلطان، وحمل معه كافة اليعاربة، وترك بلعرب بن ناصر مقيداً بحصن الرستاق، حتى نزل مقنيات، فلما نزل بمقنيات، أرسل إلى قبائل الظاهرة وعمان يستمدهم، وبني ياس ونعيم، فجاءت إليه القوم، واجتمع معه عساكر كثيرة، قيل: إنهم إثنا عشر ألفاً، وقيل بل أكثر من ذلك[١].

فلما مضى بهم، نزلوا بفلج المناذرة من طرف ينقل، فأرسل إلى أهل البلد أن يسلموا له الحصن، فأبوا، ولم يردّوا له جواباً، فارتفع وقت الصبح، يريد الانتقال منها إلى الجانب الأعلى على شريعة فلج المحيدث من البطحا، [٨٨٣] فالتقاه بنو

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٥٠١ – ٥٠٣.

علي بمن معهم من أهل ينقل، فوقعت بينهم وقعة شديدة، وقتل من بني علي قـوم كثير، بينهم ابن شيخهم سليمان بن سالم، ومن أصحاب محمد بن ناصر، سالم بـن زياد الغافري، وسيف بن ناصر الشكيلي[١]، واحد من الجرحى، ثم نـزل بـشريعة المحيدث من الجانب الأعلى، وأقام، فحاصرهم، وهو يضربهم بالتفق والمدفع، ثـم وقعت بينهم صكّة ثانية، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وقتل من أصحابه الوالي محمد بـن خلف القيوضي[٢]، وأحد بني عمّه، ثم انكسروا عن الماء، فلم يبق معهم ماء، فعند ذلك صالحوا على تسليم الحصن، ووصل الخبر إلى محمد بن ناصر، أن سعيد بن جويد مع الصواوفة من بني هناء لقومه ، فأمر القوم بالمسير إلى الـسليف، فلمـا وصلها، أرسل إلى سعيد بن جويد وأهل السليف أن يؤدّوا له الطاعة، فأبوا، ووصل إليه الصّواوفة من أهل تنعم مؤدّين الطاعة، ثم إنه أمر بالركـضة علـى حـصن المراشيد من السّليف، فركضوا عليه، وهدموه على من فيه من الرجـال والنـساء والأولاد، ثم إن سعيد بن جويد، طلب من محمد التسيار إلى بدره، هو وأصـحابه، فسيّره محمد بن ناصر، وزوّده، وبقي بالسليف حصن الصواوفة، وحصن المناذرة، فأما حصن المناذرة، لمّا رأوا ما أصاب المراشيد صالحوا، وأدّوا الطاعة لمحمد بن ناصر، فسلموا، ولم يصبهم بأس، وأقرّهم مكانهم، وأما الـصواوفة، فلـم يـؤدّوا الطاعة، فأقام محاصرهم، يقطع نخلهم والقتل فيهم كل يـوم، وفـسح للبـدو مـن أصحابه، إلاّ بني ياس، وقبائل الحضر، وكان الحصار فوق شـهرين، ثـم إنهـم صالحوا على هدم حصنهم بأيديهم، فهدموه، وكان خلف بن مبارك القـصير، لمّـا

---

[١] سيف بن ناصر الشكيلي: قائد، خال الإمام سيف بن سلطان، عاش في القرن الحـادي عـشر الهجري، أرسله الإمام إلى مسقط، واستولى عليها، وهو من أصحاب محمد ناصـر، قتـل فـي المعركة التي دارت بين محمد بن ناصر وبني علي. انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٧.

[٢] محمد بن خلف القيوضي: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أحد ولاة محمـد ابن ناصر الغافري، شارك في الحرب التي دارت بينه وبين بني علي، وقتل في المعركة التـي دارت بينهما في منطقة شريعة المحيدث. انظر دليل أعلام، ص ١٤٥.

رأى محمد بن ناصر مشتغلاً بحر السّليف، حاصر الرستاق، وكان سباع العموري قد أخذ حصن صحار، فلمّا قتل سنان بن محمد المحذور الغافري، القائم بالقلعة، خرج محمد بن ناصر الحرّاصي وأصحابه من حصن الرستاق، ودخله خلف بن مبارك، وخلصت له الرستاق ، فلما بلغ ذلك محمد بن ناصر كره الرجوع عن السليف، فمضى إلى الرستاق وصحار، فيقوي عليه خصمه، ثم إن خلف بن مبارك القصير سار إلى حصن الحزم، وكان الوالي فيه من قبل محمد بن ناصر، عمر بن صالح بن مسعود الغافري، فحاصره خلف، وردّ الفلج عنه، وأرسل إليه خلف أن يخرج من الحصن هو وأصحابه بأمان، فأبى، وكتب عمر إلى محمد بن ناصر يخبره الخبر، وأنهم لم يبقَ معهم ماء، إلاّ بركة قليلة، فسار محمد بن ناصر إلى الحزم، بعد ما صالح أهل السّليف، وهدم حصنهم بجيش عظيم، فلما وصل إلى الحزم، ركض على أصحاب خلف، فقتل من قتل منهم، وولوّا هاربين، وتركوا آله حربهم كافّة، ورجع محمد بن ناصر من الحزم إلى الظاهرة، ولم يمر على الرستاق، لأنه كان قصده بلاد سيت، وحشد من البدو والحضر، واجتمع معه عسكر كثير، وسار من الظاهرة إلى [٨٨٤] بلاد سيت، فلما وصلها، أرسل إليهم، ليؤدّوا له الطاعة، فأبوا، فحاصرهم، وأمر القوم الذين معه بالهجوم عليهم، فهجموا عليهم، وقتلوا خلقاً كثيراً، ثم ركضوا على العارض، وهي بلاد لبني عدي، فأخذوها وأخذوا غمر، وخلصت بلدان بني هناءة من العلُو، ولم يبق فيها أحد منهم، فالذي قتل قتل، والذي طلب التّسيار، فسيّره بأمان، وقتل من أصحاب محمد بن ناصر عند الركضة على باب حصن بلاد سيت عشرة رجال، وجرح ناس من قومه[1].

ثم أمر بالمسير إلى نزوى فسار إليها فأقام فيها ستة أشهر، وأرسل إلى أهل البلاد من منح، ليؤدوا له الطاعة، فأبوا، فجهز لهم جيشاً، فحاصرهم به، فطفق جيشه يقطع نخلهم من فلج الفيقين وجرعا، إلى أن أدّوا الطاعة، بعد ما ذهبت أموالهم،

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد المصدر نفسه، ص ٥٠٣- ٥٠٤ -٥٠٥.

وأمر بالمسير إلى الظاهرة، ونزل الغبيّ من السرّ، وأخذ في جمــع القــوم، حتــى اجتمع معه خلق كثيرمن البدو والحضر، وأمر على أهل الظاهرة أن يسيرّوا التّمر إلى الحزم، وصحبهم أهل وادي بني غافر ومن ذويهم، وسار هو وجميع من معه، يريد بلدان العوامر من الشرقية، فالتقوا هو والعوامر وآل وهيبة وبنو هناءة، فوقع بينهم حرب شديد، حتى كاد أن تكون الهزيمة على أصحاب محمد بن ناصر، ثــم إنهم ثابوا وثبتوا، فوقعت الهزيمة على بني هناءة ومن معهم، وقتل منهم خلق كثير، واتبعوهم، حتى دخلوا حجرة العاقل، فرجع محمد ومن معه غالباً مظفراً، وكان في صحبته سيف بن سلطان اليعربي إلى يبرين، ثم مضى إلى الظاهرة، ليجمع قومــاً، فاجتمع معه خلق كثير، فمضى بهم إلى نزوى، وجمع أهل نزوى وإزكــي وبهــلا وبني ريام، وسار بهم إلى سيفم، وأرسل إلى سعيد بن جويد الهنائي ومن معه مــن أصحاب العقر والغافات بالمواجهة، فأبوا، فحاصرهم، ثم خرج سعيد بــن جويــد، ومرّ على الظاهرة، ومضى إلى صحار، فجمع قوماً من صحار وينقل، لأن ينقــل نكثت الصلح، فاجتمع معه خلق كثير، ورجع، وجاء إلى عملا، فضمّهم إليه، وجمع جملة بني هناءة ومن ذويهم من وادي العُلى وجميع بلدانهم، فلمّا وصل فلج العيشي، وأراد أن يركض على محمد بن ناصر الغافري وأصحابه، وكان مدّة غيبة سعيد بن جويد سبعة أشهر وأيام، ومحمد بن ناصر قد فرّق العيون في الأمــاكن، خيفــة أن يهجم عليهم على غفلة، فأخبرته العيون، أن سعيد بن جويد قد أقبل بجمــع كثيــر، فأمر أن يلتقوهم دون البلاد، فالتقوا في صدر الغافات، فوقع بينهم حرب عظيمــة، وقتل سعيد بن جويد الهنائي، وقتل من أصحابه غصن العلــوي، صــاحب ينقــل، وجملة من قتل من أصحابه مائتين، وانكسر الباقون، وأمر محمد بالغزوة في كلّ بلدٍ بهلا ونزوى وبلدان الظاهرة، لإظهار الناموس، وسحب أصحاب محمد بن ناصــر سعيد بن جويد بعد أن قتل إلى حصن الغافات، وفيها عياله وأولاده وقومه، حتــى ينظروا إليه ليؤدّوا الطاعة، فأبوا، فحاصرهم شهرين، وفرغ ما عندهم من الطعام، حتى أكلوا ما عندهم من الأنعام، والقائد لأصحاب محمد بن ناصر، مبارك بن سعيد

ابن بدر [٨٨٥] الغافري[١]، فلبوّا الطاعة لمحمد بن ناصر، وسلموا حصنهم، ولم يبق لهم شيء، فلما كتب إلى ناصر بن مبارك بذك، وما كان منه في أهل حصن الغافات، وحصن الغافات من الهدم، فكتب إليه يعزله وجعل مكانه راشد بن سعيد الغافري، وأقام محاصراً حصن العقير، ومعه من أهل بهلا، وإزكي، ونزوى، والظاهرة، وبنو غافر، وبنو ريام، فأحاطوا به، وما تركوا أحداً يخرج منهم، ولا يدخل، حتى فرغ ما عندهم من الطعام، فطلبوا الصلح، فصالحهم على هدم الحصن، فهدموه بيدهم، بعد ما تلفت أموالهم، ولم تبق لهم نخلة ولا فلج، وقد أكلوا جميع أنعامهم ومواشيهم، فعند ذلك صالحوا، وأعطوهم الأمان، ووصلوهم، ورجع القوم كلّ بلده، ثم إن محمد بن ناصر جهّز جيشاً من البدو والحضر، فقصد به بلدان الحبوس من الشرقية المضيبي و الروضة، و التقى بجيش خلف بن مبارك القصير و الحبوس ، و غيرهم من بني هناءة بالمضيبي ، فوقع بينهم حرب شديد، فانكسر خلف بن مبارك ومن معه، وتحصّنَ في حجرة المضيبي هارباً، فاتبعه محمد بن ناصر بجيشه، حتى وصل إبرا، ودخل خلف إبرا، ولم يظن أن محمد بن ناصر يتبعه إلى إبرا، فأقام مع الحرث، فأرسل إليهم محمد بن ناصر أن يؤدوا الطاعة، ويخرجوا خلفاً من عندهم، فأبوا، فأقام عليهم الحرب، فكان كل يوم يقطع نخيلهم، ويدمّر أنهارهم، ويقطع أشجارهم، فلمّا علموا لا طاقة لهم بحرب محمد بن ناصر، أخرجوا خلفاً من عندهم خفية، وكان خلف بن مبارك رئيس بني هناءة كافة،

---

[١] مبارك بن سعيد بن بدر الغافري: وال، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد أصحاب محمد بن ناصر، وكان هو القائد بعد أن رجع محمد بن ناصر إلى حصن جبرين، وذلك في الحرب التي قُتل فيها سعيد بن جويد، والتي دارت في صدر الغافات، وكان محمد بن ناصر، بعد قتل ابن جويد، وهزيمة قومه، عهد بالأمر إلى مبارك بن سعيد والي جبرين، ثم عزله، وجعل مكانه راشد بن سعيد بن راشد الغافري. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٢.

ومضى إلى مسقط، ثم إنهم صالحوه بعد خروج خلف، وأعطاهم الأمان، ورجع عنهم، وخلصت له جميع الشرقية، وأقام بيبرين، وكان أكثر إقامته بها[1].

ثم إنه سار إلى الظاهرة، وجمع منها خلقاً كثيراً، وغرَّب بهم، ولم يعلم من قومه أحد أين يريد، فمرَّ ببلدان بني نعيم، وجمع بني ياس وبني نعيم وقتب وغيرهم، وسار بهم، ومرّ بهم على نجد الجزي، ومرّ على بلدان بني قليب، وصحبته رجال جمّة منهم، ومرّ على خط الباطنة، حتى خاف منه أهل صحار، فلم يغشهم، ثم شرّق، فخاف منه أهل فلج الحواسنة أن يدمّر واديهم، وأصحابه يأخذوا كلمّا وجدو من إبل وغنم، وفيهم من لا يعرف الصديق من العدو، وعلم به خلف بن مبارك القصير، فالتقاه عند أفلاج عرعر، فوقعت بينهم وقعة عظيمة، فولّى أصحاب خلف هاربين، وحُصر خلف في بيت، واتبعه محمد وقومه، ولم يعلموا أنه في ذلك البيت، وظن خلف أن محمد تركه، بعد القدرة عليه، فدخل محمد بن ناصر ومن معه الرستاق، وجعل يدمّر أنهارها، ويكاتبهم أن يؤدوا الطاعة، فأبوا، ودمرّ فلج الميسر، وفلج أبي تغلب والحمّام، وقطع شيئاً من النخيل، ولم يكن لأهل الرستاق قدرة على الخروج لحربه ومنعه، حتى أنهم أرادوا، وهموا أن يؤدوا له الطاعة، فجاء إلى محمد بن ناصر خبر أن راشد بن سعيد الغافري أخذ حصن مقنيات، والوالي فيه مبارك بن سعيد بن بدر الشكيلي، وذلك حسد منه، لمبارك لتقدمه عند محمد بن ناصر، فأمر بالنهوض عن الرستاق، وتركها بعد ما دمّر أنهارها، ثم إن علي بن ناصر بن أحمد الكلباني، مضى إلى راشد بن سعيد، وناصحه، وخلّص له الحصن، وضمن له أن لا تصيبه عقوبة من محمد بن ناصر، فقبض علي بن ناصر الحصن، إلى أن وصله محمد بن ناصر، فترك فيه مبارك [٨٨٦] والياً، وترك معه الحواتم، وسار قاصداً إلى يبرين، فمكث بها ما شاء الله، ثم مضى بمن معه إلى نزوى، فلمّا وصلها، أرسل إلى رؤساء القبائل وأهل العلم من غرب عمان وشرقها، فاجتمعت

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٥٠٥ – ٥٠٦.

إليه جموع كثيرة، فطلب منهم أن يبراؤا من الإقامة بالحرب وبأمور المسلمين، وأن يقيموا من أرادوا مع سيف بن سلطان، واعتذر إليهم كل الاعتذار، فلم يعذره القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مدّاد[١]، والوالي بحصن نزوى عبدالله بن محمد بن بشير بن مدّاد[٢]، ومن حضر من المشائخ من رؤساء القبائل، ولم يزالوا في معالجة هذا الأمر، وغلّقت أبواب العقر، وأبواب حصن نزوى، فلا يدخل أحد، ولا يخرج يومهم ذلك وليلتهم، حتى قريب الفجر، فعقدوا الإمامة له تقيّة، وضربت مدافع القلعة، ونادى المنادي بالإمامة له، والعز والأمان لكل قبيلة تدخل نزوى، وتريد المواجهة من يمنٍ ونزار، من بدو وحضر، وكان هذا ليلة السبت، لسبع ليال خلون من شهر المحرّم، سنة سبع وثلاثين ومائة وألف سنة، فمكث بنزوى، حتى صلّى الجمعة، وارتفع بمن معه إلى يبرين، وفسح للقوم، وأقام بها قليلاً، وبلغه أن مانع بن خميس العزيزي هجم على الغبّي، وقهر حصنها، ونهب سوقها، وأفسد فيها، فسار إليه، فتسوّر عليهم الحصن ومعه ستة رجال، فلم يشعروا به إلا وهو في أعلى الحصن، فخرجوا من الحصن هاربين خوفاً ورعباً منه، وقتل خادم لمانع بن خميس، فأخذ الحصن، وجعل فيه والياً من قبله علي بن ناصر الكلباني، ورجع إلى يبرين، وأغار مهنا بن عدي اليعربي[٣]، وعامر بن سليمان، وبلعرب الريامي،

---

[١] ناصر بن سليمان المدادي: قاض، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أقام بنزوى، أو فده أهل نخل إلى الإمام سيف بن سلطان كي يطلب منه استرجاع نخل من أيدي بني هناءة. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٦٠.

[٢] عبدالله بن محمد بن بشير بن مداد: هو الشيخ الفقيه الوالى عبدالله بن محمد بن بشير بن محمد ابن عمر بن أحمد بن مداد المدادي الناعبي العقري النزوي، من فقهاء النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ولا يعرف تاريخ وفاته إلا أنه كان على قيد الحياة سنة ١٧٢٦ م. انظر البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٣٧٣ – ٣٧٤.

[٣] مهنا بن عدي اليعربي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد الأمراء الخارجين على الإمام محمد بن ناصر الغافري، لما تقرر عقد البيعة له بالإمامة، ولما علم أعداء الإمام محمد بن ناصر ما صار إليه من الغز والشرف، وما رقي إليه من المجد، فقاموا يعيثوا في الأرضِ فساداً، ومنهم مهنا بن عدي، الذي اشترك في الإغاره على " غالة البركة " وأخذ ما فيها، معادياً بذلك الإمام محمد بن ناصر الغافري. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٥٤.

وسليمان بن حمير بن علي اليعربي، على غالة البركة، فأخذوها، فعلم محمد بن ناصر الغافري بهم، فقصدهم، وأرسل إلى القاضي ناصر بن سليمان والوالي عبدالله بن محمد، ليلحقوا بالقوم من نزوى إلى البركة، ولم يغشَ هو نزوى، ولم يكن عنده إلاّ قليل من عسكره وخدّامه، فهجم عليهم وقت الضحى، فلم يرد قتالهم، وناصحهم على الرجوع، وردّ ما أخذوا من الغالة، فأبوا إلاّ قتاله وحربه، فصنعوا بومةً في مسجد الشريعة الأعلى من البركة، وقبضوا الجبل الشرقي، وكسروا الفلج، وصنع محمد بن ناصر بومة في مسجد الأسفل من شريعة البركة والجبل الأسفل، فكان بينهم ضرب بالتفق، وقتل رجل من عزّاب ركاب محمد بن ناصر، وخرج رجل من أصحابه، فأمر حينئذ أصحابه بالركضة عليهم، فلمّا أيقنوا مع الركضة أنهم مغلوبون، ولّوا منهزمين، فأسر من أصحابهم ناصر بن بلعرب الريامي وعلي بن صالح صاحب كمه، وكان هذا قبل أن يصل أحد من المدد، وأمر بالتّمر أن يحمل إلى يبرين، ورجع هو إلى نزوى، وأقام بمساجد الغنتق منها، وكان أراد حرب تنوف وخرابها، ثم أصلح الله شأنهم، وواجهوه، وأخذ منهم عهوداً أن لا يخونوه، فطابت عليهم نفسه، ثم أمر بالحشد على جميع من بطاعته من أهل عمان، فاجتمعت إليه [٨٨٧] جموع كثيرة، فسار بهم من نزوى، يريد ضنكاً، ليرجع الوحاشا إلى بلدهم، وبنى لهم حصنهم بضنك، الذي دمرّه عليهم، حين كانوا في طاعة خلف بن مبارك، فلم يرضَ آل عزيز برجوعهم إلى حصنهم وبنيانه، فجمعوا أحداً من البدو، ومّن يشتمل عليهم، وأردوا محاربته ومن معه من الوحاشا، فالتقوا بضنك، ووقعت الحرب بينهم، ثم انكسروا، وتبدّدوا، لمّا علموا أنهم ليسوا لهم قوّة على حربه[١].

وقصد مانع بن خميس إلى السنينة مع بني نعيم، فمضى محمد في طلبه مع ناسٍ قليلة من أصحاب الخيل والرّكاب، فلم يشعروا به إلاّ وهو معهم، فأسر مانع بن

---

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٥٠٦ – ٥٠٧.

خميس، ورجع إلى ضنك، فلما رجع يريد الغبيّ،مر على أفلاجي بدو آل عزيز ، الذين نهبوا سوق الغبّي ، فدمرها و رجع إلى الغبّي ، وأقام بها ما شاء الله، حتى حشد من قبائل الظاهرة من شاء من القوم، وقصد يبرين، فأقام بها أياماً قلائل، وجاء إلى نزوى، فنزل بيت المزرع، حتى يجمع قوماً منها، ثم مضى إلى سمائل، فلم يزل يناصح البكريين وأهل الحيلي وقوم عكاشة، فأما أهل الحيلي وأصحاب عكاشة صالحوه، وأدّوا له الطاعة، فأرسلهم إلى البكريين ليناصحوهم، فلم يقدروا عليهم، فأمر بالركضة عليهم في ليلة شاتية مظلمة مطيرة، ذات برق ورعد، فلم يشعروا به، إلاّ وهو في أعلى السّور، مع الحارس، يقوا للحارس: عمّن تحرس؟ فقال مخافة أن يهجم علينا محمد بن ناصر، فقال: هذا محمد بن ناصر عندك، فخذل أهل الحجرة، وخرج الأكثر منها بأمان منه، ولم يبق إلاّ برج، وبقي من الغرق فيه بكر وأولاده وبنوعمّه، فكانوا يضربون بالتفق حتى قّتلوا عن آخرهم، وقتل من أصحاب محمد بن ناصر أربعة رجال، أحدهم يقال له بخيت النوّبي، مملوك لمحمد بن ناصر، كان قدّمه على سائر العبيد، ضرب بتفق، وهدمت الحجرة عن آخرها، وسلّمت سمائل له زكاة ثلاث سنين، وكان قبل قد أفسد فيها آل عمير، وحازوا أموال الأغياب، فردّ محمد بن ناصر كلّ مال إلى أهله، وقيّد أولاد سعد أبو علي وهدم حجرتهم، ثم إنه أمر بالمسير إلى الحيل، ليقطع من الباطنة لخلف بن مبارك القصير، حين نهوضة من مسقط إلى الرستاق، وكان محمد يصل هو ومملوك له إلى غبرة بوشر، ثم علم خلف بن مبارك، أن محمداً قاطع له، فلم يخرج من مسقط، وجعل الحرس على الطريق والأسوار، وجعل خلف على حلق المطرح سوراً من الأحجار، وهو الذي يسمى إلى هذه الغاية سور بني هناءة، ولم تكن لخلف قدرة على ملاقاة محمد بن ناصر، وأقام محمد بالحيل نصف شهر، وصالحة المعاول، ثم نكثوا، ثم رجع إلى سمائل، ثم هبط يريد البدو من عامر ربيعة وآل سعلي، ومن يشتمل عليهم من سكان الباطنة، فمرَّ على خط البحر، وعقر عليهم إبلاً كثيرة، فكان راكباً على فرس له، وبيده كتّارة ورمح، يضرب به، ويطعن يميناً وشمالاً، ويقطع

أعناق ركابهم، ويعرقب [٨٨٨] أرجلها، ولم يرض لأحد أن يأخذ منها، ووصل إلى طريق من فرقانهم، فقتل رجالهم، فصاحت نساؤهم: الأمان يا خلف بن مبارك، إنّا في طاعتك، إنّا في طاعتك، يظنّونه خلف بن مبارك القصير، فأكثر في قتلهم، وهو أمامُ القوم، ولم يلحقه إلا أصحاب الخيل والإبل الكرام، وسيف بن سلطان معــه لا يفارقه في جميع حروبه وغزواته، ثم رجع إلى الحزم، فأقام بها أياماً قلائل، ثــم ارتفع إلى سني من وادي بني غافر وبني شكيل، وأقام بها أياماً، وفسح لجميع القوم إلاّ العسكر والعبيد، ثم قصد الغبيّ، وأقام بها أياماً، ورجع إلى يبرين، وكان أكثــر إقامته بها، وكان البدو قد أفسدوا جميع الطرق من عمان، ينهبون، ويقتلــون، فــلا يقدر أحد أن يسافر إلى مكان إلاّ في حماية كثيرة، وخاصة آل وهيبة هــم الــذين أفسدوا الطرق، وكان لهم رئيس يسمونه بو خرق، فحشرهم بجميع أهلهــم وإبلهــم وغنمهم، ولم يقدروا على مخالفته، وأمرهم بالنزول حوالي يبرين، وذلك قهراً منه لهم، حتى ماتت إبلهم وغنمهم، ولم يقدروا على مخالفته، فلما كان ليلة أحد عــشر من شهر الحج، خرج بمن معه من القوم قاصداً آل وهيبة، فدمّر بلــدهم الــسّديرة، وقتل من فيها منهم، فكانوا يهربون إلى الرمل من أسافل عمان، وخرابها ليس فيــه ماء، يظنون أنه لا يتوصل إليهم هناك، وقتل منهم ستة وثلاثين رجلاً من أكابرهم، وأسر خمسة وتسعين رجلاً، وذبح إبلهم وأغنامهم، وحمل الأسرى إلــى يبــرين، مربوطين في الحبال، وأمّا أبو خرق، فإنه قصد مسقط، ودخل مع بني هناءة. وقيدّ الأسرى بيبرين، حتى مات عامتهم، وأقام بيبرين شهراً، وأرسل أبو خــرق إلــى محمد بن ناصر أنه لا ليضرّ أحد، ولا ليفسد بعدما مضى، ثم أمر محمــد بالحــشد على جميع من أطاعه من عمان من غربها وشرقيها، فاجتمعت إليه بيبرين جموع كثيرة، وأرسل إلى بلدان بني هناءة من وادي العلا والحيل، وضمّ وعملا، فأطاعته جميع بني هناءة، ولم يعصه أحد منهم، وسار قاصداً إلى ينقل، ونزل فــي أعلــى البلد، وأرسل إليهم ليخلصوا له الحصن، فأبوا، وشدّوا للحرب، فخــرج ذات ليلــة رجل من أهل ينقل، يقال له عصام، فصالح محمد بن ناصر، إلاّ أن البلد ليس بيده،

فقال له محمد: ناصح جماعتك لأجل حقن الدم، فلم يتبعوه، وأقاموا الحرب، وكان بيت عصام على السور، وله باب صغير، فأدخل محمد ومن معه البلد، فقتل من أهل البلد رجلين، ثم طلبوا الأمان، فأمنهم، وقيّد أشياخهم، وحملوا إلى يبرين، وترك فيها والياً، وأدّت له الطاعة، ومضى قاصداً بمن معه إلى صحار، وقدم ربيعة بن حمد الوحشي، ليناصح بني عمّه حتى يهبطوا من حصن صحار، فلما وصلهم، قال لهم : شبوّا نار الحرب، فلمّا دخل محمد بن ناصر صحار، التقته بنو هناءة، فوقعت بينهم الحرب، [٨٨٩] وقتل من قتل منهم، وجرح ربيعة بن حمد الوحشي، وأخذ أسيراً، وانكسرت بنو هناءة، ورجعوا إلى الحصن، ونزل القوم بالجامع، ونزل محمد بن ناصر في بيت ابن محمود، وشاور محمد بن ناصر ربيعة بن حمد الوحشي، فقال له : إن أردت أن تقيم معنا فعليك الأمان، وإن أردت أن تسير إلى أصحابك بالحصن، سيّرناك بأمان. فقيل: أنه أراد المسير إلى الحصن، فسيّره محمد إليه، وقيل أنه أراد الرجوع إلى بلدة ضنك، فسيره محمد إليها، وأمر على بعض أهل الخيل أن تصاحبه، حتى يبلغ ضنكاً، فمضى معهم، حتى وصل إلى ضنك، ورجعت الفرسان أصحاب محمد إليه، وهذا الأصح[١].

أخبرني غير واحد عن المشائخ الذين شهدوا وقعة صحار الكائنة بين محمد بن ناصر وخلف بن مبارك، وكان مع محمد بن ناصر إثنا عشر فرساً، جعلها عيوناً تطالع فوارس المشرق، لأنه بلغه أن خلف بن مبارك جمع بني هناءة من الرستاق ومسقط، وإنه نزل بحصن صحم، وكان محمد قد خلصت له جميع صحار ورعاياها، وآمّن أهل البلد من جميع الطوائف، فلم يؤخذ على أحد منهم شيء، وما شذّ عليه إلاّ الحصن، وكان عنده من البدو ومن بني ياس وبني نعيم، ومن اشتمل عليهم والحضر، فأصبحت ليلة من الليالي، قد خرب زرع دخن من طوي من البلد، فجاء صاحبها إلى محمد شاكياً، فسأله من خرّب مزرعتك؟ فقال بنو ياس ونعيم

---

[١] المصدر نفسه، ص ٥٠٦-٥٠٧.

والبدو الذين معك، فقال: كم غرامة زرعك ؟ خذ مائتي محمّديّة، فأبى، فقال: خذ أربعمائة محمّديّة فأبى، فقال خذ خمسمائة محمّديّة فأبى، فقال: لا أرضى إلاّ أن تنصف منهم، فأرسل إلى أشياخهم، فحضروا عنده، فأمر بهم، فصلبهم، وما كانت نصفته إلاّ الجلد، وكانت هذه حيلة من خلف بن مبارك وبني هناءة ليتفردوا بالبدو عنه، وخرجوا من عند محمد إلى بلدانهم راجعين ساخطين عليه، فلما علم خلف بن مبارك بخروجهم، زحف بمن معه من القوم على محمد بن ناصر، وهجموا عليه على حين غفلة، بعد أن طلعت الشمس قليلاً، فجاء من جاء إلى محمد بن ناصر أن خلفاً وصل بمن معه من بني هناءة، فقيل : إنه قال : هذه ساعة ليست لنا ولا لهم، إلاّ ما شاء الله، ثم ركب فرسه، وركب أصحاب الخيل معه، والتقوا خلفاً ومن معه مع باب حصن صحار، فوقع بينهم القتال، فقتل خلف، فانكسرت بنو هناءة، ومحمد ابن ناصر يتبعهم، حتى وصل جدار الحصن، فضرب محمد بن ناصر من فوق الحصن، ضربته رصاصة تفق، وأخذه أصحابه، ومات، وقتل من أصحابه خمسة عشر رجلاً، ورجع أهل مسقط إلى مسقط، وأهل الرستاق إلى الرستاق، وأقاموا بعدما دفنوه ثلاثة أيام، لم يُعلموا بموته، إلاّ الخاصة، وقد كاد أصحاب الحصن أن يسلموا، ثم أنهم رجعوا بسيف بن سلطان إلى نزوى، فأقامه القاضي إماماً للمسلمين يوم [٨٩٠] الجمعة، بعد زوال الشمس، في شهر شعبان، سنة أربعين ومائة بعد الألف، فلبث ما شاء الله، ثم عُزل، وأقام المسلمون بلعرب.

الإمام بلعرب بن حمير:

الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن سيف بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. اتفقت الروايات عنه، أنه لمّا بويع تبعته فرقة من أهل عمان، وخلصت له بهلا، ونزوى، وإزكي، وسمائل، وحصون الظاهرة، وبقية حصون الباطنة، وأما

مسقط والمطرح والرستاق ففي يد سيف بن سلطان، فجّهز الإمام بلعرب بن حمير جيشاً إلى وادي بني رواحة، وكانوا مخالفين له، وبعث سيف بن سلطان أخاه بلعرب بن سلطان جيشاً نصرة لبني رواحة، فوقعت الحرب بينهم، فانكسر بلعرب ابن سلطان وقومه. وأما بنو رواحة فقد هرب أكثرهم، وتحصن بعضهم في حجرة وبال، فحاصرهم الإمام بلعرب بن حمير أياماً، فأمر بقطع نخيلهم وشجرهم، ففُعل بها كما أمر إلى أن سالموه وأطاعوه، فصرف الجيش عنهم، وأمنهم، ومضى عنهم، بعدما هدم بروجهم ومعاقلهم، ثم سار إلى بلاد سيت، فحاصرهم أياماً، ثم افتتحها، وهدم بنيانها، وقطع نخلها، ودمّر أنهارها، ثم سار إلى يبرين، فحاصر حصنها، وبه يومئذ بنو هناءة قد تركهم سيف بن سلطان، فحاصرهم، إلى أن أطاعوه، فخرجوا من الحصن بأمانة ما بأيديهم من السلاح وآلة الحرب، فذهبوا إلى بلدانهم، وأما سيف بن سلطان فقد بعث رسولاً إلى مكران، فجاء بقوم من البلوش أصحاب التفق، وأضاف إليهم من تبعه من رعيته وأصحابه، وأمرهم بالمسير إلى الجوّ، فساروا، فالتقاهم الإمام بلعرب بن حمير، بقومه فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكادت أن تكون الهزيمة على قوم الإمام بلعرب بن حمير، إلاّ أنهم صبروا، وثبتوا للحرب، فوقعت الهزيمة على قوم سلطان بن سيف، ووقع فيهم قتل عظيم، فما زالوا يأسرون ويقتلون في الطرق والأودية، ومات أكثرهم عطشاً، وما بقي من البلوش إلاّ يسيرا، فجعل يكاتب العجم، لينصروه إلى عمان، فأجابوه على خرابها، وبعث إليه شاه العجم حصاناً شديد الركض، لا يقدر أحد يثبت على ظهره من الفرسان، وقد قتل جملة من الفرسان العجم، وقال لرسوله، الذي بعث الحصان على يده: قل للإمام سيف ابن سلطان، يقول لك ملك العجم، إذا قدرت أن تثبت على ظهر هذا الحصان عند ركضه، فينجدك بما شئت من قومه، وإذا ما قدرت، فلا ترتجي نجدة منه إليك، مع كلام كثير، وإنما أراد شاه العجم بذلك، ليختبر سيف بن سلطان، هل هو ملك شجاع فارس؟ أم رجل جبان لا فارس ممارس؟ إذ لم تعنه كتبه بالنجدة والشكوى من أهل عمان، فلما وصله رسول العجم والحصان، وهو يومئذ بمسقط، نظر في وجه الحصان، فعرف أنه حصان قد عجزت عن ركوبه فرسان العجم [٨٩١]، وأنه

أراد اختباره به، هل هو شجاع فارس؟ أم هو جبان غير فارس؟ فأمر من يقوده له، وخرج هو، وخرج معه عالم كثير، حتى بلغوا به إلــى أول العقبــة، مــن وادي الكبير، من مسقط، وأمر أن لا أحد يقف على شفير الوادي، ولا يمشي في الوادي، إلى أن يركضه ثلاثة أشواط، ففعل الناس بما أمر، وما بقي أحد على شفير الوادي، ولا أحد يمشي عليه، فلما استوى على ظهره، ضرب رقبته بجلــد ضــخم ثــلاث ضربات، ففرَّ به الحصان راكضاً، وهو يضربه ضرباً عنيفاً، فلما بلغ به إلى طوي الرولة، وأراد أن يوقفه، وما قدر عليه، صاح بأعلى صوته: أعقــروا الحــصان، أعقروا الحصان، ثلاث مرات، فما قدر أحد أن يقف على شفير الوادي من الأحجار التي تقذفها رجله، فلمّا بلغ به إلى الجبل الذي على سور باب المثاعيب، ولــم يــر الحصان ميداناً إلى ركضه باعتراض الجبل إليه، اقتحم به السور، وهو على ظهره، فلما كان على رأس السّور، مع قحمته به نزل سيف بن سلطان من ظهره، فوقــع على رأس السور، ووقع الحصان في الوادي المنصوب عليه الــسور، فتكــسرت أرجله، واندقّت عنقه، فمات من ساعته، فتعجب رسول العجم من فراسة سيف بــن سلطان، وتعجب سائر الناس كذلك منه، وتأسف سيف بن ســلطان علــى مــوت الحصان. فلما رجع رسول ملك العجم إلى أرض العجم، وأخبر ملكه عن سيف بن سلطان الخبر كلّه، بعث إليه قومه نصرة له على كل من يحاربه من ملوك عمــان، من هم رعيّة لملوك عمان، كافة و لم يرضوا به، واستنكفوا عن طاعته، فلما بلــغ جيش العجم بندر عباس، عبروا منه إلى خور فكّان، فكان عددهم ستين ألفاً، وأمّــا الخشب التي عبروا عليها، لا يحصي عددها، إلاّ الله تعالى، وكان نزولهم بخــور فكان آخر ليلة الخميس، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة ألــف ومائــة وتسع وأربعين بعد الألف، فلمّا علم أهل عمان بوصول العجم خور فكّان، استولى عليهم الخوف، وزلزل الذّعر عمان زلزالاً شديداً، وكتب بعض أكابر عمان لسيف ابن سلطان، وسيف يومئذ بمسقط، ولم يذكر هذا الكاتب اسمه لسيف بن ســلطان، وهذا كتابه له: بسم الله الرحمن الرحيم، إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّــروا مــا بأنفسهم، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، تحيّة وافرة،

ونعمة هنيّة، غير نازره ، ورحمة واسعة باطنة و ظاهرة، إلى السيد الهمام القمقام الإمام الضرغام سيف بن سلطان اليعربي العربي، أما بعد. لقد صـــدرت أحاديـــث باسناد عن أصحابنا بناحية الشمال، فشقّ على المسلمين إظهارها، وعليكم من يمين وشمال، فقلوبهم لأجلها وجلة، وأنفسهم فيها عليكم [٨٩٢] معولّة، بأن بعض العجم، ومن معهم وتابعهم، من سفهاء قومهم، وصلوا إلى خور فكّـــان، لحـــرب عمـــان، فاستحوذ عليهم الشيطان، وزيّن لهم أعمالهم، حتى همّوا بما لم ينالوا، ولعلّ بعضهم وصل إلى عمان راكبين مطا مطايا مناياهم، فزهوا بإفراط الطغيان، لمّا دلفوا بكثرة رجالهم وخيلهم وسائر الحيوان وعلى ما تصفون، فربنا الرحمن المستعان، فهـــذه مصيبة عليكم ما أعظمها، ورزيّة ما أشأمها، فإن ظفروا عليكم، طغوا، وتجبـــروا، أعوذ بالله من كل متكبرّ متجبرّ، لا يؤمن بيوم الحساب، فكيف إذا تكاثروا علـــيكم، يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، وفي المثل كل امـــرءٍ أوعزت صدره لا تأمن مكره وكيده وغدره، فسبحان الله، أنت نايم أم يقظـــان؟ أم مجنون، أم غلطام، أم استحوذ على قلبك الشيطان؟ أم لك علـــى المـــسلمين حجّـــة وسلطان؟ كيف أنت تتولى قوماً غضب الله عليهم؟ وتبعث كتبـــك رســـلاً إلـــيهم؟ وتدعوهم إلى حضرتك ؟وترجوهم لنصرتك؟ فإنها لاحدى الكبر لمن اعتبـــر ، الله أكبر ، الله أكبر، أجهلت أم ذهلت بما حلّ بهم منكم في جزيرة البحرين مـــن قتـــل رجالهم، وأخذ سفنهم قسراً قهراً جهراً؟ وتمزيق سيوفكم لكبيرهم وأميرهم ســـلطان محراب ومن معه من عجم وكناجين وزعّاب ومن ســـائر الأعـــراب الأغـــراب، وبالشيخ محمد ابن عبدالله البحراني، إذ هو عزّهم وناموسهم بغير ارتيـــاب، وكـــم غيرهم وغيرهم تركتموه، يضرب برجله خدّ التراب، فأنتم كما زعمنا تزعمون، فما لكم كيف تحكمون، فبئس الرأي، الذي رأيتم، والأمر الذي حاولتم، وعليه عولّتم، فو الله لو كانت القلوب لها أبواب وفتحت، لشهدتم نيران العداوة الظاهرة تخرج مـــن خياشمهم، وتلفح وجوهكم من الحقد والغضب عليكم، فتعاونوا على البّر والتقـــوى، وهذا ما عندنا من محض الوداد والنصح، والله بصير بالعباد، فمن نكث، فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله، فأصلح، فأجره على الله، والسلام، انتهى.

ثم قصدوا العجم الصّير، فخرج سيف بن سلطان إليهم من مسقط، فلما علم ذلك الإمام بلعرب بن حمير، حشد قومه، ومضى لحربهم، فخرج عليهم من نزوى، أول شهر المحرّم، فالتقى الجمعان بموضع يسمى السميني، وفي جيش العجم سيف بن سلطان، وفي جيش العرب بلعرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانكسر جيش الإمام بلعرب، واعتصم أصحابه بالجبال، وقتلوا من قومه أناساً قليلة، وربما أخذهم ضلّ الطريق، وقتل بعضهم بعضاً، ولم يرجع أحد منهم إلى وطنه بدابّة ولا سلاح، ولا شيء من الزاد، إلاّ قليل، وقد نهب بعضهم بعضاً في الطريق، فاستولى سيف بن سلطان على الجوّ وضنك والغبيّ، ودانت له قبائل الظاهرة، وأدت الخراج للعجم، ودخلت العجم حجرة عبري، ووقع في أهلها قتل عظيم، وسُلب كلّ ما فيها، وقتلت أطفالهم، وأصابهم الذلّ [٨٩٣] والهوان، وحُملت نسائهم إلى شيراز، وبيعت فيها بيع العبيد، ورجعت العجم إلى الصير. أما سيف بن سلطان، مرّ على بهلا فحازها، فدانت له، فولىّ على أهلها سالم بن خميس العبري[1]، ومضى هو إلى طيمسا، واتفقت الروايات أن أكثر القائمين بحصن نزوى هربوا منه، حتى كاد الإمام بلعرب بن حمير أن يهرب من نزوى، خوفاً من سيف بن سلطان، من قلّة الناصر له، إلاّ أن سيف بن سلطان لم يقصد إلى نزوى، فمضى إلى منح، ومرّ على إزكي، وهبط إلى سمائل، فأناخ بالعدّ، وكاتب قبائل وادي سمائل لتصل إليه، فتأهبوا إلى مواجهته، لمّا وصلهم كتابه، فسار، ولم يلبث إلى أن يصلوه محثاً سيره إلى مسقط، ولم يتعرض للحصون التي بوادي سمائل، ثم وقع الخلف بين الوالي الذي تركه

---

(١) سالم بن خميس العبري: الشيخ العالم الفقيه سالم بن خميس بن عمر العبري، من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، كان من ولاة بعض أئمة اليعاربة، حيث ولاة الإمام سيف بن سلطان الثاني على بهلا أيام حروب العجم في عمان، وله أجوبة في الفقه من مؤلفاته كتاب " فواكه البستان " وله أجوبة في الأثر، وله منثورة تحتوى على مسائل كثيرة في الفقه، أكثرها من جوابات الشيخ الصبحي، والشيخ ناصر بن خميس الحمراشدي، والشيخ الزاملي، وغيرهم. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

سيف بن سلطان بالغبّي، وبين بني غافر، فتحاربوا، واستوليا بنو غافر على الغبّي، ووقعت المخادعة من أهل بهلا، فأدخلوا الإمام بلعرب بن حمير، فاستولى على بهلا، وجاءت زيادة قوم للعجم من شيراز مع صاحبهم بالصيّر، فقصدوا بهم عمان، فلما وصلوا الظاهرة، صالحتهم قبائلها، وقد دخلوا بهلا، يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة، فاستولوا على جميع ما فيها، بعدما هرب من هرب من أصحابها، وتركوا في الحصن فئة منهم، ومضوا إلى نزوى، أول شهر الحج، فهرب بلعرب بن حمير منها إلى وادي بني غافر، وثبت بنو حرّاص في قلعة نزوى، وصالح أهل نزوى العجم، فلما تمكنت العجم منها، وضعوا عليهم الخراج، وعذبوهم بأنواع العذاب، وقتلوا الرجال والنساء، والكبار والصغار، وحملوا من أرادوا من النساء والأطفال، ولم يسلم من أهلها إلاّ من قدر على الهرب، وأمّا قلعتها، فما قدروا عليها، وكذلك حصنها، وخرجوا من نزوى يوم السادس عشر من صفر، فمرّوا على إزكي، فصالحوهم، وأدّوا لهم الخراج، وأقاموا يوماً وليلة، ومضوا قاصدين إلى الباطنة، وبلغت غاراتهم إلى مسلمات من وادي المعاول، فخرج لهم المعاول يضربونهم بالتفق، فهزموهم، ثم انعطفوا إلى مسقط يوم الرابع والعشرين من شهر صفر، فلمّا بلغوا إلى سيح الحرمل، ركض عليهم سيف بن حمير بن مهنا اليعربي بمن معه من أهل مسقط والمطرح، وكان سيف بن حمير بن مهنا هذا قابضاً حصن المطرح لسيف بن سلطان، وفي مسقط بلعرب بن سلطان، أخو سيف بن سلطان، وقد تعاهدوا على حرب العجم، فلما واقع سيف بن حمير العجم بمن معه، كسرهم، حتى انتهوا إلى روي، وقد قتل منهم فرساناً كثيرة، ثم دلفوا إلى المطرح في اليوم الثاني، فقاتلهم سيف بن حمير، و معه أناس قليلون، فتكاثروا عليه، فقتلوه، هو ومن معه كافة، بعدما قتل من العجم فرساناً كثيرة، وكانت هذه الوقعة بينهم في الربوة التي بسيح الحرمل، وعليها جعلوا أصحاب بلعرب بن سلطان حصيات بيضاء، علامة لمصارع تلك الشهداء، بعدما خرج العجم من مسقط، ومضت من العجم على خيل طائفة إلى قريات، [٨٩٤] فقتلوا منها

خلقاً كثيراً، وأخذوا أموال من هربوا إليها من مسقط كافة، وحملوا منها نساءً وأطفالاً إلى شيراز، وغيرها من بلدان العجم، ومن جملة أخيذهم من الصبيان منها ولدان لجدّي رزيق بن بخيت، وهما إخوان أبي محمد بن رزيق من الأب لا من الأم، وسلم أبي واخته عمّتي الخالصة من الأخيذ، إذ سبح بهما جدّي رزيق من البّر، إلى الصير الأولى، البعيدة من البّر، التي أول مرور الخشب عليها، الآتية من مسقط، فلما تركهما فيها، ورجع إلى البر، لم ير ولدية المذكورين، فقال له بعض من سلم من أخيذ العجم، وقد أخذتهما العجم، وأما العجم الذين قتلوا سيف بن حمير بن مهنا، دخلوا مسقط يوم الرابع والعشرين من شهر الحج، فأقاموا لها محاصرين إلى يوم الخامس من شهر صفر، سنة إحدى وخمسين ومائة ألف، ثم خرجوا من مسقط، ومضوا إلى بركا وصحار، وأما سيف بن سلطان، فإنه ركب مراكبه هارباً من العجم، فنزل منها إلى بركة، وقصد بلدة الطوّ، فتلقاهُ أهلها بالبشاشة والكرامة، وصحبوه إلى نخل، ثم سار إلى الظاهرة، فالتقيا هو وبلعرب بن حمير بوادي بني غافر، وآل نظر بني غافر أن يستعفوا بلعرب بن حمير من الإمامة، ويرجعوها لسيف بن سلطان حذر الفرقة و إطفاء النائرة ، ليجتمعا على أعدائهما العجم ، فجعلوا الإمامة لسيف بن سلطان ، وأما العجم الذين قعدوا في بهلا، فإنهم لمّا أبطأت عليهم أخبار أصحابهم، بعثوا منهم مائة فارس، ليأتوا لهم خبر أصحابهم، فمرّوا على سمائل أول نهار يوم الثامن من شهر صفر، فالتقاهم أهلها، وعندهم حمير بن منير ومن معه بالحصن، فهجموا على العجم، فقتلوا أكثرهم، ثم سار الشيخ حمير بن منير بمن معه من العسكر، وعنده أهل إزكي، وبنو ريام إلى بهلا، يوم التاسع من شهر صفر من هذه السنة، فدخلوها يوم الحادي والعشرين منه، واستولوا عليها، وتحصن العجم بحصنها، فحاصروهم، فخرج من العجم قوم لقتال العرب، فقتل أكثرهم، وبقي منهم القليل في الحصن، حتى جاء سيف بن سلطان ومن معه إلى بهلا، فأخرجهم من الحصن بسلاحهم، وأمتعتهم ودوابهم، وأعطاهم على ما بأيديهم الأمان، وأمر أن يصاحبهم مبارك بن سعيد الغافري إلى صحار،

فمضوا في صحبته، حتى وصلوا صحار، فحبسهم أحمد بن سعيد السعيدي في حصن صحار، حتى مات أكثرهم، وأما العجم الذين انكسروا من مسقط، ومرّوا على بركا وصحار، ساروا إلى الصّير، وذلك بعدما سار إليهم سيف بن سلطان بجيش عظيم من البرّ، وسيّر عليهم مراكباً في البحر، فلمّا وصل إلى بلدة خّت، وهي بالقرب من الصّير، جاءه خبر أن مركبه المسمى الفلك قد احترق، وغرق من فيه، يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شوال، سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، فعزم على الرجوع فرجع إلى عمان، وبقي العجم في الصّير، ودانت له حصون عمان، [٨٩٥] وأدت له الرعية الطاعة، وحطّ عنها الخراج، ثم اجتمع من شاء الله من مشائخ العلم، من أهل بهلا، ونزوى، وإزكي، ورؤساء بني غافر، وغيرهم من أهل الظاهرة، ووادي سمائل ومشائخ المعاول، على عقد الإمامة لسلطان بن مرشد بن عدي اليعربي.

الإمام سلطان بن مرشد اليعربي:

الإمام سلطان بن مرشد بن عدي بن حامد بن مرشد بن مالك بن بلعرب بن محمد ابن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. عقد له بالإمامة بجامع بلدة نخل، في يوم الجمعة، سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، فاستقام على طريق الاستقامة والعدل والإنصاف، وخلصت له الحصون من نخل وسمائل وإزكي ونزوى وبهلا والشرقية، وسالمته القبائل من الفريقين، وسار بنفسه في جيش إلى الرستاق، وهي يومئذ في حكم سيف بن سلطان، فلما سمع به سيف، جمع قوماً كثيرة، من الرستاق وغيرها، وكمن عند ثقاب فلج الميسر، يترقب الإمام سلطان بن مرشد، ليحاربه، فلما رأى أن لا طاقة له بحربه، انهزم ليلاً عن أصحابه، وتركه بغير آلة الحرب من تمر وغيره معهم، فلما وصل الإمام سلطان بن مرشد صباح يوم الجمعة من شهر شعبان من هذه السنة

إلى الرستاق، لم يجد بها سيف بن سلطان، وقد التقته أهـل الرستاق بالبشاشة والطاعة، ورأوه أهلاً للإمامة، فوازروه وأطاعوه، ولم يبق إلاّ الحصن شاذّاً عن طاعته، فلبث يحاصره سبعين يوماً، ثم فتحه، وكان سيف بن سلطان قد ترك فيه عبيده ووالدته وبعض عياله، وسار هو إلى مسقط، فجمع قوماً من مسقط، ومن المطرح، والسيب، وبركة، فأقام بجمعه في بركة، فبعث إليه الإمام سلطان بن مرشد قوماً لقتاله وعلى الجيش سيف بن مهنا أميراً، فالتقاهم سيف بن سلطان بقومه دون بركة، فوقع بينهما القتال، فانهزم أصحاب سيف بن سلطان، وأخذهم بالسيف، فلم ينج منهم إلاّ من طلب الأمان، وهرب في السباسب.

وأما سيف بن سلطان فقد انهزم إلى مسقط، ورجع سيف بن مهنا إلى الرستاق، ثم جاءت لسيف بن سلطان نجدة من بدو الظاهرة، خمسمائة رجل، فلمّا وصلوا الحزم، خرج سيف من مسقط، فجمع بعض الرجال من الباطنة، وجاءته رجال بني عامر ربيعة، يريدون نصرته، فكان من قضاء الله وقدره، أن الذين اجتمعوا لنصرته، وقعت بينهم فتنة، وقتل بعضهم بعضاً، وهو يومئذ بالحزم، ثم تفرقوا. أيدي سبا وبقي معه من القوم الذين أتوه من الظاهرة في الحزم، وأراد أن يهجم بهم على الرستاق، فلم يجد لذلك سبيلا، لسلب القوة والقدرة، فارتفعت عنه أقوام الظاهرة إلى بلدانهم، ورجع هو إلى مسقط، لمّا يئس من النصرة.

وأما الإمام سلطان بن مرشد، [٨٩٦] فقد ترك بحصن الرستاق سيف بن مهنا والياً، ومعه عسكر من جنابه، وحشد هو قوماً من عرب الرستاق، ومرّ على نخل، فحشد منها ومن رعاياها رجالاً. فسار بهم إلى بدبد، فحشد من وادي سمائل ومن إزكي ورعاياها، وسار بالجيش جملة إلى مسقط، يوم الخميس ثاني أيام شهر الحج من هذه السنة، وقد اجتمع معه خلق كثير، ولمّا وصل بالجيش إلى روي، من هذا الشهر، نزل فيها بعض القوم، وسار بأكثرهم ليلاً إلى مسقط، فركض على القابضين في جبالها، فأحدرهم منها، ومن سائر جميع المقابض، ففتح جميع معاقل مسقط، وقت الضحى، يوم الجمعة، ثالث أيام شهر الحج، ثم بعث للقوم الذين تركهم

بروي، وأمرهم أن يركضوا على المطرح وحصنها، فركضوا، وفتحوا حصنها قهراً، وأيّده الله نصراً وفتحاً قريباً، وأمّا سيف بن سلطان، فإنه هرب على مركبه، يريد العجم، وبعث الإمام سلطان بن مرشد مراكباً في أثره، وأميرهن من قبله بجاد بن سالم، وعسكراً من قومه، فأصابها الطوفان، فرجعت إلى مسقط، وأما مركب سيف بن سلطان، الذي هرب عليه انكسرت بعض دقالته، فدخل خور فكان، فنزل هو ومعه ثلاثمائة رجل، فكتب إلى العجم الذين هم بالصّير أن يأتوه، فأتته منهم فرسان على خيل سباق، فمضوا به وبأصحابه إلى الصّير، وبقي مركبه في فكّان، فلمّا علم به أحمد بن سعيد، مضى إليه، فأخذه، وأمن فيه من قبل سيف بن سلطان، فلمّا بلغ سيف بن سلطان أن أحمد بن سعيد قد أخذ مركبه، قال للعجم؛ إنما الرأي السديد أن نمضي إلى صحار، لأخذ حصنها من أحمد بن سعيد، فإن خلص لنا حصنها، فهو منّي لكم هبة لا رجعة فيها، فخرج العجم بذلك، وقالوا: إنك لنعم الصاحب والمحب الخالص لنا، لقد وفيت بعهدك لنا، لا عدمناك، فمضى، ومضوا معاً إلى صحار، فلمّا أتوها، أحاطوا بها براً وبحراً، وحصروا أهلها حصراً شديداً، وقطعوا عنها المدد، وبعثوا قوماً منهم إلى مسقط، لحرب حصنيها، ورجوعهما من الإمام سلطان ابن مرشد، إلى سيف بن سلطان، فلمّا وصلوها، نصبوا السلالم على الحصن الشرقي، وحصن الغربي، فجعل أهل الحصنين يضربوهم بالتّفاق والمدافع، فتكسّرت السلالم، وانكسروا هم بعد كسر السلالم، فعسكر من بقي منهم في الحلل الخارجة من السّور، وأتتهم زيادة قوم من أصحابهم المحاصرين صحار، فاجتمعوا بهم، فأحاطوا بمسقط والمطرح، فصار عددهم لم يحصه غير الله تعالى، ثم ركضوا ثانية على الحصن الغربي، وحصن الشرقي، فأخذوهما قهراً، ثم ركضوا على حصن المطرح، ففتحوه، ومضى بعضهم إلى بركة، وكان حصنها يومئذ في حكم سيف بن سلطان، وقد ترك فيه أحداً من عياله وخدّامه، ومعهم رجال من المعاول، فلما علم أحمد بن سعيد بأخذ العجم مقابض مسقط، مضى من صحار إلى بركة بأربعة آلاف رجل من قومه، ولم تشعر العجم [٨٩٧] الذين بصحار به، أنه وصل

إلى بركة، فقبض على حصن بركة، فكانت السفن التي تأتي سابقاً من الهند وغيرها، تأتي إلى بركة، فنصبت فيها القبابين التي توزن البضائع، فكثرت فيها التجار، ونما فيها البيع والشراء، فكانت رعايا بركة، ومن انضاف إليهم من أهل مسقط والمطرح، ورجال المعاول الذين تركهم سيف بن سلطان في الحصن، بعد أخذه أحمد بن سعيد منهم، يقتلون كل من أتى من العجم إلى بركة، فصار العجم الذين هم بمسقط لا أحد يجلب لهم سلعة من عمان، ولا من الهند، وما برح أصحابهم المحاصرون صحار، يمدّونهم من صحار على خشبهم بآلة الحرب والطعام. وأما أحمد بن سعيد، لمّا أخذ حصن بركة، رجع إلى صحار، وولى على بركة خلفان بن محمد، المعروف بالمحلا البوسعيدي، وقد بلغ معسكر جيش العجم الذين أحاطوا بصحار، من جانب الغرب إلى شناص، ومن جانب الشرق إلى دون صحم، وفي كل شهر تأتيهم زيادة قوم، وزاد و آلة حرب من شيراز ونواحيها، وسائر بلدان العجم، وقد انضاف إليهم سيف بن سلطان، لمّا أخذت العجم المحاصرين بمسقط، وساءه أخذ حصن بركة، وسرّه تقهقر الإمام سلطان بن مرشد عن مسقط، فجعل يحرّض العجم المحاصرين لصحار لحرب سلطان بن مرشد، وأحمد بن سعيد، وقد جمع الإمام سلطان بن مرشد من الرستاق والظاهرة ووادي بني غافر أقواماً كثيرة، فلما وصلوه، مضى بهم يريد صحار، فلما بلغ بهم إلى الخابورة، انفضّ جمعه عنه، وما بقي من جمعه معه، إلاّ مائتي رجل، وفيهم من جماعته اليعاربة ثلاثون رجلاً، والقطب منهم بعده مهنا بن سلطان اليعربي، فكره الإمام سلطان بن مرشد أن يرجع بهم عن صحار، فلمّا كانوا بالقرب من صحار، أردفوا كتيبة من العجم على خيل سباق، فوقع الحرب بينهم، فانكسرت العجم، فاتبعهم الإمام سلطان بن مرشد ومن معه من الرجال، حتى ألجأهم إلى أصحابهم المحيطين بحصن صحار، فركض بأصحابه لردّ العجم، فوقع بينهم القتال، واشتدّ النزال، فقتل من العجم قائد عسكر خيلهم المسمّى كلب علي، ومعه مائة رجل من أبطال العجم، وقتل من أصحاب الإمام مهنا بن سلطان ومعه كافّة اليعاربة، ومن

سائر قومه خمسون رجلاً، وتفرّق صحبه عنه، ودخل هو حصن صحار، وبه جراحات، فلبث في الحصن ثلاثة أيام، ثم توفي، رحمه الله، وقبر في حصن صحار، فلما بلغ سيف بن سلطان موته وقتل جماعته، انفصل عن العجم إلى حصن الحزم، فما ثبت إلاّ أياماً قلائل إلى أن استرسل عليه البطن، فمات، وقبر في الحزم، ولم تزل الحرب قائمة على ساق، بين أحمد بن سعيد والعجم، وهو يخرج بمن معه عليهم في كلّ صباح، وقد عجب العجم من شدّته وصبره على الحرب، مع كثرة عددهم، وقلّة عدد أصحابه، وهو لم يكترث بهم ، فكان حصار العجم لصحار تسعة [٨٩٨] أشهر، على اتفاق الروايات.

أخبرني والدي محمد، عن أبيه جديّ رزيق، والشيخ معروف بن سالم الصّايغي، وخاطر بن حميد البدّاعي، ومحسن القصّاب، وغيرهم، وقد دخل كل منهم بعضه في بعض، قالوا: إن مدّة حصار العجم لمدينة صحار تسعة أشهر، وإن للعجم ثلاثمائة مركب كباراً وصغاراً، وعددهم ستون ألفاً، غير أصحابهم الذين بمسقط، وفي كل يوم يرمون حصن صحار بألف وسبعمائة رصاصة مدفع، من البرّ والبحر، وأما رصاص التفق، فهو متراسل كالسيل، لا يحصي عدده إلا الله تعالى، وكانوا يجتمعون في كل يوم وعشية في معسكرهم، فيصيرون كأنهم كرةً واحدة، فيصيحون صيحة واحدة، ثم يرمون بعدها السور والحلّة والحصن بالمدافع والتفاق رمياً متراسلاً، فأوجلوا بهذا الشأن أهل السور والحلّة والحصن وجلاً شديداً، فلما تفاقم ذلك منهم، أمر أحمد بن سعيد أن تنصب مقابل كرتهم التي تقودها سبعة مدافع من الحصن والسور، فإذا صاحوا، وصاروا كُرَةً واحدة، أن يضربوها بتلك السبعة مدافع، فاجتمعوا ذات مرّة كعادتهم الأولى، وصاروا كُرة واحدة، وصاحوا صيحة واحدة، فأمر أحمد بن سعيد أن يضربوهم بتلك المدافع السبعة، فضربوهم، وكانت كرتهم كهضيم محتضر، فما اجتمعوا بعد ذلك إلى كرة، ولا صدرت عنهم صيحة، فاستولى عليهم الخوف والذّل، وقد أضرّ بأهل السور والحلة والحصن الحصار، ووقع فيهم الجدري وسائر الأمراض، فصبروا صبراً جميلاً، وبلغ مع ذلك الحصار

الثلاث الضحيات التي تسميها العامة التاسع بعشرة فلوس، وقد أهمل الحرس أهل السور ذات ليلة، من شدّة السهر، فلمّا خفّت أصواتهم، وركضت عليهم العجم، فنصبوا عليهم السلالم، ووضعوا السيف في العرب، فلما كثر الصياح، ثاب إليهم أهل الحلّة والحصن، فوضعوا في العجم السيف والخناجر، ولبث الضرب والطعن بينهم في تلك الليلة إلى الصباح، فانكسرت العجم عنهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل من العرب مائتا رجل، فلمّا رأت العجم تجلدّ العرب على الحرب، جعل أميرهم الخان يكاتب أحمد بن سعيد سراً، وفتّر الحرب عن العرب، ثم أتى إلى أحمد بن سعيد، ومعه عشرة رجال من أصحابه، فأدخلهم أحمد بن سعيد الحصن، فقدم لهم الطعام، فلمّا أكلوا وشربوا، عاهد خانهم أحمد بن سعيد على ارتحاله من صحار وسائر عمان، وطلب منه سلامة أصحابة الذين بمسقط، وأن يعبّرهم إلى بندر عباس، فقال له أحمد بن سعيد: إن شاء الله، ولم يزيد على ذلك كلمة، وفي قلبه عليهم خلاف ما طلبوا منه، ثم خرج الخان وصحبه من الحصن، فلم يمكث هو وقومه بصحار: إلاّ يومين، فركبوا سفنهم، ومضوا إلى بندر العباس، وبعدما رحل العجم عن صحار، مضى أحمد بن سعيد إلى بركة، فأقام بها، وكان قد أخذ كتاباً من الخان إلى صحبه القابضين معاقل مسقط والمطرح بخروجهم من المعاقل، ووصولهم إلى أحمد بن سعيد، ليعبّرهم إلى دارهم على سفائن، فأنفذ كتاب خانهم إلى خميس بن سالم البوسعيدي، وبعثه إلى مسقط، فلما وصل القابضين لها من العجم، أبوا أن يقبضوه المعاقل، فرجع عنهم خميس بن سالم إلى أحمد بن سعيد، وأخبره بإبائه العجم، وقد بعث العجم القابضون معاقل مسقط والمطرح رسولاً إلى الحزم، لمّا علموا بموت سيف بن سلطان، وارتحال أصحابهم عن صحار، أن يبعثوا لهم رجلا من أقرب الناس نسباً [٨٩٩] لسيف بن سلطان، فأنفذوا لهم ماجد بن مهنا اليعربي، فلمّا وصلهم، أشاروا عليه أن يمضي بكتاب منهم إلى شاههم بقبض ما بأيديهم من المعاقل له، إن كان يمكن منه ذلك، وأن يخبروه في كتابهم عن موت سيف بن سلطان، وأن الواصل إليه بكتابهم هو أقرب الناس نسباً لسيف،

فأجابهم ماجد على ذلك، ومضى بكتابهم إلى شاههم على سفينة، فلمّا وصل إلى بندر العباس، ارتفع إلى شيراز، فلمّا وصلها ألقى الكتاب إلى الشاه، فلمّا رآه قال له: أأنت ماجد بن مهنا اليعربي، الأقرب نسباً إلى سيف بن سلطان؟ فقال له: نعم، فقال له الشاه: أصحيح أن سيف بن سلطان قد مات؟ فقال له: نعم، فكتب الشاه إلى أصحابه القابضين معاقل مسقط بإخلائهن إليه، فلما رجع ماجد بن مهنا إلى مسقط، أصابه في البحر طوفان، فنزل في صحار، ومضى إلى الحصن عند أحمد بن سعيد، وأخبره الخبر كله، فأمر أحمد بن سعيد بحبسه، وأخذ كتاب شاه العجم منه، وأمر على خميس بن سالم، أن يمضي به إلى مسقط، لقبض المعاقل التي بيد العجم، فلما وصلهم ظنّوا أنه من أصحاب ماجد بن مهنا، فقبضوه معاقل مسقط والمطرح، وكان خميس بن سالم لمّا وَفَدَ على العجم القابضين معاقل مسقط والمطرح أربعمائة رجل، ورجال أحمد بن سعيد، فلما قبض خميس المعاقل من العجم، بعث رسولاً إلى أحمد بن سعيد يخبره بقبضه المعاقل من العجم، فلما وصله الكتاب، مضى من ساعته من صحار إلى بركة، وكتب لخميس بن سالم أن يأتيه بالعجم إلى بركة، ليعبّرهم إلى ديارهم، فلما وصله الكتاب مضى بهم جميعاً إلى بركة.

أخبرني والدي محمد، عن أبيه جدّي رزيق، وأخبرني الشيخ معروف بن سالم الصّايغي، والشيخ خاطر بن حميد البدّاعي، والشيخ محسن القصاب، وغيرهم، قالوا: لمّا رجع العجم القابضون لمعاقل مسقط والمطرح إلى بركة، بصحبة خميس بن سالم البوسعيدي، وضربوا خيامهم ببركة، فلا يمرُّ إنسان على حُلّةٍ من حلل بركة، إلاّ يرى قدوراً تفور بالضيافة من أحمد بن سعيد إلى العجم، ولا حلاّواً بسوق بركة، إلاّ يصنع الحلوى للعجم، بأمر أحمد بن سعيد، ولا زرّاعاً، إلاّ يجزّ ما زرعه لخيل العجم، وما مات أحد وله فلس على أحمد بن سعيد، قالوا: وكلام الناس على حدِّه والله إن العجم لا يستحقون إلاّ ضرب أعناقهم بالسيف. قالوا: وبعده ختم العجم ببركة ثلاثة أيام، خرجت من الحصن خيام العجم خوان كثيرة طافحة بالطعام، وفواكة كثيرة، ودخل أكابر العجم الحصن، بأمر أحمد بن سعيد، وعدد من

دخل الحصن منهم خمسون رجلاً، فما كان إلاّ قدر ساعة، أن ضرب طبـــل فـــي الحصن، والمنادي خلفه ينادي: من له وتر ودم على العجم، فليأخذه منهم، قالوا: فما استتم كلامه، إلاّ والسيف يعمل بأرقاب العجم من رعية بركة، ومن إنضاف إليهم، فما بقي من العجم، إلاّ قليلا، وهم يصيحون الأمان، الأمان، يا أحمد، فأمر برفـــع السيف عمن بقي منهم، وأما أصحابهم الذين دخلوا الحصن، قتلوا كافة، ثـــم أمـــر أحمد بن سعيد على أهل الخشب أن يعبّروا من بقي منهم إلى بندر العبـــاس، فلمّـــا عبّروهم أهل السفن، خرفوا حذا فحل السّواري، فغرق العجم كلهم، وســـبح أهـــل السفن إلى البّر، فلم يمت منهم أحد، قالوا: ولمّا هلك العجم، أمر أحمد بن سعيد أن يمضي كل أهل بلد إلى بلدهم، ولمّا رجع أهل مسقط والمطرح إليهما، لم يعرفـــوا حدود بيوتهم [٩٠٠] من الخراب بمرابط خيل العجم، وكثرة روثها، وكثـــر قبـــور أصحابهم الميّتين، الذين دفنوهم في حللهم، فوقعت بينهم فتنة عظيمة، وقتـــل أهـــل الحلل الخارجة من السور بعضهم بعضاً، فكان عدد القتلى ســـتين رجـــلاً، ثـــم إن الوالي خميس ين سالم البوسعيدي، قسّم المكانات التي اشتجروا فيها وبارا بينهم في الدّم.

أخبرني الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي، والشيخ خاطر بن حميد البداعي النخلي، والشيخ محسن القصاب، وغيرهم ممن شهدوا ذلك العصر، أنه لمّا صارت مسقط والمطرح وبركة وصحار إلى أحمد بن سعيد السعيدي، أتته قبائل عمان من كل بلدٍ، وأدّوا له الطاعة، وشكروا سعيه في الإنصاف، واجتمع معه من أهل عمان عالم كثير، ثم مضى، ومضوا إلى بلدة الرستاق، فخلص له حصنها، بعـــد حـــرب يسير، ثم مضى إلى سمائل، فاستخلصها بغير حرب، ومضى إلى ازكي، فخلصت له بغير نزاع، ثم مضى إلى نزوى، فخلصت له بغير نزاع، وأتاه يومئـــذ بنـــزوى

محمد بن سليمان بن عدي اليعربي[١] من سمد، وكان محمد بن سليمان والياً للإمام الشهيد سلطان بن مرشد، فسلّم حصنها لأحمد بن سعيد، فقال له بعدما قبض منه حصن سمد: إمض إلى نخل، فقد جعلت حصنها إليك، إذا صار إليك، وتعاهدا على أن لا يخون أحدهما صاحبه ما داما في قيد الحياة، فمضى إليه محمد بن سليمان اليعربي فقبضه، فلمّا خلصت لأحمد بن سعيد عمان قاطبة، عقدت له الإمامة أكابر الرستاق.

الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي:

الإمام أحمد بن سعيد بن محمد البوسعيدي، أخبرني غير واحد من المشائخ المسنّة، الذين شهدوا ذلك العصر، عن الأسرار التي سرت إليه، قبل أن ينتهي الأمر إليه، وتقوّل الناس عليه: إنه قد مضى ذات يوم من أدم إلى الغبيّ من أرض السرّ، فوافاها يوم عيد، وقد تناظر أعرابها وحضرها بعد الصلاة والخطبة في الاستباق بكرائم الإبل السّب، فلما أراد أن يركض ناقته، ويجريها في الميدان الذي أجروا إبلهم فيه، مسكت زمام ناقته إعرابية من أعراب الظاهرة، وقالت له: يا إمام عمان، لا يجمل بك أن تراكض بناقتك إبل هؤلاء القوم، فإنهم رعاياك، وأنت إمامهم، وإمام أهل عمان قاطبة، فنزل من ظهر ناقته إلى الأرض، فقال لها: أخبريني أيتها الأعرابية ممن أنتِ من العرب؟ فقالت له: زفيتيّة، فقال لها: كأنك تتهكمين بي بقولك إني إمام أهل عمان. فقالت له: لا والله، وإن هذا الشأن الذي ذكرته لك، لصائر إليك عمّا قريب، على رغم أنف كل حاسد، فقال لها: وما اسمك، وأين دارك؟ فقال له: أما اسمي فمبشر، وأما داري فتنعم، وأنا زفيتيّة النسب. فأمسك عن الإستباق، وكتم كلامها عن الخاصة والعامة، فلما رجع أدم، رأى الشمس ذات ليلة قد طلعت من كمّ قميصه، فكتم ما رآه، ولم يسرّه لأحد، ومضى ذات يوم من أدم

---

[١] محمد بن سليمان بن عدي اليعربي: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، ولاه الإمام أحمد بن سعيد بلدة نخل، وتعاهدا ألا يخذل أحدهما صاحبه. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

إلى منح، فسمع صوتاً، ولم يرّ شخصه، وهو يقول أهلاً بإمام عمان، فكتم ما سمع منه، ولم يخبر به أحداً، وقد سرى صيته إلى الإمام سيف بن سلطان بصيانة إمامته، وحسن أخلاقه، ومحض مروّته، [٩٠١] وثبوته في ظهور الإبل والخيل، وقوّة شجاعته في الحرب، فقال الإمام سيف بن سلطان لبعض خاصته: فعلى ما ذكر لي من سجايا هذا الإنسان، متعذّر نظيره في هذا الزمان، فإنه لو أتاني لأكرمته، ورفعت محلّه، فإن محبته قد وقعت في قلبي، لأجل هذه الخصال التي حواها، فكان من التوفيق المقرر للتصديق، أن الإمام سيف بن سلطان، قد أزمع للمسير من مسقط إلى الرستاق، فلما صار في روي صادفه مقبلاً من عمان راكباً على ناقة شريفة، وكان الإمام لم يره قبل ذلك اليوم، فقال له بعض قومه إن أحمد بن سعيد الذي تسمع به هو هذا، فنزل سيف بن سلطان من صهوة خيله إلى الأرض، ونزل قومه معه، ونزل أحمد بن سعيد من ظهر ناقته إلى الأرض، فتصافحا باليدين مصافحة المحب للحبيب، فأخذ سيف بن سلطان بيد أحمد بن سعيد، فجلسا ناحية عن القوم، وقال له: إلى أين تريد يا أحمد، فقال له: إلى بلدك المطرح، لأقضي منها بعض الوطر، فقال له: امضِ إليها، وإذا سمعت برجوعي من سفري هذا إلى مسقط، فأتني في مسقط، فقال له أحمد بن سعيد: سمعاً وطاعة، فلمّا رجع الإمام إلى مسقط، وسمع أحمد أنه قد رجع إليها، مضى إليه: فاكرم محلّه، ثم بعثه إلى أرض الحسا، لقضاء بعض الوطر، فمضى إليها، وأتاه بكل ما أراده منها، فشكر صنيعه، فما زال يترقّى معه من مرتبة إلى مرتبة، فلمّا رآه أهلاً للولاية، ولاّه مدينة صحار وأعمالها، فأظهر الأنصاف بين الرعية، وفشى إحسانه وكرمه إليهم، فأحبوه حباً شديداً، وأتته قبائل الشمال والظاهرة أفواجاً أفواجاً، وفرادى وأزواجا، فأكرمهم وأحسن إليهم، وألان الجانب للغني والفقير، والبصير والضرير، وأظهر بشاشة للكبير والصغير، وبالغ في إكرامهم وإنعامهم، وقصدته شيوخ الجبور من الحفري والحرادي وحيّ عاصم، فرفع منزلتهم، وأحسن إليهم، وسرى صيته في البلاد، وأذعنت له الناس بالانقياد، وأظهر العدل فأثنت عليه الألسنة، فلما بلغ

صنيعه ذلك للإمام سيف بن سلطان، قال لبعض خاصته: والله ما فعل أحمد بن سعيد هذا، إلاّ لينفر الناس عني، ليجلبهم إليه، وإنه يحاول بهذا الشأن، ليصير ما صار إليَّ إليه، فإن لم أعز له من ولاية صحار، ليسقني كؤوس الأكدار، ويذرني بسلب ما ملكت يدي عبرة لأولي الأبصار، ثم بعث إليه كتاباً، يدعوه فيه بقدومه عليه سريعاً، فلمّا بلغه الكتاب، وعرف ما فيه من الخطاب، ركب ناقته إليه، ولم يصحبه من أصحابه، إلاّ رجل واحد من مواليه اسمه مسعد، وكان الإمام سيف بن سلطان يومئذ بمسقط، وقد أمر الخاصة من عبيده، إذا أتى إلى مسقط أحمد بن سعيد، أن يمسكوه، ويحبسوه في الكوت الشرقي، وكان بيت الإمام، البيت الذي صار بعده لداود بن خليل الماريديني، فلما وصل أحمد بن سعيد وخادمه مسعد بلدة روي، سلكا طريق عقبة وادي الكبير، فانحدرا من الوادي، حتى بلغا إلى طوي الزبادية من مسقط، فأناخا ناقتيهما، وحمل أحمد بن سعيد سيفه، وقال لمسعد: كن أنت مع الناقتين، حتى أرجع إليك، فمضى عنه، حتى إذا بلغ أحمد حذا بيت جديّ رزيق بن بخيت، وكان جديّ قد خرج من بيته، يريد أن يمضي إلى السوق، وقد أسرّ إليه الإمام سيف ابن سلطان [٩٠٢] عمّا في قلبه، من قبل أحمد بن سعيد، وكان جديّ يومئذ عاملاً لسيف بن سلطان على القلم الحسابي، في فرضة مسقط، وبينه وبين أحمد بن سعيد مكاتبات ومراسلات، فلمّا تصافحا هو وأحمد بن سعيد، قال له جديّ: إلى أين تريد؟ قال: إلى الإمام سيف بن سلطان، لقد وصلني منه كتاب، يدعوني فيه بالمسير إليه، والقدوم عليه سريعاً، فلا أدري بمراده هذا، فقال له جديّ: إرجع سريعاً إلى صحار، قبل أن يعلم بوصولك إلى مسقط، أو يراك أحد من عبيده، فإنهم قد أمرهم بقبضك، وحبسك في الكوت الشرقي، فلمّا سمع أحمد بن سعيد منه ذلك، قال: لعلّه يريد أن يعزلني عن ولاية صحار، قال له جدّي: أجل، يريد أيضاً قتلك، فأرجع إلى صحار، فإني لك من الناصحين، فإن النفس تأبى العطب، وتقلي الشجب، فهذا ما عندي لك من قبل سيف بن سلطان، والسلام. فلمّا سمع أحمد منه ذلك، رجع مسرعاً إلى الزبادية، وركب هو ومسعد ناقتيهما، وسلكا

بهما طريق الوادي، فلما انحدرا من رأس عقبة الوادي، ضربا ناقتيهمـــا بالـــسياط، فمرتا كريح البساط، فبلغني عنهما أنهما قد وصلا مدينة صحار في اليوم الثـــاني، عند طلوع الشمس، من اليوم الثاني. وقد أخبر بعض الأنام الإمام سيف بن سلطان بوصول أحمد بن سعيد إلى مسقط، في ذلك اليوم الذي رجع فيه إلى صحار، فبعث إلى عبيده الذين أمرهم بقبضه، فلما أتوه، سألهم عنه، فقالوا له: يا مولانا ما رأيناه، ولا علمنا أنه وصل إلى مسقط، إلاّ من كلامك هذا، فقال لهم: انسابوا إليه، وأتوني به، فتغرّق عبيده في البلد شرقاً وغرباً، فلم يروه، فرجعوا إلى مولاهم ســـيف بـــن سلطان، فقالوا: ما وجدناه، ولا نعلم إلى أين توجه، فأمر بصلبهم، وجلدهم، فصلبوا، وجلدوا، حتى أخبره بعض الناس الذين رأوه هو وجدي رزيق يتحادثان في الوادي، فبعث في طلبه الركاب والخيل، فما وقفوا له على أثر، فلما رجعت إليه البواعـــث، وقالوا له: لقد فاتنا، فما وجدناه، أرسل إلى جديّ رزيق، فلمّا أتاه، قال له: ما حملك على الذي فعلت، فإنك أنت الذي نفّرت أحمد بن سعيد بنجواك إليه، وأين هو توجّه، بعد ما ناجيته، وماذا قلت له، وقال لك، لمّا تناجيتما ؟ فقد صَحَّ معي أنـــك رأيتـــه وناجيته ونفّرته، فإنّي قد أسررت إليك عمّا في قلبي إليه، فأذعت سرّي، وعـــصيت أمري، فجعل جديّ يعتذر إليه، ويكثر في قوله إليه لديه: ما رأيته ولا ناجيتـــه، ولا فشيت لك سراً، ولا عصيت لك أمراً، فإن من رفع هذا الخبر عنـــي إليـــك لـــيس بصادق، سكّن غضبك، وارجع عن سورتك، فإنك منسوب إلى الحلم لا إلى الظلم، فقال له: ليس مما تقوله بصحيح، وأغلظ عليه الكلام، ثم أمر عليه بالحبس والقتل، فحُبس، وقيّد، ومكث جدّي في الحبس والقيد ثلاثة أشهر، ثم أطلقه، وقد بعث الإمام كتاباً إلى أحمد بن سعيد يدعوه فيه بالوصول إليه سريعاً، فأتاه جوابه، يعتذر فيـــه عن الوصول إليه، لعلل عائقة ذكرها في كتابه إليه، فأيقن سيف بن سلطان بنفوره واستنكافه عنه، فكتب له كتابا يتهدده فيه، ومن جملة [٩٠٣] ما تهدده فيه: إن لـــم تصلنا، فنحن نصل إليك، ثم أمر بتجهيز أربعة مراكب من مراكبه الكبار، وشحنهن بالرجال وآلة الحرب، فلمّا طرحت أناجرهنّ على بحر صحار، باقتراب من البّـــر

الذي عليه الحصن، أرسل إلى أحمد بن سعيد بوصوله إليه، فلمّا بلغه رسوله وكتابه، ركب أحمد في قارب صغير سريع السير، وكان الإمام سيف بن سلطان قد أوقف عبيده على جنبات المركب الذي هو فيه، وأمرهم بقبض أحمد بن سعيد، إذا وصل إليه، فلما اقترب قاربه من المركب، أشارت الخدّام إليه بالرجوع، فرجع بقاربه سريعاً إلى البّر، وصاحت العبيد لمّا رجع: قد رجع يا مولانا أحمد بن سعيد إلى البّر، فقال: لعله قد نسي شيئاً يريد أن يأتي به، فقفوا مكانكم، فإنّه ليرجع، فوقفوا، ومكث يرتقبه في ذلك اليوم، من أول طلوع الشمس إلى غروبها، فما رجع إليه، ومكث بعد ذلك يرتقبه، حتى مضت على ذلك أيام، وكلما بعث إليه كتاباً بالوصول إليه لا يردّ إليه جواباً، فلمّا علم أكابر الجبور الذين هم بالحفري والحرادي وحي عاصم من بركة بمسير الإمام سيف بن سلطان لصحار، وطرح مراكبه على بحرها، ركبوا سفائنهم إليه، فلما وصلوه، قالوا له: أيها الإمام، ما مرادك بواليك أحمد بن سعيد؟ فقال لهم: لا شيء، إلاّ وصوله إليّ، فقالوا له: كيف يصل إليك وقد أوحشته بكتبك ومراكبك، فلا ينبغي منك هذا له، إذ هو قد صار واليك، الناصح لك في كل الأمور، ولو لم يكن لك ناصحاً ومطيعاً، لما وصلك إلى مسقط، لمّا كتبت إليه بالوصول إليك، ولو لم يوحشه أحد عنك، لما رجع في اليوم الذي وصل فيه إلى مسقط بقلب مذعور إلى صحار، ولو لم يكن لك ناصحاً ومطيعاً، لما أتى في قاربه إليك، ولو لم يوحشه أحد من أصحابك ما رجع بقاربه إلى البرّ، وأنت بحمد الله رجل حليم، وتعلم أن النفس قد تأبى العطب، وإنما الرأي السديد أن تمضي إليه، وتخبره عنك، لنستمع منه الجواب، فإن رأيناه متوحشاً منك بوصوله إليك، أتيناك منه بما يؤنس قلبك، فأجابهم إلى ذلك، فلما وصلوه، وعاتبوه من قبل الإمام سيف بن سلطان، قال لهم: إنّي لست بمستنكف عن طاعته، ولكن النفس تأبى العطب، ولو أنه يمكن أن أفشي أسرار الذين أخبروني عن الشأن الذي عزم عليه من قبلي، لأخبرتكم عنه، ولكن ذلك شيء لا يمكن إذاعته، ولا يحسن، إلاّ كتمه، وما برح أكابر الجبور يسعون بالصلح بينهما حتى اتفق بينهما، على يدهم

الصلح، أن يبعث أحمد بن سعيد ولده هلال بن أحمد بن سعيد، إلى الإمام سيف بن سلطان، ويمكث معه، حيث يمكث، ويصحبه إلى حيث قصد، لكي يطمأن قلب سيف بن سلطان من قبل أحمد بن سعيد، فأتوا بهلال إلى المركب، وأحسن إليه الإمام سيف، وطابت نفسه على أحمد بن سعيد، فرجعت مراكبه إلى مسقط، وما برح هلال بن أحمد معه يمكث حيث يمكث، ويمضي حيث يمضي، وسكنت الحركات بين سيف بن سلطان وأحمد بن سعيد، حتى جرى ما جرى بين اليعاربة من الخلاف، ومقتت أهل عمان، سيف بن سلطان، على ما ظهر منه من الصنيع القبيح، وبذاءة السيرة، وإتيانه العجم إلى خراب [٩٠٤] عمان وقتل من فيها من الشيوخ والصبيان، وسلب أموالهم، وسبي الصبيان والنسوان، كما ذكرنا في كتابنا هذا أولاً، وأوضحنا فيه من البيان.

فلما آل شأن عمان كلّه لأحمد بن سعيد، وانقرضت دولة اليعاربة، عقد أكابر الرستاق وغيرهم الإمامة لأحمد بن سعيد، فاظهر العدل والأنصاف، وولى على مسقط خلفان بن محمد السعيدي، لقبض العشور والخراج، وانفاذ حكم قلمه، لقبض الدراهم من الوكلاء الذين أقعدهم الإمام على الفرضة، وولى أيضاً خميس بن سالم السعيدي على عساكر مسقط والمطرح، وولى حسن الصرهنج[١] على مراكب السلطنة، وجعل القاضي بمسقط، الشيخ محمد بن عامر بن عريق[٢]، وأجلس جدّي رزيق بن بخيت في الفرضة لقلم الحساب، ورتب قواعد السلطنة بأحسن ترتيب، واشترى ألف عبد زنجي، وألف عبد نوبي، فأسكنهم في حصن الرستاق، ومعهم من العسكر الأحرار ألف رجل، فكل واحد من هؤلاء الأحرار والعبيد، اشترى له دابة

---

[١] حسن الصرهنج: قائد بحري، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، ولاه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي على سفن عمان. انظر: دليل أعلام عمان ـــ ص ٥١.

[٢] محمد بن عامر بن عريق المعولي: قاض، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، من أهالي حلة المطلع في (أفي). ولاه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي على القضاء في مسقط، له مؤلفات عديدة، طبع كتاب "المهذّب وعين الآدب". انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

من الخيل والرّكاب، يسعى إليها حيث ما سعى إلى عمان، وكان إذا مضى من مكان إلى مكان من عمان، تنشر في مواكبه أربعة أعلام، منها علمان رأسهما من ذهب، وعلمان رأسهما من فضة، ولا يمضي، إلاّ ومعه من القضاة وأهل العلم رجال مشاهير بالزهد والتقوى.

أخبرني غير واحد من المشائخ الذين شهدوا عصره، وداست أقدامهم مصره، أنه قد ترك رجلاً من آل أبي سعيد، نسيتُ اسمه، أميراً على عسكر حصن الرستاق، وقد غضب ذات يوم ذلك الأمير على قصّاب من أهل الرستاق، فسحب اللحم الذي تركه في الوضم على التراب، ثم مرّغه في رماد هرّاس، وكان السبب الباعث لذلك، أنه كان ذلك الأمير يصبرّ ذلك القصاب في أداء ثمن اللحم الذي يأخذه منه إلى يومين، أو ثلاثة أيام، ثم يسلم له ثمن ما أخذ من اللحم، فأخلف العادة التي جرت بينه وبينه، وجعل يماطله بدفع الدراهم، التي صارت عليه لذلك القصاب، وقد أخذ منه لحماً كثيراً، فبلغ ثمنه خمسمائة محمديّة، فلما كان منه ذلك، جعل القصاب يرد رسله الذين يأتونه لأخذ اللحم منه، فغضب عليه، وصنع بلحمه كما ذكرنا، فلمّا صنع به ذلك، مضى القصاب إلى مولاه الشيخ سليمان بن علي الشقصي، فشكي إليه ما جرى عليه منه، فقال له: كم صارت لك معه من الدراهم؟ فقال: خمسمائة محمديّة، فأنفذهنّ إليه، وقال له: امض إلى بيتك، واصنع ما كنت تصنع من القصابة، فإذا أتتك رسله، لا تردّهم، واطوِ الخبر عن الخاصّة والعامّة، ففعل ذلك القصاب بما أمره مولاه، وكان الشيخ سليمان بن علي الشقصي، هو الكبير يومئذ على أهل الرستاق كافّة، يغضبون إذا غضب، ويرضون إذا رضي، ويمشون كافّة خلفه إلى مسجد البياضة، يوم الجمعة، لصلاة الجمعة، فلما كان يوم الجمعة، تماسك عن المسير للصلاة، وتماسك أهل الرستاق، بتماسكه، فلما حان وقت الصلاة، هبط الإمام أحمد بن سعيد من الحصن إلى المسجد، فلم يرَ، إلاّ عسكره من أهل الرستاق، فسألهم عن الشيخ سليمان بن علي، وسائر أهل الرستاق، فقالوا: لا وصل منهم اليوم أحد إلى المسجد، فلمّا صلى الإمام بمن معه من العسكر وأهل السّوق،

أمر بالشدّ على الركاب والخيل، فشدّت، وسار بهم، حتى وصل إلى الشيخ، فلما تصافحا باليدين، أخذ الإمام بيد الشيخ، فجلسا ناحية عن القوم، فقال الإمام: لقد أوحشتنا أيها الشيخ، بتخلّفك عن الصلاة، فما عندك من الشأن، فأخبره بصنيع أمير عسكر حصنه بالقصّاب، فقال له: وهل عندك شيء غير هذا؟ قال: لا، وإن هذا معي لشيئاً عظيماً، فما عذرك بهذا الإهمال عن رعيتك؟ وهل يسعنا أن نصلّي خلف إمام، قد أهمل حقّ رعيته، فصاروا يظلمون، ومن يظلمهم ويهضمهم، هو أمير على عسكر حصنه، فقال له الإمام: ما علمت بهذا الشأن، إلاّ الآن، فقال له: لو كنت متفقداً لأمور رعيتك لما جرى عليهم مثل هذا، فقال له الإمام: طب نفساً، وقرّ عيناً، غداً إن شاء الله، ليأتيك من الخبر على ما تقرّ به عينك، وتطيب به نفسك، ثم مضى الإمام عنه إلى الحصن، وانصرف الشيخ إلى بيته، فلما كان اليوم الثاني، بعث الإمام إلى أمير عسكر الحصن، فلما أتاه، أظهر له الغضب، وقطب عليه حاجبه، وقال له: يا خبيث، ماذا فعلت بالرجل القصّاب؟ فتلجلج لسانه، وكاد أن يموت من الفزع، فأمر عليه بالقيد والخشبة، فقُيدّ وخُشّب، وألزمه بتسليم الدراهم، فبعث إلى أهله بتسليمهنّ، فلمّا حضرت الدراهم بين يدي الإمام، بعث للقصاب، فلما أتاه، قال له: كم لك مع الذي صنع بلحمك ما صنع، فقال: خمسمائة محمديّة، فقال له الإمام: هاكهن، وقد وضعهنّ الإمام في خرقة، فلمّا أخذهن، أثنى القصاب على الإمام، وشكر سعيه، ثم انصرف عن الإمام، ومضى من ساعته إلى مولاه، فلما وافاه أخبره عما جرى على أمير عسكر الحصن، ودفع الدراهم إلى مولاه، إذ كان أقرضه إياهنّ، لمّا أتاه شاكياً من أمير عسكر الحصن، فلما كان يوم الجمعة الثانية، مضى الشيخ إلى الإمام، لصلاة الجمعة، ومضى أهل الرستاق معه، فلما قضيت الصلاة والخطبة، قال الشيخ للإمام: الآن قد طابت نفسي على أمير عسكر حصنك، فحسبه ما أتاه، فتفضّل بإطلاقه من القيد والحبس، فقال له الإمام: هيهات أن أطلعه من القيد، وأخرجه من الحبس، حتى تمضي عليه سنة من يومنا هذا، فمكث في ذلك

الحبس سنة، ثم أطلقه الإمام، وعزله عن الإمارة والتقديمة على العسكر، وبقي في الرستاق، حاله كحال الذين لا يكترث بهم.

أخبرني غير واحد بصحة هذا الخبر، ومن حسن كرم أخلاق هذا الإمام، أنه إذا أراد أن يمضي من الرستاق إلى مسقط، أمر أن تخدم له حلوى كثيرة، فتجعل في غلافات كثيرة، فتحمل على جملين، فإذا وصل إلى نعمان بركة، أتته صبيان الفقراء والمساكين من حد حيّ عاصم إلى الحفري، فيأمر أن يعطى كل واحد من أولئك الصبيان غلافة حلوى، فإذا أخذوا ما على الجملين من غلافات الحلوى، [٩٠٦] قال: انصرفوا إلى منازلكم، بارك الله فيكم، ثم يقيم في نعمان يومين، فتأتيه الرعيّة لتسلّم عليه، من حدّ السيب، إلى المصنعة، فيقبل عليهم ببشاشة وطلاقة وجه، ويسألهم عن حوائجهم، فيقضيها، وينصف من ظالمهم، ثم يمضي إلى مسقط، فإذا بلغ روي، مكث فيها، فلا يمضي إلى المطرح، إلاّ عند طلوع الشمس، إذا لم يكن بروي عند طلوع الشمس، فإذا مضى منها إلى المطرح، اصطفّت الرعيّة الفقراء والمساكين، من أول سيح الحرمل، إلى أول جبال المطرح، ويأمر عسكره برفق المسير حتى تسلم عليه الرعيّة، ويردّ عليهم السلام، فإذا وصل إلى المطرح، مكث في بيت الدّكة، فيأتيه أول ما يأتيه من أعيان الرعية أهل المطرح بنو حسن، ثم تتبعهم اللواتيا، ثم تتبعهم بنو زراف، فإذا سلّمت عليه رعيّة المطرح قاطبة، مضى إلى مسقط على مواشي، والرايات منشورة عليه، فإذا وصل إلى مسقط، دخل الجزيرة، فتضرب الصيرتان مدافعهما والكوتان كذلك ثم تتبعهما المراكب ، فيتراسل حينئذ ضرب المدافع من مقابض مسقط ، ثم يبرز للناس في أعلى الجزيرة، فتأتيه الرعيّة أفواجاً أفواجا على ترتيب، فيسلمون عليه، فيردّ عليهم بالسلام، ويسألهم عن حوائجهم، فيقضيها، ثم يدخل بيته بالجزيرة، ويبعث بعد يومين إلى الواليين خلفان بن محمد، وخميس بن سالم و وكلاء الفرضة، فيقول لهم هذه السنة لنا أم علينا من المدخول بعد المخروج، فيخبروه عن ذلك.

أخبرني غير واحد ممن شهد ذلك العصر، أن الإمام أحمد بن سعيد، لا يمكث في مسقط، إلى أن يمضي عنها، إلاّ اثني عشر يوماً، فإذا مضت عليه عشرة أيام مضى إلى الكوت الغربي، فيتفقدّ ما فيه من آلة الحرب والماء والطعام، ثم يمضي إلى الكوت الشرقي، فيمر على الفرضة، فإذا بلغ إلى الباب الشرقي، منها نادى مناديه: أيها التجار، كل ما هو لكم من المتاع في الفرضة اليوم، فما عليه عشور، فيرفع عنهم العشور في ذلك اليوم، ولو أنهم طرحوا من المتاع في الفرضة ما يبلغ عشوره لكوكاً.

أخبرني غير واحد بهذا، وسألت والدي محمد بن رزيق عن هذا الخبر، فقال لي: نعم، وهكذا كانت عادة الإمام أحمد بن سعيد، إلى أن مات، وسألت والدي أيضاً عن مدخول فرضة مسقط، أيام الإمام أحمد بن سعيد، فقال لي: من الخمسة إلى الثلاثة لكوك في السنة، خالصات من جميع المخروج، وسألته كم كان مكثه بمسقط، حتى يمضي عنها؟ فقال اثني عشر يوماً، وسألته عن جملة عساكرها الذين بمقابضها كافة، فقال لي : ألفان، وسألته عن جملة عساكره الذين بالرستاق، فقال لي: ثلاثة آلاف، وسألته عن جملة عساكره بصحار، فقال لي: ثلاثة آلاف، وسألته هل كان يأخذ الجزية على أهل الذّمة بمسقط وصحار وغيرها؟ فقال لي: نعم، إلاّ على أهل بيت سكبيلة ونروتم. وسألت الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي، والشيخ خاطر بن حميد البداعي النخلي، عن سبب الواقعة الكائنة بين الإمام أحمد بن سعيد، وبين بلعرب بفرق، لمّا قتل بلعرب بن حمير فيها، فقالا [٩٠٨]: إن السبب الباعث لذلك، لمّا قتل مهنا بن سلطان ومن معه من اليعاربة بادر العجم المحاصرين صحار، ومات الإمام سلطان بن مرشد، من الجراحات التي أصابته من سيوف العجم بحصن صحار، ومات سيف بن سلطان بالحزم، وانقرضت دولة اليعاربة، فصار الأمر بعدهم للإمام أحمد بن سعيد، لم يبق من شجعان اليعاربة، إلاّ بلعرب ابن حمير، وكان مسكنه بالبزيلي من الظاهرة، أتته أكابر اليعاقيب، أهل عبري، وبنو نعيم، وساير بني غافر، أهل الظاهرة، فقالوا له: لم تركت هذا الأمر لغيركم،

وهو لكم ؟ فإنك قد جالدت عليه سيف بن سلطان، والإمام سلطان بن مرشد، ومـــا أغمدت السيف عنهما؟ وحيّت بأسك أهل عمان، وانقادوا إليك بإذعان، فلمَ أصبحت اليوم بعد العزازة ذليلاً، وأكثروا في هذا الإبرام عليه الكلام، فقال لهـم: والله مـا تماسكت عن القيام لهذا المرام، إلاّ لقلّة المال والنّاصر، فقالت له اليعاقيب: قم لهذا الشأن، وعلينا لك الرجال وآلة الحرب، حتى يصير إليكم ما ذهب عـنكم، فقــال: امهلوني في القيام إلى بعض الأيام، فما برحوا يترددون إليه، وهو يماطلهم، حتـى وقعت بين الإمام أحمد بن سعيد وأهل الصيّر الملحمة العظيمة التي بالبثنه، وذلـك أن أهل الصيّر أجمعوا على حرب الإمام أحمد بن سعيد، فحـشدوا خلقـاً كثيـرا، أرادوا أن يهجموا على صحار، فالتقاهم الإمام بمن معه من القوم بالبثنة، فكانــت بينهم ملحمة عظيمة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ورجع أهل الـصير، ورجــع عسكر الإمام إلى صحار، ففارقهم الإمام ليلاً، فأحثّ ناقته، فلما بلغ أطراف ينقــل، نزل عن ظهر ناقته، فرأى امرأة مسنّة من أهل ينقل، فاستكتمها عنه الناس، وقــال لها: لا تذيعي خبري إلى أحد، وأنفذ إليها بعض الدراهم، فاختفى في بيتها، وكانت تلك المرأة قد مات عنها أهلها كافّة، فقيرة لا يدخل عليها أحد من الناس، ولها بيت حقير في أطراف البلد، فلما اختفى الإمام في بيتها، سرّح ناقته بمــا عليهــا مــن الفراش، ولم يأخذ إلاّ سلاحه، ومن خرجه إلاّ الدراهم، فلمّا رأها أهل ينقل، عرفوها أنها للإمام أحمد بن سعيد، فهالهم الأمر، ومضت أكابرهم إلى صـحار، وسـألوا رعيّة صحار وأهل الحصن عنه، فقالوا: لا علم لنا به، وفشي الخبر بعمان، فقالوا: إن الإمام قتل بالبثنة، وزلزلت عمان بالخوف زلزلاً شديداً، ونجم نفاق أعدائه حتى استوى على سوقه، فعند ذلك مضت اليعاقيب وأكابر بني غافر وبنـو نعـيم إلــى بلعرب ابن حمير، وقالوا له: اغتنم الفرصة، فإن الإمام أحمد بن سـعيد قـد قتـل بالبثنة، فانهض مشمراً لهذا الشأن الذي ذكرناه لك أولاً، فنحن من خلفك وأمامـك بالمال والرجال، فأجابهم بلعرب بن حمير على ذلك، فادعى الإمامة له، واجتمـع معه خلق كثير، فبلغنا أن الذين اجتمعوا معه عشرون ألفاً، وأنفذ كتبه إلــى كافــة

النزارية، وحلفائهم من أهل عمان، ومضى هو ومن معه من الظاهرة إلى عمـان، فعسكر بهم بفرق، وكتب إلى نزاريـة سـمائل، أن يحيطـوا بحـصن سـمائل، ويحصروه، وبعث إليهم بآلة الحرب والطعام، فزلزلت عمان، وتضاعف ذعرهـا بالخفقان، وكان الإمام أحمد بن سعيد مراده بذلك الاختفاء انتظاراً إلى من تـسموا همته إلى الشأن، الذي صار إليه أهل عمان [٩٠٨]، وتلك المرأة تخبره بما تسمعه من أهل ينقل من الكلام، في كل يوم وليلة، فأتته ذات يوم، وقالت له: سمعت أهـل ينقل يقولون: إن بلعرب بن حمير اليعربي، قد ادّعى الإمامة له، فتابعته النزاريـة كافة، ومضى بقومه إلى عمان. فعند ذلك مضى الإمام إلى صحار، فدخل الحصن ليلاً، وكتب بالحال إلى أهل ينقل والظواهر أن يأتوه بمحامل السلاح، وبعث كتبـه إلى عبدالله بن محمد السعيدي، وهو يومئذ على سمد الشأن، أن يحشد الهنائية مـن الشرقية قاطبة إلى جعلان، ويأتيه بهم إلى فرق، ووقّتَ له الوقت الـذي يريـد أن يوافيه فيه، فلما وصلته رجال ينقل والظواهر، سار بهم، يريد وادي سمائل، وحشد من أعراب الباطنة خلقاً كثيراً، فلما وصل إلى أطراف بدبد، وجد السيابيين ومـن اشتمل عليهم، قد سدّوا عليه الطريق، فركض عليهم، فهزمهم، وقتل منهم رجـالاً كثيراً، فلمّا بلغ إلى مضمار سمائل، وجد قوماً من النزارية قد كمنوا له بالمضمار، فركض عليهم، فانكسروا، وقتل منهم رجال، فلمّا دخل وادي بني رواحة، حشدهم، فمضوا معه إلى فرق، فالتقى هو وعبدالله بن محمد السعيدي، ومعـه مـن أهـل الشرقية، وجعلان خلق كثير، وكان يومئذ بلعرب بن حمير معسكراً بفرق، فوقـع بينهم القتال، فأنكسر قوم بلعرب بن حمير، وقتل هو وأكابر اليعاقيب كافّة، وما سلم من قوم بلعرب، إلاّ قليل، وأيّد الله الإمام أحمد بن سعيد بالنصر والظفر، فما بقي له عدو ومحارب، وعاقب من خرج عليه، ثم عفى عنهم.

وسألت الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي، والشيخ خاطر بن حميد البـداعي النخلي، والشيخ سيف بن سالم، عن السبب الباعث لحرب الإمام أحمد بن سـعيد، للشيخ ناصر بن محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة الغافري، وما جرى بينهما من

الشقاق والمنافرة بعد الاتفاق، إلى أن جرى بينهما ما جرى من القتل في سيح الطيب، من أرض السرّ، وكم بين وقعة فرق، ووقعة سيح الطيب من المدّة؟ فقالوا : وقد دخل كلامهم بعضه في بعض، على الاتفاق، على أن الإمام أحمد بن سعيد قد خطب إبنة ناصر بن محمد، لولده سعيد بن أحمد، فزوّجه ناصر بها، فأولدها أحمد ابن سعيد بن أحمد الإمام، وخطب الإمام أحمد بن سعيد ابنة سيف بن ناصر بن محمد له، فزوّجه بها، فما أنجبت منه ذكراً، ولا أنثى، وقد نال ناصر بن محمد من الإمام أحمد بن سعيد حظوة عظيمة، ولم يخالفه الإمام في شيء يريده لبني غافر، زان أو شأن، فعبروا على ذلك زماناً، وكان يومئذ بالظاهرة رجال من بني غافر، لا ينقادون في جلّ الأمور لناصر بن محمد، وكل واحد يقول في عتّوه وزهوه لصاحبه: أنا، أنا، فطلب ناصر بن محمد منهم رخصة، ليبني بطيبة أنفسهم، لا على الكراهية، بيتاً في العينين، على منابع أفلاج الظاهرة الدانية من العينين، فأبوا، وقالوا: لا نرضى بهذا، فأسرّها محمد في نفسه، وأضمر لهم المكيدة، وكان ناصر ابن محمد [٩٠٩] رجلاً داهية، من دهاة العرب، فلما رأى من بني غافر له الاستنكاف، وضدّ الطاعة في جلّ الأمور، مضى إلى الإمام أحمد بن سعيد، وقال له: إن بالظاهرة رجالاً عنك مستنكفين، ولك غير طائعين، ومنهم أطغى الطاغين، وقد مقتوني بمصاهرتي لك، فأردت أن أبني بيتاً في العينين، فمنعوني، وتهددوني، فإذا وصلك منهم فلان وفلان، أحبسهم، وقيدّهم، وخشّبهم، واتركهم في الحبس والقيد، حتى يموتوا. فكان إذا وصله أحد من القوم الذين يعدّدهم له، يأمر به إلى الحبس والقيد، ويتركه في الحبس، حتى يموت، فلمّا أهلك الإمام من أراد له ناصر الهلاك، وانفلّت شوكة أضداده عنه من رجال الظاهرة، ولم يبق مستنكفاً عنه إلاّ الشيخ سليمان بن مسعود بن سليمان الغافري، صاحب الدّريز، أتوا إلى ناصر مذعنين، وإليه مطيعين، فشرع حينئذ في بناء حصن العينين، فلمّا أتمّه سكنه، فكان كل من يخالفه منهم في شيء يعاقبه، ولا يقدر أحد من أكابرهم أن يخالفه، خوفاً أن يكسر الأفلاج عليهم، إذ منابعهنّ مقتربات من حصن العينين، وبقي حصن الغبيّ

ليس في يده، ورجا أن يسلموه له بغير سؤال منه، فما سلّموه لـــه، فأضـــمر لهـم المكيدة من قبله، فسعى إلى الإمام أحمد بن سعيد إلى الرستاق، وكان الإمام أكثـــر مقامه فيها، فلمّا وصله، قال له: لِمَ لا تقبض حصن الغبيّ من بني غافر، ألست أنت الإمام، وهم الرعية؟ وهل سمعت برعيّة تقبض حصناً عن الإمام، ولا تـسلم لـــه بالأمر، وهو قادر عليهم، ابعث أحداً من قبلك بكتاب إليهم، بتخليص الحصن لمـــن شئت من ولاتك، فبعث لهم الإمام كتاباً ووالياً، فلمّا أتاهم الكتاب والوالي، أبوا أن يسلموا الحصن إليه، ولم يردّوا على الإمام جواباً، وقالوا للوالي وأصحابه: ما معنا لكم إلاّ السيف، فرجع الوالي إلى الإمام، فلمّا أخبره عن اســتنكافهم عنـــه، وضـــدّ طاعتهم إليه، وما قالوا له من التهدد، جهّز الإمام جيشاً من الرستاق على حرب دفع الأودية، وأهل الحصن القرطي، فمضى الجيش والأمير عليه هلال بن الإمام أحمد ابن سعيد، ومعه مسلم بن عمير السعيدي، ومعهما من اليعاربة محمد بـــن حميـــر اليعربي، وزهران بن سيف، فلما دلفوا لدفع الأودية، هـــدموا بـــروجهم ومعـــاقلهم جميعاً، فلمّا بلغوا إلى حصن القرطي، استنكف أهله عن الطّاعة، فجعلوا يضربون الجيش بالتفق، فأرسل إليهم هلال بن الإمام أحمد، محمد بن حمير، وزهران بـــن سيف، ليناصحوهم، ويهبطوا من الحصن على يدهما بأمان، وأنه لا يريد منهم مع المواجهة، إلا هدم الحصن، فمضيا إليهم، وجعلا يناصحوهم حتى رضوا، فأتيا بهم إلى هلال، فلما كانوا بالقرب من هلال، ركض عليهما قومـــه، فقتلـــوهم جميعـــاً، وكانت جملة من قتل منهم اثني عشر رجلاً، ثم ركض القوم على حصن القرطي، فهزموا جميعاً، ورجع الجيش إلى الرستاق، ثم إن هلال دخل الوادي ثانية بجـــيش كثير، فخاضه إلى أن انحدر من عقبة الحويل، فلم يعارضه معارض [٩١٠] مـــن بني غافر، وقصد بالجيش إلى الظاهرة، فلما بلغ إلى العراقي، قدم ناصر بن محمد عليه، ومعه بعض الناس من رجاله، وقد هال بني غافر الأمر، بما وقع على أهـــل دفع الأودية وحصن القرطي، فأتوا إلى هلال، وسلّموا له حصن الغبيّ، فترك فيـــه مسلم بن عمير والياً، من قبل أبيه الإمام أحمد بن سعيد، ورجع هلال ومعه ناصر

ابن محمد إلى الرستاق، فشكر الإمام سعي ولده هلال، وأحبَّ ناصر بن محمد حبّاً شديداً لأجل صفوته إليه ومعوله عليه، وكان ناصر قد صحبته رجال من بني غافر، الذين كانوا بحصن الغبي، وهم أكابر بني غافر، فناجى ناصر الإمام أحمد بن سعيد، فقال له: لقد أتيتك بأفلاذ أكباد الظاهرة، أهل الإحن الباطنة والظاهرة، فقيّدهم، واحبسهم، ولا تخرجهم من حبسك، إلاّ إلى القبور، ففعل لهم الإمام كما قال له ناصر، وما لبثوا في قيد الحياة، إلى خمسة أيام، إذ قطع عنهم الماء والزّاد، ولمّا انفصل ناصر بن محمد عن الإمام، ووصل إلى دفع الأودية، أظهر التحسّر والكآبة على بني غافر الذين صحبوه، وأخبرهم بما جرى عليهم من الإمام، ثم جعل يعنّفهم على الجبن والذّل والاستكانة للإمام، وأمرهم ببناء ما هدّم عليهم من البروج والمعاقل، والمجاهرة بالحرب على الإمام، فلمّا وصل إلى الظاهرة، عاهدته بنو غافر، وسائر النزارية كلهّا، وأحلافهم إلى أطراف مساكن بني نعيم، وأنفذ كتبه إلى ابن رحمة بالصير، وأخبره فيها بما جرى من الإمام على بني غافر، فأضحى ناصر بن محمد هو الرئيس على كافّة نزارية الظاهرة، لا أحد يخالفه في الحلّ والعقد، فلمّا علم الإمام ما كان من ناصر بن محمد، واستنكافه عنه، وضدّ طاعته إليه، وحصره لحصن الغبّي، واجتماع قبائل الظاهرة معه، وانفاذه بكتبه إلى ابن رحمة بالصير، يدعوه بالمعاونة له على حرب الإمام أحمد بن سعيد، بعث كتبه إلى عمان، والشرقية، وجعلان، ووادي سمائل، ونخل، ورجال المعاول، وكتب إلى عبدالله بن محمد السعيدي، وهو يومئذ وال من قبله بحصن سمد الشأن، أن يأتيه من الحضر والبدو بحامل السلاح، فاجتمع القوم مع الإمام بالرستاق، ومضى بهم، فسلك طريق خط الباطنة، وحشد أعرابها، فلمّا بلغ إلى صحار، أمر بعدّ القوم الذين اجتمعوا معه، فقيل له: خمسون ألفاً أو يزيدون، ثم نهض بالجيش إلى الظاهرة، فلمّا بلغ إلى السليف، أشار عليه من أشار، أن يريح القوم إلى يوم أو يومين لأجل التعب، فأبى، فقصد بالجيش إلى الغبّي، ولم يكن بها يومئذ عند ناصر بن محمد، إلاّ من أصحاب ابن رحمة ألفان، ومن بني نعيم أربعمائة رجل، ومن بني غافر

أربعمائة رجل، فلمّا بلغ جيش الإمام إلى أطراف الغبّي، ركضت على جيش الإمام بنو غافر أهل التفق، فضربوا القوم بالتفق، وركضت عليهم سائر أقوام ناصر بن محمد، فانكشف جيش الإمام، ووقعت الملحمة بسيح الطيب، فولّت عساكر الإمام الأدبار، والإمام يصيح عليهم: ويلكم، أقبلوا إلى القوم، وجالدوهم، وثبتوا أقدامكم على الجرب، فلم يصغوا إلى كلامه، فلمّا رأى منهم ذلك، ركب ناقته، وسلك بها نجد الحديد، فما انتصف ليل ذلك النهار، إلاّ هو في نزوى، وما ثبت لمجالدة القوم من عسكر الإمام، [٩١١] إلاّ الزدجال، وبنو وهيبة، فقتلوا جميعاً، وكان عدد من قتل من قوم الإمام اثني عشر ألفاً، وأكثرهم مات عطشاً لحيدهم عن الطريق، وأمّا الذي دخل منهم الغبّي، أمر ناصر بن محمد عنه برافع السيف والطعام، وبالدواء لمن أصابه جراح، ثم زوّدهم، وأمر من يوصلهم إلى وادي الحواسنة، ففعل بهم ذلك، وقد رجع الإمام من نزوى إلى الرستاق.

وقد سمعت هذه الرواية، التي سمعتها من المشائخ المقدّم ذكرهم، من لسان جملة من الناس، ومضيت في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف إلى الظاهرة، فلما رجعت منها، وأتيت إلى سني، وهي بليدة صغيرة من وادي بني غافر، المقترب من الرستاق، فرأيت مكتوباً في جدار مسجدها، الذي هو على المحراب، أن عدد قتلى قوم الإمام أحمد بن سعيد، يوم وقعة الطيب اثنا عشر ألفاً، هذا ما رأيته مكتوباً في جدار ذلك المسجد، والله أعلم بالصواب.

ثم إن الإمام أحمد بن سعيد، وناصر بن محمد، بعد هذه الواقعة تصالحا، وتعاهدا على أن لا يخون أحدهما صاحبه، ولا يحاربه، ما دام في قيد الحياة، وثبت ذلك الصلح بينهما، إلى أن مات ناصر بن محمد، وثبت الصلح بين الإمام، وسيف بن ناصر بن محمد، صهر الإمام، وأخُ ناصر بن محمد، إلى أن مات الإمام أحمد بن سعيد.

وسألت الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي والشيخ خاطر بن حميد البدّاعي النخلي وغيرهم ممن شهد ذلك العصر، عن السبب الباعث لحرب الإمام أحمد بن سعيد، لمحمد بن سليمان بن محمد بن عدي اليعربي، والي نخل، بعد أن تعاهدا، لن يخون أحدهما صاحبه، قالا : إنما السبب الباعث لذلك، أن محمد بن سليمان اليعربي، قد جعل سيف بن سلطان اليعربي، صاحب العقرية، الذي هو من أولاد مرشد نائباً عنه، إذا مضى من نخل إلى وادي بني خروص، أو إلى جبل بني ريام، لبعض الأرب، وكان ولدا الإمام أحمد بن سعيد، سيف، وسلطان، مستنكفين عن طاعة والدهما الإمام أحمد بن سعيد، يحاولان انقياد الرعيّة إليهما، فأرادا أن يقبضا عليه حصن بركة، فمكثا في حصن نعمان بركة، وبعثا إلى سيف بن سلطان نايب محمد بن سليمان، وكان يومئذ محمد بن سليمان بوادي بني خروص، أن يبعث إليهما مائة رجل من أهل نخل، فلمّا وصله كتابهما عن ذلك، لم يشاور سيف بن سلطان محمد بن سليمان في ذلك، فبعث إليهما مائة رجل، كما أرادا من أهل نخل، فلمّا أتوهما، تسوّرا ليلاً على حصن بركة، فخلص لهما، ورفعا السيف عن واليه، والعسكر الذي تركهم فيه الإمام أحمد بن سعيد، وكان الإمام يومئذ بالرستاق، فلما بلغه الخبر، هبط عليهما من الرستاق، ومعه جمع كثير، فأحاط بالحصن، وجعل يضربه بالمدافع، حتى تركه دكّاً، فأقاما هما ومن معه في ذلك الدّك، وما قدر أحد من قوم الإمام أن يصلهما بشر، إذ كان ضربهم بالتفق متراسلاً لا يفتر [٩١٢] ساعة واحدة. ثم سعت قضاة الرستاق، بين الإمام وولديه، سيف، وسلطان بالصلح، فاصطلحوا على خروجهم من الحصن المدكوك، فخرجا، وخرج أهل نخل معهما، فمضيا هما إلى أبيهما الإمام، ومضت أهل نخل إلى نخل، وطلباهما الإقالة من أبيهما ممّا جرى منهما لأبيهما الإمام، فأقالهما، وأعفى عنهما، وأضمر الإمام الحرب لمحمد بن سليمان، لظنه أنه نكث العهد الذي بينه وبينه، فأنجد سيف و سلطان برجاله أهل نخل، فهجما بهم على حصن بركا، ومحمد بن سليمان غير راضٍ بهذا الشأن، وغير حاضر بنخل، لمّا بعث سيف و سلطان، رعية نخل، ولمّا

علم بخروج أهل نخل إلى سيف بن سلطان، رجع إلى نخل، فظلّ يعنّف سيف بن سلطان ويلومه، وخشي أن يمضي إلى بركة، وفيها الإمام، فيعتذر إليه، والحرب بينهم قائمة على ساق، بينه وبين ولديه ببركة، ولمّا رجع الإمام إلى الرستاق، جعل يكاتبه، ويعتذر إليه، فما قبل الإمام اعتذاره، وبعث الإمام كتبه إلى السند، فأتته حملة من رجال الزدجال، وحشد من الرستاق، ومن سائر عمان، فاجتمعت معه أقوام كثيرة، فمضى بالجيش إلى نخل، فدخلها، وجعل يضرب الحصن بالمدافع، فكان معسكر الزدجال ببيت الشريجه، ومعسكر سائر القوم من السرير إلى حضين، وكان الشيخ عبدالله بن صالح الرواحي، وشيوخ ورجال المعاول، غير راضين بحرب الإمام لنخل، إذ عندهم يقين أن محمد بن سليمان ما أحدث حدثاً، يجلب عليه الحرب به، فلمّا طال الحصار، خرج الشيخ عبدالله بن صالح بجماعته بني رواحة إلى بلده، وخرجت رجال المعاول إلى بلدانهم، بغير إذن من الإمام، وكان الإمام يومئذ بالرستاق، وما بقي من قومه بنخل، إلاّ الزدجال، وقليل من سائر الناس، فأتت رجال بني غافر، وأحد من أهل الحزم، لنجدة محمد بن سليمان، فلما وصلوا نخل، ركض بهم محمد بن سليمان اليعربي على قوم الإمام، فأخرجوهم من نخل، وأحاطوا بالزدجال، فطلبوا من محمد بن سليمان الأمان، ليخرجوا من بيت الشريجه، بما في أيديهم من السلاح وآلة الحرب، فأمنهم، وخرجوا من نخل، فلمّا وصلوا إلى مسقط، عبروا منها إلى بلدانهم، ثم وقع الصلح بين الإمام، ومحمد بن سليمان اليعربي، وتعاهدا ثانية أن لا يخون أحدهما صاحبه، فثبت بينهما الصلح.

ونزلت العجم بالبصرة، وحصروها حصراً شديداً، وهزموا أهلها، فبلغ هزيمهم إلى بغداد، ونصب العجم سلسلة عظيمة على الشط، فجعل من سَالَم العجم من أهل البصرة يكاتب الإمام بالنجدة، فجهزّ الإمام عشرة مراكب كبار، ومن الخشب الصغار كثيراً، والأمير على القوم ناصر بن سعيد العنبوري، ومعه من القوم عشرة آلاف، فلمّا بلغوا إلى الشط، ورأوا السلسلة الحديدية منصوبة عليه، دفعوا المركب الرحماني عليها، فنطح السلسلة، فقطعها، وهبطت العرب من المراكب على العجم،

فوضعوا فيهم السيف، فكشفوا العجم، وأذادوهم من البصرة، واستقرت أهل البصرة بالبصرة، ورجعت قوم الإمام وخشبه إلى مسقط، فلمّا علم ملك الروم بصنيع الإمام أحمد بن سعيد، وتعصبه لرعيته أهل البصرة، أمر والي البصرة أن يدفع للإمام من خراج [٩١٣] البصرة اثني عشر ألف قرش، فثبت أداء البصرة لحكّام مسقط وعمان في كل سنة، كما ذكرنا، إلى زمن السيد سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد.

ووفدا سيف وسلطان، إبنا الإمام أحمد بن سعيد، على مسقط، بغير أذنٍ من أبيهما، فطلع سيف الكوت الشرقي، وطلع سلطان الكوت الغربي، فاحتويا عليهما، ومعهما الشيخ جبر بن محمد الجبري، وبعض الرجال، فواجهتهما التجار وأكابر مسقط، فلمّا علم بصنيعهما أبوهما الإمام أحمد بن سعيد، هبط عليهما من الرستاق، ومعه جمع كثير، فلمّا دخل مسقط، وأراد أن يضربهما بالمدافع، دخلت قضاة الرستاق بينهم بالصلح، فاتفق الصلح بينهما، بمواجهتهما لأبيهما الإمام، وإذعانهما إليه، وليمكث سيف مع أبيه الإمام حيثما يمكث، ويسير معه حيثما يسير، والكوتين هما القابضان، فتمّ الصلح بينهم على ذلك، فلمّا مضت على ذلك العهد بينهما سنة، مضى الإمام إلى نزوى، ومضى ولده سيف معه، فلما رجع، ووصل إلى بدبد، قيدّ سيف، وحمله معه إلى مسقط، فلمّا همَّ الإمام بحرب الكوتين، دخل أكابر الرستاق وأكابر تجار مسقط بينهم بالصلح، على أن يسلما لأبيهما الكوت الغربي، ويبقي الكوت الشرقي عندهما، وعلى أن يطلق الإمام ولده سيف من القيد، ولا يمضي إلى أبيه الإمام، إلاّ إذا شاء أن يمضي إليه، فتّم الصلح بينهم على ذلك، فقبض الإمام الكوت الغربي، وبقي الكوت الشرقي معهما، فرجع الإمام إلى الرستاق، ورجعا هما إلى نعمان بركة، وكان أكثر مقامهما في حصن نعمان، ثم بعد سنة من ذلك الصلح الذي تمّ بينهما، وبين أبيهما الإمام، مضى أخوهما سعيد بن أحمد إلى بلدة حبرا، وكان له فيها نخل كثير، فلمّا علم به أخواه سيف وسلطان، مضيا إليه، فمكثا معه يومين، فلمّا أرادا الإنصراف عنه إلى نعمان، طلبا منه الصحبه إلى نعمان للضيافة، فصحبهما، فلمّا أتوا نعمان، قيدّاه، وحملاه معهما في سفينة إلى مسقط، فتحصنا بالكوت الشرقي، فلمّا علم الإمام بذلك، حشد من الرستاق، وغيرها خلقاً كثيراً، فلما دخل مسقط، قعد في الجزيرة، وجعل يكاتبهما باطلاق أخيهما سعيد، فأبيا، فأقام

الحرب عليهما، فأمر على عسكره الذين في الكوت الغربي، أن يضربوا الكوت الشرقي، بالمدافع، ونصب عليه البوم، وأمر على المراكب أن تضربه من الجانب الشرقي، فتراسل الضرب على الكوت الشرقي من الكوت الغربي والبوم والمراكب، وجعلاهما يضربان الكوت الغربي والمراكب، واشتد الحرب بينهم، وما انقطعت المدد عن سيف وسلطان من طيوي وصور، فأتى خشبهم إليهما بالتمور والأغنام وأثمار الأشجار، فلمّا طالت الحرب بينهم، هرب أكثر أهل مسقط إلى يتي وقريات وغيرهما، خوفاً من رصاص المدافع، وانهدم الجانب الغربي من الكوت الشرقي بضرب المدافع، فركضت بعض قوم الإمام عليه، فلمّا [٩١٤] وصلوا إلى أول درج الكوت، ضُربوا بالتفق، فانكسروا، وقتل منهم بعض الرجال، ومضى جبر بن محمد الجبري إلى الصّير، فحشد منها لسيف وسلطان خلقاً كثيراً، أميرهم ابن رحمة الهوتي، فلمّا دلفوا إلى الرستاق، أحاطوا بها، وزلزلوها زلزلاً شديداً، وكان من أولاد منح خادم للإمام أحمد بن سعيد، قد تحصن مع سيف وسلطان بالكوت الشرقي، ووكلاه سيف وسلطان بالحرس على أخيهما سعيد، فأتاه ذات ليلة مظلمة مغمّة مطيرة، فقال له: هل لك أن أحملك إلى أبيك الإمام؟ فقال له: نعم، فعقد ابن منح حبلاً طويلاً على مدفع من مدافع الكوت، وحمله على ظهره، وهبط به، فلما كان بينهما وبين البر أربعة أذرع، نبد الحبل، فوقعا على الأرض، فمضى به إلى أبيه، فقرع باب الجزيرة، وأخبر البوّاب أنه قد أتي بسعيد إلى أبيه، فمضى البوّاب إلى بيت الإمام، وقرع عليه حلقة باب الغرفة، وأخبره الخبر، فأسرع الإمام إليهما، فحدّثه ولده سعيد بصنيع ابن منح، فشكر له سعيه، وخلع عليه، فلمّا لاح الصباح، افتقد سيف وسلطان أخاهما سعيد، فرأيا الحبل معقوداً على المدفع، فقالا: لا شكّ أن ابن منح قد هرب به إلى أبينا، وما رقّت عزيمتهما بخروج أخيهما ومصيره إلى أبيهما، فشدّدا الحرب، فأرسل إليهما أبوهما أن يخرجا من الكوت بأمان، فأبيا، حتى جاءهما من جاء، فأخبرهما أن ابن رحمة هجم على الرستاق، فأحاط بها، ومعه من القوم ثلاثون ألفاً، وقد اجتمع معه من أعراب الشمال وتوام خلق كثير، فخشيا مع ذلك قوّة العدو عليهم، وانتزاع الملك عنهم إلى عدوّهم، فركنا إلى الصلح بينهما، وبين أبيهما الإمام، فأرسلا إليه بالصلح، فأجابهما على ذلك، فخرجا من الكوت بمن

معهما من الرجال، وواجها أباهما في الجزيرة، فخلع عليهما، وأحسن إلى من تحصّن معهما في الكوت، فلمّا بلغ إلى ابن رحمة صلح الإمام وولديه سيف وسلطان، وأنهما قد صارا معه، ارتفع من الرستاق بمن معه من القوم، ومضي إلى الصّير، ومضى الإمام إلى الرستاق.

وللإمام أحمد بن سعيد نوادر شريفة، وأخبار رائقة غير هذه، تركتهنَّ طلب الاختصار، وقد وفدت عليه شعراء عصره، فمدحوه، وأخذوا جوائزهم منه، وكان أشعرهم وأبرعهم وأبلغهم في صيغة الشعر، الشيخ الفصيح راشد بن سعيد بن بلحسن الرواحي العبسي الأعمى(١)، فمن مدحه له شعراً :

متى جنَّ بي ليل وبان شروق ... أجد سكر حُبّ لستُ منه أفيقُ
لذكري من عايشته الليل أسودا ... ووجهاً يحاكي البدر ثم يفوقُ
لغانية تحكي الغصون تثنياً ... وتخجل نشر المسك وهو سحيقُ
عرفنا بهاً دين الصبابة كُلَّهُ ... وبان لنا معناه وهو دقيقُ [٩١٥]
فلي بلقاها في المضيق وساعة ... ولي بنواها في الوساع مضيقُ
أذوب إذا أُدخلت جنّات وصلها ... حذار فراق للعذاب يذيقُ
وأثلجُ في نار الصّدود ترجياً ... لوصلٍ يُسلّي القلب فهو مشوقُ
فيا جيرتي ذمّ التقرّبِ والنوى ... ومدحهما منها عليَّ يضيقُ
كعذل عذولي في الحبيب يسوءني ... ولي منه تذكار الحبيب يروقُ
فشكر عذولي للمسيء تشكّر ... ونكرانه بالمنعمين عقوقُ

---

(١) راشد بن سعيد بن بلحسن الرواحي: شاعر، ضرير، جيد الشعر، حاذق ماهر، ذكره المؤرخ ابن رزيق في كتابه الفتح المبين، وإنه مدح الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي بعدّة قصائد. انظر: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، ج١، ص ١١٣.

ولي من أحبائي فريقان إن أتى ... فريق مضى من حين ذاك فريقُ

وكل فريق سافروا ففقدتهم ... عيوني وقلبي للفريق رفيقُ

وما ترك تشييع الحبيب مودّعاً ... ولا البين عن خلٍّ ألمَّ يليقُ

وكل رحيق من حبيب رشفته ... يصير إذا ما بان وهو حريقُ

ولست على هذا الغرام بقادر ... ولست لسلوان الحبيب أطيقُ

إذا شئت ستراً للهداية والتقى ... فما لهما غير الإمام طريقُ

يقود بفتياه العُماة إلى الهدى ... وسحبُ المنايا للعداة يسوقُ

فتى يلحق الأملاك ما هو طالب ... وليس لذي ملك إليه لحوقُ

عدوّ لأعداء الإله وإنه ... لكلّ مطيع للإله صديقُ

دع الناس وامدحه بما شئت إنه ... من الناس طرًّا بالمديح خليقُ

فمن مثله بالمعدمين وبالذي ... يدين بما جاء النبي شفيقُ

له برج عزّ يُبصَرُ النجم تحته ... وأثواب حلم نسجهنَّ صفيقُ

ودوحة مجد في سما المجد فرعها ... وفي الحرب عدلاً للواء يريقُ

أيا من زكى أصلاً وفرعاً ومن له ... لطيب المعالي كلّهنَّ عبوقُ

هنيئاً لنا والدهر إن عداتنا ... رأوا فيه ما لا يشتهى ويروقُ

هم الجنّ لا يهوون ينجوا من الردى ... فتى لسليمان النبي شقيقُ

فقل لهم يا جنّ إنّي لم أمت ... ألا فالبثوا في ذا العذاب وذوقوا

ولا تخشى من كيد العداة ومكرهم ... فما مكروا إلا بهم سيحيقُ

ودُمْ في أمانٍ لا تشاب بخيفة ... وعزّ مكان الذلّ عنه سحيقُ

و هاك نِظاماً إن فتحت ختامه ... بليل بهيم بان فيه شروقُ

فللعين أنوار وللأنف عنبر ... و مسك وفي ثغر المحبّ رحيقُ

سقى الله أرضاً أنت فيها من الحيا ... فلي منك من بعد الصبوح غبوقُ [٩١٦]

ومـــالي بــذا فــضل عليــك مــدايح ومــالي بــذا عــزّ ســواك وثــوقُ
ولا زلت بحــراً فيــه يــسبح مجــده مطيعك نــاجٍ والعــصيُّ غريــقُ[1]

وقال أيضاً يمدحه:

يـــا أحمـــد النـــاس إســـما وأعـــدل النـــاس حُكُمـــا
وأكبـــر النـــاس عقـــلا وأكثـــر النـــاس حلمـــا
وأوســـع النـــاس جـــودا وأغـــزر النـــاس فهمـــا
يـــا أحمـــد بـــن ســـعيد ذو عنـــده المجـــدُ تمّـــا
خيـــر الأئمـــة طُـــرّاً ذو صـــار للجـــود خـــصما
يهنـــيكم يـــوم شـــهرٍ خيـــر الـــشهور يُـــسما[2]

وقال أيضاً يمدحه:

لياليـــا بوصـــل الحـــيّ عـــودي فـــإنّ بوصـــلهم يخـــضرُّ عـــودي
ويـــا ذات الخلاخـــل بـــدّلينا زمان الوصل من زمـــن الـــصدودِ
إذا واصـــلتني يومـــاً و أحيـــا الحيـــا روضـــات أربعنـــا بجـــود
فتجني الأيـــدي ورداً مـــن غـــصون وتجني العـــين ورداً مـــن خـــدودِ
وإن لـــم تـــسمحي بالوصـــل يومـــاً وشـــئتي قتلنـــا مـــن صـــدّ غيـــد
فلـــيس بـــضائري بخـــل الغـــواني وجود أبي الفضائل فـــي الوجـــودِ
فقالـــت مـــن فقلـــت لهـــا جـــواد طويـــل نـــداه مـــن بحـــرٍ مديـــدِ
فقالـــت مـــن فقلـــت لهـــا مليـــك أخـــو عـــزّ وذو بـــأس شـــديدِ
فقالـــت مـــن فقلـــت لهـــا إمـــام أخـــو عـــدلٍ وذو رأيٍ ســـديدِ
فقالـــت مـــن فقلـــت فتـــى ســـعيد فقالـــت مـــن فقلـــت البوســـعيدي

---

[1] انظر بعض أبيات القصيدة في:ابن رزيق، حميد بن محمد:الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص٣٢٣.
[2] انظر الأبيات في، الخصيبي، محمد راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان،ج١، ص١١٤.

إمـــام عـــادل زاكـــي الجـــدود حـــسامٌ صـــارمٌ ماضـــي الحـــدودِ

أشـــاد المجـــد بالـــسُمُرِ العـــوالي وزان الـــدهر بالـــذكر الحميـــدِ

ويأخـــذ أخـــذ مقتـــدر عزيـــز ويعفـــو عفـــو غفّـــار ودودِ

لـــه فـــضل علـــى الأمـــلاك طـــرّاً كفضـــل المـــالكين عـــى العبيـــد[1]

وقال أيضاً يمدحه:

لنـــا برضـــاكم نـــضرة وســـرور وطـــول بقـــاكمُ جنّـــةٌ وحريـــرُ

مزخرفـــة مـــن حـــسنكم وجمـــالكم وكوثرهـــا للغانيـــات ثغـــورُ

ورضـــوانها تخميـــشكم وخلودهـــا بقاكم ورغم الحاسدين قـصورُ[٩١٧]

صلونا فطيب العيش والبـشر والهنـا يواصـــلنا مـــن وصـــلكم ويـــزورُ

فلم نَرَ شمـساً قـبلكم فـي غياهـب ولا بـــدر تـــمّ فـــي النهـــار ينـــورُ

ولا ظبي رملٍ فـي الخيـام مبرقعـاً ولا غـــصن بـــانٍ ينثنـــي ويـــسيرُ

نزلتم بقلبـي ثـم غبـتم بـه جـوى فـــأنتم وقلبـــي غُيَّـــبٌ وحـــضورُ

تحلّون فيـه والجـوى فيـه لا عـج فهـــا هـــو مـــنكم جنّـــة وســـعيرُ

يؤمِّـــل منـــي أن أمـــلّ عـــذابكم جهـــول بأديـــان الغـــرام كفـــورُ

وكيف سلوي عـن هـواكم وحـبّكم تجـــدّده لـــي غـــدوة وبكـــورُ

يهـــيج أحزانـــي إذا مـــا لبعـــدكم لنـــا فـــاح مـــنكم عنبـــر وعبيـــرُ

أسير ودمعي فـي الـصبابة مطلـق وقلبـــي فـــي قيـــد الغـــرام أســـيرُ

و لي ظبية تبـدي النفـار لنـاظري وفـــي خـــاطري سـفح لهـــا وبريـــرُ

لهـــا شـــفة تحكـــي العقيـــق ومالهـــا نظيـــر وورد الـــوجنتين نـــضيرُ

مناطقهـــا تنفـــي الهمـــوم كأنّهـــا منـــاطق داود بهـــنّ زبـــورُ

يجـــور علينـــا قـــدّها وهـــو عـــادل فـــوا عجبـــي مـــن عـــادل ويجـــورُ

---

(1) انظر البيت الأول فقط في المصدر نفسه، ص ١١٤، و احتفظ لنا ابن رزيق بالقصيدة كاملـة في مخطوطته هذه.

ويــا أســفا إن جــاد يــوم بوصــلها يجـــد بجفاهـــا أشـــهر ودهـــورُ
ولكنّني إن شف جــــــــــسم فراقها فإني على ريب الزمان صــــــبور

و إن جــادت الأيــام لــي بوصــالها فــإني لمــولاي الإمــام شــكورُ
هو ابــن ســعيد البوســعيدي أحمــد مغيث الورى غوث الـصريخ مجيـرُ
صغير لــدى الإســلام وهــو كبيــره صــفوح عــن الجــانيّ وهــو قــديرُ
جــواد إذا ضــنَّ الغمــام بمائــه حلــيم لــزلاّت المــسيء غفــورُ
إمام له فــي العــدل حُـسْنٌ وسـيرةٌ بها مــات كفــر كــان قبــلُ وجــورُ
وســيف لهامــات الرجــال مُفَلّــقٌ وكــفٌّ وكــوف للعفــاة مطيــرُ
فمن علمــه يهــدي الأنــام وحلمــه يخــفّ لديــه يــذبل وثبيــرُ
بــه تختفــي الأمــلاك ذلاً وهيبــة وبالــشمس تخفــى أنجــم وبــدورُ
أســنّته يــوم الكفــاح بــوارق وانملُــهُ يــوم الــسماح بحــورُ
فمــن عزمــه يــوم القتــال وبأســه تــسير الرواســي والــسماء تمــورُ
ومــن لطفــه يــوم النــوال وجــوده غدا ولــه مــا فــي البحــار نَظيــرُ
فتى هو محبوب الهدى و هو مخبــر رواة حــديث الفــضل عنــه تــشير
تصرف فعل الخير منه فمــن مــضى به سار والآتــي بــه ليــسيرُ [٩١٨]
إذا ارتفعت سحب الندى فهــو فاعــل يعــود إذا شــحّت إليــه ضــميرُ
أيا ابن الكرام الـسابقين إلــى العلــى ومــن فــضله بــين الأنــام كبيــر
فلا تخشَ من كيــد العــداة ومكــرهم فــسعدك فــي ســبع الطبــاق يــدورُ
وســيفك جــرّاحٌ وأنــت مظفّــرٌ ووجهــك وضّــاح وأنــت منيــرُ
وهاك مــن الــنظم البــديع قــصيدة لهـــا بـــصدور العـــارفين خـــدورُ
فحمــداً لربّــي إذ برانــي بمنّــه فقيــراً بــدهر أنــت فيــه أميــرُ

وهاك من العبد الأقل تحيّة يطول لديها العمر وهو قصيرُ
وأحسن حالي أنني لك خادم صغير وحظّي من لدنك كبيرُ
ودم وابق محروس الجناب موفقاً لك الله في كل الأمور نصيرُ [1]

وقال أيضاً يمدح ابنه هلال:

طلاب المعالي تحت ظل الصوارم وفوق كعوب الرمح نيل المكارم
وإن مثال المجد في الناس والندى بضرب سيوف وابتذال الدّراهمِ
وما العزّ إلاّ أن تبثّ لهيبه بأفئدة الأعدا وكل مخاصمِ
وما المال إلاّ ما يقيك مذمّة ويكسوك من أثواب عزّ نواعمِ
و ما مفخر الإنسان إن كنت فاخراً سوى بالتقى لا بالعظام الرمائم
وما يدرك العلياء إلاّ مهذّب له كرم يزري بجود الغمائمِ
ولا يرتقي في الناس من درج العلى سوى رجل عارٍ من العيب سالمِ
ولا يستحق المدح منهم سوى امريءٍ عفيف مصون العرض ماضي العزايم
وأولى الورى بالملك مالك أمره يصمُّ ويعمى عن ملام اللوائمِ
له سيرة غرّاء فاضحة السنا بها ينمحي داجي العمى والمظالمِ
كسيرة مولانا هلال الذي سما به الدين والإسلام فوق النعائمِ
سليل الإمام البوسعيدي أحمد مليك سما في فرعه والجرائمِ
طوى الجور عدلاً بعد ما نشر الهدى وأوضح للحق المنير المعالمِ
فتىً خُصَّ بالتأييد في كل محفلٍ من الله والتوفيق بين العوالمِ

---

[1] انظر البيت الأول فقط في المصدر نفسه، ص ١١٤، و احتفظ لنا ابن رزيق بالقصيدة كاملة في مخطوطته هذه.

وأعطاه مالم يعطه الله لامرئٍ ... وجازاه من بعد الرضى بالمغانمِ

فيا أيها الناس استضيئوا برأيه ... ففي رأيه إنجاح مطلب رائمِ

ويا أيها الباغي فإن إمامنا ... ضمين له بالنصر باري النواسمِ

فإن أباه قاتل كلّ معتدٍ ... بأسيافه أضحى طعام القشاعمِ [٩١٩]

فسل عنه وديان السعادي وقفرها ... بما فعلت فيهم شفار الصوارمِ

وسل بعدها ساحات فرقٍ وطيمسا ... وكرشى ونزوى من طلى وجماجمِ

وقائع ما شاعت وقائع تغلب ... كما شاع ذكراها بأقصى الأقالمِ

تحدّث عنها غافر وريامها ... وجابرها من هولها والعظائمِ

أهالت لقوم خالفوا الحق وانثنوا ... إلى خيبة قد أقرعوا سنّ نادمِ

يتيهون في البيداء منهزموهم ... فلا يهتدوا كلاً مثال البهائمِ

وجرحاهم تنساب في كل مهمه ... لهم من تأذيهم نقيق البغائمِ

فذلك نصرعزه خذل العدى ... وفتح يحلّ المربحات المباهمِ

بقيتم بعون الله للناس رحمة ... وغيثاً لمستجدي وليث الملاحمِ

وما برحت أعداؤكم نهب غصّةٍ ... فما تهتني في العيش طيب المطاعمِ

وهاكم من المملوك نظماً تضاءلت ... لديه عقود النظم من كلّ ناظمِ

يفوح عبيراً في الأنوف أريجه ... وكالشهد في الأفواه من كل طاعمِ

تخال معانيه نجوماً برقة ... بل الروض في غبّ الحيا المتساجم

وألفاظه تحكي النسيم لطافةً ... وهن على ذي الحقد لفحة جاحمِ

شفاء لمن والاه من كل علّة ... ولكنّ للأعدا صداع الجماجم

ودم لا عداك النصر في كل غزوة ... يحفُّ بك التوفيق عند التصادم[١]

---

[١] بعد المراجعة والتدقيق تبين لنا أن القصيدة غير موجودة في مصادر الأدب العماني الآخري المطبوعة منها والمخطوطة، وبذلك يكون ابن رزيق قد حافظ على العمل الأدبي لهذا الشاعر والأديب، وأوصله إلينا في مخطوطته هذه.

وقال أيضاً يمدح الإمام أحمد بن سعيد شعراً:

سـفرت فـي ليلـةٍ وسـط شـهرٍ فتحاكـا بـدر الـسما والجبـينُ
فبـدا بالـسماء بـدر منيـر وبـدا بالفتـاة وجـه حـسينُ
وكـستنا ثـوب الجهالـة لمَّـا أشـركتها والبـدر منهـا العيـونُ
فتولت وأظهـرت لـي مـن خـو ف أتاهـا مـا يظهـر المغبـونُ
ثم جـاءت بكامـل الحـسن لـيلاً قد عرا البـدر فيـه نقـص مبـينُ
فأتـت آيـة يـصدقها مـن قرعـت بـاب أذنـه ياسـينُ
فتبينـت أن تـشبيهها بـا لبـد ر منّـى هـو الخطـأ المبـينُ
كيـف شـبّهت نخلـة ذات قنـوا ن بـشيء كأنـه عرجـونُ
ثـم كلّمتهـا اعتـذاراً ومـا قلـتُ متى الوصـل منْـك لـي سـيكونُ
ثـم قالـت إنّـي لراضـية عنـك فمـاذا بقلبـك المكنـونُ
قلت أهـوى أن تـسعفيني بوصـلٍ منك يشفي فؤادي المفتـونُ [٩٢٠]
ثم قالت هـل غيـر ذا قلـتُ نيـلٌ مـن إمـامٍ يوليـه كـفٌ هتـونُ
فيعـادي خـصاصتي النيـل منـه وضـناي سـريرك الموضـونُ
ثم قالت أبـشر بوصـلي إذا جـا دك مـن أحمـد سـحاب هتـونُ
فـإذا مـا دخلـت منـه جنانـا فأنـا فـي الجنـان حـور عـينُ
فتولّـت وخـاطري فـي لقاهـا ونـداه معلّـق مرهـونُ
واسـتوى وعـدنا كـذا وظننـتُ الخير فيمن فيـه تُـصيبُ الظنـونُ
أيهـا العـادل الإمـام المرجـى الفاضل الكامـل العزيـز الأمـينُ
عش على نعمة عزيـزاً فمـا مـن حركـات إلاّ لهـنّ سـكونُ
و اهنَ بالنصر إذ تولى ضعيف الرأ ي والبغـي وهـو خـاز حـزينُ

فهم العاجزون عن نيل ملكِ　　وعن الوطىء يعجز العنين[1]

وقال أيضاً يمدحه:

قف بالديار الباليات مسائلاً　　عمن بها قد كان قدماً أهلا
دِمَن بها جرّرت ذيل شبيبتي　　وغدوت فيها للغزال مغازلا
أونست جوف العير أو حش منزل　　وعفت ربوعاً بعدهم ومنازلا
ولقد وقفت فكنت جسماً ناحلاً　　ما بين أربعهم وقلباً ذا هلا
رمت الوداع لهم غداة رحيلهم　　فوجدت حزني عن وداعي شاغلا
فألفته وفقدت صبراً حامياً　　فعدمته وصحبت شجواً قاتلا
فغدوت في ليل الصدود مضللاً　　إذا أصبحت تلك البدور أوافلا
غيد يرين الشمس في غسق الدجى　　وغصون رملٍ في النهار موائلا
كيف الخلاص إذا برزن بزينة　　إذ هن يصببين الحليم عواطلا
ويمسن ميس الغصن في كثب النقا　　ويقعن في فود الرجال ذوابلا
قد قلت إذ عدل الزمان عن الهدى　　فيّ وجار القدُّ منها عادلا
لا غرو إن ذهب الحسان بحسنها　　وأتى إلى الإحسان يسعى واصلا
من عند رب الحمد ربّ المجد سيف الهند　　زاكي الجدَّ يولي النّايلا
البوسعيدي الإمام بن الهمام　　وكا الغمام غداة يسخوا ساجلا
تاج الإمامة ذي الكرامة أحمد　　ذو للورى بالرزق أضحى كافلا
يبدي التكبّر حين يلقى ظالماً　　ويري التصغّر حين يلقى العائلا
كالبدر بل كالغيث في أوصافه　　يهدي مضيئاً ثم يخصبُ هاطلا [921]
لو جاد بالدنيا لأظهر عذره　　ولقال ذلك ليس يكفي سائلا
وتراه يوم الجود غيثاً وابلاً　　وتراه يوم الحرب ليثاً باسلا

---

[1] بعد المراجعة والتدقيق تبين لنا أن القصيدة غير موجودة في مصادر الأدب العماني الأخري المطبوعة منها والمخطوطة، وبذلك يكون ابن رزيق قد حافظ على العمل الأدبي لهذا الشاعر والأديب، وأوصله إلينا في مخطوطته هذه.

فيعـــدّه الإســـلام ســـيفاً ماضـــياً — وتعـــدّه الفقـــراء ســـيلاً ســـائلا
يرد الوغى جـدلان لا يخـشى العـدى — كـأخي الغـرام رأى حبيبـاً قـائلا
يقـضي لـديهم فـي الرمـاح فرائـضاً — ويزيـد مـنهم بالـسيوف نـوافلا
لـو كـان منـه البحـر أصـبح مـاؤه — عذباً يطيـب لـدى الظمـاة منـاهلا
أو كـان بـدر الأفـق مـن أنـواره — ما كان ينقص حـين يمـسي كـاملا
وكذاك ضوء الـشمس لـو مـن عدلـه — لم يأت ليـلٌ وهـو يمـشي زائـلا
أو كـان غيـث الـسحب مـن راحاتـه — ما كان يقلـع عـن مكـان راحـلا
يـا أيهـا الملـك المتـوّج والـذي — يمـسي ويـصبح للمكـارم فـاعلا
إنـي لجـأتُ إليـك ملـتمس الـذّرى — لا تـشمتنَّ بـي العـدو الـصّائلا
ولقـد علمـت بمـا أردت فجـد بـه — لأكـون مـن بـين البريّـة قـائلا
مطرتنـي الـدنيا غـداة وردتـه — عرفـاً وأولانـي عُـلاً وفـضائلا[1]

وبالجملة، إن سيرة الإمام أحمد بن سعيد وشيمته وسيمهُ ، وأخلاقه كريمة، وهمته عظيمة. وكانت وفاته في حصن الرستاق، سنة ثمان وثمانين سنة ومائة سنة بعد الألف. وترك من الأولاد الذكور سبعة: هلال، وسعيد، وقيس، وسيف، وسلطان، وطالب، ومحمد، ومن الإناث ثلاث، ما وددت ذكرهنّ، للزوم الأدب. ودفن غربي حصن الرستاق، وبنى على قبره ولده سعيد بن أحمد قبة محكمة البناء، وقبره مزار إلى هذه الغاية سنة تسع وستين ومائتين وألف، ولمّا مات الإمام أحمد بن سعيد، اجتمع أكابر أهل الرستاق، وغيرهم من أهل عمان، فعقدوا الإمامة على ولده سعيد ابن أحمد، وكان مرادهم أن يعقدوا على ابنه هلال، لكنه قد استولى على عينيه الماء، فذهب بصره، فمضى إلى أرض السند، فمكث أياماً قلائل بأرض ديول، ثم مات فيها، وقبره مشهور بديول، وعليه قبّة محكمة البناء.

---

(۱) انظر الأبيات الخمسة الأولى من القصيدة في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص٣٤٣-٣٢٤، في حين احتفظ لنا ببقية أبياتها كاملة في مخطوطته هذه.

الإمام سعيد بن أحمد:

الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي. كان الإمام سعيد هـذا شُجاعاً شهيراَ، فصيح اللسان، ناظماً للشعر، عارفاً بمعناه وبيانه، مميزاً بين الشعر البذي، والشعر الحسن، وإذا تحدّث، لا يُمَلُّ حديثه، إذ أكثره حِكَمٌ، وخلصت له بعد أبيه أحمد حصون عمان قاطبة، إلاّ حصن صحار، فإنه صار في يد أخيـه قـيس، وحصن نخل، إذ هو من زمن أبيه الإمام أحمد في يد محمد بن سليمان اليعربـي، كما ذكرنا أولاً. وقد غزا الإمام سعيد، لمّا بويع له بالإمامة، أرض السّر مـراراً، فقتل عدّة رجال من بني غافر، وقتل شيخ العبريين بالحمرا، وهابته أهل عمان هيبة عظيمة، ومضى ذات سنة إلى نزوى، فمكث فيها أياماً يسيرة، وذلـك أنـه بلغـه [٩٢٢] عن أهل نزوى أنهم يكاتبون الشيخ العالم أبا نبهـان جاعـد بـن خمـيس الخروصي، ليعقدوا عليه الإمامة، وإنهم قد كرهوا سيرته، وتحدّثوا عنه بأحاديـث غير صالحة، وكان ذلك منهم صحيح، وتحدّث سائر أهل عمان كذلك، بذلك الحديث عامّة. فمضى الشيخ جاعد بن خميس إلى نزوى، ومعه ناس قليلون، ليأخذ صحّة ما عولّوا عليه من الأمر، من ألسنتهم، فأدخلوا الشيخ جاعد حجـرة العقـر لـيلاً، والإمام سعيد في قلعة نزوى، لم يشعر بدخول الشيخ جاعد الحجـرة، ثـم انفلّـت عزيمة أهل نزوى، بعدما أدخلوا الشيخ جاعد الحجرة، ولام بعضهم بعضاً، وكثـر نجواهم، وقال بعضهم لبعض : إنما الرأي الصائب أن نخرج الشيخ جاعـد مـن الحجرة، قبل أن يعلم به الإمام أنه في الحجرة، فأتت الشيخ جاعد امرأة عجوز من بني عبيدان، فأخبرته عمّا عزموا عليه من قبله أهل نزوى، وأشارت إليه بالخروج من الحجرة، قبل أن يشعر الإمام سعيد به، وقالت له: أخشى عليك منه، إذ أنـت لا عندك كثرة رجال، وصرت بالحجرة، كالأسير، وأهل نزوى، بعدما كـانوا إليـك، صاروا عليك. وكان الشيخ جاعد قد استراب من أهل العقر كثرة نجواهم ببعـضهم بعض، وتمويههم له بالحديث، وسعى رجل من أهل حجرة العقر إلى الإمام سعيد، وهو نائم في تلك الليلة بالقلعة، فأخبره بدخول الشيخ جاعد الحجرة، وأن أهل نزوى قد انقلبوا عنك، إلى الشيخ جاعد بن خميس، فلمّا سمع منه هذا، هبط من القلعة إلى الأرض بحبل، وركب ناقته، ولم يخبر بشأنه أحد، فمضى إلى الشرقية، فجمع خلقاً

كثيراً من الأعراب والحضر. وأمّا الشيخ جاعد، لمّا ترادف عليه الأرتياب من أهل حجرة العقر، خرج من ليلته، وقصد داره العليا. وأتي الإمام سعيد إلى نزوى بجيشه، فأخبروه بدخول الشيخ الحجرة، بغير أذن منهم، فأخرجوه منها كرهاً، واعتذروا بذلك إليه، وكان الإمام قد غلب عليه الغضب، فركض بجيشه على سمد الكنود، فهزم أهلها، وأخذ جيشه ما وجده في حجرات سمد من المال، فما تركوا شيئاً فيها من آنية، وسلاح، وتمر، وسكر، وغير ذلك، إلاّ أخذوه، وبلغ هزيم أهلها إلى الجبل الأخضر، ثم إن أهل سمد الكنود أتوا إلى الإمام سعيد، واعتذروا إليه، وقالوا: ما علمنا بدخول الشيخ جاعد حجرة العقر، إلاّ بعدما أخرجوه أهلها منها، وأدّوا له الطاعة، وأذعنوا له انقياداً، فرضي عنهم، وسامحهم عمّا مضى، فرجعوا إلى حللهم ومكاناتهم، ثم إن الإمام سعيد، قد أحدث أحداثاً ظاهرة غير صالحة، من إهماله الرعيّة، وغير ذلك من الأمور البذيئة الفاسدة، فمقتته أهل عمان كافة، وتشاور أكابر أهل عمان في عقد الإمامة لقيس بن أحمد بن سعيد، واتفقوا على ذلك، فاجتمعوا بالمصنعة، ومعهم قيس بن الإمام، وأخوته: سيف، وسلطان، وطالب، ومحمد، أولاد الإمام أحمد بن سعيد، ثم ارتفعوا إلى الرستاق، فعسكروا بقصرى، وبعثوا إلى سعيد بن أحمد أن يصل إليهم، فأبى عن الوصول، وبعث إليهم بالضيافة، فلمّا رفعت عنهم الخواني، جعل يضربهم بالمدافع من الحصن، فخرجوا من الرستاق، وتفرق ذلك الجمع، وكلّ قد رجع إلى بلاده، ثم إنهم في السنة الثانية، اجتمعوا ثانية، لعقد الإمامة لقيس بن الإمام أحمد، فمضوا إلى نخل، وبها الوالي يومئذ، مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي[1]، فبعث بالطعام لهم ولدوابّهم، ولمّا [٩٢٣] طلبوا منه المواجه، أبى، فخرجوا من نخل، ورجع كل واحد إلى بلاده، ووقع حرب ببلدة إزكي بين اليمن والنزار، فلمّا طال الحرب بينهم، مضى سعيد بن

---

(١) مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي: والٍ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين،ولاّه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي على نخل، وكان ممن كاتبهم السيد سلطان للتشاور في الأمر، بعد مقتل أصحابه في حروبه، وأشار مهنا على سلطان أن يكتب إلى أهل عمان من حد جعلان إلى صحار لأخذ المشورة، فرجع هو ومهنا على بركاء، وكتب سلطان إلى أكابر عمان كافة، وإلى أكابر بني سعيد خاصة. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٥٤ – ١٥٥.

أحمد من الرستاق إليهم، ومعه ولداه حمد وأحمد، فلما بلغوا إلى السحاماه، مضى إلى الشرقية، فجمع منها خلقاً كثيراً، من الأعراب والحضر، وأكثر القوم من الأعراب، فلما دلف بهم إلى إزكي، ركضت النزار على قومه، فوقعت بينهم ملحمة شديدة، وكانت الدائرة على النزار، فقتل منهم خلق كثير، ثم بعد ذلك، وقع الصلح بينهم، وصالح سعيد أيضاً بين أهل اليمن والنزار، فلمّا أراد سعيد الانصراف من إزكي إلى الرستاق، قال له ولده حمد: يا أبتي، لقد علمنا بشأن إزكي، وما وقع فيها، فما خبر مسقط، فإنك تزعم قد وليت عليها محمد بن خلفان بن محمد الوكيل، فبلغني أن محمد بن خلفان قد أخرج العسكر الذين تركتهم في الحصن الشرقي، وحصن الغربي، وحصن المطرح، وترك بدلهم عساكراً من عساكره، فإن كنت تظن أنه وال لك، فالأمر بخلاف ذلك، فقال له: ما أظن محمد لمّا أخرج العسكر الأولين، وأدخل الآخرين إلاّ لأمرٍ فيه لنا الصلاح، وبما يراه الحاضر، لا يراه الغائب، وإنّي لا أشكّ فيه بشيء يسؤنا قط، وما هو في الحقيقة، إلاّ عامل من عمالنا، فقال له ولده حمد : وإذا كان كما ذكرت الأمر منه، فابعث إليه رسولاً بكتاب هو بخط يدك، أن يرسل إليك ألف مورة أرز وألف قرش، واذكر له أنك تريد بما ذكرته في كتابك له للعسكر الذين معنا، فإن أرسل إليك كما عرفته، فأعلم أنه واليك وصاحبك الأمين، وإن أبى، فأعلم أنه ليس لك بوالٍ، ولا عامل، ولا أمين، وإنما هو كما ذكرته لك، فأجابه والده سعيد الحل ذلك، وكتب حمد، لمحمد بن خلفان في غير حضرة أبيه، وبعث رسولاً إليه، قبل أن يبعث أبوه إليه رسوله، فكان معنى ما كتبه حمد، لمحمد بن خلف، لا ترسل لأبي شيئاً من الأرز والدراهم، فإنه لمّا بلغ مطلوبة من إزكي ما فسح لقومه، إذ يريد أن يهجم عليك، ليخرجك عمّا كنت فيه، فإن الناس قد أوحشوه عنك، لمّا بدّلت بالعساكر، وشريت جملة من العبيد، وأكثرت إحسانك لصبيح الضوياني، الذي تركته في الحصن الشرقي، وأمرته إذا أراد أن يأتي إليك، أو يمضي في سكك مسقط، فليكن على صهوة حصان، وأمامه وخلفه العسكر، يمشون مشية الأسود الضواري، ثم أكثرت إحسانك إلى مسعود البارحي، لمّا تركته في الحصن الغربي، فأضحى لا يتعمّم إلاّ بالشالات الكشميرية، فلا شكّ إذا بعثت إليه بما أراده منك، أن يصلك بخيله ورجله، فيعزلك، وإذا سلمت

من القتل. وكانت تلك مكيدة من حمد، وحيلة يريد بها أن يصير الأمر إليه، لا إلى محمد، ولا إلى أبيه، فبلغ رسوله كتابه إلى محمد، قبل أن يبلغه رسول أبيه وكتابه، قال للرسول: ارجع إلى سعيد، وقل له: يقول لك محمد بن خلفان، ما معه لك أرز، ولا دراهم، فهذا جواب خطّه مني، فلما رجع الرسول إلى سعيد، وأخبره بما قال له به محمد تفصيلاً وجملة، أخذ بيد ولده حمد، فناجاه ناحية عن الناس، فقال له: لقد صدقت يا ولدي فيما نطقت، [٩٢٤] من قبل محمد بن خلفان، فإنه أبى بإرسال ما أردته منه، وذكر له ما قاله لرسوله، فقال له حمد: يا أبتي، ما قلت لك من قبله لا حقاً، فإن لي بمسقط رجالاً يكاتبوني عن صنيعه كافة، فأنت قد صرفت همتك إلى إزكي، وصرفتها عن مسقط، فلا تظن أن مسقط إليك، فقال له: يا ولدي، ما الرأي الصائب من قبل محمد بن خلفان، فقال : أرسل إليه ولدك، أخي أحمد ليناصحه، ويعرف حقيقة شأنه، ويطلع على أخباره الخفيّة علينا، ثم يرجع إلينا بالجواب منه لنا، ولسنا بمنصرفين من إزكي إلى الرستاق، ولا لغيرها، حتى يرجع إلينا ولدك أخي أحمد. فلما أراد سعيد أن يبعث ولده أحمد إلى محمد بن خلفان، كتب حمد إليه من غير حضرة أحد، ومعنى كتابه إليه، إذا أتاك أخي أحمد، احبسه، وقيّده، قبل أن يحبسك، ويقيّدك، فإن أبي سعيد قد أمره بحبسك وقيدك، فإذا فعلت به ذلك، قطعت طمعه فيك، وطمعه في مسقط. وأنفذ كتابه على يد أحد خاصته، فوصل إلى محمد، قبل أن يصل إليه أحمد، فلمّا وصله أحمد، حبسه، وقيّده في غرفة الجزيرة، وهرب أصحابه إلى إزكي، فلمّا أتوها، أخبروا سعيد بما جرى على ولده أحمد، فتغيّر وجهه، وقال لولده حمد هذه عاقبة رأيك، الذي زعمت أنه هو الرأي المصيب، فإن أخاك أحمد، قد حبسه وقيّده محمد في غرفة الجزيرة، فما هذه إلاّ رزيّة عظيمة، فقال له حمد: يا أبتي، الرأي أن نمضي إلى مسقط، ومعنا مائة رجل لا زيادة، فنمكث في روي، ثم أنا لأمضي إلى محمد بن خلفان، فأخلص أخي من حبسه، وأتيك به، إن شاء الله، فقال له: يا حمد، أما تكفي الأولى عن الأخرى، فإن أخاك قد صار في الشبك، تريد أنت أن تصير في ذلك الشبك الذي صار فيه أخوك، فقال له: ذر الوسواس وطاوعني في هذا الأمر، وجعل يكثر إلى أبيه من نظائر هذا الكلام،

فأجابه على ذلك، فبعث حمد رسولاً بكتاب إلى محمد بن خلفان[1]، يقول فيــه: إذا وصلك كتابي، أحشد أهل مسقط والمطرح وعسكرك وخدامك، وعسكر بهم في سيح الحرمل، فإذا بلغك عنّا أننا قد وصلنا إلى روي، ابعث إلينا رسولاً ومعه كتاب منك لوالدي، إن كنت تريد إطلاق ولدك أحمد، فليأتني ولدك حمد، وامكث أنت بمن معك في روي، فإن قدمت علينا، فترى قدمنا عليك بخيلنا ورجلنا، والسلام. فلمــا بلــغ محمد رسول حمد وكتابه، حشد أهل مسقط والمطرح وســائر عــساكره وعبيــده، فعسكر بهم في سيح الحرمل، فاجتمعت معه رجال كثيرة، ومن الخيــل أربعــون فرساً، ولمّا وصل سعيد وحمد إلى روي، بمن معهما، أخبرهم العوامر الــساكنون روي عن كثرة الرجال الذين حشدهم محمد من مسقط والمطرح، وأنه معسكر بهم في سيح الحرمل، ومعه من الخيل أربعون فرساً، عليها فرسان كرام، فمكث سعيد ومن معه بروي، ومضى حمد إلى محمد بن خلفان، فلمّا أتاه، تــصافحا، وأظهــر محمد لحمد البشاشة وطلاقة الوجه، وقال له: لا عدمتك يا حمد، فإن أباك قد عــزم على الأمر الذي ذكرته لي في كتبك، فقال له: ما أخبرتك عنه إلاّ بصواب، فــالآن تفضل بإطلاق أخي، فإنا لنرجع به إلى الرستاق بعدِ وصوله إلينا، وكن أنت مكانك، لا تنازع فيه، وأنّني لأتيك بعد وصولنا إلى الرستاق [٩٢٥] عن قريــب، لإطفــاء النائرة، وصلح الحال بينك وبين أبي، فأجابه محمد على ذلك، وفسح لأحمــد مــن الحبس، فلمّا وصلا إلى أبيهما، رجعوا إلى الرستاق، ورجع محمد بن خلفان إلــى مسقط، وقد يئس سعيد بن الإمام من مسقط، وما شكَّ أنها صارت إلى محمد، فلمّــا مضت بعض الأيام، قال حمد لأبيه سعيد: يا أبتِ ألك حيلة في إخراج محمــد بــن خلفان من الولاية، وفي قبض معاقل مسقط لنا منه بغير حرب ؟ فقال : لا، وكيف يكون ذلك؟ وقد صارت لمحمد هِممَ عالية، وأضحى معه المال والرجال، فالاحتيال كما أرى عليه متعّذر، فقال حمد: أرأيت إذا عملت فيه الحيلة، وبلغت بها المطلوب منه، وصار مما في يده في يدي، أتعاهدني أن تتركه لي، وتضيف إلي ما ملكــت

---

[1] محمد بن خلفان بن محمد الوكيل: وال، عرف بالوكيل، عاش في أواخر القرن الحادي عــشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين، ولي مسقط من قبل الإمام ســعيد بــن أحمــد بــن ســعيد ألبوسعيدي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٥.

يمينك من حصون عمان كافة، إلاّ الرستاق، ولك مني الطاعة، وامتثال الأمر فيما يرضاه الله تعالى؟ فقال له: نعم، وكيف لا أعاهدك على ذلك، وكل الذي يصير إليك صائر إليّ؟ فقال له: إني لأمضي إلى مسقط، فإذا أتاك كتابي مع الرسول الذي أبعثة إليك، فأسرع بالوثبة إلى مسقط ممن معك من العسكر، فقال له أبوه: للّه درك، سمعاً وطاعة لك، فانفصل حمد عنه إلى مسقط، ومعه مائة رجل، وأخذ من أبيه ألفي دينار، فلما وصل إلى مسقط، أجلس أصحابه حذى الجزيرة، ومضى هو بنفسه إلى بيت الوكيل خلفان بن محمد، وكان محمد مسكنه في ذلك البيت، فلمّا كان بالغرفة التي يجلس فيها محمد للناس، خرجا إليه خلفان وأبنه محمد، فتصافحوا، وقدّم له الطعام، فلمّا فرغ من الأكل، قال حمد لخلفان بن محمد: أيها الوالد الحليم، لقد أتيت إليكما لصلح الشأن وإطفاء النائرة بين والدي وولدك محمد، فليدفع محمد إلى أبي في كل سنة كذا وكذا من المال، وخفّف في الدفع، ولمحمد ما قبضت يده من المعاقل، لا ينازعه فيها أبي، فقالا له: له ذلك، وطلب منهما رخصة المقام له في مسقط ثلاثة أيام، فقالا له: إن البلاد بلادك، فأقم بها ما شئت، وطلب منهما أن يخليا له ومن معه البيت المسمى بيت النوّاب، فقالا له: سمعاً وطاعة، فأخليا له ومن معه بيت النوّاب، وسيقت له ولقومه الفرش الخطيرة، فجلس هو ومن معه في بيت النوّاب، فلمّا عسعس ليل ذلك النهار الذي وصل فيه، حمل معه خمسمائة دينار، ومضى إلى الحصن الشرقي، ومعه من أصحابه خمسون رجلاً، فلما بلغوا إلى بابه الأول، نادى حمد صبيح الضوياني، أمير عسكر الحصن، فأتاه، وأدخله هو ومن معه الحصن، فقال حمد: يا صبيح، إنك كفرت بالنعمة التي خوّلك بها أبي أيام مقامك معه في الرستاق، فصرت لنا، بعدما أنعمنا عليك، عدوّاً أزرق، ما حملك على هذا يا صبيح؟ فقال: أبي يقرءك السلام الجزيل، وأعطاني هذه الدنانير إليك، وأمرني أن أقعد معك في الحصن، حتى يأتي هو ومن معه إلى مسقط، وأمرني أن تعصي محمد بن خلفان، ولا تطيعه في كل شأن، فإذا أتى إلى الحصن، أو أتي أحد من قبله، أمنعه من الدخول، فإن عزم [٩٢٦] أن يدخل عليك قسراً، أضربه بالتفق والمدفع. فأجابه صبيح إلى ذلك، فلما علم حمد أنّ صبيح قد مال إليه كل الميل، ومال عن محمد بن خلفان بكل الميل، هبط هو بنفسه من الحصن، وترك أصحابه

الذين دخلوا معه في الحصن، فأتى إلى أصحابه الباقين بالبيت، فقال لهم: قوموا، فقاموا معه، فمضى بهم إلى الحصن الغربي، وكان القابض فيه من قبل محمد بن خلفان، مسعود بن أحمد البارحي، وبينه وبين حمد، قبل أن يصل حمد إلى مسقط، مكاتبات وبواعث، فقال حمد للبوّاب: افتح الباب، فإنني أنا حمد بن الإمام سعيد بن أحمد بن سعيد، فمضى البواب إلى مسعود، وأخبره الخبر، فقال: افتح له الباب، ودعه يدخل الحصن، هو وأصحابه، فإن الحصن حصنه، ونحن رعايا لأبيه وله، ففتح لهم البوّاب الباب، فلما كان حمد وأصحابه بكبد الحصن، قال حمد لمسعود: إن أبي يقرؤك السلام الجزيل، وأعطاني هذه الدنانير لك، وأمرني بقعود من معي من الرجال معك، وبمنعك لمحمد من دخول الحصن، وبترك مسيرك إليه، فإن هو أتاك، أو أتاك أحد من قبله، اضربهم بالتفق والمدفع، فقال له مسعود: سمعاً وطاعة، وتعاهدا على ذلك، فلمّا رأي حمد أن مسعوداً صار إليه، ولمحمد عليه، ترك أصحابه معه، وخرج هو بنفسه، يريد الحصن الشرقي، وإنما هذا الشأن كله، تمّ في ليلة ذلك النهار الذي وصل فيه إلى مسقط، وكتب لمّا رجع إلى الحصن الشرقي إلى أبيه أن يأتيه، متى وصله كتابه سريعاً إلى مسقط، بمن معه من الرجال، وأخبره في كتابه الخبر كلّه، وكان ماجد بن خلفان بن محمد في تلك الليلة التي قبض فيها حمد على الحصنين، قد خرج من بيته إلى ناحية الجزيرة، يريد أن يمضي إلى بيت والده خلفان، ليحذر أخاه محمد بن خلفان من حمد، فرأى حمداً حذا الكار خانّة، قد أقبل من الكوت الغربي، واضعاً رداءة على رأسه، كي لا يعرفه أحد، وهو يمشي سريعاً، فأخذه الشكّ فيه، فتارة يقول في نفسه هذا حمد، وتارة يقول غيره، فاتبعه، حتى دخل الكوت الشرقي، فلمّا دخله، أيقن أنه حمد، فرجع وأسرع في مشيه، حتى أتى إلى بيت أبيه خلفان، فقرع الباب، فخرج إليه أبوه خلفان وأخوه محمد، فأخبرهما بما شهد، وقال لهما: لا شكّ أن الرجل هو حمد بن سعيد، فقال له أخوه محمد: دع عنك هذا الكلام، فإن حمداً صاحبي، وأسراره معي، وهو لي صديق صادق، ثلّج قلبك، وخالف الوسواس، فقال له ماجد: يا أخي، إن كنت في شكّ من قولي، امضِ معي إلى بيت النوّاب، فإن رأيناه هو ومن معه في البيت، فوقوع الغلط منّي، وإن لم نجده، ولم نجد أصحابه في بيت النوّاب، فأعلم إني لمصيب في قولي

هذا، فأجابه أخوه محمد على ذلك، فسارا ومعهما مائة عبد وحُر، فلما وصلوا إلى بيت النوّاب، لم يروا فيه غير الفرش والخواني، فعند ذلك أيقن محمد أنه قد خدعه حمد، وأن مقدماته إليه كلها حيل، وقد بلغ بحيلته ما أراد فيه، فلما طلعت الشمس، جمع محمد عبيده ومن معه من العسكر، فمضى بهم إلى الكوت الشرقي، فلمّا قربوا منه، راسل عليهم [٩٢٧] ضرب التفق من الكوت، فرجعوا إلى الحصن الغربي، فلما كانوا بالقرب منه، جعل أصحاب حمد ومسعود يضربونهم بالتفق، فرجعوا وأيس محمد من مسقط ومقابضها، فقعد في بيته.

ولمّا بلغ رسول حمد إلى أبيه سعيد بن أحمد، وقرأ الكتاب الذي بعثه إليه ولده حمد، حشد من الرستاق وغيرها رجالاً كثيرة، وأسرع الوثبة إلى مسقط، فلما دخلها، أقام بالجزيرة، وأرسل إلى ولده حمد ليأتي إليه، فلمّا بلغه الرسول، أمر حمد بضرب مدافع الكوت كافّة، وبنشر الرايات من الحصنين والصيرتين والخشب، فلما وصل حمد إلى أبيه، تصافحا، وأخبره الخبر كافة. وواجهتهما التجار وأكابر مسقط كافة، وأتى خلفان بن محمد وولداه محمد وماجد، فلما استقرَّ بهم الجلوس، قال حمد لمحمد: إنا قد عزلناك عن الولاية، وسامحناك على ما سبق منك من الإساءة والاجتراء علينا، فلك الأمان منّا، ثم تعاهدا على أن لا يخون أحدهما صاحبه، فمضى محمد إلى بيته، وبعث حمد إلى سليمان بن خلفان، فولاه على مسقط، مكان أخيه محمد، ومكث سعيد بن أحمد بعد ذلك ثلاثة أيام، ثم مضى إلى الرستاق. واتخذ حمد مسقط منزلاً ومقاماً له، فكان أكثر مقامه فيها، فإذا مضى إلى عمان وغيرها، قضى وطره، فرجع إليها، وكان بيده الحل والعقد بعمان، وهابته قبائلها هيبة شديدة، ورزقه الله النصر، فحيث ما توجه، فتح الله إليه، ولمّا نمت هيبته، وعظمت سطوته، استوحش منه سيف بن الإمام أحمد بن سعيد، وأوجس منه خيفة شديدة، فمضى سيف إلى الأموه، فتتبعه حمد، فلما بلغ إلى الأموه وجده ميتاً، فرجع إلى عمان، ثم مضى إلى وادي السحتن، فهزم عداه، وهدم بروجهم، ورجع إلى

مسقط، ثم جمع قوماً، فمضى بهم إلى بهلا، وكان يومئذ حصنها بيد راشد بن مالك العبري، ففتح حصن بهلا في يوم واحد.

أخبرني غير واحد من الناس، أن حمد بن سعيد قد جمع قوماً كثيرة من النزارية خاصة، ومن اليمنية بعض الرجال، فلمّا أتي إلى نزوى، لم يمكث فيها بعدما أكل قومه ودوابهم الطعام، وكلما سُئل عن قصده بأولئك القوم سكت، ولم يرد الجواب، ثم مضى بالجيش إلى بهلا، وقابض حصنها يومئذ راشد بن مالك العبري، ولم يشعر راشد بحمد أنه قد جمع جيشاً، ومراده به بهلا، إذ كلّ يقول: إنه لا يريد بذلك الجيش حرب بلد، بل يريد به الهيبة لا غير، فدخل بجيشه بهلا على غرّة، بعد صلاة الفجر، فلما قيل لراشد بن مالك: إن حمد بن سعيد بن الإمام أحمد قد دخل البلد، فعسكر في أعاليها وأسافلها بجيش عظيم، سلّ سيفه، ولم يكن معه في الحصن إلاّ سبعة رجال، فجعل يركض بهم على القوم، ويجالدهم بهم، وكلمّا ركض على معسكر بدّده، حتى كاد حمد بن سعيد أن يخرج من بهلا بدلفات راشد وحملاته، [٩٢٨] فلم يزل يجالد القوم في يومه ذلك إلى وقت العصر، ثم ضرب بتفق، فقتل، وقتل معه ثلاثة رجال، واحد يقال له الشمّار، وهو شجاع نجيد، وبطل شديد، فلمّا قتل راشد والثلاثة معه، أتى من أتى حمد من أهل بهلا، وقال له : ليس بالحصن أحد، فمضى إليه بمن معه، فرآه خالياً من الناس، فقبضه، ومكث في بهلا ثلاثة أيام، ثم رجع إلى مسقط، ولم يمكث بنزوى، فلمّا كان بالبركة، جعل قابض برجها الذي هو على الشريعة يضرب القوم بالتفق، ولم يكن معه أحد من الناس، فقتل كثيراً، وجرح كثيراً، ولم يقدر أحد يدنوا منه، فقال حمد لقومه: أعطوه الأمان، حتى بخروجه من البرج، فصاح القوم عليه: اخرج من البرج ولك الأمان، فقال لهم : لا أريد الأمان، ولم يزل على ذلك، حتى نفذ الرصاص عليه، فظل يقطع سلاسل خنجره بسكينه ويضرب الناس، فلما نفذت سلاسل خنجره وسكينه، هبط من البرج، فكرّ عليه رجل من القوم، فطعنه بخنجره، فقتله بتلك الطعنة، فتواثب الجيش عليه،

فقتلوه، فقيل: إن الذين قتلهم ذلك الرجل بضرب التفق ثمانين رجلاً، والذين جرحهم بالرصاص مائة رجل، فلمّا قتل، أمر حمد بهدم ذلك البرج، فهدم.

فلمّا رجع حمد إلى مسقط، أمر بالمعروف ونهي المنكر، وقرّب أهل العلم، وأبعد أهل الظلم، وفشى عدله بعمان، وكل مكان سمع بأخبار علمه، وزادت هيبته، وصلح بين المعاول وأهل نخل، وكانت الحرب قائمة بينهم على ساق، ثلاث سنين، وكان حمد يقول مع شدّة هيبته إذا خلا بأهل خاصته: إني لا أخشى رجلاً من الناس، إلاّ سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، وسلطان يقول مع خاصته: لا أتقي أحداً من الناس، إلاّ حمد.

أخبرني الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد اليحمدي، قال: مضيت ذات يوم إلى بيت الشيخ فضل بن سيف، ببركة، فلمّا سلمت عليه، نهض، فمشى، فاتبعته، حتى دخل حصن بركة، ودخلت معه، فلمّا بلغنا إلى الغرفة التي تسمى غرفة الصلاة، لم نَرَ فيها، إلاّ حمد بن سعيد، فلمّا وافيناه، سلمّنا عليه، فردّ علينا السلام، ثم أطرق رأسه، ثم رفعه، ثم أطرقه، ثم رفعه، وجعل يردّد أنفاسه، فقال له الشيخ فضل بن سيف: يا مولانا، على أي شيء هذا الإطراق، وترديد الأنفاس؟ فقال له: على ثلاثة أحوال، فقال له فضل: وما الأول؟ وما الثاني؟ وما الثالث؟ فقال: الأول: أريد أن أُحارب أهل ممباسة، فلم أدرِ كيف أصنع بحربهم لمناعة حصنهم، وقوّة المزاريع، مع كثرة عدد من يتبعهم من أهل الزنج. والثاني: اتفكر في حرب بلدة تمبى، فكيف أصنع بحربها مع قوة الأفرنج. والثالث: الفكر في سلطان، فلا أدري كيف أصنع به. فقال له فضل: يا مولانا، إن سلطان لا مال له، ولا كثرة رجال معه، وأكثر مقامه بحصن نعمان، وما معه، إلاّ الأثني عشر رجالاً، فقال: يا فضل، إن شأن سلطان عندي لأعظم [٩٢٩] من شأن ممباسة وتمبى، فإن سلطان شجاع، لا يقدر أحد على حربه، قال: فتعجّبت من كلامه ذلك، وتعجّب فضل مثلي من كلامه، قال: فلما صلى الشيخ فضل صلاة الضحى، أمر حمد على أصحاب الخيل والركاب، وقال: إني لأمضي إلى سلطان، فأسلم عليه، قال سعيد: فمضينا معه، فكان عددنا به مائة

رجل، أما الراكبون منهم على الخيل به عشرون فارس، فلما بلغنا إلى النارجيل الصغار، رأينا سلطان مقبلاً علينا، ومعه إثنا عشر رجلاً، فلمّا قرب منّا، هبط من ظهر ناقته إلى الأرض، وجعل يقود ناقته بخطامها، فلمّا دنا من حمد، سلّم كل واحد منهما على صاحبه، فقال له حمد: إنا أتيناك لتمضي معنا للحصن ضيافة، فقال سلطان: أنا أحق بها، لمّا بلغتم إلى هذا المكان، فطاوعه حمد على ذلك، فجعل سلطان يحادث حمد وهو يمشي، وحمد يحادثه، ولم ينزل من ظهر فرسه، فلما وصلنا إلى حصن نعمان، أخرج لنا سلطان الخواني المملوءة باللحم والأرز، فلما فرغنا من الأكل، أقلّنا معه، فلما انصرفنا عنه، وأراد سلطان أن يشيّع حمد، فأقسم حمد أن لا يشيعه، قال: فلما رجعنا مع حمد للحصن، ودخل حمد الحصن، فدخلت أنا والشيخ فضل معه، فلمّا جلسنا معه في الغرفة، قال له الشيخ فضل: يا مولانا، كيف لم تهبط من صهوة حصانك إلى مصافحة عمك سلطان، لمّا هبط من ظهر ناقته إليك؟ أفيحسن هذا عندك؟ فقال: يا فضل، والله لا أقدر أن أنزل من ظهر فرسي إلى عمّي سلطان خيفة منه، فإنه لو أراد بي سوءاً، لما سلمت منه، وأنا على ظهر فرسي، فضلاً من أن أكون في الأرض معه، قال: فتعجّبنا من كلامه، مع شدّة هيبته، وهو شديد الخشية من سلطان، ولمّا رجع حمد إلى مسقط، زاد في الزهد والقيام بالعدل، ونمت قوته، وكان إذا برز للناس، لم يكثر الكلام في برزته، وإذا حدّثه أحد، أطرق له إطراق الأفعوان، فإذا تمّم كلامه، أجابه بكلمة واحدة.

أخبرني والدي محمد بن رزيق، قال : رأيت من السيد حمد أيام قدومه من بركة إلى مسقط في سنة أربع ومائتين وألف خلاف ما كنت أرى سلفاً من البشاشة، فمضيت إليه ذات يوم، لأسأله عن السبب، فوافيته، ومجلس برزته غاص بالناس، وهم سكوت، ولا أحد من الحضور معه ينطق بكلمة، فجلست بين يديه، بعدما سلمت عليه، وردّ علي الجواب، فقلت له: يا مولانا، على أي شيء إعدامك البشاشة ، التي كنت أجدها منك؟ قال: فسكت طويلاً، ثم قال: إن بعض الناس تزعم أنكم تأكلون مال بيت المال، قال: فقلت له: لقد صدق الذي أخبرك عنّا بهذا، ولكن أكلنا

أكل أدب، إذا أكلنا ما أكلنا في زمن جدّك الإمام أحمد بن سعيد، وأكلنا ما أكلنا عند أبيك الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، فأكلنا معك أكل شبع، لا أكلنا معك [٩٣٠] أكل منهوم سيّئ الأدب، قال: فلما قلت له ذلك، تبسم، ثم قال: هنيّاً مريّاً، لا يكون بقلبك من قبلي، إلاّ ما تقرّ به عيناك، ويثلج به قلبك. قال: فلما قال لي ذلك مضيت عنه، فكان إذا أتيته بعد ذلك، يغلبه الابتسام، ويظهر لي البشاشة وطلاقة الوجه، وقد رفع منزلتي فوق المنزلة الأولى.

وقد أمر حمد بجمع عسكر كثير من عمان، حضراً، وأعراباً، وزاداً، وخدمهم، تكون عليه ببركة، وهو يومئذ بمقسط سنة ست ومائتين وألف، فلمّا قيل له إن بعض القوم قد وصلوا بركة، فإلى أين يرتد بهذا الجمع العظيم؟ أمسك عن الجواب، فخرج من مسقط، يريد بركة، ومعه خلق كثير، على خيل وركاب، فلما كان بسيح الحرمل، اشتكى الحمى، فلم يقدر على المسير، فرجع إلى مسقط، فأشتدت عليه الحمى، وظهر به جدري كثير، وقد احترق مركبه الرحماني ليلاً، قبل أن يموت بثلاثة أيام، فلمّا قيل له: قد احترق المركب الرحماني، قال: إني لأعلم بمن أحرقه، فإذا شفاني الله من هذا الجدري، لتسمعوا بصنيعي بالذي أحرقه، فعاش بعد ذلك ثلاثة أيام، ثم توفي في الجزيرة، ليلة الجمعة ثامن يوم من شهر رجب سنة ست ومائتين وألف، وقد رثته شعراء عصره بمراثٍ كثيرة، فكان مطلع قصيدة الشيخ الفصيح سالم بن محمد بن سالم الدرمكي شعراً:

جبل الجبال الراسيات تهدّما   فأمطر عليه من مدامعك الدما[1]

ورثاه بقصيدة أخرى، على حرف الراء، وهي قصيدة طويلة، ومطلعها:

لمّا قضى حمد لم تبكه البشر   حتى بكته الحصى والنخل والشجرُ[2]

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في ديوان الدرمكي. انظر البيت في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص ٣٦٥.

(٢) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في ديوان الدرمكي. حفظ لنا ابن رزيق البيت الأول في مخطوطته هذه.

ورثاه الشيخ سليمان بن أحمد المفضلي النزواني بقصيدة حائية، مطلعها:

سطت الهموم وصالت الأتراح ونأى السرور وشطّت الأفراح[1]

وقد رأيت نعش حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، لما حمل إلى القبر، وكنت يومئذ صغير السن، لا أشيع في نعش الأموات، وقد مشت خلف نعشه عالم كثير، من مسلم وذمّي، فإلى هذه الغاية سنة تسع وستين ومائتين وألف، ما شهدت نعشاً مشت خلفه الناس، كما مشت خلف ذلك النعش.

السلطان سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد:

سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي، كان سلطان طويل القامة، جميل الصورة شجاعًا نجيدًا، تلوح الشجاعة بين عينيه، فمن لا رآه ورآه يشهد له بالسطوة والشجاعة، لا يعبأ بكثرة أعدائه، إذا كان هو في قليل من أهل خاصة، ينصف للمظلوم من الظالم، وإذا صاحبه بغى، عاقبه بما يستحق، من قتل، أو ضرب عصا، أو قيد، أو حبس، سواء عليه إذا كان الباغي شريفاً، أو غير شريف، وقد جرت بينه وبين حمد بن أخيه سعيد بن أحمد منافرة، أيام دولة حمد، فكثر بينهما التنافي، فخالف السلطان النزارية أهل سمائل، فعاهده على حرب كلّ عدو له، فركضوا بأمره على حصن سمائل، وهو يومئذ في حكم حمد، فدخلوه من جانب السوق، [٩٣١] فلّما توسطوه، جعل يضربهم البرج المربع منه والجانب الشرقي بالتفق، فخرجوا منه، وركض سرحان بن سليمان الجابري على حجرة عوامر سيجا، والعوامر هؤلاء، يدعون أنهم فرقة من بني راوحة، ومعه بعض الرجال من جماعته بني جابر، فهجموا عليهم، فشرّدوهم من الحجرة، وقتل من العوامر عدّة رجال، وهدموا الحجرة، فما تركوا لها أساسًا، فغضب حمد على بني جابر، وحشد

---

[1] نظر البيت في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص٣٦٥.

جيشًا كبيرًا، فلّما وصل بجيشه إلى سمائل، ثبّطته الناس عمن حرب سيجا، إذ منبع فلجها مع الحجرة، فإذا كسروا الفلج، لم يجد محاربهم قطرة ماء لهم، ثم إن أرضها إذا أرسلوا الفلج عليها، لا تمرر أحدًا يمشي عليها، إلا من الأنخماص، فإذا وصلت الأقدام عليها غاصت، فلا تقدر على نزع القدم، وأكثروا عليه من تطاير هذا الكلام، ففسح الجيش، ورجع هو إلى مسقط، فأقام بها أيامًا قلائل، ثم ارتفع إلى الرستاق، فلما علم السلطان بذلك، غزا المطرح ببني جابر، وسائر نزارية وادي سمائل، فدخلوا سوقها وبيوتها، فنهبوا ما وجدوه من مال، وحملوا ما قدروا عليه، فأقالوا بدارسيت، فلمّا بلغ الصريخ إلى مسقط، جمع سليمان بن خلفان بن محمد عساكر مسقط ورعيتها، وكان يومئذ هو الوالي على مسقط، من قبل حمد، فأجتمع مع سليمان بن خلفان خلق كثير، فلّما بلغ بهم إلى آخر العقبة المشرفة على دار سيت والفلج، ركض عليهم سلطان، بمن معه من أهل سمائل، فانكسرت عساكر مسقط، ووقع فيهم قتل وجراح كثير، فاتبعهم سلطان ومن معه إلى جبروه، ثم رجع، فأقام بدراسيت والفلج يومين، فلم يقدر سليمان بن خلفان على حربه، ثم ارتفع سلطان بمن معه إلى سمائل، وضاق حمد بسلطان ذرعًا، فلم يقدر على حربه، وجعل محمد بن خلفان يكاتب سلطان بالوثبة إلى مسقط، ويقول له في كتابه: عليك بالرجال، وعليَّ المال، حتى تبلغ مطلوبك من مسقط وغيرها، وجعل سلطان يماطله في الوثبه إلى مسقط، فلمّا مات حمد، جعل سعيد بن الإمام أحمد ولده أحمد بن سعيد مكان ولده حمد، وجعل على بركة علي بن هلال بن الإمام أحمد، ثم إن سلطان وفد على علي بن هلال ببركة، فلمّا تواجها، قال سلطان لعلي بن هلال: يا علي، اصلح الشان بيني وبين أخي سعيد، فإن الإحن الماضية بيننا كانت من قبل ولده حمد، فالآن قد توفي حمد، وأريد إطفاء النائرة بيني وبين أخي سعيد، وأن يجعلني أخي سعيد سيفًا لدولته، فأحارب كل من عصاه من أهل عمان، حتى يستكين، وله يدين من كان لاله يستكين، ولا له يدين، من أهل عمان، وأن يجعل لي نصيبًا يسيرًا من مسقط، فامضِ أنت إليه منذ اليوم، واصلح الشان، فأنا منذ الساعة راجع إلى

سمائل، وإذا وصلت أنت من الرستاق إلى بركة، أرسل لي رسولا، كي أتيك، لتمام الصلح والعهد على يديك، فأجابه على ذلك، واستحسن قوله، فمضى سلطان، فلّما بلغ إلى الرسيل، مكث بها وكان قد جعل عيوناً على علي بن هلال، وقال لهم، إذا ارتفع على بير النصف إلى الرستاق، اسرعوا أنتم إليّ إلى الرستاق، فلما أتته العيون، واخبروه بارتفاعه بير النصف [٩٣٢] إلى الرستاق، ركب هو وصحبه نياقهم، فما هبط من ظهر ناقته إلى الأرض، إلاّ أمام باب حصن بركة، فكان من محض حظه أن خرج رجل من أصحاب الحصن، يريد أن يمضي إلى السوق ، فألقاه سلطان إلى صحبه، ودخل هو من الباب، فأراد البواب أن يدافعه، فضربه بالخنجر، فقتله، فدخل الباب، ودخل صحبه معه، وهم أثنا عشر رجلاً، فركض بهم على العسكر القابضين بروج الحصن، فطلبوا منه الأمان، فأمنهم، وأخرجهم من الحصن، فاستولى عليه، وبعث رسولاً إلى أهل الطّو، فاتته منهم مائه رجل، وبقيت قلعة الحصن بيد بني رواحه، فأرسل إليهم أن يهبطوا منها، فأبوا فبعث إلى الشيخ ربيعة بن أحمد الرواحي، وكان مسكنه ببيت الجنينة من بركة، فلما أتاه قال له: ناصح جماعاتك بني رواحة، وقل لهم يخرجوا من القلعة بأمان، ويحملوا منها ما قدروا على حمله من البارود والرصاص والزاد، فمضى إليهم، فأبوا، ثم أطاعوا، فنزلوا من القلعة، وحملوا منها ما قدر على حمله، وأتته الجبور، فأعانته بالتمر والأرز، وواجهته الأعراب والحضر، وسائر رعيه بركة، من حدّ السيب إلى التلّه، وبعث كتبه إلى رجال المعاول، وأهل نخل، ووادي سمائل، وذكر لهم فيها أن الميعاد بيني وبينكم بالقرم، فأسرعوا إليّ بالوثبة، ومضي هو وصحبه يريد مسقط، ومسيره بهم وئيداً، فما بلغ إلى القرم، إلاّ ومعه خلق كثير من المعاول، وأهل نخل، ووادي سمائل، وفسح للأعراب الذين أتوه بغير إراده منه، وأماّ علي بن هلال، لمّا وصل إلى الرستاق، وأخبر سعيد بن أحمد من المصنعة، فأخبره أن سلطان، قد هجم على حصن بركة، فاستولى عليه، وأنه مضي برجال كثيرة، يريد مسقط، فلام سعيد علي بن هلال بوفدته عليه، وتركه لحصن بركة، ثم قال له: إمضِ من

ساعتك على طريق المصنعة، واركب منها سفينه إلى مسقط، وكن مساعداً لولدي أحمد، وشبّا نار الحرب على سلطان، ومن حاربكما، وإياكما والجبن، فإنه لا مـن سجايا الكرام، وأكثر عليه بنظائر هذا الكلام، فامتثل أمره، ومضى إلى المصنعه، فلما أتاها، ركب سفينه منها إلى مسقط، فوصلها في اليوم الذي وصل سلطان فيـه إلى القرم، فكتب سلطان إلى تجار مسقط وأكابرها بالمكث فيها، ولهم الأمان مـن قبلّه على أنفسهم، وما ملكت أيديهم كافة، وبعث مع جملة تلك الكتب، كتاباً إلى أبي محمد بن رزيق، ورسوله بالكتاب رجل من بني رواحة، اسمه سعيد بن مصبح، وفحوى كلامه في كتابه لأبي: إذا وصلك كتابي هذا، أخبر كافة أهل مسقط بالأمان منيّ على أنفسهم وأموالهم، فإني ما قدمت على مسقط لأنهب أموال الرعية، ولكـن قدومي عليها لأمر لا يخفاكم يعني حصنيها وسائر معاقلها، فلمّا أبي قرأ الكتـاب، مضى به إلى أحمد وعلي بن هلال، وهما بارزان بالجزيرة، فأراهما إياه، ثم قـال لهما: ما عندكما من الرأي؟ فقالا: إن سلطان [٩٣٣] لا يقدر أن يصل إلى مسقط، فدونها سيوف وتقاق ومدافع، ولسنا ممن يخاف توعده، فنحن، إنشاء الله، إذا وفـد على مسقط، لنجالده بالسيف دون عقبه وادي الكبير، جـلاد يـسمع بـه الـداني والقاصي، وأكثر بنظائر هذا الكلام، فرجع أبي عنهما، ومضى إلى التجار وأكـابر مسقط، فأخبرهم عما كتبه له سلطان من قبلهم، وما قالا له أحمد وعلي بن هـلال، فقالوا: كذلك قد وصلنا كتب من سلطان، يذكر فيها كما ذكرته لنا عنه، وفي غالب ظننا، أن سلطان ليدخل مسقط، ويبلغ مراده منها، وإن أحمد وعلى بـن هـلال لا ليمنعاه عنّا، إذ لا نرى معهما عساكر لمدافعته عن مسقط، فكلام أحمد وابن هـلال هراء لا معنى له، وكان جواب أكابر مسقط لأبي مثا ما قالت التجار له ، فلما كان ليل ذلك النهار اجتمع أكابر مسقط لأبي، فأشار أبي إليهم أن يرفعـوا أصـواتهم، ويصيحون القوم القوم صيحة واحدة ، ليعلم الحقيقة من أحمد وابن هلال، وقال لهم: إذا خرجا بمن معهما من العسكر مع الصيحة، فاعلموا أنهم ليجالـدون، وإن مكثـا بالسور بمن معهما، ولم يكن منهم إلاّ ضرب التفق على أهل الحلل الخارجة مـن

السور، فاعلموا أن لا قدرة لهما على الخروج والمجالدة عنه، فلّما فعلوا ما أمرهم به أبي، تراسل ضرب التفق من السور على الحلل الخارجة عنه، فأيقنت الرعّية حينئذ بجبنهما، فما مضت بعد تلك الساعة إلاّ بقدر ساعة، إلاّ وسلطان ومن معه من القوم مقبلون من الوادي، وسيوفهم مسلولة، وسلطان يمشي أمامهم، وشعارهم هذه الآية الشريفة ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[1] فلما كانوا بنواحي بيت أبي، خرج أبي إلى سلطان، فصافحه، وأخبره أنه قد قرأ كتابه على التجار وأكابر مسقط، فقرّت عيونهم بأمانه، وثلجت صدورهم باحتفاله بهم، فسرّ سلطان ذلك، ثم قال لأبي: أما أحد من أهل مسقط ادّخر تمر، فيبايعنا بما يسدّ مخمصه القوم؟ فإنه قد أضرّبهم الجوع، فأخرج لهم أبي من بيته خمسين جراباً، فلّما أكلوا، واستراحوا قليلاً، أمر سلطان عليهم بالركضة على باب الكبير، فلّما ركضوا عليه، جعل أصحاب أحمد وعلي بن هلال يضربونهم بالتفق من أعلى السور، فانكسروا عنهم، وقتل منهم سته رجال ثم ركضوا، عليهم ثانية، فانكسروا عنهم، وقتل منهم ثلاثة رجال، فلّما لاح الفجر الصادق، أتى علي بن عبدالله، شيخ بني وهيب، إلى سلطان، وكان هو القابض يومئذ بالباب الصغير من قبل أحمد بن سعيد بن أحمد الإمام، فقال لسلطان، بعد ما سلّم عليه: لِمَ لا أتيت أنت ومن معك من القوم على الباب الصغير، فأدخلكم منه؟ فمضى معه سلطان ومن معه من القوم، فسلك بهم عقبة مابين، وانحدر بهم من أسفل عقبة سداب، وسلك بهم الطريق المفضي إلى باب الصغير، فلّما بلغوا الباب، أمر أصحابه بفتح الباب ففتحوه، فلما دخل سلطان ومن معه، شتم سلطان علي بن عبدالله ، وقال له : قبحك الله يا خائن، اغرب عنيّ، فما أنا بتاركك بالباب، فلما طرده هو وأصحابه، أجلس بالباب مكانه سرحان [٩٣٤] بن سليمان الجابري، ومع سرحان مائة رجل من جماعته، ومضى هو ببقية القوم، يريد دخول الجزيرة، فدخلها من الجانب الشرقي المقابل دكان محمد

---

[1] سورة الإسراء، الآية ٨١.

بن حبيب الرمحي الصائغ ، وكان بالجزيرة باب صغير من الجانب الشرقي المذكور، فهزم من فيها، وجعل أصحابه يضربون الكوت الغربي بالتفق، والكوت يضربهم بالمدفع والتفق، وركض محمد بن خلفان بمن معه على عقبة ريام وكلبوه، فهزم من فيهما من عسكر أحمد وعلي بن هلال، وأجلس مكانهم أصحابه، وانهزم القابض عتبة سداب لمّا دخل سلطان الباب الصغير، وهرب سائر العسكر القابضين بالسور والبروج، وتحصن علي بن هلال بالكوت الغربي، وتحصن أحمد بن سعيد بالكوت الشرقي، وواجهت التجار وأكابر مسقط سلطان في الجزيرة، ومضى أبي إلى سداب، فاشترى بأمر سلطان للعسكر ألف جراب من تمر الباطنة، وجلس بالفرضة، تمضي العسكر بأمر السلطان بالأرز والتمر والبارود والرصاص، وانهزم أكثر أهل مسقط إلى يتي وقريات خوفاً من ضرب المدافع من الكوتين، وتراسل ضرب المدافع من الكوتين، في الحلّه الداخله والخارجه، وخلصت المراكب لسلطان، وكان محمد بن خلفان الوكيل يومئذ لسلطان عضداً وكنّاً، فأعانه بالمال، ومن معه من الرجال، وكتب سلطان إلى أخيه قيس بن الإمام: إني قد دخلت مسقط، لأخلصها لك، فإذا أتاك كتابي، إمضِ بمن معك من القوم، وعسكر بهم، في القاسم، وأشغل أخي وأخاك سعيد بن أحمد عن الوثبة لمسقط، فلما بلّغه الكتاب، حشد أقواماً كثيره، فمضى بهم إلى القاسم ، فعسكر بهم هناك، وكتب لأخيه سعيد: إن سلطان ما دخل مسقط، إلا بأمري، فكن أنت مكانك بالرستاق، وأترك سلطان وولدك أحمد في شأنهما، فإنك إذا مضيت إلى مسقط، مضيت أنا إلى الرستاق، ومن أنذر فقد أعذر والسلام. فلما بلغ كتابه إلى سعيد، تماسك بالرستاق، ومكث قيس معسكراً بالقاسم، وركض محمد بن سليمان العدوي، وكان يومئذ هو القابض الكوت الشرقي، بأمر سعيد بن الإمام على بيت أولاد بيمة، لينهب ما فيه من المال، فلمّا بلغ الصريخ إلى سلطان، وهو يومئذ بالجزيرة، وثب سريعاً بمن معه، فلما رأته أصحاب محمد بن سليمان مقبلا عليهم، هربوا، وهرب معهم محمد بن سليمان، فما ظفر سلطان، إلا برجلين من قوم محمد بن سليمان، فقتلهما، وجعل سلطان يتبع

محمد بن سليمان، إلى أن لاذ بالكوت الشرقي، وقد طعن محمد بن سليمان مع انهزامه مسعود بن محمد بن سعيد العبيداني برمح، فأوقع سانه في أنف مسعود، فأخرجه من آخر عنقه، وضرب رجل ظاهر من أصحاب سلطان بتفقٍ من الكوت، فوقعت الرصاصه في فخذه، فخرجت من الجانب الثاني، فأما الظاهري، مات ليلة ذلك اليوم، وأما إبن عبيدان، عاش بعد ذلك زمنا طويلا، فما أضعفت قواه تلك الطعنه، ثم وقع الصلح بين سلطان بن الإمام، وأحمد بن سعيد بن الامام أحمد، على أن الحصن الشرقي لسعيد بن الإمام، والحصن الغربي ليقبضه محمد بن خلفان بينهما، فإن نكث أحدهما الصلح، ليقبض الحصن [٩٣٥] المنكوث عليه، ولقيس بن الإمام حصن المطرح وسائر برجها، ومدخول مسقط بيد سلطان، يصرفه للعساكر، وبما يحتاج إلية الكوت الشرقي من الآله، وما تحتاج إلية المراكب، والوالي محمد بن خلفان، فتّم الصلح بينهم على ذلك، ومضى على ذلك الصلح بعض الزمان، فخرج أحمد بن سعيد من الكوت الشرقي، وخرج علي بن هلال من الكوت الغربي، فقبض الكوت الغربي محمد بن خلفان، وترك أحمد بالكوت الشرقي رجلا شقصياً، من أهل الرستاق، وقبض قيس حصن المطرح، فترك فيه الحدّان، فلما استقرت الناس، وأطمأنت، وهدأت الفتن، أقبل سلطان من بركة إلى مسقط لعاداته الأوائل، فلمّا واجهه بالجزيرة الشقصي، القابض للحصن الشرقي، وأراد الإنصراف عنه إلى الكوت، قال له سلطان: إذا أردت حياتك سلّم لي الكوت، وأظهر له الغضب، فقال له :دعني أمضي إليه لأخرج أصحابي منه، فقال له : هيهات هيهات، ثم أمر أن يكتف، فكتف، وقال له: إمضي معي، فمضى معه، فلمّا بلغوا إلى بيت محمد بن غلوم، أوقفوه، فجعل ينادي أصحابه بالخروج من الكوت، فخرجوا، وقبضه سلطان، فترك فيه خدّام الجبور، وعليهم الأمير محيسن، وكتب سلطان إلى أخيه قيس: إني أخذت لك الكوت الشرقي، وأخرجت أصحاب سعيد منه، ففرح قيس بذلك، وبقي محمد بن خلفان في ظاهر الأمر والياً لسلطان، وفي الباطن غير ذلك، وكلاهما نصب لصاحبة شرك الاغتيال، ليصير إلية مما في يد صاحبة بالاحتيال، فجعل

محمد يشيدّ الكوت الغربي، ويضاعف له المدافع، ويزيده من البارود والرصـــاص، وسائر ذخائر الحرب، وبعث إلى خصيف بن مطر الهنائي، فأتاه بمائه رجل، فخلع عليه وعلى أصحابه، وأحسن إليهم، فأقرهم بالكوت، وأشترى من العبيد والزنـــوج والنوبان جمله، فألبسهم الملابس الفاخرة، وأعطاهم السيوف والخنـــاجر الثمينـــة، فاستراب سلطان منه بذلك الشأن، وأسره في نفسه، ولم يظهر له ما يوحشه منـــه، فمضى سلطان إلى بركة، وأقام فيها أياماً قلائل، ومعه من آل وهيبة مائة رجـــل أميرهم حمد بن محمد الوهيبي، فلّما أراد أن يمضي إلى مسقط، ومعـــه بـــدر بـــن سيف، وآل وهيبة المذكورن، فدخل الكوت الشرقي، من الباب الصغير، المـــشرف على الساحل، وأظهر أنه مريض، وبه أول سوابق الجدري، فلما بلغ الخبـــر إلـــى خلفان بن محمد، وولده محمد، مضى إليه خلفان بن محمد، وولده محمد، و مـــضى معهما علي بن خلفان، فلّما كانوا حذاء الجزيرة، بادرهم ماجد بن خلفان، فأخذ بيـــد أخيه محمد، وناجاه ناجية، وناصحه عن المسير إلى سلطان، وقال له: يا محمـــد، أطعني فما بسلطان جدري، ولا به سقم، وإنما هي حيله وغيله صنعها لك، يريد بها أخذ الكوت منك، فلم يصغ له محمد، فلمّا دخلوا الكوت الشرقي، وجدوا سلطاناً قـــد برز بمن معه من البدو والعبيد، وهو صحيح الجسم، فأوجس محمد منه خيفة، فلما أرادوا الخروج، [٩٣٦] قال لهم سلطان: أما أنت أيها الوالد خلفان، فمرخص فـــي الرجوع، وأما ولداك محمد وعلي، لا رخصة لهما ، فقال له خلفان بن محمد: وما تبغي بذلك؟ فقال: الكوت الغربي، ثم أشار إلى محمد بن مطر المحار فقـــبض يـــد محمد، ومضي به إلى الحبس، فهبط خلفان بن محمد، مذعوراً يقول لمن صـــادفه: قبض محمد، قبض محمد، وبقي على بن خلفان طلقاً غير محبوس، ثم طابت نفسه عليه، ففسح له، فهبط من الكوت، ومضى إلى بيته، ولما سمع ماجد بـــن خلفـــان بحبس أخيه، ركض هو وخصيف بن مطر الهنائي على سوق مسكد، فحملوا منـــه الحلّ والسّمن والبرّ، فوضعوه في الكوت، ونشرا علم الحرب، فتزلزلـــت حينئـــذٍ مسقط بالخوف، وسدّت التجار أبواب تجارتها، ووضعوا عليها الأقفـــال، وبلغـــت

القلوب الحناجر بالخوف، وبعث سلطان لوالدي رسولاً، فلما أتاه، قال له: أمر بأمري على الأساتيد البنأتين، أن يهدموا بخاخير محمد بن خلفان كافة، وعلى أهل المراكب أن يضربوا الكوت الغربي، حتى يهدموه، وهو مع ذلك قد غلت عليه الغضب، فهبط أبي، وجعل على بخاخير محمد بن خلفان أقفالاً فوق أقفالهم، ثم رجع إلى الكوت الشرقي، فقال له: يا مولانا، إحلم، فإنك سيّد حليم، إني إلتمست إلى أن أجد لمحمد بن خلفان بخاخير، فما وجدت له بخاخير، إذ البخاخير التي كانت بيده، هي بخاخيرك، فما هو إلا والٍ من ولاتك، مما ملكت يدك، فهو لك، أتريدني أن أخرب بيوتك، فتكون كمن قال الله فيهم: ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فأعتبروا يا أُولى الأبصار﴾[1]، وأما حرب المراكب للكوت الغربي، فهو شيء لا فائدة فيه، إذ الكوت أعلى، والمراكب أسفل منه، فإذا رميته بمدافعها لا تعمل فيه شيئا، وإذا رماهن بمدافعه، جعلها قطعا، فاستحسن سلطان كلامه، وقال له: صحيح ما تقول، فقال له أبي: هذه مفاتيح البخاخير التي تزعم أنها لمحمد بن خلفان، وهي لك، فقال له: دعها معك، وأنت مرخص، إذا أردت الهبوط من الكوت ، فقال له والدي: دعني أدخل على محمد في حبسه لأناصحه في تخليص الكوت لك، فلعلّ أن يكن منه ذلك، فقال: امضي إليه، وناصحه، فمضى والدي إليه، فرأه في الحبس طلقاً غير مقيّد، فجعل يناصحه في تخليص الكوت لسلطان، فقال له: ما عندي له كوت، وليصنع فيّ ما شاء، فقال له: لا فائدة لك في هذا الكلام، وإخراجك من الحبس بغير تخليص الكوت محال، ثم أجابه على ذلك، وكان أبي قد حمل دواة وأقلاماً وقرطاساً، فقال له: إكتب إلى خصيف بتخليص الكوت، فكتب، ثم ودّعه أبي، وأرى سلطان الكتاب، ثم دفعه إلى أبي، وقال له: أمض إلى خصيف، وأعطه الكتاب، وناصحه في الخروج من الكوت،فلما مضى أبي إليه ، و أذن له بالدخول معه ، ألقى أبي إليه الكتاب ، و جعل يناصحه بالخروج من الكوت ،

---

[1] سورة الحشر، الآية ٢.

فأبى، وقال: إن الحصون لاتخلص بمداد وقرطاس، فلمـــا رأى أبـــي منـــه العتـــو والإباءة، خرج من عنده إلى خلفان بن محمد، وأخبره الخبر كله، فمضى خلفان إلى الكوت، فأخرج منه ولده ماجد، وأغلظ على [٩٣٧] خصيف بـــن مطـــر الكـــلام، وخصيف يقول: إذا أراد حصنه، فليأتي بنفسه، وقبل أن يأتيني، فخروجـــي منـــه متعذّر، فخرج عنه خلفان بن محمد، وطال المقال في هذا المجال، ثم أتفق الـــصلح على أن يأخذ خصيف بن مطر من الحصن ما أراد من البارود والرصاص والتمر والأرز، ثم يخرج منه بعد ذلك، فلبث خصيف بعد الذي أخذ من الحصن ما أخـــذ، وبعث بما أخذه إلى داره سبعة أيام، ثم خرج هو وأصحابه منه، فقبضه ســـلطان، وأطلق محمد من الحبس، فمضى محمد إلى بيت الفلج، ومكث فيه، وترك خصيف بن مطر ومعه خمسون رجلاً من بني عمّه وأصحابه الخاصّة، وولّى سلطان خلفان بن ناصر آلبوسعيدي، فأمر علية، ليله اليوم الذي خلص له فيه الكـــوت الـــشرقي، بحرب كوت المطرح، فمضى إلية خلفان بن ناصر، ونصب له البوم والأرصاد من سور اللواتيا، إلى سوق الحلوى، وجعل في الضيت، الذي هو خلف المطرح الثانية، بومة وأرصاد، فما انتصف الليل، إلا وحنين المدافع كحنين الرعد، وكان قيس قـــد جعل في حصن المطرح الحدّان كان ضرب المدافع متواتراً على الكوت نهـــاراً و ليلاً ، ثم خرج الحدّان منه بعد إثني عشر يوماً، فقبضة سلطان، ثم أمـــر ســـلطان خلفان بن ناصر بحرب بيت الفلج، فنصب له بوما من الجبال الصغار المقـــابلات للبيت، وجعل يضربه بالمدافع، فلم يعمل المدفع شيئاً، تارة يرتفع عنه الرصـــاص، وتارة ينخفض عنه، فلا يبلغه منه شيء، ثم أتفق الصلح، على أن يدفع محمد بـــن خلفان لسلطان، ما على بروج البيت من المدافع، فسحبت إلى المطرح ، ثـــم أمـــر سلطان خلفان بن ناصر ببنيان قلعة على طوى الراوية ، وعلى رأس الجبل الغربي المقابل، لكل لوية برجاً مربعاً ، وعلى رأس الجبل، الذي هو أعلا بيـــت أبـــي، أن يبني برجاً غير مربّع، فكمل بنيان الثلاثة معاقل في ستة أشهر، ثم جعل محمد بـــن خلفان يكاتب قيس بن الإمام سرّاً بالوثبة إلى مسقط، فتعاهد قـــيس، ومحمـــد بـــن

خلفان، وسعيد بن الإمام، على حرب سلطان، فجمع قيس من الظاهرة والباطنة خلقاً كثيراً، وفيهم قوم يسمونّ العفار، يأكلون الجيف، كما يأكل غيرهم التمر، فسمعت غير واحد أن القوم الذين جمعهم قيس، كان عددهم ستين ألفاً، والله أعلم، وأنضاف سعيد بن الإمام إليه، بمن معه من العسكر، فلمّا سمع سلطان بجمعهم، بعث كتبه إلى أهل جعلان وعمان أن يأتوه بحامل السلاح، فلم يصله من جعلان والشرقية وعمان، إلاّمن إبرا الشيخ ماجد بن سعيد الحارثي، ومعه مائة رجل، فعظم الأمر على سلطان، فلما سارا قيس وسعيد بجنودهما، أقاما بالقرم، وأمر سلطان بأن تكون مشاعل النار في رؤوس الجبال، من أول جبال روي إلى آخر جبال دارسيت، وأقام هو ومعه الشيخ ماجد بن سعيد البرواني ومن معه من الرجال بروي، فظنّ قوم قيس، أن مع سلطان جيشاً عظيماً، وهو لم يكن معه، إلاّ بما ذكرنا، وما عند المشاعل، إلاّ من يضع عليها السليط والقطن، ثم بعث سلطان [٩٣٨] إلى قيس كتاباً يقول له فيه: إذا وصلك كتابي، إمض بمن معك من القوم إلى بدبد، وأقم بهم فيها، حتى آتيك، فأخلّص لك حصن بدبد وسمائل، وذر حرب مسقط، فلما وصله الكتاب، وقرأه، أستبرر من سلطان القول، فأرتفع بالقوم إلى بدبد، ومضى سلطان على طريق وادي حطاط إلى سمائل، فلمّا وصلها، أمر على أهل وادي سمائل وبني جابر وأهل بعد والعّق وسرور ونفعا، أن يشبوا نار الحرب على قيس، فاجتمعت النزارية كلّها على حرب قيس، وجعل حصن بدبد يضرب قوم قيس بالمدافع، وقد نفد الزاد على قوم قيس و أيقن قيس أنه لا يصل إليه من سلطان شيء، فانحدر من بدبد بقومه، ومضى إلى صحار، ورجع أخوه سعيد إلى الرستاق، ورجعت الأقوام الذين حشدهم قيس على منازلهم، وسكنت الحركات، وبقيت الإحن في الصدور، وواجهت سلطان أهل الشرقية وعمان وجعلان، وعفى عنهم، ولم يعاقبهم بتماسكهم عنه أيام مقام قيس في القرم وبدبد، وجعل على اليمنية قاطبة، الشيخ ماجد بن سعيد البرواني، لأمور الحرب والسلم، وعلى النزارية كلها، مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي، والي نخل، وواخا بينهما، فامتزجا امتزاجاً حسناً، ومضى سلطان إلى

عمان، وأمر على سويلم بن سالمين، واحد من بني هناءة المشاققين خصيف بن مطر، أن يكمنوا له في المطرح، فإذا هبط إليها من الفلج، أن يقبضوه، ويقيدّوه، ويحسبوه في الكوت الغربي، ويقطعوا علية الماء، والزاد، فإذا مات يضعوه في قارب، ثم يلقوه في البحر المبتعد مسافة من الصّيرتين، فامتثلوا الأمر، فهبط خصيف ذات يوم إلى المطرح، ومعه أصحابة إثنا عشر رجلاً، ليقضي بعض الوطر في المطرح، فلما كان بسوق المطرح، نهضوا إليه، فقبضوه، وكتّفوه، وقيّدوه، وانهزم أصحابه عنه، وأتوا به إلى مسقط، فحملوه إلى الكوت الغربي، فحبسوه فيه، وقطعوا عليه الماء والزاد، فعاش خمسة أيام، ثم مات، فألقوه في قارب، فقذفوا القارب بمقاذيفة، فلما ابتعدوا من الصّيرتين ألقوه في البحر، فلما رجع سلطان إلى مسقط، أخبروه الخبر كلّه،فسرَه ذلك، ثم اصطلح هو ومحمد بن خلفان، وغزا سلطان شهبار مكران، ففتحها، ثم غزا القسم[1] بعدها، فخلصت له، ثم غزا بعدها البندر[2] وهرموز، فملكها، ثم مضى إلى ميناب[3]، فاستخلصها، فقويت شوكته، وزادت هيبته، ثم غزا جزيرة البحرين، ففتحها، وولى على أهلها سيف بن علي بن محمد البوسعيدي[4]، ثم عزل سيفاً، فترك مكانه ولده سالم بن سلطان[5]،

---

(1) القشم: القشم أيضاً، أسم جزيرة صغيرة في مدخل الخليج العربي.

(2) البندر: هي مدينة بندر عباس التي بناها الشاه عباس الأول، بعد هدم مدينة هرمز، بعد طرد البرتغاليين منها سنة ١٦٢٢ م.

(3) ميناب:اسم مدينة فارسية، تطل على شواطئ الخليج العربي، كان لها دور كبير في الحياة الاقتصادية طيلة عصر مملكة هرمز التجارية، منذ القرن الحادي عشر الميلادي وحتى قدوم البرتغاليين إلى الخليج العربي عام ١٥٠٨ م.

(4) سيف بن علي بن محمد آلبوسعيدي: والٍ، عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشرِ الهجريين، عندما زحف سلطان بن الإمام أحمد على البحرين، واحتلها دون قتال، عينه والياً عليها، ثم عزله، وولى عليها ابنه الأمير سالم بن سلطان. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٨٦.

(5) سالم بن سلطان بن أحمد آلبوسعيدي: وال، ولاه أبوه على البحرين، فتجمع عليه أهلها، وأُعيد إلى مسقط، ولما مات أبوه، تولى بدر بن سيفٌ الوصاية عليه هو وأخوه سعيد، فولاه بدر على بلدة "المصنعة" ليباعد بينه وبين أخيه، ولما طمع بدر في الانفراد في الحكم، دبر له سالم وسعيد مؤامرة، وقتلاه واستوليا معاً علي الحكم، وبعد ذلك أصبح السيد سعيد هو الحاكم الفعلي لعمان، استمر هذا الوضع حتى توفي السيد سالم مصاباً بالشلل في مسقط سنة ١٨٢١ م. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٧٦.

ومعه سويلم، والشيخ محمد بن خلف الشيعي، فلما أغاظ العتوب قعود محمد بن خلف الشيعي، وحكمه عليهم، نبذوا العهد، ورفضوا الميثاق والعقد، وأحاطوا بسالم ومن معه، وأحتشدوا عليهم من كل ناحية، وضيقوا عليهم بالحصر، ولم يكن مع سالم يومئذ بالبحرين إلاّبعض العسكر، ثم وقع الصلح بينهم على خروج سالم ومن معه، وعلى ما بأيديهم من السلاح وغيره، فرجع سالم ومن معه إلى مسقط، وقتلوا العتوب من البحارنه أهل البحرين، بعدما خرج [٩٣٩] منها سالم خلقاً كثيراً، وحازوا أموال البحارنه، فتفّرق أكثرهم إلى البلدان النائية عنها، وعذبوا من بقي منهم فيها بالنكال والضرب، وفعلوا فيهم غير الجائز، ودلفت بنو نعيم إلى صحار، فعسكروا بالعوهي، وقتلوا منها خلقاً كثيراً، كبيراً وصغيراً، فكتب قيس إلى سلطان بالنجدة، وسرعة الوصول إليه، فحشد سلطان من جعلان والشرقية وعمان، فاجتمع معه خلق كثير، وانضافا إليه أخوه سعيد، وسيف، وعلي وغيرهم، فلّما وصل سلطان بالجيش إلى صحار، جعل قيس يكاتب بني نعيم بالرجوع إلى منازلهم، ويعدهم بعد رجوعهم بشيء من المال، فأبوا، وكان قيس قد جمع جيشاً عظيماً، وفيه من رجال الظواهر خمسمائة رجل، فتعاهد قيس وسلطان بالركضة على بني نعيم، وجعلا على أهل الخيل سيف بن علي أميراً، فمضوا بجيشهم إلى بني نعيم، فكانت الملحمة بينهم بالدباغ، والدائرة على بني نعيم، فقتل منهم خلق كثير، المكثر يقول: من قتل من بني نعيم يوم الدباغ خمسمائة رجل، والمقلل يقول: بل قتل منهم يومئذ ثلاثمائه رجل، وقتل من قوم السّادة مائة رجل، فلما بلغ هزيم بني نعيم إلى وادي الجزي، مكثوا فيه، يرتقبون الظواهر الذين قاتلوهم في عسكر السادة، وظنت الظواهر أن لا أحد سلم من بني نعيم في تلك المعركة، فلما ارتفعوا من صحار، يريدون الجوّ، وبلغوا إلى وادي الجزي، ركضت عليهم بنو نعيم، فقتلوهم،و ما بقي من الظواهر احد، فكان عدد من قتل من الظواهر ثلاثمائة رجل وأخذ بنو نعيم ركاب الظواهر بما عليها كافّة، فلما رجع بنو نعيم إلى منازلهم، وقعت الحرب بينهم وبين الظواهر زماناً، ثم اصطلحوا، وشرع سلطان في بناء حصن الفلج، فلّما

أتمَّة، أسكن فيه بعض حرمه، فكانت أكثر إقامته فيه، وولى على مسقط خلفان بن ناصر البوسعيدي، فلما مات، ولى مكانه سيف بن مسعود البوسعيدي[1]، ثم عزله، فاشخصه إلى بهلا، وجعله والياً عليها، وولّى على مسقط سيف بن حنظل، ثم عزله، فولّى مكانه سليمان بن سيف بن سعيد الزاملي، ثم عزلة،فجعل مكانه خصيف بن خميس الوهيبي صاحب بركة ، ثم عزله ، فجعل مكانه خلوف مولى بني هناءة ثم عزله ، فجعل مكانه درة بن جمعة البلوشي ، ثم عزله ، فترك مكانه ماجد بن خلف ، ثم عزله، فبعثه إلى صور، فكان هو الوالي عليها، وعلى جعلان قاطبة، وولىّ على مسقط سيف بن محمد آلبوسعيدي، وبعث عبد العزيز النجدي الوهّابي الحريق، وهو خادم نوبي من خدامه، لحرب عمان، ومعه ممّا زعم كثير من الناس سبعمائة فرس، فطفق يحارب بني ياس طويلاً، ثم أدانهم، وجعل يحارب بني نعيم زماناً، ثم أطاعوه، وأطاعته الظواهر والشوامس، وسائر أهل الظاهرة أعرباً وحضراً، فأخذ زكواتهم، وما شاء من أموالهم، وأقام بالبريمي، وجعل يغازي الباطنة، وحالفت العتوب عبد العزيز النجدي، ودخلوا في مذهب التوهّب، وخوّفوا البحر، فجعلوا يأخذون كل سفينة قدروا عليها غصباً، ووقعت المناقرة بين [٩٤٠] حميد بن ناصر بن محمد الغافري، وبين سلطان بن الإمام، وسببها أن سلطان قد تزوج بابنة ناصر، أخت حميد بن ناصر الغافري، فأسكنها الفليج فماتت معه في الفليج، فطلب من أخيها حميد أن يدفع إليه نصف ماتركت من المال، وأرسل إليه مهنا بن محمد اليعربي بذلك، فلّما وصله، قال له ما قاله له سلطان، قال حميد: إننا بنو رمثه من عهد أجدادنا وآبائنا مالنا وقف مؤبد، فكل من صار منّا شيخاً، صار المال بيده ولإخوته الذكور، والإناث الكسوة والطعام منه لا غير، فلّما أكثر عليه مهنا الكلام، دفع له بعض حلّيها الذهب، فلما أتى به إلى سلطان، لم يرضه، فطلب

---

[1] سيف بن مسعود آلبوسعيدي: والٍ، عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجري، كان والياً على مسقط من قبل سلطان بن الإمام أحمد، ثم عزله عنها، وولاه بهلا، انظر " دليل أعلام عمان، ص ٨٧.

من حميد المواجهة، فأبى، فأضمر له سلطان الحرب، فجعل يبحث عن يبرين، فقيل له: إن حصنها شديد القوة، لا يأكله رصاص المدافع، وأخبروه أن أمــام الحــصن مدفع صفر من صفته وصفته، فأمر سلطان علي بن أحمد بن يوسف الــصحاري الصّقار، أن يعمل الحيله في كسر ذلك المدفع، فمضى أحمد إلى نزوى، فأقام بهــا، يعمل قدور الصفر، ومراجل الشكر، وغيرها، فلّما سمع حميد به، كتب إلى علي بن طالب والي نزوى، أن يبعث الصّقار إليه، ليصنع له مرجل صفر، لطــبخ لعــاب الشكر، وأخرج إليه من الحصن قطعاً من الصفر، فقال له: هذا صفر ضعيف غير نافع لمرادك، فقال له حميد: أقم أنت بيبرين، حتى أرجع إليك من العينين، فآتيــك بقطع صفر طيّبة، فقال له: سمعاً وطاعة، فمضى حميد إلـــى الظــاهرة، ومكــث الصّقّار في يبيرين، وجعل يعمل الحيلة في كسر ذلك المدفع، وينتظر الفرصة فيه، فكان من التوفيق أن صرخ صارخ بيبرين، فقال: امضوا إلى جماعتكم بني شكيل، فقد وقع حرب بينهم وبين بني هناءة، فمضى من كان في يبرين كافة، إلاّ من فـــي الحصن من أصحاب حميد، فوجد أحمد الصفار حينئذ الفرصة لكسر المدفع، فأكبّه من عجلة، وأوقد عليه النار، فكسر رقبته، فترك آلته، وهرب هو وتلامذتــه إلـــى نزوى، ثم رجع إلى مسقط، فأكرمه سلطان، وأعطاه فوق مراده، فلّما رجع حميــد إلى يبرين، أخبره من بها بما صنع الصفّار بالمدفع، وترك آلته، وهربه إلى نزوى، فوقع الحرب بين حميد بن ناصر، وأهل بهلا ونزوى، وكان الوالي يومئذ بــبهلا، سيف بن مسعود البوسعيدي، ووالي نزوى، علي بن طالب، وكثرت الغزوات بينهم، وكثر القتل، ومالت النزارية أهل الحمرا وسيفم والظاهرة إلى حميد بــن ناصـــر، ومضى سيف بن مسعود يوماً بأهل بهلا على حين غرّة، ليكسر فلج يبرين، فوقـــع بيينه وبين أهل يبرين ضرب تفق، فأصابته رصاصه، فرجع بمن معه إلى بهـــلا، فعاش ثلاثة أيام، ثم توفي، وعزم سلطان على الحج، فمضى معـــه أكـــابر عمـــان جملة، منهم مهنا بن محمد اليعربي، والشيخ محمد ابـــن مطـــر الــشرقي، [٩٤١] والشيخ ربيعة بن أحمد الرواحي، ونظائرهم، فلما مضت على مسيرهم أياماً، سرى

بدر بن سيف بن إلامام[1] ومعه بعض الرجال، من حبرا إلى مسقط سراً، فـدخلها ليلاً، فتعاهدا هو وماجد بن خلفان بن محمد الوكيل على أخذ الكوت الشرقي، وكان سلطان قد ترك فيه كومبو، خادم أخيه سيف بن الإمام، فأختفى بدر في تلك الليلـة، ببيت ماجد بن خلفان، فلما كان الليلة الثانية، مضى إلى الكوت الشرقى، ومعه براكا الصّرطة، خادم أبيه سيف بن الإمام، وخمسة رجال من أصحابة، وحمل معه كيساً فيه سبعمائة قرش، فلّما وصلوا إلى باب الكوت، دعوا كومبو، فأشرف عليهم مـن الكوّة المشرفة على الباب، فقال: من أنتم؟ فقال له بدر: أنا بدر بن مولاك سيف بن الإمام، أدخلني الكوت، ولك مني أن أتركك فيه مكانك، وخذ الآن مني القليل: فقال له: وما هو؟ فقال كيس فيه سبعمائه قرش، فأدلى كومبو إليه قفيراً، ووضع بدر فيه الكيس، فجعل كومبوا يجذبه بحبل إليه، فلّما ملك الكيس، قال لبدر: إرجع إلى حيث أتيت، فإن لم ترجع، ضربتك، وضربت من معك بالتفق، وجعل يرجمهم بالحجارة، فرجعوا، وأخبر بدر ماجد بما جرى عليه من كومبوا، فقال له ماجد: إياك والمبيت في مسقط، فرجعوا من ليلتهم إلى حبرا، فلم يمكث بدر فيها، إلاّ أياماً قلائل، إلى أن مضى، يريد أرض نجد، فلما وصل إلى عجمان، أرض راشد بن حميد النعيمـي، أقام بها، وأحسن إليه راشد، ولم يكن مع بدر، إلاّ ثلاثة رجال، فلّما مـضت عليـه بعض الأيام ارتفع من عجمان إلى الدرعيه، فحالف عبدالعزيز النجدي الوهـابي. ولما كان صبح تلك الليلة التي وفد فيها بدر على الكوت ومنعه عن الدخول فيهـا

---

[1] بدر بن سيف بن الإمام: هو بدر بن سيف بن الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي، وال، شـارك مع عمه سلطان بن أحمد باخماد التمرد الذي قام به محمد بن خلفان للاستقلال بمسقط، كما تولى الوصاية خلفاً لمحمد بن ناصر الجبري على سعيد وسالم وحمد بن سلطان، بعد موت أبيهم، ولما استولى قيس بن الإمام أحمد على البلاد التي كان يحكمها أخوه، وقف بدر ضدّه، واستطاع القضاء عليه بمساعدة النجديين، وبعد ذلك طمع في الانفراد بالحكم، فولى سالم بن سلطان على بلدة المصنعة، وأخوه سعيد على ميناء بركاء، حتى يتباعدا، ولكن السيدة موزة أخت سلطان أدركت مقصده، فدبرت له مؤامرة مع ابن أخيها سعيد، انتهت بمقتله. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٣٣.

كومبو، مضى كومبو إلى الوالي سيف بن حنظل[1]، وكان قد تركه سلطان واليا على مسقط، لما قصد الحج، فأخبر كومبو سيف بن حنظل الخبركله، وأعطاه الكيس، فقال له سيف: أما الكيس، اتركه معك، حتى يرجع مولاك سلطان من سفره، واكتم الخبر عن الخاصة والعامّه، وارجع إلى الكوت، وأقم به فلما أنصرف عنه، بعث سيف إلى براكا الصرملة، فلما أتاه قيّده، وأمر أن يحمل إلى الكوت الغربي، فحُمل، وحبس فيه، وقطع عنه الماء والزاد، فلما مات، أمر سيف أن يقذف في البحر، ففُعل به كما أمر، وبقي ماجد في خوف شديد من سلطان، فلّما رجع سلطان من الحج، وأُخبر الخبر كله، قيّد ماجد، ثم أطلقه بعد ثلاثة أيام، وسأل عن أخيه بدر، فقيل له: مضى إلى الدرعية، فقال سلطان: لومكث في حبرا، لعفوت عنه، فإن مسيره إلى الدرعية هو لنا الرزية من قبل أهل الغرب. وأغارت بعض أعراب الظاهرة وحضرها على أطراف السويق، فلما بلغ الصريخ إلى سلطان، أمر علي محمد بن أحمد الوهيبي، ومن معه من بني عمّه أن يتبعوهم،فمضى محمد و من معه من بني عمه و أهل البلد و بعض الرجال من بني قرين ، فأتبعوا القوم ، فلما قيل لهم دخلوا وادي الحميلي، دخلوه، ولم يشعروا بالقوم، أنهم قبضوا عليهم حلق الوادي، وقبضوا رؤوس جباله عليهم، فلّما توسط محمد بن حمد الوادي ومن معه، [٩٤٢] من الرجال، جعل أهل الظاهرة يضربوهم بالتفق من رؤوس الجبال، وركض كمينهم الذي ببطن الوادي عليهم، فقتل محمد بن حمد، ومعه من جماعته وأصحابه سبعون رجلاً، وما سلم منهم إلاّ قليل من القتل، فلمّا وافى الخبر سلطان، اشتمل عليه الحزن والضيق، وارتفع من بركة إلى الفليج، وأرسل إلى مهنا بن محمد اليعربي و إلى نخل، أن يأتي إليه، فلّما أتاه الخبر كلّه، وأظهر الكآبة من قتل

---

[1] سيف بن حنظل آلبوسعيدي: والٍ، عاش في أواخر القرن الحادي عشر الهجري وأوائل القرن الثاني عشر الهجري،ولاه السلطان سلطان بن الإمام أحمد بن على مسقط، بعد موت واليها خلفان ابن ناصر آلبوسعيدي، ثم ولاه بهلا، ثم ولاه مسقط مرّة أخرى. انظر: دليل أعلام عمان، ص٨٥.

محمد بن حمد وأصحابه، ثم قال: إعلم يا مهنا بأن الجبال التي أقاتل بهـا الرجـال اندكّت، و ما بقي معي أحد ممن يثق به قلبي، وهذه الحرب متفاقمة علينا من كـل جانب، وسمعت أن الحريق قد أقبل من الدرعيه إلـى عمـان، والآن هـو مقـيم بالبريمي، ولا بدّ له من دلفة إلى صحار، أو غيرها من البلدان، فما رأيـك بهـذا الشأن الذي شأن، فقال له منها لا تضق ذرعاً، فإن بالـشرقيه وجعـلان وعمـان مصاليتاً أبطالاً أشد قوّة من الذين فقدت، ولو كان عمان بها سبعون شجاعاً فقط، ما سكنّاها، ولا استوطناها، والرأي أن تكتب إلى السّادة جماعتك آل أبي سعيد، وتكلّم ما شئت عندهم في هذا الشأن، واعرف المائل إليك منهم، والمائل عنك، وأما أنـا، فصاحبك الثابت على عهدك وطاعتك، لا عوض لي عنك، أحارب مـن تحاربـه، وأصالح من تصالحه، فاستحسن سلطان كلامه، وكتب إلى أكابر آل أبي سعيد كافة، فأتى إليه محمد بن خلفان بن محمد الوكيل، وأحمد بن سعيد بن أحمد الإمام، وأخواه طالب ومحمد ابنا الإمام، وسيف بن علي، وعلى بن طالب، وعـزان بـن قـيس، وسائر أكابر آل أبي سعيد، فلما وفدوا عليه في بركة، أرسل إلى مهنا بـن محمـد والي نخل، فاجتمع بهم، فأحضرهم سلطان في الغرفه العاليه من حـصن بركـة، فقال: أيتها الجماعة، لقد علمتم بقتل أصحابي بوادي الحميلي، فبقيت بعدهم ككـف بلا أصابع، وهذه الحرب متفاقمة علينا من كل مكان، وصار الصديق لنـا عـدواً، والمحب غير نافع لنا في هذه الشدائد، وبلغت القلوب الحناجر من الـضيق، فمـا رأيكم في هذا الشأن، فسكتوا، ثم عاد عليهم الكلام ثانية، فسكتوا، فتكلّم، سيف بـن علي بن محمد: إن كنت تزعم أن لا بقي أحد من أهل عمان له شدّه علـى مقاتلـه الأعداء، بعد قتل محمد بن حمد الوهيبي وأصحابه، فما زعمنا كزعمك، إذ لانـشك بعمان ممن هم أشدّ منهم قوّة على الحرب، فما نحن بجازعين من الوهابية وغيرهم، فإن قلوبنا التي نمضي بها الخصم مكانها، والسيوف التي نضرب بها الأعداء على أكتافنا، وما طعم الحرب لنا، إلا كالمنّ والسلوى، ولاخير في مقال، لايزكيه الفعل، وليعلم الوهابيون، والاضداد المجاهرون أي منقلب ينقلبون، ثم سكت، فتكلم بعـده

البوسعيديون، وقالوا: كلامنا في هذا الشأن، كلام سيف بن علي، فبينما هم في مجال هذا المقال، أتي رسول قيس بن الإمام إلى سلطان، فأنفذ له كتاباً مختوماً، فلما قبضة سلطان، وقرأه، قال لهم: إن قيساً ذكر في كتابه بدلفة الحريق إلى صحار، وأنه قد عسكر بقومه في العوهي، وقيس يسألني النجده، ويستحثني إليه بالوثبه، فليرجع كل واحد منكم إلى وطنه، ويأتيني بما عنده من الرجال، [٩٤٣] والموعد بيني وبينكم بالخابورة، فبعث سلطان كتبه إلى أهل الشرقية وجعلان وعمان، أن يأتوا إلية بحامل السلاح، وكتب إلى أخيه سعيد بن أحمد، أن يبعث له ما حصل من قومه، وأمر على مهنا أن يأتيه إلى الخابورة بمن معه من الرجال، ومضى سلطان إلى مسقط، وجهّز مركبه الفلك، ووضع فيه من آله الحرب والتمر والأرز شيئاً كثيراً، وحمل معه على طريق البر عشرين ألف قرش، فوافاه المركب الفلك، وهو يومئذ بالخابورة في بحر الخابورة، وأجتمعت مع سلطان أقوام كثيرة، فزعم بعض الناس أن عدد أولئك القوم ثلاثون ألفاً، والله أعلم.

وجمع قيس عسكراً، وكان عددهم مما زعمّ بعض الناس أثني عشر ألفاً والحريق الوهابي يومئذ معسكر بالعوهي، ولم يشعر أن قيساً وسلطان قد جمعوا لدلفته جنوداً كثيرة ولا قليلة، وكانت كتب قيس لاتغيّب سلطان عن أخبار الحريق، فلما عزم سلطان على النقله إلى صحار، أتاه رسول قيس بكتابه، إن الحريق لمّا أخبر بجموعنا، انهزم ليلاً من العوهي، وأحرق خيامه، ورجع إلى البريمي، فلمّا وصلها، لم يمكث فيها إلا قليل، إلى أن رجع إلى نجد، ولمّا علمت القوم برجوع الحريق إلى نجد، وبقوة سلطان، تركوا التوهّب، ومالوا عن عبد العزيز، وصالحوا سلطان، وأصطلح حميد بن ناصر وسلطان، وخمدت الفتن. وذهبت الإحن، وفي سنة تسع عشرة ومائتين وألف، عزم سلطان المسير إلى البصرة بنفسه لأخذ القانون الجاري من أهل البصرة إلى حاكم عمان من عهد الإمام أحمد بن سعيد، فجعل الوالي على مسقط سيف بن محمد البوسعيدي، وقال لمهنا بن محمد اليعربي، والي نخل: كن عني عيناً ويداً وسيفاً حتى أرجع من البصرة، فمضى على مركبة المسمى جن

جاور، فلما وصل إلى البصرة، واجهته أكابرها، وألقوا إليه زمام الطاعة والإذعان، وسلّموا له القانون، فمكث في البصرة بعد ذلك أياماً قلائل، ثم رجع بمركبة، يريد مسقط، فلما بلغ دون لنجة[1]، هبط من المركب إلى سفينة صغيرة، تسمى البدري، يريد أن يمضي خورته لنجدته هبط من المركب إلى سفينة صغيرة تسمى البـدري يريد أن يمضي خورته إلى البندر وهرموز، وأمر على أهل مركبة أن يمكثوا فيـه حذى القسم، حتى يرجع، فيهبط من البدري، فيطلع في المركب، فـصادف بعـدما فارق المركب ثلاثة سفن للشويهين، وهم طائفة من الهولة أهـل جلفـار، وكـان مصادفته لهم ليلاً مضى نصفه، وقد ضاقت سفنهم بكثرة عددهم، ولـم تكـن مـع سلطان في سفينته البدري، إلاّ بعض عبيده وسائر الأحرار، فصاح الشويهيون على أهل البدري : لمن السفينه ؟ فقال لهم سلطان بنفسه: لسلطان بن الإمـام، فقـالوا : نحن طلبه، سلطان، فقال : ارخوا اشرعتكم، والحرب بيني وبينكم بعد صلاة الفجر، فأرخوا أشرع سفائنهم، وأمر على بحارة البدري أن يرخوا شراعها، فبـات الكـل يرتقب الفجر، وأشار إلى سلطان بعض أصحابة أن يهبط إلى ما شـوة البـدري، فيقذفون به إلى المركب، وقالوا له: هو غير بعيد منّا، ونخال إذا لاح الفجر وصولنا إلى المركب، فقال له: يأبى الله أن أفرّ [٩٤٤] من الرجال، ومن القتال، فلمّـا لاح الفجر، وصلى، وفرغ من الدعاء، قال : قرّبوا السفينة إلى سفنهم، فلما كانوا بالقرب منه، وقع الحرب بينهم، فجعلوا يرسلون إليه الرماح، وهو يقدّها بالسيف، ويـزأرُ عليهم زئير الأسد، وهم على وتيرة، بإرسال الرماح إلية، وهو يقدها بالسيف، حتى عزموا على الفرار منه، فرماه بعضهم، وهو أقذر من قـذار، برصاصـه تفـق، فأصابتة بالفم، فمات من ساعته، فلما سمع الشويهيون بكاء أصحابه عليه، أحـاطوا بالبدري، وهجموا على أصحابه، فلما رأوا و رأوا سلطاناً قد مات، نهبوا ما أرادوا من السفينة، ورفعوا السيف عن أصحابه، فرجعوا إلى بلدانهم، ومضوا على البدري

---

[1] لنجة: أو بلنجة، جزيرة على مدخل الخليج العربي.

أصحاب سلطان إلى لنجة، وأهبطو إلى البر، فلما أخبروا أهل لنجة بالواقعة، ساءهم الأمر، واستولى عليهم الكدر، ثم حنطوه، وكفنوّه، وصلوّا عليه، وقبروه، وأخبروا أهل القسم أهل المراكب بقتل سلطان، فكادوا أن يتميزّوا من الغيظ والضيق، فرجعوا إلى مسقط، فسبقتهم البدري، فلما وصل أهل البدري إلى بركه، أهبطوا خادماً نوبياً من خدّام سلطان إلى البّر، وقالوا له: إمض إلى الفليج، وأخبر بنت الإمام والسيد سعيد بن سلطان بالرزيّة، ولاتخبر أحداً، قبل أن تخبرهما، وكانت بنت الإمام والسيد سعيد يومئذ بالفليج، فوصلهما الخادم بعد صلاة العشاء، فلمّا أخبرهم كفوّا البكاء، وركبوا خيلهم وركابهم، ومضوا إلى مسقط، فصلوا الفجر في روي، ووصلوا المطرح قبل طلوع الشمس، فلما أتوا إلى مسقط، تحصنّوا في الكوت الغربي، وكان سيف بن محمد قد توفي، قبل أن يأتي نعي سلطان بأيام قلائل، فعقد مكانه الشيخ درّه البلوشي، وزلزلت مسقط يومئذ بالخوف والذعر، زلزالاّ شديداً، وغلّقت أبواب السور، ثم فتحت، فكانت دولة أيام سلطان وإقامته في الملك إلى أن توفي ثلاث عشرة سنة، إذ هو احتوى على الملك في السنة التي مات فيها حمد بن سعيد الإمام، وهي سنة ست ومائتين وألف، وقتل سلطان في اليوم الثالث من شعبان سنة تسع عشرة ومائتين وألف بغير خلاف، وخلع سعيد بن الإمام الملك على ولده حمد سنه مائتين وألف، فلبث في الملك إلى أن مات ست سنين، وكان قبل استيلاء حمد على الملك، قد أشتد الجدب والمحل على عمان عامّة، فمات أكثر نخلها وشجرها، وهرب من المحل أكثر أهلها إلى أرض الباطنة ومسقط، وبلغ دلو الماء بالمطرح بعشرة فلوس حيث أن أهل الآبار حموا الماء، وأذادو الناس عنها، فجعلوا يبايعونهم ماء الدلوا بعشرة فلوس، ولما آل الأمر الى حمد، خرج بالناس الى الإستسقاء، فصلى بالناس أول يوم بالوادي الكبير، وفي اليوم الثاني بالوادي الأوسط، وباليوم الثالث بالوادي الصغير، فلما صلى الناس، وأنصتوا في الدعاء، لاحت سحابه في السماء، فأبرقت، وأرعدت، واكتست السماء بالسحاب، فانهل المطر، فكان انهلاله من أفواه السحاب، كانهلال أفواه القرب، [٩٤٥] فركب

حمد فرسه وأحثها، فما بلغ الجزيرة، إلا ومياه الأودية قد بلغت البحر، وعم الخصب عمان، ورجع أكثر من بقي من أهلها إليها، ورخصت الأسعار، وكثرت الأثمار، ولما آل الملك الى سلطان، واستولى عليه كثر المطر بعمان، وأغرق الماء الحلل الخارجة من باب الصغير، فكان أهل سداب، إذا أرادوا الوصول إلى مسقط، يعبرون إليها على أخشاب صغار، وهي التي يسميها العامّة باللغة الإصطلاحية الهواري، فإذا أرادوا الرجوع إليها، ركبوا الهواري من باب الصغير إليها، وقد بلغ الغرق من باب الصغير إلى آخر التكية، وانحدر ماء الوادي من رؤوس جبال وأوديتها إلى البحر، غير منقطع، ولبث السيل ستين يوماً، تارة ثرّه وتارة رهام، وبتلك الستين اليوم، لم تر عين شمساً ولا قمراً ولا نجماً، وانقشع السحاب بعد الستين اليوم، فلاحت الشمس، وخرجت الناس إلى الأسواق، وذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

واستوى على الملك السيّد سعيد بن سلطان بن الإمام، بعد موت أبيه، ورضي سالم أخوه بتقدمته في الملك عليه، فكان له كفاً، وسيفاً، وأثنت الناس على سالم، لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فحسن صنيعه، وكان مواظباً للصلوات، محباً لأهل الورع والزهد، تيقاً إلى الشعر، محسناً لأهل النظم والنثر، مكرماً أهل العلم، والفقراء، والمساكين، وكانت وفاته بداء الفالج في مسقط، سنه ست وعشرين ومائتين وألف، فأما السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، فقد رثته جملة من الشعراء، ورثاه الشيخ سالم بن محمد بن سالم الدرمكي بقصيدة بائية، مطلعها شعراً:

عجب جرى في ذا الزمان عجاب ... أسد الأسود سطت عليه كلاب[1]

---

[1] انظر البيت في، ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص٣٨٩.

ورثاه الشيخ الفصيح سيف بن ناصر بن سليمان بن مبارك بقصيدة دالية ومطلعها شعراً:

لا تبتئس من شامتٍ ومفنّدِ   أبداً ولا تسمع مقالة حَسد[1]

ورثيته أنا بقصيدة نونية، وكنت مبتدئاً في ذلك الزمان بنظم الشعر:

ذكر بعض الأنام يشجي الجنانا   ويهل الدموع منّا جُمانا
كلّما نصّت الرواة حديثاً   عنهم أورث الحشى هيمانا
لم تكذّب إذا سمعت حديثاً   عنهم يبهر النهى إنسانا
ما انكبابي بالجمر بالنشر يحكي   ذكرهم إن سمعته إعلاناً
دونهم في العلّو كيوان إن فشت   علوا بمجدهم كيوانا
وإذا ما اللسان حاول مدحاً   لسواهم بالمنع عضّ اللسانا
أيها الجاهل الذي عرف الحق   دع الجهل فالزمان زمانا
ما ترى الحادثات للمرء تبدي   كل يوم من الرزية شانا [946]
كل عيش يراه مرّ مرياً   فهو مرُ به لشوب الهوانا
بينما وهو في سرور وأفدا   ن قصور لم يعرف الأحزانا
إن تغشّى تظله دوحة السمر   وقد ظلل الأنام الأمانا
يجتني كل غبطة وسرور   وينيل الأرامل الإحسانا
فأتاه سهم القضا فغدا في   اللحد يقري لحومه الدّيدانا
تتباكى الأحباب شجواً عليه   ومناويه لم يزل جذلانا

---

(1) المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

تنحب الـريح ذيـل خـرت إذا مـرّ ت بتـــوارب قبـــره أحيانـــا

وعليـه الـسحايب البـيض والـسّود بــــدمع تقّــــرح الأجفانـــا

وغـــدا بعـــد اســمه للبرايـــا خبراً كــان فــي الزمــان وكانــا

مــن يــرى مــصيره كيــف يلتــذُّ بعـــيش يغـــازل الغزلانـــا

ويعـــد المفـــاتح الخيـــل للفـــتح ويهـــوى الكنـــوز والأفـــدانا

إنما الــرزء قــد تفــاقم والخطــب غـداة النّــاعي نعــى ســلطانا

لا تــرى غيــر أعــين يــوم وافــا ناعيـــاً تـــسفح الـــدّما غـــدرانا

وعويل لولا الـصدى خلـت تبكـي قلـــل الـــشُّم حـــسرة كبكانـــا

وجـــدير لـــو أن تـــأتي بـــشجوٍ كـــرة الأرض والـــسماء دخانـــا

ياله مــن مــصاب قــد عّــم قحطــا ن وقــد خــصّ بــالجوى عــدنانا

إنما البــيض فــي الغمــود تباكــت وتــشاكت مــن الأســى أشــجانا

والجيــاد الــصّلادم الخيــلُ طــراً قــد دهاهــا مــن رزئــه مادهانــا

يــا قتــيلاً لــم يكتــب أمــوي كاكتــابي لـــه علـــى عثمانـــا

ومن الرزء أن يصول علـى الـضرّ غــام كلــب يكّــشر الأســـنانا

و تـــشيم العيـــون صِـــلاًّ ســـقاهُ كاس حتف مــن شــمته عقربانــا

إنمـــا الباســـل الـــشجيع إذا آن رداه لـــم يـــسق حتفـــاً جبانـــا

أتظـــن ابـــن مُـــرةٍ لكليـــب كفــوءا حــين فيــه هــزّ الــسّنانا

ومـــوالي أخيــه إذ كــشفوا البيــضة كفـــوا لـــه ســـلوا شـــيبانا

وقتيــل الطفــوف هــل شــمر كفــو لـــه وهـــو يغـــرس الفرســـانا

لا وربي وما قضى الندب سلطا ... ن سوى الخصم منه عضّ البنانا

كم هجان تجرّع الحتف من ما ... ضيه ضرباً بالجبن يوصي الهجانا

وعداه لا تقرُّ لمّا أتته ... بسفين عوائمٍ عدوانا [٩٤٧]

وهو لم ينوِ حربهم فأطاعوا ... إذ عصوه وحربه الشيطانا

فرأوا لَما يسوءهم إذ غدا اليمُّ ... بقوافي نجيعهم أرجوانا

هاهم والجسوم يأكلها الحو ... تُ وتسقي دماهم المرّانا

يتلقاهم بطعن وضرب ... هزبري يبددّ الأبدانا

والحسام إذا يحزّ طُلاهم ... فيطير الشرار منه عنانا

وتولوا عنه ورامٍ رماه ... بسهام لا يعرف الإيمانا

فغدا الأفق حين ما نظر الحين ... يزجي سواده ألوانا

وأصاب العمى عمان ومن كا ... ن بإمكانه يثيب عُمانا

أي يوم إلاّ القيامة يحكي ... رزء يوم نعيُّه وافانا

لا ترى غير أعين تسفح الدمع ... وهول يشيبّ الولدانا

كالحسان الرّجال في مأتم الحر ... نِ أو تزدري الرجال الحسانا

أه قد دكت الأعادي تهاماً ... و ثبيراً أو قدس أو بهلانا

طلب الربّح قاتلوه ومن سبيله ... بالثأر صادفوا الخسرانا

خلعا الحزن عنهما بدم الخصم ... فلم يتركا لخصم مكانا

وقرى الخصم بعد إيراق أنسٍ ... أسكناها الغراب والسرحانا

أترى سالماً يسالم من كا ... ن عدواً لم يترك الطغيانا

لا وما لي سعيد ويبقي عدواً ... قاسمياً يصرع الشجعانا

كل يوم يشنّ حرباً لأ حزا ... ب الأعادي ويقتل الأحزانا

لا يزال اللحاظ والسمع للد ... هر نداه والروّح والريحانا

ملك كفُّه إذا السحب لم تسبل ... كانت لوفده سيحانا

وأخوه في الزهد يحكي أويساً ويحاكي عدلاً أنوشروانا
لم يزل يقطع الدّجنة تسبيحاً ويفني نهاره قرآنا
وله في الوغى بسالة ليث يترك الأسد بالبسالة ضانا
ملك ذوديانه ينصر الد ين ويُرضي بعدله الرحمانا
حبّذ سالم ونعم سعيد حيث كانا لم نعدم الإمكانا
كل شيء نعدّه بهما لا يتناء ى مناله عن مُنانا
يا بني الأزد فانصروا ذاً و هذا ثم كونوا ما عشتم إخوانا
واضربوا هام من ترون عدوّاً قاسمياً عنكم نأى أو تدانا [٩٤٦]
فعلى ذا صوارم المجد لم تأ لف يا أيها الصارم رانا
وعلى ذا ميزان مجدكم والحمد يُرضي بثقله الميزانا [١]

وقد رثيت ولده السيد سالم بن سلطان بقصيده همزية، عددها ٢١بيتاً:

عزاء وللحرّ الحليم عزاء إذا ما أتته ترحة وبلاءُ
فكل فتىً لاقٍ بمن قد لقي الأولى من الفقد والدنيا عناً وعياءُ
وما الحتف إلاّ منهل يردونه رجال ينابيع الحَبا ونساءُ
وهل ينكر المرء الثرى إنه له مهاد ولم ينقل إليه ثراءُ
وكيف يكون النكر من ثغر معدم ومثراهم بالرغم فيه سواءُ
وإن يكن التسليم للأجر سلماً فترك البكا للثاكلين بكاءُ[٢]

ورثيته بقصيدة بائية، عددها أربعون بيتاً، من البحر الوافر، شعراً:

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.
[٢] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

ألا اسقوا الـــدمع ربعكـــم الجــديبا وشـــــقوا شـــقّ جيـــبكم القلوبــــا
وضجواً بالنحيــب فـــأي عـــذرٍ لكــــل موحــــدٍ يــــذر النحيبـــا
لقـــد هتـــف الغـــرام ألا أجيبـــوا دواعـــي الحـــزن شـــباناً وشـــيبا
وســـحّوا بالـــدموع دمـــاً عبيطـــا يغـــادر خـــد ذارفـــه خـــضيبا
لقد نسف الـــردى علـــم المعـــالي فأصــــبح يـــوم نادبــــه عـــصيبا
بنفسي لو فـــدى بـــالنفس نعـــش تـــضمن ســـيّداً ثقـــة نجيبـــا
مـــن الأزد الكـــرام الـــشمّ قرمـــا تـــضوع بـــذكره الأرجـــاء طيبـــا
أقـــول لخلتـــي لمّـــا تـــوارى ســـناه وشـــقق القـــوم الجيوبـــا
يحق لـــرزء ســـالم كـــل قلـــبٍ تقلبـــــه الكآبـــــة أن يـــــذوبا
مليـــك قربـــه عـــذب فـــرات لمن يـــشكو مـــن العطـــش اللهيبـــا[(١)]

ســـقى الـــرحمن قبـــراً حـــلّ فيـــه فتـــى ســـلطانه غيثـــاً ســـكوبا
وآنـــس جـــسمه بجـــسيم فـــضل ووفـــيّ روحـــه الهـــول المهيبـــا
وعنـــه محـــا وكفّـــر كـــل ذنـــبٍ وحـــوبٍ فهـــو قـــد يمحـــو الـــذنوبا
لقـــد ســـاد الأنـــام بقـــدس عـــدلٍ وجـــاور ربّـــه ثقـــة منيبـــا[(٢)]

ورثيته بقصيدة رائية عددها تسع وأربعون بيتاً، من البحر الطويل:

مـــصاب يكـــاد الـــيم منـــه يغـــورُ أســـىً وتكـــاد الأرض منـــه تمـــورُ
فجد بدموعٍ تطف بعض لظى الجوى فإن الحـــشايا بـــالهموم تفـــورُ[٩٤٩]
وخفضّ جناح الذّل للحزن فـــالنهى تطيَّـــر بالبرحـــا فكـــاد يطيـــرُ
وإياك شق الجيب إن كنـــت نادبـــاً فتـــى لرزايـــاه تـــشق صـــدورُ

---

(١) انظر القصيدة في: ابن رزيق، حميد بن محمد: سبائك اللجين، مخطوط، ص ٥٨–٥٩ –٦٠.
(٢) بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابـن رزيـق الأدبيـة والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

أيرجو امرؤ منا سروراً وسالم رهين تراب جاورته قبورُ
فتى إن تسلْ أُخبرك محيّاه جنّة وأما فناه للأنام سعيرُ

سقى الله قبراً حلّه مدمع الحيا إلى أن يثير القارضين نشورُ
ولقاهُ إحساناً يرفُ بنعمة تلوح عليها نضرةُ وسرورُ[1]

ورثيته بقصيده لامية، عددها أربعون بيتاً، من البحر الكامل:

خدع المنى ووساوس الآمال بالوهم ضاحكة على الآجال
ومواهب الأيام أصدق نيلها طرف يطوف بهن طيف خيالِ
ووسامة الدنيا وبهجة أهلها رقراق مهمهة بماء الآلِ
فذر المطامع ما الإقامة في الدنا لك بالإقامة وهي دار زوالِ
أجهلت أن سرور دهرك ناصب لك موبقات حبائل الأغوالِ
فاعمل لنفسك صالحاً فعساك أن تحظى بحسن خواتم الأعمالِ
واعلم بأنك من تحبُّ مفارقُ ومفارق نظر البذي العالي
ومصير ذي الدنيا وروقة أنسها والقاطنون بها إلى اضمحلال
من ذا الذي قضى ضياعصباحه وحبائله ناج من الأوجالِ
من ذا الذي في الدهر بات بليلة تركته أرومها سليم البال
هيهات ما الدنيا تباركه سُدىً قلب امريءِ منا بلا بلبال
وأجلّ ما شاهدت من أتراحها لما فجعت بسالمٍ المفضالِ

وقلت في أواخرها:

---

[1] انظر القصيدة في ابن رزيق ، حميد سبائك اللجين ، مخطوط ص ٢٨٥-٢٨٨.

فسقى المهيمن رمسه من مزنه ... تذري عليه بمدمعٍ هطالِ
وأثابه أضعاف ما أولى الورى ... وأتابهم بوميض نوٌ نوالِ
والله ذو عفو يخوّل عبده ... في عدنه بأرائك وحجالِ[1]

ورثيته بقصيدة ميمية، عددها إثنان وأربعون بيتاً، من البحر البسيط:

لمثل ذا الرزء فلتبكي العيون دما ... اليوم زعزع ركن المجد وانهدما
الله أكبر غاضت كل مكرمة ... وفاض لُجَيٌ بحر اليم والتطما [٩٥٠]
فالآن من غرقِ الأحراب لست أرى ... إلى النجا شاهقاً أوى به علما
لاغرو إن سال دمعي في الخدوددماً ... أواشتكت عضّ أسناني يدي ندما
أ أطرح الهمَّ والأحشاء قد نفخت ... فيهن للشجو أفواه الأسى ضرما
وكيف لي باحتمال الصّبر من نُوبٍ ... سودٍ تبيّض من إلمامها اللّمما
فما تركن قواماً غير منقصم ... منا ولا عظم إلاّ انهاض وانهشما
واحرّ قلباه من رزءٍ تضرّمه ... فلم يدع قُلّبيّاً قلبه شبما
وكيف لم تسكب الألحاظ مدمعها ... وقد شكت مقّلة الدين الصحيح عما
إرادة الله فينا لا مردّ لها ... وعلّة الموت يُعي بُرؤها الحكما
فما ظننتُ أرى رضوى لعظمتها ... بأن يصير لنا أمجاده عدما
ولا توهمت بدر التمّ تودعه ... بطن التراب وأصلاب الصخور سما
حتى رأيت طلى الأعناق حاملة ... إلى الثرى قمراً يستهلك الظلما
فقلت ويلاه مات الدين وانطمست ... ربوعه فاندبوا ذا السّيد الحكما
أبعد سالم من يولي الأنام ندى ... وقد أمات قناة العزّ والكرما
ملك تزلزلت الدنيا لنقلته ... عنها وأورثها الأوصاب والسقّما

وقلت في أواخرها:

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

أثابـــه الله إحـــساناً ومغفـــرة كمـــا أثـــاب بأســـناً فـــضله الأممـــا
وبلّ باللطف قبراً ضم أعظمـــــه ما انهلّ مدمع جفن الغيث منسجمـــــا[1]

ورثيته بقصيدة ميمية، عددها ثلاثة وأربعون بيتاً من البحر الخفيف:

غاض بحر النوال فاسقوا الرسومـا أدمعـــاً تفـــضح الهمـــول الغيومـــا
وانثروا في الخـدود ممّـا جنيـتم مـــن مهـــى لّجـــة الجمـــان النظيمـــا
واحطموا في صفاالأسى سفن السلوا ن حطـــم امـــرئٍ أسَـــرَّ الهمـــو مـــا
قد دهيتم كما دهيـت أولـى الحـز م بخطـــب يقـــضقض الحيزومـــا
لا رعى الله سوء خطـب بـه الأر واح كـــادت أن تبلـــغ الحلقومـــا
ما رأى الطرف قبله يـوم صـبح يـــوهم القـــائلين لـــيلاً بهيمـــا
ثم لمّـا اغـتلا لـه نقـع شـجو أوحـــش النـــاس لونـــه والـــصريما
فاسـتحال النعـيم منـه جحيمـاً واســـتحال المعـــين منـــه حميمـــا
وغـدت ترجـف الـدنا بعويـلٍ ينسف الرشد أويـدكّ الحلومـا [٩٥١]
وسـفاها لنـادب ينـدب البـد ر ولـــم ينثـــر الـــدموع نجومـــا
بـأبي والجـدود والآل ملـك يقـــضم العظـــم فقـــده والجـــسوما
علّه الدهر كأس حتـف فأضـحى كـــل قلـــب للمـــشجيات نـــديما
لـم يـدع رزء سـالم كبـداً لـم تـــشكو مـــن وقعـــة الهمـــوم كلومـــا
وإذا ما أدرت فكرك فـي الأجسا م قلـــت احـــتملن خطبـــاً جـــسيما
دقّة في الأسى يعـزّ بهـا المـرء كمـــا يعتـــزي اللـــديغُ الـــسليما
فأدر فـي الأنـام لحظـاً وفكـراً تجـــد الـــشجو بالخـــصوص عمومـــا
وأقـلُ الجـوى إذا المـرء أعـلا نفـــساً ومـــجّ النـــسيم ســـموما
فتوقـوا تنفـسي فهـو لـولا لطف ذي العرش كان ريحـاً عقيمـا
واحذروا مـدمعي فلـولا تقـى الله لأجرتـــــه مقلتـــــاي جحيمـــــا
فتأسـوا أولـي الـوفى فهـو رزء قـــد عرفنـــا كريمـــه واللئيمـــا
فحمدنا الكريم فـي الـشجو فعـلاً وذممنـــا بـــه البخيـــل الـــذميما

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابـن رزيـق الأدبيـة والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

وقلت في أواخرها:

يــا إلــه العبــاد أســألك الفــو	زغــدا والرضـــى لـــه والنعيمـــا
وأقله العثــار فـــي يــوم لا يــسأل	مـــن هولـــه الحمـــيم حميمـــا
واسقه ما ســقيت أصــحاب عــدنٍ	ضــــرباً أو رحيقـــك المختومـــا[1]

ورثيته بقصيدة نونيّة، وعددها ثمانية وثلاثين بيتاً، من بحر البسيط، فقلت:

عضوا البنان فظعن الحـظ قـد بانـا	وقرحـــوا لجفـــا اللـــذات أجفانـــا
وحطّموا الصدر بالراحات وادكـروا	في الربع من زمن الراحـات ماكانـا
ولا تميلـــوا إلـــى الـسلوان إن لنـــا	قلباً يــرى البحــر للـسلوان سـلوانا
لقد دعا الناس داعي الحزن فـامتثلوا	لأمـــــر دعوتـــــه شـــيباً وشـــبّانا
وكلـــف النـــاس إذ تهمـــى نواظرنـــا	دّراً فـــساقطت التـــذراف مرجانـــا
فمـــا رأى بتبـــاريح المـــصاب أخـــاً	منّـــا لدعوتـــه فـــي الـــشّجو خوّانـــا
لمّا دعانـــا إلـــى الأشـــجان قاطبـــة	طرنـــا إليـــه زرافـــات ووحـــدانا
حتـــى لقـــد قـــال قالينـــا مـــشافهة	لله درّكـــــم للرفـــــق أخـــــدانا
وافيـــتم فغـــدت آيـــات فـــضلكم	لمـــن تـــصوف بـــالتبريح برهانـــا
ولم تزل في بحور الـشجو أنفـسكم	تطفوا وترسب أسراراً وإعلانا [٩٥٢]
ومـــنكم هـــدت الأحـــلام داهيـــة	تهّدُ لـــو ناطحـــت رضـــوى وثهلانـــا
ولو تجلّت لشمس الأفـق لانكـسفت	حتى يقـال شـعاع الـشمس مابانـا
فالأرض من شـؤمها تـرتّج مائـدة	وتـــشتكي بلـــسان الحـــال أحزانـــا
يصيح في ظهرها بالويل كـل فتـى	يغـــشى العرائـــك بـــسّاماً وجـــذلانا
إني امرئٌ لوشممتُ الريح وهى رخاً	رددتهـــا بـــشهيق الـــصدر نيرانـــا
إيـــاكم ودمـــوعي فهـــي محرقـــة	فلـــو يكفكفهـــا كـــف امـــرىء بانـــا
لاسلّم اللّهُ مـن داء العمـى بـصراً	لـــسالم لـــم يهـــلّ الـــدمع تهتانـــا

[1] انظر القصيدة كاملة في: ابن رزيق، حمد بن محمد: سبائك اللجـين، مخطـوط، ص٦١٠-٦١١- ٦١٢.

كم واصل الصبح تهليلاً وحوقلة وقطع الليل تسبيحاً وقرآنا
أثابه الله إحسانا ومغفرة كما أثاب الورى فضلاً وإحسانا[1]

ورثيته أيضاً بقصيدة نونيّة، عددها ثمانية وثلاثون بيتاً، من البحر الكامل:

اليوم غاض قلّمس الإحسان واندكّ طود الأمن والإيمان
فتوّق بعد الصعق مهلكة فقد قامت عليك قيامة الأحزان
وأنِبْ نضار دموع طرفك حسرة بشواظ نار الهّم والأشجان
والبس ثياب الشجو دهرك والأسى واخلع ثياب شبارق السلوانِ
واعضض على الراحات منك كآبة عضاً على الراحات بالأسنان
واعمر بيوت النوح ويك فقد غدا بيت الفخار مهدّم الأركانِ
واجعل زفيرك بالكآبة صادراً عند التلعثم من حميم آنِ
لله أكبر إنها لمصيبة شكت الهوان بثقلها الثقلانِ
قد مات سلطان البسيطة سالم سلطان كل فتى فتى سلطانِ

وقلت في آخرها شعراً:

فسقى المهيمن قبره من مزنة أجفانها في سّحها أجفاني
وأثابه الرضوان إذ رضوانه يفضي بأهليه إلى رضوانِ[2]

و وقفت عن تذكاري لسيرة الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام، إذ هو أطال الله بقاءه، مع إفراغي من ذكر سيرة أبيه، إلى هذه الغاية، وهي سنة تسع وستين ومائتين وألف، في قيد الحياة، ولا يؤرخ المؤرخ من هو في قيد الحياة قبل أن

---

(١) انظر القصيدة كاملة في: المصدر نفسه، ص ٦٦٤ – ٦٦٥ – ٦٦٦.

(٢) انظر القصيدة كاملة في: المصدر نفسه، ص ٦٦٦ – ٦٦٧ – ٦٦٨.

يصير في غير قيد الحياة، إذ في مدة إقامته في الدّهر، تحدث علـــى يـــده كـــوائن وقضايا وجرايات، تخفى على المؤرخ والمؤرَّخ، فتاريخ المؤرخ متعذر، لمن هـــو في قيد الحياة، ، إذ عنه كشف ما يأتي، بعد كشف ما أتى غيب، ولايعلم الغيـــب إلا الله، وإنما السلف والخلف من المؤرخين، لم يؤرخوا من وجدوه في قيـــد الحيـــاة، [٩٥٣] بل يؤرخونه، إذا صار في غير قيد الحياة، كما ذكرنا على هـــذا مـــنهجهم ومذهبهم، ولا يصِّح إلاّ هذا،

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم مافي غدِ عمٍ

وأما السيد الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام الملك، تضرب به الأمثال في الـــشرف والأفضال، لقد حارب العدى براً وبحراً، فسقاهم بكأس الـــرّدى، فملـــك أفـــدانهم، وأستأصل سلطانهم، فأزعنوا له قسراً، وغلبهم قهراً، وجاد بالبيضاء والصفراء على أهل الإكثار والإقلال، فمالت قلوب أهل الإنصاف إليه، وأثنت ألسنتهم عليـــه، ولا يبعد قولي إذا قلت، إن الملوك الماضين من أهل عمان دونه في اســـتيلاء البلـــدان والأفدان، وهم في الكرم دونه، لا يختلف في ذلك إثنان، خلّـــد الله ملكـــه، وأطـــال عمره، وأولع لسانه أن يقول على رغم أُنوف الحساد في جنح وراد، إن هذا لرزقنا ماله من نفاد، وهذا نقل الكتابة بالمداد الأحمر أعلاه.

وقد وقع الفراغ من تحريري لهذا الكتاب، يوم الأربعاء والسادس والعشرين شـــهر محرم، سنه ١٢٦٩ هـــ على يد مؤلفه الحقير حميد بن محمد بن رزيق، بخط يده.

فهرس الجزء الخامس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


تم بحمد الله